مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

قُرآنُنا

عبدُ الحليم الغِزّي

منشورات موقع زهرائيون

قُـرآنُنـــا

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في تسعة وعشرين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 13 / 03 / 2010

القسم الثاني: من الحلقة السادسة عشر الى الحلقة التاسعة والعشرون

يا زهـــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلي على مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّد وعَجل فَرَجَهُم والعن أعدائهم

اللَّهُمَّ صَلي على فَاطِمَة وأبيها وبَعلِها وبَنيها والسرِّ المُستَودعِ فيها

الحلقة السادسة عشر

تفسير سورة البقرة من الآية ١١٨ الى الآية ١٢٦

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أيامكم وأوقاتكم في هذه الأيام الشريفة وهذا هو اليوم الرابعُ من شهر شعبان المعَظَّم عيدُ ميلاد قمر الهاشميين صلوات الله وسلامه عليه وهذه الحلقة السادسة بعد العاشرة من برنامج قرآننا ولا زال الكلام متواصلاً في ما يمكن بيانهُ من معاني ومضامين آيات سورة البقرة، وصل بنا الكلامُ إلى الآية الثامنة بعد العاشرة بعد المئة، آخر آيةٍ تحدثنا عنها قوله تعالى:

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ وَإِذَا قَضَى أَمراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ أشرع في الآية الثامنة بعد العاشرة بعد المئة، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعلَمُونَ لَولاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَو تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم مِّثْلَ قَولِهِم تَشَابَهَت قُلُوبُهُم قَد بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَومٍ يُوقِنُونَ ﴾ الذين لا يعلمون مرَّ ذكرهم في الآية الثالثة بعد العاشرة بعد المئة ﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيءٍ وَهُم يَتلُونَ الكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعلَمُونَ مِثلَ قَولِهِم ﴾ المراد من الذين لا يعلمون هم من غير اليهود والنصارى وهم عامة مشركي العرب، الحديث عن زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والكلامُ عن اليهود وعن النصارى الذين كانوا في زمانهِ صلى الله عليه وآله والحديث عن الذين لا يعلمون وهم عامة مشركي العرب من غير اليهود والنصارى وتقدمت الإشارة إليهم في الآيات المتقدمة كما بينت قبل قليل.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعلَمُونَ ﴾ ماذا قالوا؟ ﴿ لَولاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَو تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم ﴾ الذين سبقوهم من الأمم الأخرى من اليهود والنصارى ﴿ تَشَابَهَت قُلُوبُهُم ﴾ كما مرَّ علينا في الآية السابقة الكلام واحد كلام اليهود والنصارى والذين لا يعلمون مع أنهم يختلفون في مشاربهم ﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيءٍ ﴾ ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعلَمُونَ مِثلَ قَولِهِم ﴾ هناك تشابه في الأقوال تشابه في الأحكام تشابه بالفكر نفس هذا المضمون الآية هنا تشير إليه تشير إلى هذه الحقيقة

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ كأنهم يحتجون على رسول الله يستكثرون على رسول الله أن يُكلِّمه الله أن يوحي إليه الباري سبحانه وتعالى فقالوا نحن نريد أن يُكلمنا الله كما يُكلِّمُك يا مُحَمَّد ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾ أو أن الآيات تنزل علينا نحنُ كما تدّعي بأن الآيات تنزل عليك ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ .

ومرَّ علينا في قصص بني إسرائيل الذين اختارهم موسى من قومهِ وذهبوا معهُ إلى الميقات فقالوا بأنك تدّعي أن الله يكلمك فدعنا نسمع كلام الله فأسمعهم كلام الله فسمعوا الكلام من كل اتجاهٍ من كل جهة كما تقول الروايات لأن الله سبحانه وتعالى إنما يخلق الكلام، الله سبحانه وتعالى ليست عنده جارحة حتى يصدر الكلام من جهة تلك الجارحة وإنما يصدر الكلام أن الله يخلق الكلام فسمعوا كلام الله من جميع الجهات من جميع الاتجاهات فلمَّا سمعوا كلام الله قالوا يا موسى إنا لن نؤمن لهذا الأمر دعنا وبين لنا أو أكشف لنا أن نرى الله سبحانه وتعالى ﴿ أَرِنَا اللَّهِ جَهْرَةً ﴾ بشكلٍ واضح ﴿ أَرِنَا اللَّهِ جَهْرَةً ﴾ فبذلك نزلت عليهم الصاعقة ومر هذا الكلام يعني أن الأمم السابقة سواء كانت من الأمم التي نزلت عليها ديانات سماوية أو من الأمم التي ما نزلت عليها ديانات سماوية كلامهم واحد نفس المكان الذي يدور حولهُ السابقون يدور حولهُ اللاحقون.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ قلوب هؤلاء الذين لا يعلمون مع قلوب اليهود مع قلوب النصارى مع قلوب أممٍ أخرى متشابهة، تشابهت قلوبهم لذلك يقولون نفس الكلام كما يُقال إنما جُعِلَ اللسان على الفؤاد دليلا، اللسان هو الذي يترجم ما في القلوب اللسان هو الذي يترجم ما في ضمير الإنسان ما في مكنون الإنسان ومكنون الإنسان إنما هو في عقلهِ وقلبه حقيقة الإنسان أين تكون؟ في عقل الإنسان وفي قلب الإنسان في البُعد الفكري العقلي وفي البُعد الفكري الوجداني في عقلهِ وفي قلبه من الذي أو ما الذي يترجم المعاني الموجودة في القلب والعقل هو اللسان فإذاً مَرَّدُ الأفكار ومَرَّدُ الكلام إلى القلب إلى العقل لذلك الآية تقول ﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إذا كان هؤلاء المشركون يقولون نفس الكلام الذي قالتهُ اليهود فيما سلف وقالته النصارى فيما سلف وقالته أمم أخرى القضية مردها إلى هذه الحقيقة أن هذه الجموع من البشر تشابهت قلوبهم لأن هذا الفكر إنما يصدرُ من عقولهم ومن قلوبهم وجه التشابه هنا أين؟! وجه التشابه في الجهل هؤلاء وإن كانوا يتلون الكتاب اليهود والنصارى لكنهم يبتدءون من الجهل وينطلقون من الجهل وكذلك الذين لا يعلمون كما وصفهم القرآن

الذين لا يعلمون أي إن ما عندهم هو الجهل الذين يجهلون تشابه القلوب في هذه القضية هناك مسألة موجودة عند هذا الإنسان ومشكلة الإنسان في هذه القضية هناك عند الإنسان نزوع إلى الإلوهية نزوع إلى الطاغوتية هذا الشيء موجود في باطن الإنسان وإنما الإنبياء والرسل والديانات والأوصياء والأئمة يأتون لتطهير الإنسان ولتنزيه الإنسان من أن ينساق خلف هذه القضية هناك نزوع عند الإنسان إلى الإلوهية نزوع إلى الطاغوتية ما هو بغريب أن نجد في التأريخ من الفراعنة من الملوك من السلاطين الذين دعوا الناس إلى عبادتهم وصاروا آلهةً هذا ما هو بشيءٍ غريب، النفس البشرية تنزع عندها نزوع إلى التجبر عندها نزوع إلى التكبر إلى الطاغوتية وشيئاً فشيئاً تصل إلى مرحلة الإلوهية وهذا ليس بغريب حتى في عصرنا الحاضر هذه القضية موجودة.

موضوع الاستنساخ هذا الموضوع العلمي الذي هو موضوع أحيائي موضوع علمي بايولوجي هذا الموضوع إذا أردنا أن نبحث في جذورهِ جذور هذا الموضوع تعود إلى هذه القضية إلى مسألة النزوع إلى الإلوهية أول من طرح هذه الفكرة المجموعة الرائيلية المجموعة الرائيلية مجموعة أكثرهم من الأطباء من علماء الأحياء فيهم العديد فيهم إعلاميون فيهم صحفيون فيهم من مختلف الاختصاصات لكن هناك مجموعة الآن موجودة في الولايات المتحدة الأمريكية وفي غيرها مجموعة تعتنق ديناً يسمى بالدين الرائيلي هؤلاء الرائيليون هم الذين طرحوا فكرة الاستنساخ وحولوها من أصل فكرةٍ دينية ما تسمى بفكرة الإلوهيم وهي فكرة تَمّتُ إلى الفكر اليهودي القديم فكرة الإلوهيم وهي تحول الإنسان إلى إله شيئاً فشيئاً وجود نزعة عند الإنسان إلى أن يتحول إلى إله وهؤلاء بنو فكرتهم على هذا الأساس أن الإنسان يمكن أن يصل في مرحلة من المراحل يتطور يصل إلى مرحلة الإلوهيم فيكون خالقاً فهو يخلق والقضية فيها تفصيل أنا لا أريد أن أدخل في هذا الموضوع لكن منشأ هذه الفكرة من فكرة دينية حُوّلت بعد ذلك إلى المختبرات وإلى البحث العلمي وهذه قضية حقيقية هذه ليست دعاية إعلامية وإنما هناك مجموعة هي المجموعة الرائيلية هؤلاء الذين الآن عندهم معتقد أو ديانة تسمى بالديانة الرائيلية هؤلاء هم الذين تبنوا فكرة الاستنساخ وأشاعوها في الأوساط العلمية لأن فيهم من العلماء من علماء الأحياء ومن الأطباء ومن الجراحين أوردت هذا المثال لمسألة نزوع الإنسان إلى الإلوهية نفس الفكرة التي تبناها الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشا نفس الفكرة فكرة السوبرمان فكرة الإنسان الفائق هذه الفكرة أيضاً مردها إلى فكر يهودي إلى نفس هذه القضية وهو أن الإنسان لابد أن يتطور وأن يصلَ إلى الدرجة العظمى، الدرجة العظمى أن يصل بهذا المستوى بمستوى السوبرمان وهو الذي عنده قدرة الخلق وقدرة التغيير وقدرة التصرف بحيث لا يستعصي عليه شيءٌ تكويني عنده القدرة في التصرف في التكوينيات وفي الموجودات وهذه مردها إلى فكرة الإلوهيم في الفكر اليهودي القديم وهي نزعةٌ موجودةٌ عند الإنسان تتناغم مع هذه النزعة الموجودة في باطن أعماق الإنسان نزعة إلى التجبر إلى التكبر

هذه النزعة لها مظاهر لها صور في بعض الأحيان تظهر عند فرعون بأن يدعوا الناس إلى عبادته فيكون إلهاً وفي بعض الأحيان قد تكون هذه الصورة في مجموعة من أحبار اليهود في مجموعة من رجال الدين من أي دينٍ كان فيعتبرون أن الدين وأن الحقيقة فقط بأيديهم لا عند غيرهم ويكونون هم الميزان ينصبون أنفسهم حُجَّةً على العباد وهكذا في كل بابٍ من الأبواب هناك قضية قضية النزوع إلى التجبر النزوع إلى الطغيان هذا هو السبب الذي أضلَّ الناس، نفس الشيء نحن حينا نواجه أُناساً يُعاندون أهل البيت نفس القضية فقد نصبوا من أنفسهم أئمةً وإن لم يُصَرِّحوا بذلك وربما قد يكون فيما بيننا فيما بين من يدّعي أنهُ من شيعة أهل البيت من ينطبق عليه هذا المعنى حين ينصب نفسهُ في مقابل ما يريدهُ أهل البيت ولكن بعنوان أنهُ يبحث عن الحقيقة بعنوان أنهُ يريد أن يضع الأمور في نصابها بهذا العنوان وبأن ما في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ليس هو هذا الشيء النهائي أو الشيء الصحيح وإنما الشيء الصحيح بحسب ما يراه هو في أفق مزاجهِ واستحسانهِ ومذاقهِ الخاص وهذا شيءٌ كثير في حياتنا هذا مردّهُ إلى هذه الحالة إلى حالة النزوع إلى الإلوهية وهذا هو الذي أدى بهذه الأمم إلى الضلال.

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ هو هذا النزوع والتجبر والتعصب لِما يعتقد بأنهُ هو الصحيح لماذا هو صحيح؟! لأنهُ هو يرى بأنهُ هو الصحيح يعني يجعل المصحح للفكرِ وللعقيدةِ وللدين ما ينتجهُ هو ما يصل إليه هو ما يستحسنهُ هو ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ الله سبحانه وتعالى جعل ميزان الصحة في أن يُرسل رسلاً، هؤلاء يرفضون يريدون أن الله يكلمهم كما يكلم الرسل يريدون أن الله يُنزل عليهم الآيات كما تنزل الآيات على الرسل لماذا؟ لأنهم وضعوا الموازين بحسب أمزجتهم لأنهم لا يجدون فرقاً بينهم وبين الرسل إن لم يجدوا أنفسهم أفضل من الرسل ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ هذا التشابه أين؟ تشابه في هذه النزعة وحينما يتوجه الإنسان في حياتهِ مدفوعاً من هذه النزعة بأي مظهرٍ من مظاهر هذه النزعة القلبية فإنهُ يغطس في بئرٍ عميق من الجهل وهذا هو الذي غطس فيه اليهود وغطس فيه النصارى وغطس فيه أولئك الذين لا يعلمون الذين تتحدث عنهم هذه الآية الشريفة.

ثم تقول الآية ﴿ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ يعني هؤلاء الذين لا يعلمون وهؤلاء اليهود وهؤلاء النصارى الذين تشابهت قلوبهم فيما يقولون وفيما يفكرون ويريدون أن الله يكلمهم ويريدون أن الآيات تنزل عليهم

القرآن يقول هؤلاء مردهم إلى جهلهم وإنما الآيات الله أنزلها أنزل الآيات وهناك ممن أدرك هذه الآيات لكن أي قلوب أدركت هذه الآيات؟! القلوب التي ابتعدت عن هذه النزعة النزعة التجبرية النزعة التكبرية القلوب التي أخبتت، عندنا هناك إخبات قلوب مُخبته وعندنا قلوب تنزعُ إلى الطغيان إلى الحالة الطاغوتية فهناك إخبات وهناك طغيان ﴿قَد بَيَّنَّا الآيَاتِ﴾ نحن قد بيَّنَّا الآيات مُحَمَّدٌ نفسهُ هو آية وما نزل عليه آياتٌ وآيات الآيات قد بُيِّنت لكن لمن؟ ﴿لِقَومٍ يُوقِنُونَ﴾ لقوم ملأ اليقين أفئدتهم كيف وصل اليقين إلى أفئدتهم، كيف وصل اليقين إلى عقولهم وإلى قلوبهم لا يصل اليقين إلى العقل أو إلى القلب إلا من بابٍ واحد وهو بابُ الإخبات حين تخبت القلوب يمكن حينئذٍ أن يدخل الهدى إلى تلك القلوب يمكن حينئذٍ أن يدخل العلم العلم الحقيقي والمعرفة الحقيقية حينئذٍ يمكن أن يدخل الإيمان بكل قوتهِ إلى القلوب التي تخبت.

موضوع الإخبات موضوع واسع ونتحدث عنهُ إن شاء الله في مناسبةٍ أخرى لكن بالجملة أقول القلوب المخبتة هي القلوب التي لا تجعل ثقتها في نفسها وإنما تجعل الثقة بالله سبحانه وتعالى الإخبات هو الاعتماد الحقيقي على الله هو الاعتماد الحقيقي على الغيب ليس على الجهة الحسية والمادية التي يملكها الإنسان الإخبات هو هذا، هذا لا يعني أن الإنسان يكون انهزامياً في الحياة أو أن الإنسان يفقد ثقتهُ بنفسهِ الحديث عن انهزامية أو فقدان الثقة بالنفس هذا الموضوع الذي قد يتداوله علماء النفس علماء الاجتماع علماء التربية علماء الأخلاق هذه قضية فرعية لا علاقة لها بهذا الموضوع يجب على الإنسان أن يكون واثقاً من نفسهِ لكن تحت الأفق الكبير وهو الثقة بالله لا أن الإنسان يثق بنفسهِ من دون الثقة بالله الإنسان يثق بنفسهِ لكن تحت الأفق الكبير وهو الثقة بالله سبحانه وتعالى القلوب المخبتة القلوب التي تجعل ثقتها بالله حينما يجعل الإنسان ثقتهُ بالله سبحانه وتعالى هذا القلب سيبتعد شيئاً فشيئاً عن الطاغوتية لأنهُ سيقترب إلى العبودية لأن الطاغوتية والعبودية معاني متنافرة لا يمكن أن تلتقي ولا في أي جهةٍ من الجهات إذا نزع القلب إلى الطاغوتية أبتعد عن العبودية وإذا نزع القلب إلى العبودية أبتعد عن الطاغوتية جهةٌ مُشَرِّقة وأخرى مُغَرِّبة فحينما يخبتُ القلب يعني أن القلب يجعل اعتمادهُ على الله حينئذٍ يكون القلب ويكون العقل أرضيةً مُمَهَّدة مبسوطة مفروشة لأن تتقبل معاني الإيمان معاني اليقين وإلى هذا تشير الآية، في عينية ابن أبي الحديد المعتزلي بيت جميل قد يناسب هذا المعنى وهو يخاطب سيد الأوصياء يقول:

يا من له في أرض قلبي منزلٌ نعم المراد الرحب والمستربع

هناك مكانٌ في قلبي أنت تنزل فيه المنزل هو المكان المُمَهَّد المُهيأ أن ينزل الإنسان فيه أن يطأهُ بأقدامهِ وإلا لا يقال له منزل، منزل لأنك تنزل من مكانٍ عالٍ إلى مكانٍ واطئ تطأهُ بقدمك ...

يا من له في أرض قلبي منزلٌ نعم المراد الرحب والمستربع

أنا مهدت لك قلبي فتعال وأنزل في هذا القلب، الإخبات هو هذا أن تُمَهَّد القلوب لأن يحل فيها النور ولا يمكن أن تُمَهَّد القلوب ما لم تكن هذه القلوب واثقة بالله فقط معتمدة على الله فقط إذا وثقت بنفسها وأعتمدت على قدراتها نزعت هذه القلوب إلى الطاغوتية نزعت هذه القلوب إلى الإلوهية شيئاً فشيئاً لأننا لا يمكن أن نملك شيئاً على وجه الحقيقة ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعونَ﴾ فحينما نتصور أننا نملك شيئاً فهذا منشأهُ من الوهم هذا الوهم الذي يقود الإنسان إلى الإلوهية إلى الطاغوتية إلى التجبر إلى التكبر متى ما أخبتت القلوب حلَّ فيها اليقين وحلت فيها المعرفة وإلى هذا تشير الآية ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ لَولَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَو تَأتِينَا آيَةٌ﴾ يجعلون لنفسهم منزلة لماذا يكلم الله محمَّد لماذا يُنزِل على مُحَمَّدٍ الآيات فنحن نريد أن يكلمنا الله نريد أن يُنزل علينا الآيات ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ لَولَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَو تَأتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم مِّثلَ قَولِهِم تَشَابَهَت قُلُوبُهُم﴾ هذه قلوب بعيدة عن الإخبات هذه قلوب تشبعت فيها الطاغوتية.

﴿قَد بَيَّنَّا الآيَاتِ﴾ نحن بينا الآيات ولكن ليس لهذه القلوب ﴿قَد بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَومٍ يُوقِنُونَ﴾ من هم هؤلاء الذين يوقنون؟ هم الذين يدخل اليقين إلى قلوبهم من طريق الإخبات ﴿إِنَّا أَرسَلنَاكَ بِالحَقِّ﴾ هذه القلوب كيف دخل اليقين إليها؟ من طريق الإخبات وباب الإخبات فتح لهذه القلوب ساحة الحق ﴿إِنَّا أَرسَلنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ هذه القلوب التي تشابهت في ضلالها دعك منها يا رسول الله فإنك لن تُسأل عنها ﴿إِنَّا أَرسَلنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسأَلُ عَن أَصحَابِ الجَحِيمِ﴾ هذه القلوب المتشابهة أولئك هم اصحاب الجحيم هذه القلوب التي عَشَّشَ فيها أو عشعش فيها يمكن أن أقول عَشَّشَ فيها وأقول عشعش فيها، عَشَّشَ فيها الجهل هذه القلوب التي ذهبت باتجاه الطاغوتية باتجاه الحالة الطاغوتية للنفس البشرية هذه قلوب أصحاب الجحيم فلا تعبأ بهم يا مُحَمَّد ﴿إِنَّا أَرسَلنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ إنك تُبَشِّرُ بالحق وتُنذِرُ بالحق والبشير والنذير، البشير هو الذي يُخبِرُ بما يُفرِح وبما يبعثُ على الأمان وعلى الاطمئنان والنذير هو الذي يُخبِرُ بما يُخيف وبما يُرهِب ﴿إِنا أَرسَلنَاكَ بِالحَقِّ﴾ إرسالك بالحق هو أعظم آية لكن هذه الآية من الذي يؤمن بها؟! تؤمن بها تلكم القلوب الموقنة ﴿قَد بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَومٍ يُوقِنُونَ﴾ أما أولئك الذين تشابهت قلوبهم على الضلال فلن يستشعروا الحق الذي قد جئت بهِ أولئك هم اصحاب الجحيم فدعهم واتركهم

فإنك لا تُسأل عن أصحاب الجحيم ﴿إِنَّا أَرسَلنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسأَلُ عَن أَصحَابِ الجَحِيمِ * وَلَن تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم﴾ مِلَّتَهُم الملة نُسبت إليهم لأن هذه الملة نشأت من أين؟ نشأت من أفكارهم من تلكم القلوب المتشابهة إن كان فيها شيءٌ من صواب فقد حَرَّفوه.

﴿وَلَن تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم قُل إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى﴾ إذاً هناك مِلَّةٌ لليهود مِلَّةٌ للنصارى وهناك هدى الله ﴿وَلَن تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم قُل إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى﴾ يعني الآية جعلت في مقابل مِلَّة اليهود والنصارى هدى الله ماذا يعني؟ يعني أن تلك الملة لا علاقة لها بهدى الله وهدى الله هنا هو دين الله يعني أن الدين الذي عندهم إنما هو دينهم دين اليهود والنصارى، ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع دينهم هذا الدين ليس منسوباً إلى الله إنما هو منسوبٌ إلى اليهود وإلى النصارى ما هو الذي يقابل ذلك؟ ﴿قُل إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهوَاءَهُم﴾ إذاً هذه ملتهم هذا دينهم الذي جاء من أهواءهم لأن الآية تتحدث ﴿وَلَن تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم﴾ ثم تقول ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهوَاءَهُم﴾ اتباعك لملتهم إنما هو إتباعٌ لأهوائهم فهذه الملة إنما نشأت من أهواءهم ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهوَاءَهُم بَعدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلمِ﴾ إذاً ما عندهم هو الجهل ما عندك هو العلم وما عندهم هو الجهل ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يعني أنهم ليسوا أولياء الله لأنك إذا اتبعت أهواءهم فإن الله لن يكون لك ولياً ولن يكون لك نصيراً وناصراً يعني إن الله ليس بولٍي لهم فهم ما هم بأولياء الله وما هم بأنصار الله هذه الآية كلماتها معدودة لكنها تحدثت عن حقائق كبيرة.

أولاً قالت بأن دين اليهود والنصارى هو منسوبٌ إليهم إلى اليهود والنصارى لذلك قالت ﴿وَلَن تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم﴾ وجعلت في مقابل هذه النسبة جعلت نسبة الدين إلى الله ﴿قُل إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى﴾ ماذا يعني؟ يعني أن أولئك القوم أولاً على ضلال وأن ملتهم وأن دينهم هو بالنسبة إليهم هو من صنع أنفسهم ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهوَاءَهُم﴾ يعني أنك إذا اتبعت ملتهم إنما تتبع أهواءهم ﴿بَعدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلمِ﴾ فعندهم الجهل فدينهم الذي عندهم هم صنعوه ومَرَدُّ ذلك إلى أهواءهم ومَرَدُّ

أهواءهم إلى جهلهم ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهوَاءهُم بَعدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ العِلمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ يَتلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكفُر بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾ هناك كتابٌ وهناك تلاوةٌ هي حق التلاوة وهناك إيمانٌ بهِ وهناك كفرٌ بهِ تترتب عليه الخسارة.

﴿ الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ ﴾ هذه الآية لها أكثر من أفق قد يكون الحديث هنا عن أهل الكتاب باعتبار السياق القرآني اللفظي الموجود في الآيات الحديث عن أهل الكتاب ﴿ وَلَن تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى ﴾ إلى أن تقول الآية ﴿ الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ يَتلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ يعني هناك طائفةٌ من اليهود ومن النصارى ممن يتلون كتاب الله المراد من كتاب الله قد يكون هو التوراة والإنجيل وقد يكون هو القرآن بالنتيجة ما نزل من الله سبحانه وتعالى وآمنوا به لِما وجدوا فيه من الآيات كما مرَّ علينا قبل قليل أن هناك آياتٌ توقن بها القلوب هناك قلوب يمكن أن توقن بهذه الآيات مرَّ علينا ﴿ قَد بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَومٍ يُوقِنُونَ ﴾ وهؤلاء يمكن أن يكونوا من اليهود من النصارى من المشركين أو من أي قومٍ آخرين ﴿ الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ يَتلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ يتلونهُ حق تلاوته يعني يتبصرون في معانيه ويحاولون أن ينفذوا هذه المعاني مثلاً إذا كانوا يقرءون في كتب اليهود والنصارى ما يجدونهُ من البشارات بالنبي صلى الله عليه وآله وهم يسعون إلى تطبيقها على النبي وبعد ذلك يؤمنون به ويوقنون بآياتهِ قد يكون هذا هو المراد من الآية وهذا أفقٌ من أفق آيات الكتاب بحسب السياق اللغوي والسياق اللفظي.

﴿ الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ يَتلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكفُر بِهِ ﴾ منهم يعني من اليهود والنصارى ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾ وقد يكون أفقٌ آخر، وهم للذين آمنوا بالله وبرسولهِ وبعليٍّ وآل علي قد يكون الأفق هنا للذين آمنوا بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فهم يتلون كتابهُ يتلون القرآن حق تلاوته هناك عندنا في الروايات المروية عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مثلاً على سبيل المثال رواية منقولة عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه وهو يتحدث في بيان معنى هذه الآية ﴿ الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ يَتلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ ماذا قال الإمام؟ قال الإمام صلوات الله عليه: **يرتلون آياته** – ترتيل والترتيل هي القراءة المتزنة القراءة التي ضمن ضوابط معروفة – **يرتلون آياتهِ ويتفقهون به** – التفقه منشأ التفقه إنما هو من التدبر والتفقه أعظم من التدبر، التدبر هو الذي يقودنا إلى التفقه، التفقه في الشيء هو معرفة أعمق ما يمكن أن

نعرفهُ منه – **يرتلون آياتهِ ويتفقهون به ويعملون بأحكامه ويرجون وعدهُ** – الوعد هو وعد الخير – **ويخافون وعيده** – الوعيد هو وعيد الشر – **ويعتبرون بقصصه ويأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه** – هذا هو معنى حق التلاوة للذين آمنوا بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ثم يقول – **ما هو والله حفظُ آياتهِ** – يعني الحفظ عن ظهر قلب – **ما هو والله حفظُ آياتهِ ودرسُ حروفهِ وتلاوة سوره** – درسُ حروفهِ يعني أن ندرس كيف نتلفظ الحروف كما في فنون التجويد مثلاً والقراءة كما يفعلهُ المخالفون لأهل البيت حينما نريد أن نتلو الكتاب حق تلاوته كما قال عليه السلام – **يرتلون آياتهِ ويتفقهون به ويعملون بأحكامه ويرجون وعدهُ ويخافون وعيده ويعتبرون بقصصه ويأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه ما هو والله حفظُ آياتهِ ودرسُ حروفهِ وتلاوة سوره ودرس أعشارهِ وأخماسه** – تقسيمه إلى أعشار وأخماس وبعد ذلك حفظ هذه الأعشار والأخماس وبعد ذلك التدرب والتمَرُّن على فن التجويد وإخراج الحروف من مخارجها، وما ذلك بشيءٍ سيء وإنما أن نجعل التعامل مع القرآن فقط في هذه الصورة هو هذا الذي لا يسمى بحق التلاوة تكون القضية حينئذٍ مجرد أصوات وحروف وقراءة ساذجة – **ما هو والله حفظُ آياتهِ ودرسُ حروفهِ وتلاوة سوره ودرس أعشارهِ وأخماسه، حفظوا حروفه وأضاعوا حدوده، وإنما هو تَدَبُّر آياتهِ والعمل بأحكامه قال الله تعالى** ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ .

هذا هو أفق من أفاق هذه الآية حينما يكون التدبر وحينما تكون التلاوة إنما هي للذين آمنوا بِمحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله والتدبر في معاني القرآن يقودنا إلى أين؟ يقودنا إلى حقيقة ناصعة تبينها لنا الروايات الشريفة في الأفق الثالث من أفاق هذه الآية المباركة، الرواية في الكافي الشريف – عن أبي ولات قال سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قولهِ عزَّ وجلَّ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ **قال: هم الأئمة.** هؤلاء الذين يتلون الكتاب حق تلاوته هم الأئمة والروايات عديدة عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن هذه الآية في حقيقة معناها هي في الأئمة لأنهم هم فقط الذين يتلون الكتاب حق تلاوته، كيف يُتلى الكتاب حق تلاوته ما لم نكن نفهم الكتاب على حقيقته فمن منا يفهم الكتاب على حقيقته؟! الأئمة فقط هم الذين يفهمون الكتاب على حقيقته لذلك الآية في معناها الأعمق وفي أفقها الحقيقي هي في الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هي في محمَّدٍ وآل مُحَمَّد هي في عليٍّ وآل علي هي في الحجة بن الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه إمام زماننا ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ نزل الكتابُ في أبياتهم هم خوطبوا بهذا الكتاب ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ حق التلاوة لا يكون ما لم يكن هناك فهمٌ حقيقي للقرآن والفهم الحقيقي إنما هو عند أهل البيت، مهما بلغنا من العلم ومهما

درسنا في علوم القرآن ومهما حفظنا ومهما دققنا وحققنا وتعمقنا في فهم القرآن فإن ذلك يكون فهماً بحدودنا القرآن أوسع من أن تحيط به عقولنا العقول التي تتمكن من الإحاطة بالقرآن هي عقول مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد لذلك هم فقط الذين يتلون الكتاب حق تلاوته أما ما ورد مثلاً في الرواية التي تحدثت قبل قليل عن ترتيل الآيات والتفقه والإئتمار بأوامرهِ والانتهاء بنواهيه هذا الكلام الذي مرَّ في رواية الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه إنما هو في أفق من أفاق الآية في وجه من وجوهها.

الآيات لها مطالع ومجاري ومطالع ومجاري الآيات لا تتساوى كلها في الرتبة مثل ما للشموس وللأقمار وللنجوم مطالع ومجاري يعني الآن القمر مثلاً له مطالع ومجاري هل القمر على طول ليالي الشهر بنفس الحجم وبنفس القدرة الضوئية ألا يبدأ في البداية هلالاً ضعيف النور وبعد ذلك حتى يصل إلى البدر هناك مطالع ومجاري لآيات الكتاب الكريم، الروايات تقول إن آيات القرآن تجري مجرى الليل والنهار مجرى الشمس والقمر ولها مطالع ومجاري وحدود في أفق من أفاقها، نعم يمكن أن ينطبق الكلام على أتباع محمَّدٍ وآل مُحَمَّد لكن المعنى الحقيقي من الذي يتلو الكتاب حق تلاوته؟ هم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد فقط وحدهم صلوات الله وسلامه عليهم لذلك إذا أردنا أن نعرف القرآن ينحصر الطريق فقط إليهم إذا كانوا هم فقط الذين يتلون الكتاب حق تلاوته فقط هم الذين يؤمنون به فقط هم الذين يعرفونه، الآية ماذا تقول؟

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ قطعاً يؤمنون به الإيمان الكامل لماذا؟ لأنهم يعرفونهُ المعرفة الكاملة كيف يتحقق الإيمان ما لم يكن هناك شيءٌ من المعرفة قد حلَّ في القلب فيُخبت له القلب ويُذعن له ويُسلِّم ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ﴾ من الذي يكفر بهذا الكتاب؟ هو الذي لا يتلو الكتاب حق تلاوته ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أولئك هم الخاسرون الذين لا يتلون الكتاب حق تلاوته ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ﴾ من يكفر بهذا الكتاب الكفر هنا إنما يأتي بسبب عدم المعرفة لأن الذين يتلون حق التلاوة هم يعرفون الكتاب حق المعرفة فيترتب على ذلك أنهم يؤمنون به حق الإيمان من لم يكن بهذه الصفة فكيف سيكون؟ فإنما سيكفر بهذا الكتاب إذا لم يكن على درجةٍ من تلاوة الكتاب حق التلاوة كاملة وقد يكون في مقامٍ يُعارضُ فيه أولئك الذين يتلون الكتاب حق التلاوة فحينئذٍ سيكون في دائرة الكفر وأولئك هم الخاسرون إذاً من هم الرابحون؟ الرابحون الذين يتمسكون بهؤلاء الذين يتلون الكتاب حق تلاوته عندنا خاسرون ورابحون الخاسرون هم الذين يرفضون هؤلاء الذين يتلون الكتاب حق تلاوته في المقابل سيكون هناك رابحون وهم الذين سيتمسكون بأولئك الذين يتلون الكتاب حق تلاوته، ومرت رواية الإمام الصادق عليه السلام قبل قليل أنهم يرتلون القرآن يتفقهون فيه

يعملون بأحكامهِ يأتمرون بأوامره ينتهون بنواهيه وهكذا يفرحون بوعده ويحزنون من وعيده يخافون من وعيدهِ هذه المعاني التي مرت في معاني التدبر والتفقه في القرآن في أولئك الذين يتمسكون بمن؟! بأولئك الذين يتلون الكتاب حق تلاوته وهم مُحَمَّدٌ وآل محمَّد وأعتقد أن الآية واضحة لا يستطيع أحد من غير مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد أن يتلو الكتاب حق تلاوته.

﴿يَا بَنِي إِسرَائِيلَ اذكُرُوا نِعمَتِيَ الَّتِي أَنعَمتُ عَلَيكُم وَأَنِّي فَضَّلتُكُم عَلَى العَالَمِينَ﴾ ومر مثل هذا الكلام علينا في الآيات المتقدمة من سورة البقرة ﴿يَا بَنِي إِسرَائِيلَ اذكُرُوا نِعمَتِيَ الَّتِي أَنعَمتُ عَلَيكُم﴾ قطعاً في روايات أهل البيت من جملة معاني يا بني إسرائيل المراد منها هم آل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فإسرائيل تعني عبد الله تعني صفيَ الله وبنو إسرائيل هم بنو مُحَمَّد، مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله هو عبد الله الحقيقي هو صفي الله الحقيقي وانطباق هذه الصفات على الأنبياء وعلى الأولياء وعلى الأوصياء إنما تأتي بدرجةٍ أخف بكثير من انطباقها على محمَّدٍ صلى الله عليه وآله التجلي الحقيقي لمعنى العبودية إنما هو في مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله على أي حالٍ ونحنُ مع السياق اللفظي ﴿يَا بَنِي إِسرَائِيلَ اذكُرُوا نِعمَتِيَ الَّتِي أَنعَمتُ عَلَيكُم﴾ النعمة التي أنعمها الله على بني إسرائيل نِعَمٌ كثيرة لكن الحديث هنا عن النعمة العظمى وهي الديانة التي بُعِثت إليهم والأنبياء الذين بُعِثوا إليهم الحديث هنا عن هذه النعمة ومرَّ علينا بأن بني إسرائيل كانوا مكلفين بالاعتقاد بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما الأطهار والروايات كثيرةٌ في هذا المضمون عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومرَّ الكثير من هذا الكلام في الحلقات الماضية من هذا البرنامج ﴿يَا بَنِي إِسرَائِيلَ اذكُرُوا نِعمَتِيَ الَّتِي أَنعَمتُ عَلَيكُم وَأَنِّي فَضَّلتُكُم عَلَى العَالَمِينَ﴾ إذا كان المراد من بني إسرائيل آل مُحَمَّد فواضح معنى تفضيلهم على العالمين إذا كان في ذلك الأفق العميق من الآية أما إذا كان الكلام مع الأفق الذي يأتي مع السياق اللفظي فإنما فُضِّلَ الإسرائيليون فُضِّلَ اليهود على العالمين بأي شيءٍ؟ بهذه العقيدة بإلزامهم بالاعتقاد بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما الأطهار لأن الأمم السابقة لم تكن مُلزمة بهذه العقيدة كان الأنبياء يخبرون أممهم عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد أما بنو إسرائيل فقد ألزمهم موسى بهذه العقيدة وكما قلت الروايات كثيرة في هذا المضمون وهذا هو أحد أسباب مجيئهم إلى الحجاز لأن هذه القضية لها صلات ولها جذور في أصل ديانتهم.

﴿وَاتَّقُوا يَوماً﴾ الخطاب هنا لبني إسرائيل والخطاب للإنسانية جمعاء ﴿وَاتَّقُوا يَوماً لَّا تَجزِي نَفسٌ عَن نَّفسٍ شَيئًا وَلَا يُقبَلُ مِنهَا عَدلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ ومرَّ مثل هذا الكلام أيضاً في الآيات القرآنية المتقدمة التي بَيَّنَّا

معانيها فيما سلف في الحلقات السابقة من آيات سورة البقرة ﴿ وَاتَّقُوا يَوماً لَّا تَجزِي نَفسٌ عَن نَّفسٍ شَيئاً ﴾ وهو يوم القيامة ما هي أوصاف هذا اليوم؟ ﴿ وَاتَّقُوا يَوماً ﴾ اتقوا يوماً أي ابحثوا عن سببٍ عن وسيلةٍ عن سبيلٍ تتقون به ما يجري في ذلك اليوم، التقوى هي الحماية ابحثوا عن حماية أين هي هذه الحماية؟ الحماية هي التي تكون في أي صف؟ في صف من يتلون الكتاب حق تلاوته في نفس هذا الجو الحماية تكون مع الحق الذي مرَّ الحديثُ عنه ﴿ إِنَّا أَرسَلنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسأَلُ عَن أَصحَابِ الجَحِيمِ ﴾ الحماية إذاً تكون في هذا الجانب، في أي يومٍ؟ هو في يوم القيامة ﴿ وَاتَّقُوا يَوماً لَّا تَجزِي نَفسٌ عَن نَّفسٍ شَيئاً ﴾ إن كان في الدنيا في بعض الحالات يمكن أن ينوب إنسان عن إنسان في عملٍ ما في أمرٍ ما فذلك اليوم لا يوجد فيه مثل هذا القانون وإنما يُحاسب الإنسان عن نفسهِ ولا يمكن أن ينوب عنه أحد ﴿ كُلُّ نَفسٍ بِمَا كَسَبَت رَهِينَةٌ ﴾ الإنسان مرهون بعملهِ في يوم القيامة ﴿ وَاتَّقُوا يَوماً لَّا تَجزِي نَفسٌ عَن نَّفسٍ شَيئاً ﴾ جميع الاحتمالات هنا الآية تطرحها حتى يبحث الإنسان عن سبيل حماية لأن الآية تأمر الناس ﴿ وَاتَّقُوا يَوماً ﴾ ابحثوا عن تقوى عن درعٍ حصينة تحميكم ﴿ وَاتَّقُوا يَوماً لَّا تَجزِي نَفسٌ عَن نَّفسٍ شَيئاً ﴾ أي شيء لا يمكن لنفسٍ أن تنوب عن نفس في أي قضية.

﴿ وَاتَّقُوا يَوماً لَّا تَجزِي نَفسٌ عَن نَّفسٍ شَيئاً وَلَا يُقبَلُ مِنهَا عَدلٌ ﴾ العدل هو الفداء لا يوجد هناك دفعٌ مالي يدفعهُ الإنسان كي يتخلص مما سيلقاه في يوم القيامة الروايات قالت العدل هو الفداء أو الفدية التي تُدفع في العالم الدنيوي لدفع بعض المشاكل بعض الأضرار بعض الواجبات بعض الحقوق المُلقاة على عاتق الإنسان باتجاه الآخرين ﴿ وَلَا يُقبَلُ مِنهَا عَدلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ولا توجد وساطة أيضاً هناك الشفاعة هي الوساطة، الشفاعة مأخوذة من الشفع والشفع هو الزوج الأعداد الزوجية هي الأعداد الشفعية لذلك يُقال شفيع يعني إضافة على الذي شُفِّعَ له ﴿ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُم يُنصَرُونَ ﴾ ولا يوجد أيضاً هناك أي نوع من أنواع الانتصار أي نوع من أنواع المحسوبية المنسوبية أي نوع من أنواع الرشاوى أي نوع من أنواع الوساطات لا يوجد في ذلك اليوم لذلك يجب على الإنسان أن يبحث عن سبيل حماية ﴿ وَاتَّقُوا يَوماً لَّا تَجزِي نَفسٌ عَن نَّفسٍ شَيئاً وَلَا يُقبَلُ مِنهَا عَدلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُم يُنصَرُونَ ﴾ جميع الاحتمالات الموجودة

في الحياة الدنيوية والتي يستطيع الإنسان أن يحقق من خلالها أغراضهُ ولو لم يكن مستحقاً لذلك الأمر ولكن بسبب أن عندهُ وساطة بسبب أن عندهُ أموال بسبب أن يوجد بعض الناس يمكن أن يقوموا مقامه بسبب أن عنده قوة عنده أتباع ينصرونهُ هذا في الحياة الدنيوية ممكن لكن في يوم القيامة كل هذه الاحتمالات غير موجودة فعليك يا ابن آدم أن تبحث عن سبيل حماية وسبيل الحماية بُيّن في الآيات السابقة ويتبين أيضاً من الآيات اللاحقة.

﴿ وَاتَّقُوا يَوماً لَّا تَجزِي نَفسٌ عَن نَّفسٍ شَيئاً وَلَا يُقبَلُ مِنهَا عَدلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُم يُنصَرُونَ * وَإِذِ ابتَلَى إِبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهدِي الظَّالِمِينَ ﴾ انتقل الكلام الآن إلى قصة إبراهيم أنتقل الكلام الآن إلى أهم حدثٍ في حياة إبراهيم عليه السلام، أيُّ حدث؟! أهم حَدَث في حياة إبراهيم هو حدث الإمامة ﴿ وَإِذِ ابتَلَى إِبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ هذه هي أعلى منزلة وصل إليها إبراهيم متى وصلها؟ بعد أن شاب بعد أن شاخ وإبراهيم كان منذُ أيامهِ الأولى كان نبياً وكان رسولاً وكان ولياً من أولياء الله وكان خليلاً لله سبحانه وتعالى هذه المنازل مرَّ بها إبراهيم ومرَّ بإبراهيم جميع أنواع الامتحانات جميع أنواع البلايا، الحياة التي عاشها إبراهيم حياة طويلة وحياة مفعمة بالامتحانات وبالبلايا وبلايا شديدة جداً على سبيل المثال ما جاء في سورة الصافات هذا مصداق من مصاديق الامتحانات التي مرت بإبراهيم عليه السلام الآيات في سورة الصافات من الآية الحادية بعد المئة وما بعدها ﴿ رَبِّ هَب لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذبَحُكَ فَانظُر مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افعَل مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسلَمَا وَتَلَّهُ لِلجَبِينِ * وَنَادَينَاهُ أَن يَا إِبرَاهِيمُ * قَد صَدَّقتَ الرُّؤيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجزِي المُحسِنِينَ ﴾ ماذا يقول الله عن هذا البلاء؟ ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ البَلَاء المُبِينُ ﴾ الآية السادسة بعد المئة من سورة الصافات المباركة.

هذا نحوٌ من أنحاء البلاء الذي مرَّ فيه إبراهيم، العليُّ الأعلى يقول ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ البَلَاء المُبِينُ ﴾ إنَّ هنا المشددة وأستعمل اسم الإشارة وجاء بلام التوكيد وجاء بالضمير هو وجاء بتعريف البلاء عَرَّف بالألف واللام ثم وصفه المبين كل هذه تشير إلى عظمة البلاء الذي مرّ على إبراهيم وهذا مصداقٌ من مصاديق البلاء الآن نحن لا نملك وقتاً للحديث عمَّا جرى على إبراهيم عليه السلام، في وقتٍ آخر في آياتٍ أخرى سأتحدثُ عن أنواع البلايا التي مرت على إبراهيم جميع أنواع البلايا في الحياة الدنيوية مرت على إبراهيم وكل

ذلك إعدادٌ وتهيئةٌ لأي شيءٍ؟ إعداد وتهيئة أن يصل إلى هذه المرتبة أن يصل إلى مرتبة الإمامة لأن هذه المرتبة إنما نالها في آخر أيام عمره الآن نحن حينما نقرأ في هذه الآيات ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ هنا إبراهيم يطلب الإمامة لذريته إبراهيم متى رُزق بالذرية؟ رُزق بالذرية بعد أن شاخ وشاب بعد أن كان قانطاً من أن يُرزق بالذرية.

نحن الآن حينما مثلاً نأتي فنقرأ مثلاً في سورة إبراهيم في الآية التاسعة والثلاثين ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ الله سبحانه وتعالى وهب له على الكبر ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ الآيات التي تكون أوضح وأجلى في سورة الحِجر من الآية الحادية والخمسين وما بعدها ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾ يعني الملائكة كانوا يشعرون بأن إبراهيم كان قانطاً القنوط هو اليأس ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ أنا لست قانطاً من رحمة الله لكن الأسباب الواقع الموجود كِبَرُ السن كِبَرُ سني وكِبَرُ سن زوجتي السنن الطبيعية تمنع من أن أرزق فقنوطه متأتٍ من الأسباب الطبيعية لا متأتٍ من أنه كان قانطاً من رحمة الله لذلك ماذا قال؟ هو كان قانط، قانط من جهة الأسباب لذلك الملائكة لم يقولوا ذلك لنبيٍ هكذا افتراءً ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾ هذا كلام حقيقي كان قانطاً إبراهيم لكن قانط من جهة الأسباب لا من جهة رحمة الله لذلك قال لدفع هذه الشبهة ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ مرادي أن إبراهيم إنما رزق على الكِبر لذلك هنا ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ يعني في آخر عمره أرقى مرحلة وصل إليها إبراهيم هي الإمامة لأن الإمامة هي أرقى مرتبة يصل إليها الأنبياء أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها الأنبياء.

والنبي الوحيد الذي جاء ذكره في القرآن الكريم موصوفاً بهذه الصفة وبهذا التفصيل هو إبراهيم عليه السلام

﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ لَمَّا فرح بها الروايات هكذا تقول إن إبراهيم لَمَّا وصل إلى هذه المنزلة وجعله الله إماماً فمن شدة فرحه تمنى أن تكون هذه الإمامة في ذريته ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال الله سبحانه وتعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ طبعاً هناك احتمالات واحتمالات منطقية الآية الآن تقول ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ هناك احتمالات يطرحها المفسرون العلماء في مسألة الظالمين.

الاحتمال الأول أن يكون الإنسان ظالماً طيلة حياته قطعاً إبراهيم لَمَّا قال ومن ذريتي لا يقصد هؤلاء إبراهيم قطعاً لا يقصد إن الإمامة تكون في أناس هم ظالمون يعيشون الظلم كل حياتهم هذي القضية خارجة بالدليل، وهناك أناس يعيشون الظلم في مقطع من مقاطع حياتهم قد يكون مثلاً في بدايات حياتهم أو قد يكون في آخر حياتهم، قطعاً إبراهيم أيضاً لا ينظر إلى هؤلاء الذين يموتون وهم ظالمون لا يُتوقع من إبراهيم عليه السلام أنه يطلب من الله أن يجعل الإمامة في أناسٍ من ذريته يموتون على الظلم يعني إذاً هناك صنفان خارجان إبراهيم لا يقصدهما لا يقصد الناس الذين يعيشون الظلم طول حياتهم ولا يقصد الناس الذين يموتون على الظلم إذاً بقي هناك قسمان إما أن يكون هناك مجموعة لا يتطرق الظلم إليها أبداً وقطعاً هذا القسم يقصده إبراهيم يبقى القسم الرابع وهو أن هناك أناس يعيشون فترة من حياتهم مشبعين بالظلم يحملون الظلم ولكن بعد ذلك يتوبون، فهل أن إبراهيم يقصد هؤلاء؟

الآية القرآنية جاءت فنفت هؤلاء ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ يعني لا يوجد هناك ممن يصل إليه عهد الإمامة وهو يحمل شيئاً من الظلم لذلك هذا المعنى واضح في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليه أجمعين مثلاً هذه الرواية يرويها الشيخ الكليني في الكافي الرواية عن هشام بن سالم ودُرُست ابن أبي منصور ماذا قال الإمام: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ **من عَبَد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً**. من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً يعني من عبده في مقطعاً من مقاطع حياته، رواية أخرى أيضاً مروية عن الإمام الصادق يرويها زيد الشحام هذي الرواية أيضاً موجودة في الكافي ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ الإمام يقول: **لا يكون السفيه إمام التقي**. والسفيه هو الذي يعبد الأصنام هل توجد هناك سفاهة أكثر من عبادة الأصنام؟! أجلى معاني السفاهة هي عبادة الأصنام هذا المعنى واضح في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هناك رواية مروية يرويها الشيخ المفيد رحمة الله عليه ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ فقال الله تبارك وتعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ **من عبد صنماً أو وثناً أو**

مِثالاً لا يكون إماماً. فإذاً معنى الظلم وطبعاً هنا الأئمة في الروايات يتحدثون عن عبادة الأوثان باعتبار أن عبادة الأوثان هي الشرك ولأن الشرك تحدَّث عنه القرآن في سورة لقمان إن الشرك لظلمٌ عظيم يعني أعظم أنواع الظلم هو الشرك لذلك الإمام هنا يتحدث عن عبادة الأوثان باعتبار أن الذي يعبد الأوثان قد اقترف أعظم أنواع الظلم فكيف يمكن أن يكون إماماً، الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يشيرون إلى هذه القضية يشيرون إلى هذه الحقيقة ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ طبعاً الابتلاء له معانٍ وله مراتب وله درجات تتناسب مع المبتلى، عامة الناس قطعاً حينما يجري عليهم الابتلاء لا يكون ابتلائهم كابتلاء الأنبياء وإن من الابتلاءات التي تجري على الأنبياء لا نستطيع أن نتخيلها لا نستطيع أن نتصورها هناك قاعدة واضحة معروفة: حسنات الأبرار سيئات المقربين، ما يمكن أن يكون حسنة لصنف الأبرار يكون سيئة للمقربين حسنات الأبرار سيئات المقربين هذه الكلمات ما هي هذه الكلمات؟ هذه الكلمات هل هي ألفاظ؟! هل هي جُمل هل هو كلام؟!

هذه الكلمات هي حقائق وحقائق واسعة جداً وهذه هي الكلمات التي أيضاً أُبتلي بها آدم مرَّ علينا في سورة البقرة في الآية السابعة والثلاثين ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ هناك كلمات تلقاها آدم من ربه فترقى فتاب ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ هذه الكلمات هي كلمات إبراهيم هي كلمات آدم ولكن كلمات إبراهيم وردت الآية بذكرها فقالت ﴿بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ والرواية يرويها المفضل رحمة الله عليه المفضل بن عمر عن إمامنا الصادق – **قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ** ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ ما هذه الكلمات؟! ماذا قال إمامنا الصادق – **قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهو أنه قال يا ربي أسألك بحق مُحَمَّدٍ وعليٍ وفاطمة والحسن والحسين إلا تُبتَ عليّ فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم، فقلت له يابن رسول الله فما يعني عزَّ وجلَّ بقوله** ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ **قال: يعني فأتمهن إلى القائم عليه السلام أثني عشر إماماً تسعةٌ من وُلد الحسين** – إلى آخر الرواية، الرواية فيها تفصيل طبعاً الروايات حينما تأتي بهذا اللسان أو تأتي بهذا اللحن ليس المقصود هنا مجرد تعداد أسماء ليس القضية هنا قضية ألفاظ القضية أعمق من هذا، القضية أبعد غوراً الحديث عن ابتلاء أبي الأنبياء الحديث عن ابتلاء إبراهيم الخليل سيد الموحدين من الأنبياء الذين سبقوا مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم وإلا سيد الموحدين مُحَمَّدٌ وعليٌ لكن إبراهيم هو سيد الأنبياء في التوحيد سيدُ الموحدين من دون محمَّدٍ وآل مُحَمَّد، هناك رواية تقول إن إبراهيم في منزلته، إن محمَّداً صلى الله

عليه وآله ابتدأ من حيث انتهى إبراهيم، طبعاً هنا أنا لا أفهم الرواية في أن هذا الحديث يتحدث عن المنازل الذاتية لمحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله المنازل الذاتية لمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله لا تقاس بها منازل إبراهيم ولا غير إبراهيم من الأنبياء عليهم السلام لكن الحديث في هذه الرواية في هذا الخبر إن مُحَمَّداً ابتدأ من حيث انتهى إبراهيم وهناك إشارة ونكتة دقيقة فيها تلويحةٌ من بعيد فآخر إبراهيم هو حرف الميم وأول مُحَمَّد هو حرف الميم وإن مُحَمَّداً ابتدأ من حيث انتهى إبراهيم والميم هو خزانة الحروف ولا أريد الدخول في هذا المطلب لكن المراد هنا أن مقام التبليغ أعلى ما وصل إليه إبراهيم كانت البداية لمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مقام التبليغ ومقام التبليغ ليس مقاماً ذاتياً من مقامات محمَّد إنما هو مقامٌ عَرَضي تحدده أحكام العالم الدنيوي لأن التبليغ في هذا العالم فإن مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله ابتدأ في التبليغ من حيث انتهى إبراهيم وإلا مقامات مُحَمَّد الذاتية ليس الحديث عنها في هذه السويعة أو في هذه العجالة.

فالابتلاء هنا بهذه الكلمات ليس في حدود الألفاظ القضية أعمق بكثير هذه الألفاظ مجرد إشارات هذه الألفاظ إنما هو الوجه العلني هناك وجهٌ سري أبعد من هذا المعنى كيف يمكنني أن أقرب هذا المعنى كيف أقرب المعنى ربما أأتي بمثالٍ جبرئيل عليه السلام حينما كان ينزل إلى المدينة كان ينزل بصورة دحيا الكلبي وكان هناك من المسلمين من يعتقد أن هذا هو دحيا الكلبي لكن خواص أصحاب النبي كانوا يعرفون إذا رأوا النبي جالساً مع دحيا الكلبي يتعدون يفرغون المسجد للنبي لأنهم يعلمون أن دحيا الكلبي هو هذا جبرئيل فكانوا يبتعدون عن النبي، هذا هو الوجه العلني الذي يتناسب مع العالم الدنيوي أما الروايات التي حدثتنا عن جبرئيل في صورته الحقيقية وهي وجهٌ آخر أيضاً علني لكن يتناسب مع العوالم العلوية أن النبي حين رآهُ رآهُ قد سد ما بين المشرق والمغرب رأى أن جبرئيل هو أوسع وجود ولقد رآه بناظره وناظر مُحَمَّدٍ هو غير ناظري وغير ناظرك ناظر مُحَمَّدٍ يختلف عن ناظر سائر الخلق رآه مُحَمَّدٌ بناظره فوجده أوسع مخلوق سد ما بين المشرق والمغرب سد ما بين الأرض إلى السماء وهذه صورةٌ علنية تتناسب مع العالم العلوي أما ما وراء جبرئيل فتلكم الحقيقة هذا لمثالٍ من شيعة محَمَّدٍ وآل مُحَمَّد فجبرئيل إنما هو يقعد بين يدي النبي قعدة العبد كما تقول الروايات فهذا الذي يقعدُ بين يدي مُحَمَّدٍ قعدة العبد صورته العلنية في الملأ الأعلى سدت الآفاق صورته الحقيقية ما وراء ذلك كيف يمكن لي أن أتصورها.

هذه الألفاظ التي أشارت إليها الرواية إنما هي صورةٌ علنية لذلك نحن نخاطبهم: إني مؤمنٌ بسركم وعلانيتكم بظاهركم وباطنكم. هناك علانية ومن وجوه العلانية هي هذه الألفاظ الأسماء ومن وجوه العلانية وجود مُحَمَّدٍ بين أظهرنا وجود الأئمة في هذا العالم الأرضي أما الصورة السرية: إني مؤمنٌ بسركم وعلانيتكم. صورة السر تلك التي تحدثت عنها الروايات: بأنهم سرٌ مستسر وبأنهم سرٌ مقنعٌ بسر وبأنهم سرٌ على سر وبأنهم سرٌ لا يفيد إلا سر. فتلكم معاني هي أسرار لَمَّا تكون أسرار كيف يتسنى لي أن أعرفها اسمها أسرار إذا

عرفتها أنا صارت ليست سراً هي أسرار فإذا كان جبرئيل الكثير من الأنبياء لا يستطيعون أن ينظروا إلى صورته العلنية في الملأ الأعلى فكيف يمكن الحديث عن الصورة السرية لمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد القضية عميقة وإبراهيم إنما بلغ هذه المنزلة فأتمهن فأتم له الكلمات تنشق شيئاً من ذلك السر فبلغ إلى تلكم المراتب العالية الحديث عن كلمات عن سر.

﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ والروايات عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تحدثنا الكثيرَ الكثير عن هذه الحقائق لكن الوقت لا يكفي لبيان كل هذه التفصيلات هناك تتمةٌ للحديث أحاول بيانها إن شاء الله في برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة فمن أراد أن يتابع مثل هذه المعاني يجد هذه المعاني إن شاء الله مبسوطة بنحوٍ من البسط والتوضيح في برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة ونحن إن شاء الله في ليالي شهر رمضان المبارك سنتواصل معكم في بيان وشرح معاني الزيارة الجامعة الكبيرة وسنعلن عن أوقات البرامج إن شاء الله عبر شاشة التلفزيون، الآية التي بعدها ﴿ وَإِذ جَعَلنَا البَيتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ الكلام عن إبراهيم والبيتُ هو بيت إبراهيم وهو بيت أبينا آدم وهو صورةٌ عن البيت المعمور والبيت المعمور إنما هو تجلٍ من تجليات العرش والعرش إنما هو تجلٍ من تجليات مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فهذا البيت بيت مُحَمَّد فهو بيت إبراهيم فهو بيت آدم فهو البيت المعمور فهو العرش والعرش من نوري ونوري أفضل من نور العرش كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وَإِذ جَعَلنَا البَيتَ ﴾ يعني المسجد الحرام ﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمناً ﴾ مثابة يعني مكاناً يرجعون إليه يعودون إليه فالبيت مثابة للناس نحن نرجع إلى البيت في صلواتنا قبلتنا هو البيت ونرجع إلى البيت في حجنا وفي عمرتنا ﴿ وَإِذ جَعَلنَا البَيتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ وجوهر الحج في رواياتنا تمام الحج لقاء الإمام الروايات صريحة – **تمام الحج لقاء الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه** – ولذلك لهذا السبب نحن الآن نعيش في زمان الغيبة وفي عصرٍ استثنائي لكن لهذا السبب لأن تمام الحج هو لقاء الإمام، إمام زماننا يتواجد في عرفات وعرفات هي الحج والروايات تقول ما الحج إلا عرفات، عرفات هو الحج بقية المناسك هي مقدمات للحج لأن الحج الحقيقي هو عرفات وموقف الإمام كما تقول الروايات يكون في عرفات لأن تمام الحج هو لقاء الإمام، لكن لأن الزمان زمان استثنائي فالإمام يتواجد لطفاً لأشياعه بالمؤمنين بأتباعه بمحبيه.

﴿ وَإِذ جَعَلنَا البَيتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمناً ﴾ وأحكام الحرم الأحكام الفقهية معروفة حتى أن إقامة الحدود من عليه الحد ويدخل إلى الحرم لا يقام عليه الحد يعني من أرتكب أمراً خارج الحرم قطعاً الذي يرتكب أمراً داخل الحرم يقام عليه الحد لأنه ما احترم الحرم وهذي التفصيلات الفقهية موجودة فالحرم هو مثابة وهو أمن

﴿ وَإِذ جَعَلنَا البَيتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ موئلاً ومرجعاً يعودون إليه يجتمعون فيه يطوفون حوله ﴿ وَأَمناً ﴾ ومكاناً آمناً له أحكام خاصة هذه المنطقة منطقة الحرم المنطقة الوحيدة في الأرض التي لها خصوصيات خصوصيات هذه الأحكام تدورُ حول معنى الأمن لذلك الحيوانات الموجودة في هذه المنطقة لها أحكام خاصة حتى الحشرات لها أحكام خاصة، النباتات لها أحكام خاصة، الجمادات هل نستطيع أن نخرج شيئاً من دائرة الحرم إلى خارج الحرم يعني هناك الجمادات لها حكم خاص الحيوانات لها حكم خاص النباتات لها حكم خاص الإنسان أيضاً له أحكام خاصة حتى الملابس لها أحكام خاصة الإحرام وأحكام الإحرام وغير ذلك هذه المنطقة منطقة الحرم منطقة البيت هذه المثابة التي يثوب إليها الناس لها أحكام خاصة لذلك الآية القرآنية تتحدث عن هذا المعنى ﴿ وَإِذ جَعَلنَا البَيتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمناً ﴾ هذا مكانٌ له أحكام تخص الأمن في جميع الاتجاهات للجمادات للحيوانات للنباتات وللبشر ولأي شيءٍ في هذه المنطقة.

﴿ وَإِذ جَعَلنَا البَيتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمناً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ مقام إبراهيم يعرفه من ذهب إلى البيت العتيق مقام إبراهيم هو المكان الذي وضعت فيه الصخرة التي ترك إبراهيم عليه السلام عليها آثار أقدامه هناك صخرة ترك إبراهيم عليه السلام آثاره عليها، الله سبحانه وتعالى إجلالاً لآثار أقدام إبراهيم جعله مصلى وهل هناك أوضح من معنى التوسل بهذه القضية، الله سبحانه وتعالى جعل مقام إبراهيم مصلى ما هو مقام إبراهيم؟ صخرة، صخرة من صخور الأرض وقف عليها إبراهيم أثناء بنائه للكعبة المشرفة فترك آثار أقدامه على تلكم الصخرة فبقيت هذه الملايين عبر القرون من الناس يحجون إلى آثار أقدام إبراهيم ويجعلون منها مكاناً للصلاة وللعبادة، والصلاة خلف مقام إبراهيم في جملة مناسك الحج شيءٌ واجب ومن ترك هذه الصلاة يجب عليه أن يعود إلى هذا المكان ويصلي من نسيها يجب عليه أن يعود لا يتم الحج إلا بها من جملة الأجزاء التي يجب الإتيان بها هناك تفصيلات شرعية موجودة نحن لا نريد أن نبين المسائل الفقيه في هذا الموضوع.

﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ مكاناً للصلاة وللدعاء المصلى هو المكان الذي يصلى فيه الصلاة الشرعية المعروفة أو يصلى فيه بمعنى الصلاة الدعاء فالصلاة في أصل معناها في لغة العرب هي الدعاء ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ أي مكاناً للصلاة والعبادة والدعاء ﴿ وَعَهِدنَا إِلَى إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيتِيَ لِلطَّائِفِينَ ﴾ هذه الخصوصيات لإبراهيم عليه السلام إنما كانت بعد أن بلغ مرتبة الإمامة وبلغ مرتبة الإمامة بعد أن أتم الله له الابتلاء بتلكم الكلمات ﴿ وَإِذِ ابتَلَى إِبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ بعد أن تم

ابتلائه بتمام الكلمات ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وبعد ذلك بدأ إبراهيم عليه السلام بعد أن كبر إسماعيل بدأ ببناء البيت ﴿وَعَهِدنَا إِلَى إِبرَاهِيمَ﴾ فلأجل هذه المنزلة لأجل منزلة الإمامة التي نالها بأي سببٍ؟ بسبب الكلمات التامة والكلمات التامة حقيقية محمَّدٍ وعلي يعني بسبب حقيقية مُحَمَّدٍ وعلي نال إبراهيم منزلة الإمامة وبسبب نيله لهذه المنزلة كان هذا البيت بيتاً لإبراهيم وكانت آثار أقدامه يصلى عندها ومكاناً للتوسل فكيف هو التوسل بمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد حينئذٍ المعاني واضحة.

لكن هؤلاء الذين أظلمت قلوبهم تشابهت قلوبهم كما مر علينا هؤلاء هم الذي لا يعلمون الذين أشارت إليهم الآية ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ﴾ هؤلاء الذي يقولون ما فرقُ مُحَمَّدٍ عنا مُحَمَّدٌ عبد ومات ومحَمَّد يقول لك حاله من حالك بل أنت حي الآن تستطيع أن تفعل ومُحَمَّد لا يفعل نفس هذا الكلام يريدون أن يساووا مُحَمَّداً ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ﴾ هؤلاء جهلة هؤلاء الذين لا يعلمون في زماننا هذا تشابهت قلوبهم مع الذين سبقوهم من عُبَّاد الأصنام ومر علينا قبل قليل لا ينال عهدي الظالمين قال من عبد وثناً أو صنماً وهم هؤلاء عبدوا أوثان أهواءهم وأوثان هؤلاء الذين ضللوهم نصبوهم أئمة من دون الأئمة الذين نصبهم الله سبحانه وتعالى ﴿وَعَهِدنَا إِلَى إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ الطائفون المعنى واضح الذي يطوفون بالبيت وطاف دار حوله والعاكفين العاكفون جمعٌ لعاكف الطائفون جمعٌ لطائف وهو الذي يدورُ حول البيت والعاكفون جمعٌ لعاكف والعاكف هو الذي يطيل الإقامة في البيت ولا يفارقه لأجل العبادة والذكر والدعاء والانقطاع والرَّكَّع جمعٌ لراكع والسجود سجود جمعٌ لساجد فهذه أصناف من الناس الذين يذهبون إلى بيت الله طائفون عاكفون راكعون وساجدون.

﴿وَعَهِدنَا إِلَى إِبرَاهِيمَ﴾ عهدنا أي أمرنا أي هناك عهد هناك ميثاق أوكلنا إليهم هذا الأمر أي أمر؟ ﴿وَعَهِدنَا إِلَى إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ﴾ ولماذا أُختير إسماعيل؟ إسماعيل لأنه جدُ محمَّد وإسماعيل هو الذي نزل عليه بلاء الذِبح وبلاء الذَبح هناك ذَبحٌ وذِبح وفارقٌ بين المعنيين وإسماعيل جرى عليه بلاء الذَبح والذِبح وهذا يأتي بيانه في وقتٍ آخر ﴿وَعَهِدنَا إِلَى إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ كيف هو التطهير؟ ربما يقال التَطهير هو التنظيف التنقية النظافة ما يقال عنه النظافة يعني نظافة المكان من الأوساخ من الأقذار وتزيينه حينما ينظف المكان من الأوساخ والقاذورات ويزيّن هو هذا تطهير في لغة العرب أو قد يراد من التطهير التطهير الشرعي إبعاده عن النجاسات الشرعية النجاسات

الفقهية ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ قطعاً إذا أريد من التطهير إزالة الأوساخ والقاذورات ليس النجاسات الأوساخ والقاذورات العرفية التي يتأباها الذوق ألا يقال مثل هذا مكان نظيف وهذا مكان وسخ المكان الوسخ المكان الذي تكون فيه أوساخ فيه قاذورات وليست نجسة فلربما يراد من تطهير البيت هو هذا المعنى وهذا المعنى قطعاً من المعاني المطلوبة في بيوت الله وخصوصاً في بيت إبراهيم في المسجد الحرام وقد يراد تجنيب البيت عن النجاسات وهذا واجب لا يجوز تنجيس المساجد أما المسجد الحرام فحكمه أقوى وأشد ويجب إخراج النجاسات لو وجدت في هذه الأماكن يجب التطهير لا يجوز التنجيس ويجب التطهير لو وجدت النجاسة وهذا المعنى أيضاً صحيح.

﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ التطهير هو التنظيف من الأوساخ وكذلك التنظيف والتنقية وإبعاد المسجد عن النجاسات الشرعية والتطهير وهو معنى أعمق قد يكون التطهير التطهير من الشرك التطهير من الأوثان كما قام رسول الله وكما كسر عليٌ الأصنام وقد اعتلى على منكبي رسول الله وكسر الأصنام وأسقطها، عليٌ هو الذي طَهَّر المسجد الحرام من الأصنام النبي الخاتم وعليٌ صلوات الله عليهما وآلهما هما الذين طَهَّرا المسجد من الأصنام ولكن هناك طهارة أعمق من هذه الطهارة هذه كلها التطهيرات مطلوبة التطهير من الأوساخ التطهير من النجاسات التطهير من الأوثان والأصنام كلها مطلوبة والآية تشير إلى كل هذه المعاني ولكن لكل معنىً من هذه الآيات أفق الآيات لها مطالع ومجاري مثل القمر يوم يطلع علينا هلال يوم يطلع علينا بشكل نصف قمر نصف بدر ويوم يطلع علينا بدر كامل هذه الآيات لها مطالع، المطلع الأول للآية التنظيف من الأوساخ، المطلع الثاني التطهير من النجاسات، المطلع الثالث ومطالع الآيات لا تنتهي لكن هناك مطلع أوسع على سبيل المثال أورد هذا المعنى.

رواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه في معنى هذه الآية هذه الرواية في تفسير علي بن إبراهيم القمي رضوان الله تعالى عليه ﴿وَعَهِدنَا إِلَى إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ ماذا يقول إمامنا الصادق: **يعني نَحيًّا عنه المشركين** – أبعدا المشركين عن بيتي هذا التطهير تطهير من ذوات بشريه – **يعني نَحيًّا عنه المشركين وقال: لَمَّا بنى إبراهيم البيت وحج الناس** – الناس جاءوا على مختلف دياناتهم على مختلف اتجاهاتهم – **لَمَّا بنى إبراهيم البيت وحج الناس شَكَت الكعبة إلى الله تبارك وتعالى** – من أي شيءٍ؟ – **ما تلقاه من أيدي المشركين وأنفاسهم** – الكعبة شَكَت – **مما تلقاه من أيدي المشركين وأنفاسهم** – لأنهم يطوفون حولها ويتمسحون أيضاً بالحجر والروايات تقول بأن هذا الحجر كان أبيض كان يسمى بالحجر الأسعد لَمَّا أسود لونه مما لحق به من أيدي المشركين من

أيدي الناس ومن ذنوبهم أسودَّ لونه فقيل له الحجر الأسود وإلا كان أبيض ويسمى بالحجر الأسعد – **لَمَّا بنى إبراهيم البيت وحج الناس شَكَت الكعبة إلى الله تبارك وتعالى ما تلقاه من أيدي المشركين وأنفاسهم فأوحى الله إليها** – الكعبة هنا تشكوا تريد التطهير – **فأوحى الله إليها** – هذا نوع من أنواع الوساخة نوع من أنواع النجاسة غير الأنواع التي تحدثنا عنها الكعبة تشكوا من المشركين ومن أنفاسهم – **فأوحى الله إليها قري كعبتي فإني أبعث في آخر الزمان** – يعني في زمان مُحَمَّد صلى الله عليه وآله – **قوماً يتنظفون بقضبان الشجر ويتخللون** – يتنظفون بقضبان الشجر يعني يستعملون السواك باعتبار أن السواك إنما يؤتى به من أي شجر؟ من شجر الآراك، ويتخللون يعني يخللون ما بين أسنانهم بالعيدان بعيدان الشجر لآن الكعبة شكت إلى الله من أنفاس المشركين فالمشركون كانوا يأكلون وما يتخللون وما يتنظفون فشكت الكعبة من أنفاسهم – **فأوحى الله إليها قُري كعبتي فإني أبعث في آخر الزمان قوماً يتنظفون بقضبان الشجر ويتخللون** – فإذاً الكعبة هنا تشكو، تشكو من أي شيءٍ؟ تشكو من أنفاس المشركين.

قطعاً إبراهيم لَمَّا بنى البيت نظف البيت من الأوساخ، هذي قضية واضحة لأن الآية أمرت بذلك، الله أمر ﴿وَعَهِدنَا إِلَى إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ إلى آخر الآية قطعاً إبراهيم نظف البيت من الأوساخ وقطعاً إبراهيم عليه السلام أيضاً لا يمكن أن يسمح لنجاسة أن تكون في البيت وقطعاً لم تكن هناك أصنام في زمان إبراهيم ولَمَّا وجدت هذه الأصنام طهر مُحَمَّدٌ وعليٌ صلى الله عليهما وآلهما الكعبة من الأصنام إذاً هناك أنواع متعددة من النجاسة أنواع متعددة من القاذورات هناك قذارة وهو أنفاس المشركين الله سبحانه وتعالى قال للكعبة قري أنا سأبعث أناساً في آخر الزمان يطوفون حولك هؤلاء يتنظفون لا تجدين فيهم هذه الرائحة الكريهة يتنظفون بقضبان الشجر ويتخللون يستعملون السواك فإذاً الكعبة تتحسس تستشعر النجاسات.

هناك نجاسات أعمق وأدق هناك نجاسات نجاسات العقول نجاسات القلوب التي كانت تحيط بالكعبة ليس لها تطهير إلا بعليٍ صلوات الله وسلامه عليه لذلك كان عليٌ هو طهارة الكعبة طُهِّرت الكعبة بعلي لماذا؟ لأن الكعبة قد تحملت نجاسات الأمم السالفة هذي النجاسات والكعبة لابد أن تُهيأ لمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وهو يهيئها لولده القائم في آخر الزمان هذه الكعبة لابد أن تهيأ تزين فتحتاج إلى تطهير بأي شيءٍ طُهِّرت هذه الكعبة؟ طُهِّرت بعليٍ صلوات الله وسلامه عليه لذلك الأحاديث أن مريم لَمَّا أرادت أن تلد طردتها الملائكة أخرجوها من المكان قالوا يا مريم أخرجي هذا مكان عبادة لا تمكثي في هذا المكان في المعبد هذا مكان عبادة وليس مكان ولادة فخرجت إلى البرية وولدت تحت النخلة اليابسة والآيات واضحة، فاطمة البيت شوقاً إليها تكسرت صخوره وفتح البيت لفاطمة انشق الجدار لفاطمة لَمَّا جاءت فاطمة بنت

أسد تحملُ علياً البيت شوقاً لعلي شوقاً لهذه الطهارة التي ستنقيه من شوقه لعليٍ كشوق العطشان إلى الماء من شوقه لعليٍ انشق الجدار وإلا كانت فاطمة يمكن أن تدخل من باب الكعبة لكن البيت من شوقه لعليٍ انشق الجدار ولقد حاولوا أن يفتحوا الباب فما استطاعوا الأقفال سُدت فإن البيت قد بخل بعلي لا يريد لأحدٍ أن يدخل انشق الجدار ودخلت فاطمة وإذا بالنداء الإلهي النداء السماوي أن طهري بيتي بوليي علي كم هو الفارق الكبير بين أن أخرجي يا مريم فهذا مكان عبادة وليس مكان ولادة وطهري بيتي شرفي بيتي بوليي علي، شرفي والتشريف أعلى من التطهير شرفي بيتي بوليي علي الكلام هنا أعلى من التطهير تشريف، التطهير أقل رتبة من التشريف يعني أن علياً جاء فطهر الكعبة وشرفها كان تطهيراً للكعبة وكان تشريفاً أن وطأ الكعبة بأقدامه أن أشرق نور عليٍ في باطن الكعبة حقيقة الكعبة وباطن الكعبة ولاية عليٍ صلوات الله وسلامه عليه.

طبعاً يستغربون من هذا المعنى ولكن إذا نتحدث عن أناس يتخللون بالسواك يكونون سبباً لتطهير الكعبة وطهارة الكعبة هذا المعنى صحيح لا بأس به لكن أن يطهر بعليٍ الكلام فيه أخذٌ ورد هذي هي القلوب المظلمة تشابهت قلوبهم كما قالت الآيات القرآنية الكريمة، إذاً التطهير الحقيقي هو هذا هذي هي المقدمة الحقيقية للتطهير الحقيقي المقدمة ما فعله إبراهيم إلى أن وصل التطهير في أعلى رتبة بعليٍ صلوات الله وسلامه عليه ﴿ وَإِذ جَعَلنَا البَيتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمناً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدنَا ﴾ هذا عهد فهل يُعهد إلى نبيٍ أن ينظف بيت الله من الأوساخ أومن النجاسات هذي معاني بسيطة أي إنسان يبني بيتاً لنفسه فهو سينظفه والنجاسات تكون أكثر إيذاءً للنبي فحينما يبني له بيتاً، بيتاً له فإنه سينظف بيته من الأوساخ لأن النظافة من الإيمان وسينقي بيته من النجاسات لا يمكن أن يعيش بين النجاسات الأنبياء فكيف إذا كان البيت بيتاً لله قطعاً إبراهيم سينظفه من الأوساخ لا يجعل النجاسات تصل إليه وإن الله سبحانه وتعالى حينما طلب منه أن يبني البيت هل هو بحاجة أن يأمره بنظافة البيت وبتطهيره من النجاسات إبراهيم بحاجة إلى ذلك؟ هذي معاني بديهية ولو كان أن الله أمره بذلك فهل يكون بدرجة العهد؟ هناك عهد ﴿ وَعَهِدنَا إِلَى إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ هو تهيئة الطريق لـمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله تهيئة الطريق لهذا التطهير العلوي.

﴿ وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجعَل هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارزُق أَهلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَن آمَنَ مِنهُم بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ ﴾ في بعض الروايات عندنا أن إبراهيم إنما دعا بهذه الطريقة لئلا يقع في نفس الكلام الذي قاله ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ لأنه لَمَّا نزلت عليه الإمامة وفرح بها ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ هو بَعَّض إبراهيم ﴿ قَالَ وَمِن

ذُرِّيَّتِي﴾ ما قال كل ذريتي ومع ذلك الله سبحانه وتعالى ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فهنا لَمَّا تحدث تحدث عن مجموعة ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يعني حدد أن الدعاء لمن؟ الدعاء للذين هم من أهل هذا البلد ولكنهم آمنوا بالله واليوم الآخر ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ﴾ الله سبحانه وتعالى يُكمل الحديث ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ لا أريد أن أطيل عليكم كثيراً وإنما أذهب إلى روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

رواية صريحة جداً عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه قول إبراهيم ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ﴾ - **الإمام يقول: إيانا عنى بذلك** - إيانا عنى بذلك عنى بمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد عنى بعليٍ وآل علي - **إيانا عنى بذلك** ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ **قال: عنى بذلك من جحد وصيه** - وصي مُحَمَّد - **ولم يتبعه من أُمَّته وكذلك والله حال هذه الأُمَّة، قال وأوليائه وشيعة وصيه** - يعني أولياء إبراهيم يعني إبراهيم لَمَّا دعا بهذا الدعاء ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ﴾ **قال إيانا عنى** - عنى مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد، وعنى أيضاً أوليائه، يعني أولياء إبراهيم - **وشيعة وصية** - وشيعة وصي إبراهيم ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ **قال: عنى بذلك من جحد وصيه ولم يتبعه من أُمَّته وكذلك والله حال هذه الأُمَّة** - الروايات عديدة في هذا المعنى عديدة في هذا المضمون عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ في روايات أهل البيت عن إمامنا الصادق قال ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ قال: ثمرات القلوب، وبذلك سيكون معنى الآية في أهل البيت فقط ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ قال هذه الثمرات كما يقول إمامنا الصادق ثمرات القلوب ثمرات القلوب هي مخصوصةٌ لمحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، اللهم إني أقسم عليك بكفي أبي الفضل العباس في هذا اليوم أن تجعل ثمرات قلوبنا لمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد فقط.

﴿ وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجعَل هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارزُق أَهلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ أهل هذا البلد من هم ﴿ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ ﴾ في سورة البلد ﴿ وَأَنتَ ﴾ الخطاب لمن الخطاب لمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ ﴾ هو صاحب البلد ﴿ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ ﴾ أنت الحالُ بهذا البلد والحالُ في البلد هو صاحبه.

﴿ وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجعَل هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارزُق أَهلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ وأهل البلد مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد لذلك دائماً يرددون هذه الكلمات – **أنا ابن مكة ومنى أن ابن زمزم والصفا** – هذه الكلمات دائماً يرددها أهل البيت لأنهم هم أهل هذا البلد لأنهم هم أهل هذا البيت إذا نراجع كلمات أهل البيت على طول الخط دائماً يرددون هذه الكلمات – **أنا ابن مكة ومنى أن ابن زمزم والصفا أن ابن أعراق الثرى** – لأنهم هم أهل هذا البلد وهذي هي دعوة إبراهيم ﴿ وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجعَل هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارزُق أَهلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ من ثمرات القلوب أن تميل القلوب ﴿ واجعَل أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهوِي إِلَيهِم ﴾ نفس الكلام ﴿ وَارزُق أَهلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ كما قال صادق العترة من ثمرات القلوب ﴿ واجعَل أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهوِي إِلَيهِم ﴾ تهوي تتساقط إليهم.

اللهم إني أقسم عليك بعيني أبي الفضل العباس أن تجعل أفئدتنا تهوي إليهم تهوي إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد أن تجعل ثمرات قلوبنا في فناء مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد أن لا تفارق هذه القلوب ساحة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئسَ المَصِيرُ ﴾ روايةٌ أختم بها حديثي يرويها شيخنا العياشي رحمة الله عليه عن صفوان الجمال، قال: كنا بمكة فجرى الحديث في قول الله ﴿ وَإِذِ ابتَلَى إِبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ – الحديث عن الإمام الكاظم عليه السلام – **قال: أتمهن بمُحَمَّدٍ وعليٍ والأئمة من وُلد عليٍ صلى الله عليهم في قول الله** ﴿ ذُرِّيَّةً بَعضُهَا مِن بَعضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ثم قال ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهدِي الظَّالِمِينَ ﴾ **قال: يا ربي ويكون من ذريتي ظالم؟ قال: نعم فلان وفلان ومن اتبعهم** – فالعرب من ذرية إبراهيم – **قال يا ربي ويكون من ذريتي ظالم؟ قال: نعم فلان وفلان ومن اتبعهم** – نعوذ بالله من ذلك – **قال: يا ربي فعجل لمُحَمَّدٍ وعليٍ ما وعدتني فيهما وعجل نصرك لهما** – هذا دعاءٌ بتعجيل فرج إمام زماننا من لسان إبراهيم – **يا ربي فعجل**

لمحَمَّدٍ وعليٍ ما وعدتني فيهما وعجل نصرك لهما، وإليه أشار بقوله ﴿وَمَن يَرغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفسَهُ﴾ .

مرت علينا الرواية إن السفيه لا يكون إمام التقي، السفيه هو الذي يعبد الأصنام ولو في مقطعاً من عمره ﴿وَمَن يَرغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفسَهُ﴾ فملة إبراهيم هنا هي الإمامة ﴿وَلَقَدِ اصطَفَينَاهُ فِي الدُّنيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ **الإمام يقول: فالملة الإمامة فلما اسكن ذريته بمكة قال** ﴿رَبِّ اجعَل هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارزُق أَهلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَن آمَنَ مِنهُم بِاللّهِ وَاليَومِ الآخِرِ﴾ **فاستثنى من آمن خوفاً أن يقول له الله سبحانه وتعالى لا كما قال له في الدعوة الأولى** ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهدِي الظَّالِمِينَ﴾ **فلما قال الله** ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئسَ المَصِيرُ﴾ **قال: يا ربي ومن الذين متعتهم** – ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ﴾ السؤال من إبراهيم – **قال يا ربي ومن الذين متعتهم؟ قال الذين كفروا بآياتي فلانٌ وفلانٌ وفلان** – وهذا التعداد واضح في كلمات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

اللَّهُمَّ إني أقسم عليك بعيني أبي الفضل العباس وبإخلاص أبي الفضل العباس أقسم عليك بقلب أبي الفضل العباس أن تجعل قلوبنا تهوي إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

أسألكم الدعاء جميعاً ولقاءنا إن شاء الله يتجدد في برنامج قرآننا على مودة محمَّدٍ وآل مُحَمَّد في أمان الله.

الحلقة السابعة عشر

تفسير سورة البقرة من الآية ١٢٧ الى الآية ١٣٨

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته وأسعد الله أيامكم فنحنُ نعيش يوماً آخر من أيام آل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عيد مولد سيدنا أبي الحسن عليٍّ الأكبر صلوات الله عليه وعلى آبائه الأطيبين الأطهرين، وهذه الحلقة السابعة بعد العاشرة من برنامج قرآننا ولا زال الكلام متواصلاً في سورة البقرة المباركة حيثُ وصلنا في آخر الحلقة الماضية إلى الآية السادسة والعشرين بعد المئة:

﴿ وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجعَل هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارزُق أَهلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَن آمَنَ مِنهُم بِاللّهِ وَاليَومِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئسَ المَصِيرُ ﴾ تمَّ الكلامُ في هذه الآية، نشرعُ في الآية السابعة والعشرين بعد المئة ﴿ وَإِذ يَرفَعُ إِبرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيتِ وَإِسمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّل مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ الآيات التي مرت والآيات التي بين أيدينا الآن تتحدث عن جوانب من قصة إبراهيم عليه السلام من قصة النبوة والإمامة والتوحيد، مرَّ علينا في الآيات الماضية كيف أن إبراهيم وصل إلى أعلى مرتبةٍ من مراتب الإيمان واليقين والمعرفة حين وصل إلى مرتبة الإمامة ولا زال الحديث متواصلاً ﴿ وَإِذ يَرفَعُ إِبرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيتِ وَإِسمَاعِيلُ ﴾ وهذا الكلام إنما جاء بعد وصول إبراهيم إلى مرتبة الإمامة لأنه نال مرتبة الإمامة في آخر عمرهِ وبعد أن رزقه الله بالذرية، القواعد ما المراد من القواعد؟ القواعد جمعٌ لقاعدة القواعد المراد منها أسس البناء وإنما قيل لأسس البناء قواعد لأنها أول ما تقعد على الأرض من البناء حينما يبدأ الباني أو البنَّاءُ ببناء شيءٍ ما فأول شيءٍ يضعهُ على الأرض يسمى بالقواعد لأنه يقعد على الأرض وبعد ذلك تأتي بقية البناء تقعد على هذا القسم الذي قعد على الأرض فالقواعد هي الأسس سميت بالقواعد لأنها أول شيءٍ يقعدُ على الأرض ويلامس الأرض وذلك هو أساس البناء.

﴿ وَإِذ يَرفَعُ إِبرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيتِ ﴾ القواعد هي الأسس المراد من رفع القواعد هو إعلاء البناء باعتبار

أن الباني أول ما يضع يضع الأسس وهي القواعد ثم يبدأ يضع شيئاً فشيئاً فوقها حتى يرتفع البناء ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ فهذا البيت بيت إبراهيم وبيت إسماعيل واللذان رفعا قواعد هذا البيت هما عليهما السلام الآية فيها التفاتة دقيقة جداً ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الآية هنا وصفت لنا الكيفية التي بنى بها إبراهيم وإسماعيل البيتَ بنحوٍ مجمل وتحدثت عن حالهما وعن قالهما عن حالهما يعني عن الحالة النفسية وعن قالهما يعني عن قولهما عن الشيء الذي كانا يقولانه.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا﴾ الآية لم تذكر لنا لفظةً تبين لنا أن هذا الشيء قد قالاه يعني الآية ما قالت هكذا وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل وهما يقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم الآية ما جاءت بأي لفظة وإنما مزجت بين فعلهما وبين قولهما وفي ذلك إشارة إلى أنهما كانا يعيشان حالة منسجمة بين القول والعمل فكانت عبادتهما في نفس العمل وفي نفس القول ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ وهما يعيشان الروحانية في أعلى درجاتها فكأن قولهم هو عملهم وكأن عملهم هو قولهم لذلك لا يوجد فاصل هنا بين القول والعمل ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ ولم يَرِد ذكرٌ لنوع العمل لأن النبيين كانا في حال احتقارٍ واستصغارٍ لعملهما ولِما يقومان به من عملٍ في جنب الله سبحانه وتعالى الآية إذاً فيها جملة من الإشارات من إشارات هذه الآية هو فناء القول في العمل وفناء العمل في القول وهذه حالةٌ من حالات الأنبياء هذا المعنى يمكنني أن اصفهُ بشيءٍ من الألفاظ لكن هذه الحقيقة لا أستطيع أن أعيشها أو أن يعيشها أمثالي هذه إشاراتٌ هذه تلميحاتٌ في آيات الكتاب قد نستدل من خلالها على مثل هذه المعاني الدقيقة وعلى مثل هذه المضامين الجليلة.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ من دون أي لفظةٍ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ أمتزج القول مع العمل واختلط العمل مع القول وذلك يعبر عن الحالة النفسية المستقرة وهي حالة الاطمئنان في جنب الله سبحانه وتعالى، ثم إنهما لم يذكرا شيئاً عن نوع العمل وذلك أنهما لا يجدان قد قاما بشيءٍ وما عندهما من شيءٍ فهو من فضله سبحانه وتعالى لأنهُ ما من خيرٍ عند الأنبياء وعند غير الأنبياء إلا وهو من فضلهِ

العميم ﴿ وَإِذ يَرفَعُ إِبرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيتِ وَإِسمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّل مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ ما كانا يقومان به ليس هو بناءً لأحجارٍ وليس هو بناءً لبيتٍ بمعنى البيت ما كانا يقومان به هو تأسيسٌ لرمزٍ وهذا الرمز هو رمزٌ يشير إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم لذلك كان يقولها صلى الله عليه وآله أنا دعوة إبراهيم، دعوة إبراهيم يعني الشيء الذي كان يريدهُ من الله سبحانه وتعالى إبراهيم في أعلى مراتبهِ كانت دعوته الأولى والأخيرة ماهي؟ دعوتهُ الأولى والأخيرة مُحَمَّد.

إبراهيم لَمَّا بلغ إلى أعلى رُتَب الإيمان ولَمَّا زاد الله في ناظرهِ وآراهُ ملكوت السماوات وانكشفت له العوالم الخفية العوالم العالية العوالم النورية البعيدة عن مشاعر وعن أحاسيس وعن أنظار البشر لَمَّا تكشفت له تلكم الحقائق وكان في المرتبة العليا من المراتب البشرية من مراتب الإيمان واليقين ماذا كانت دعوتهُ؟ الدعوة التي كان يلهج بها الدعوة الأولى والأخيرة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم لذلك كان يقول نبينا الخاتم أنا دعوة إبراهيم، فهذا البناءُ بناءٌ لرمز وليس بناءً لأحجار ما قيمة الأحجار؟! قيمة الأحجار في دلالتها المعنوية، الدلالة المعنوية لهذا البيت هي دلالة تشير إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم والذبيحة التي ذُبحت الذبيحة المعنوية، الذبيحة المعنوية كانت إسماعيل الذبيحة المعنوية نبيٌ من الأنبياء الذبيحة المعنوية هو جَدُّ رسول الله، جَدُّ رسول الله صلى الله عليه وآله إسماعيل هو الذبيحة المعنوية لهذا الرمز الذي بناه إبراهيم وإسماعيل هذا الرمز الذي يشير بكل دلالالتهِ إلى حقيقةٍ واحدة هي الحقيقة الأعظم بعد الله في هذا الوجود حقيقة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿ وَإِذ يَرفَعُ إِبرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيتِ وَإِسمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّل مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ فإبراهيم وإسماعيل كانا يعيشان هذا المعنى يعيشان معنى العبودية ومعنى الطاعة ومعنى بناء هذا الرمز ومعنى الإشارة إلى مُحَمَّد، إبراهيم وإسماعيل كانا يعيشان في هذه الأجواء في أجواء مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله عليهم، هذا هو حال إبراهيم في حال البناء وفي حال الدعاء وفي حال العبادة ﴿ وَإِذ يَرفَعُ إِبرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيتِ وَإِسمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّل مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُب عَلَينَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ هذه الآية الثامنة والعشرون بعد المئة لا زال دعاء إبراهيم وإسماعيل متواصلاً وهو دعاء الحال والقال، دعاءٌ بالألفاظ يقولونها ودعاءٌ بالحال وبالعمل هذا الدعاء متواصلٌ مع بناء هذا الرمز مع رفع قواعد هذا الرمز ﴿ رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ ﴾ هنا إبراهيم قد بلغ مرتبة الإمامة وهنا إبراهيم في مقام الطاعة والعبودية الكاملة بالنسبة لمقامهِ وهنا إبراهيم مع ولده إسماعيل وهما يعيشان هذه النفحة الربانية

فماذا يطلبان؟ ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ﴾ فهل الإسلام هذا هو الذي يُقال في الفقه قول الشهادتين الشهادة الأولى والشهادة الثانية والتي يُصان بها دم الإنسان قطعاً هذا الإسلام إسلامٌ آخر، أنت تصور معي إبراهيم وقد نال مرتبة الإمامة وإبراهيم وهو في تلكم الحالة النورية في بناء القواعد في بناء الأسس للرمزية المُحَمَّدية المتمثلة بالكعبة في تلكم الحالة حيث امتزج العمل بالقول وامتزج الدعاء بالعبادة العملية وهما يطلبان ماذا يطلبان؟

﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ﴾ إسلامٌ لله سبحانه وتعالى ليس هذا هو معنى الإسلام الفقهي هو القول بالشهادتين التشهد الأول والتشهد الثاني وبهما يحفظ دم المرئ يقال لهذا المرئ بأنهُ قد أسلم، الحديث ليس عن هذا الإسلام بهذا المعنى الحديث عن إسلام بمعنىً أعمق الحديث عن الإسلام الحقيقي الحديث عن الآية القرآنية ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسلاَمُ﴾ الدين الحقيقي هو دينُ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وما كان من أديان عند البشرية منذ زمان آدم وإلى زمان نبينا إنما هي تجلياتٌ من دين مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وتمهيدٌ لمرحلة ظهور دين مُحَمَّدٍ، تتناسب تلكم الظهورات مع مراتب ترقي العقل البشري عبر التأريخ العقل البشري كانت له مراتب وحالات للترقي حتى وصلت الحالة من الترقي في بعثة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، لذلك نحن نجد إن معاجز الأنبياء في الأمم السالفة كانت تخاطب ربما تخاطب الوجدان في جانبٍ منها أو كانت تخاطب المشاعر أو تخاطب الحواس أو تخاطب أشياء أخرى من قوى الإدراك البشري لكن القرآن معجزة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله جاءت هذه المعجزة وهذه الرسالة تخاطب العقل والبصيرة وخطاب القرآن للعقل والبصيرة يكشفُ عن ارتقاء المخلوق البشري إلى الرتبة المتكاملة نعم هناك التكامل الأعظم للعقل والبصيرة يكون في زمان ظهور إمامنا الحجة صلوات الله وسلامه عليه حين يمسح على رؤوس العباد فيجمع بها عقولهم فالإسلام هنا إسلام مُحَمَّدٍ وآل محمَّد ليس هذا الإسلام الفقهي الذي نلقلق به.

﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ﴾ نحنُ لا نقول عن أنفسنا بأننا مسلمون لله نقول عن أنفسنا بأننا مسلمون وكفى ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ﴾ الإشارة إلى نفس الآية التي ستأتينا وهي الآية الحادية والثلاثون بعد المئة ﴿إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ﴾ قال له قال لإبراهيم ﴿إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم قَالَ أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ أسلمت لربِّ العالمين هذا الإسلام إسلامُ المعرفة هذا الإسلام إسلامُ اليقين هذا الإسلام إسلامُ العقلِ والروح والوجدانِ والحواس فإنهُ يُسلم كل وجودهِ كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أسلم شيطاني، لأنهُ في رواياتنا ما من إنسان إلا وله شيطان النبي في مرحلته الإنسانية له شيطان لكن ماذا وصفهُ النبي صلى الله

عليه وآله قال أسلم شيطاني أسلم شيطاني ليس بمعنى الإسلام الفقهي وإنما أسلم النبي صلى الله عليه وآله بكل وجودهِ وبكل شؤوناتهِ ومتعلقاتهِ فمن جملة شؤوناتهِ البشرية وجود هذا الشيطان هذا الشيطان أسلم وجودهُ أسلم وجوده لله سبحانه وتعالى، مُحَمَّدٌ بكل شؤوناتهِ أسلم لله بكل مظاهرهِ بكل ما يتعلق به لذلك قال صلى الله عليه وآله أسلم شيطاني، أسلم شيطاني لا بمعنى الإسلام الفقهي وإنما بمعنى الإسلام الذي يشير إليه إبراهيم في درجةٍ من درجاتهِ، قطعاً إسلام مُحَمَّدٍ مرتبته لا يُقاس بها إسلام أي نبيٍ من الأنبياء وإنما إسلام الأنبياء هو من تجليات إسلام مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وأقول مرةً أخرى مرادي من الإسلام ليس الإسلام الفقهي لَمَّا قال إبراهيم ﴿أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ أسلم وجودهُ وكيانهُ وعقلهُ وكل ذرةٍ من ذراتهِ أسلمت، أسلمت أي أنها فنت أي أنهُ لم يبقى لها وجودٌ من حيث هو إبراهيم وإنما وجودها من حيثُ هو إبراهيم قد أسلم لله وجودها من حيث الله سبحانه وتعالى لا من حيث نفس إبراهيم.

﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ﴾ هذه الأُمَّة ليس كما يذهب المخالفون ومن تبعهم حتى من مفسري الشيعة من أن المراد من هذه الأُمَّة المسلمة مراد يعني من أعلنوا الإسلام بقول الشهادتين يعني أنا وأنت وسائر الناس ممن هم على دين الإسلام ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا﴾ هذه الذرية المقصودة هنا نفس الذرية التي مرت علينا ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهدِي الظَّالِمِينَ﴾ هذه الذرية هي نفس الذرية التي جاءت في عهد الإمامة ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً﴾ لأن كلمة الأُمَّة لا يعني أنها تدل على الأعداد الكثيرة فقد استعملت في القرآن الكريم مثلاً على سبيل المثال جاءت كلمة الأُمَّة في سورة النحل بأي استعمالٍ؟ في الآية العشرين بعد المئة ﴿إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلّهِ حَنِيفًا وَلَم يَكُ مِنَ المُشرِكِينَ﴾ هذه الآية العشرون بعد المئة من سورة النحل المباركة ﴿إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلّهِ﴾ فجاء استعمال الأُمَّة في شخصٍ واحد في نبيٍ واحد في إبراهيم فلا توجد هناك ضرورة أن نستعمل كلمة الأُمَّة في الأعداد الكثيرة من الناس هنا استعملها القرآن في فردٍ واحد وهو إبراهيم ﴿إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلّهِ﴾ .

مثلاً إذا أردنا أن نذهب إلى سورة هودٍ عليه السلام في الآية الثامنة والأربعين والآيةُ في سياق قصة نوحٍ عليه السلام ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهبِط بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُم ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ

﴿أَلِيمٌ﴾ كل الذين كانوا في سفينة نوح كلهم كانوا ثمانين شخص مع ذلك الآية تعبر عن هؤلاء الثمانين أنهم أمم ربما يكون شخص واحد تعبر عنه الآية بأنهُ أُمَّة أو شخصان أو ثلاثة ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهبِط بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ قد يقول قائل بأن الأمم ليس فقط هنا الحديث عن الناس ربما حتى عن الحيوانات لأن القرآن في سورة الأنعام تحدث عن الحيوانات وبيّن أنها أمم في الآية الثامنة والثلاثين من سورة الأنعام ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمثَالُكُم﴾ يعني عُبِّر عن الطيور عن الحيوانات عن مجاميع الدواب بأنها أمم ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمثَالُكُم﴾ هذا الكلام صحيح لكن لا ينطبقُ على الآية التي نحن بصددها في قصة نوح عليه السلام ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهبِط بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُم﴾ الحديث عن الناس وعن يوم القيامة وعن العذاب ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُم ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ حديث عن الأمم البشرية ليس الحديث عن أمم الحيوانات فهنا في هذه الآية في قصة نوحٍ من سورة هود عُبّر عن ثمانين شخص بأنهم أمم يعني ربما كل عائلة كل أسرة ربما شخص مع زوجتهِ عُبّر عنه هنا بالأُمَّة ﴿اهبِط بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ كل عائلة عُبّر عنها بأنها أُمَّة.

فهناك كما مرَّ علينا في سورة النحل عُبّر عن إبراهيم بأنهُ كانت أُمَّة قانتاً لله وهنا عُبّر عن عوائل مجموعة أفراد كانوا مع نوح بأنهم أمم لذلك ما جاء في التعبير القرآني هنا ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ﴾ والتعبير جاء مسلمة لك يعني الإسلام الذي تحدثت عنه قبل قليل ليس الإسلام الفقهي هذا الإسلام الذي لا يلابسهُ الظُلم كما مرَّ علينا ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهدِي الظَّالِمِينَ﴾ هذا الإسلام الذي لا يلابسهُ الظلم هذا الإسلام الذي هو بمعنى العصمة ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ﴾ نحن نقرأ في سورة آل عمران في الآية العاشرة بعد المئة ماذا نقرأ؟ ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللّهِ﴾ هل كما يقول المخالفون هذه الأُمَّة هي كل أولئك الذين لقلقوا بالشهادتين فلنقرأ ماذا يقول أئمتنا المعصومون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الرواية مروية عن

الإمام الصادق في تفسير علي بن إبراهيم والذي يروي الرواية ابن أبي عمير عن ابن سنان – **قال: قُرِأت عند أبي عبد الله عليه السلام** ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ﴾ **إلى آخر الآية** ﴿تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللّهِ﴾ **فقال أبو عبد الله عليه السلام: خير أُمَّة يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين ابني عليٍّ عليهم السلام؟!** – هي هذه الأُمَّة خير أُمَّة؟! مقتل عليٍّ والحسن والحسين أُسِسَ له في السقيفة، قُتِل الحسين وقُتِل الحسن وقُتل عليٌّ وقُتِل الأئمة في السقيفة – **خير أُمَّة يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين ابني عليٍّ عليهم السلام؟ فقال:** – القارئ – **جُعِلتُ فِداك كيف نزلت؟** – هذه قراءة لأهل البيت – **قال: نزلت كنتم خير أئمةٍ أخرجت للناس ألا ترى مدح الله لهم** – كيف مدحهم؟ ﴿تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللّهِ﴾ .

الكلام هنا خير ماذا يعني في لغة العرب يعني أخير أُمَّة فأخير أُمَّة لابد أن تكون قد بلغت أعلى رتبة في أمرها بالمعروف وأعلى رتبة في نهيها عن المنكر وأعلى رتبة في الإيمان بالله، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يمكن أن يكون في أعلى رتبة ما لم يكن هناك علمٌ في أعلى رتبة نحن حتى في الكتب الفقهية حينما نتحدث عن شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشترط للآمر والناهي أن يكون عالماً بالشيء الذي يأمر به وبالشيء الذي ينهى عنه وإلا سيقع الناس في خبطٍ وشماس إذا كان كل واحد من دون علم يأتي فيجعل من نفسه آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر فإنهُ قد يأمر بالمنكر وقد ينهى عن المعروف، أول شرطٍ وأول أساسٍ لتنفيذ هذا الأمر لتنفيذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو العلم فإذا كانت هذه الأُمَّة هي خير أُمَّة يعني الأخير، خير كلمة خير في الأصل أخير يعني على صيغة أفعل للتفضيل ولكن للتخفيف تحذف الهمزة فيُقال خير ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ﴾ يعني كنتم أخير أُمَّة الأُمَّة الأخير لابد أن تكون هي الأفضل والأعلى رتبة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله لأن الآية هكذا تقول ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ﴾ للناس طُراً من البداية إلى النهاية ﴿تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللّهِ﴾ لابد أن تكون هذه الأُمَّة أفضل من كل الأمم السابقة وفي الأمم السابقة الأنبياء فأيُّ أُمَّة هذه التي تكون هي أفضل من الأنبياء وأيُّ أمرٍ بالمعروف وأيُّ نهيٍ عن المنكر وأيُّ إيمانٍ بالله هو أفضلُ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله الذي كان عليه الأنبياء لابد أن تكون هذه الأُمَّة على أعلى درجة من العلم والمعرفة ومن العصمة الكاملة وذلك لا يكون إلا في آل مُحَمَّد سواء قرأنا: كنتم خير أئمة، كما في هذه

الرواية، والإمام هنا يتحدث عن معنى الآية لَمَّا يقول نزلت يعني نزلت ومعناها هكذا وإلا نحن مأمورون أن نقرأهُ كما هو مكتوب في المصحف، كما هو مكتوبٌ في المصحف ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ﴾ والأُمَّة قد تُطلق على رجلٍ واحد كما مرَّ علينا قبل قليل في شأن إبراهيم عليه السلام – ألا ترى مدح الله لهم – الله يمدحهم بهذه الأوصاف ﴿تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللّهِ﴾ هذه الأوصاف لا تكون إلا في الأُمَّة الأعلى رتبة، الأُمَّة الأعلى رتبة مُحَمَّدٌ وآل محمَّد.

الرواية الثانية ينقلها السيد هاشم البحراني من تفسير العياشي، عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه في معنى هذه الآية، **قال: هم آلُ مُحَمَّد** ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ﴾، هم آلُ مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، رواية أخرى عن إمامنا الصادق في معنى هذه الآية – **قال: يعني الأُمَّة التي وجبت لها دعوة إبراهيم** – الكلام واحد متناسق تلاحظون القرآن وحديث أهل البيت بعضهُ يشد البعض القرآن مع حديث أهل البيت يأتي كالبنيان المرصوص القرآن مع حديث أهل البيت تتضح من خلالهما الصور والعلم الذي لا يعطينا وضوحاً ولا يعطيكم وضوحاً فلا فائدة فيه والعالِم الذي لا تُحَصِّلون منه الوضوح فلا فائدة في علمهِ لأن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم مركز الوضوح هم نور الله في السماوات والأرض وهل هناك من شيءٍ أوضح من النور أهل البيت هم مركز الوضوح العلم الذي لا يعطينا الوضوح هذا علمٌ لا فائدة فيه هذا علمٌ لا ينفع والعالم الذي لا يعطينا الوضوح هذا عالِمٌ لا نفع في علمهِ هو ليس بقادرٍ على أن ينفع نفسه لأنهُ لَمَّا لم يكن قادراً على إعطاء الوضوح هذا يعني أن الصورة ليست واضحةً عنده وفاقد الشيء لا يعطيه وعالم لا وضوح له ما هو بعالم الناس تسميه عالم هذا جاهل لأن العلم هو الوضوح والوضوح لا يتجلى إلا من خلال الممازجة بين الكتاب والعترة ماذا يقول إمامنا الصادق – **يعني الأُمَّة التي وجبت لها** – يعني هذه الآية {كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ} الإمام يقول – **يعني الأُمَّة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام فهم الأُمَّة التي بعث الله فيها ومنها وإليها وهم الأُمَّة الوسطى وهم خيرٌ أُمَّةٍ أُخرِجت للناس** – الأُمَّة الوسطى النمرقة الوسطى كما يقع في عبارات أمير المؤمنين.

أهل البيت هم النمرقة الوسطى هم الأُمَّة الوسطى هم الجادة الوسطى وخيرُ الأمور أوسطها خيرُ الأمور خير الأديان خيرُ العقائد، أوسطها لأنها تعود إلى الأُمَّة الوسطى لأنها تعود إلى الجادة الوسطى إلى جادة عليٍّ وآل عليٍّ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الأُمَّة هذه التي هي خير أُمَّة – **قال يعني الأُمَّة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام فهم الأُمَّة التي بعث الله فيها ومنها وإليها وهم الأُمَّة الوسطى وهم خيرٌ**

أُمَّةٍ أُخرِجت للناس – فإذاً الآية في سورة آل عمران ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللّهِ﴾ هذه الأُمَّة هي الأُمَّة التي جاء ذكرها في هذه الآية ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ﴾ هذه هي نفسها نفس هذه الأُمَّة.

في سورة إبراهيم يسألون الإمام الصادق عليه السلام ما الدليل على أن الأُمَّة المسلمة المذكورة في هذه الآية هم آل مُحَمَّد؟ ما الدليل على ذلك؟ الدليل يأتينا في سورة إبراهيم، في سورة إبراهيم يأتينا الدليل واضحاً، هنا في سورة البقرة ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ﴾ الآيات في سورة إبراهيم ماذا تقول؟ الآيات تقول ﴿وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجعَل هَذَا البَلَدَ آمِنًا﴾ مرَّ علينا هذا الكلام في الحلقة الماضية في الآية السادسة والعشرين بعد المئة ﴿وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجعَل هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارزُق أَهلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ وقلتُ بأن الإمام الصادق عليه السلام قال هذه الثمرات ثمرات القلوب ﴿وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجعَل هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارزُق أَهلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ قال صادق العترة إنها ثمرات القلوب هذا الدعاء هو نفسهُ الموجود هنا في سورة إبراهيم في الآية الخامسة والثلاثين ﴿وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجعَل هَذَا البَلَدَ آمِنًا﴾ تتمة الدعاء هنا تتضح ﴿وَاجنُبنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعبُدَ الأَصنَامَ﴾ من الذين لم يعبدوا الأصنام هل الأُمَّة؟ الأُمَّة الصحابة؟! الصحابة كلهم كانوا يعبدون الأصنام الحديث عن الأُمَّة التي جُنِّبت من عبادة الأصنام الحديثُ عن عليٍّ وآل علي هذه الأُمَّة ما معنى كَرَّمَ الله وجههُ في قول المخالفين؟ أليس هذه الكرامة لوجههِ الذي لم يسجد لصنم قط، هذه هي الأُمَّة التي جُنِّبت من عبادة الأصنام، الأُمَّة عليٌّ بعينهِ وقبل قليل قرأنا في سورة النحل ﴿إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ وعليٌّ كان أُمَّة قانتاً هذا هو لِسَانَ صِدقٍ عَلِيًّا دعوة إبراهيم، وعليٌّ هو مُحَمَّد ومُحَمَّدٌ هو علي صلى الله عليهما وآلهما الأطيبين الأطهرين ﴿وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجعَل هَذَا البَلَدَ آمِنًا﴾ هذه الآية الخامسة والثلاثون من سورة إبراهيم ﴿وَاجنُبنِي وَبَنِيَّ﴾ وَبَنِيَّ وإبراهيم هو والدُ عليٍّ وهو والد مُحَمَّد، عليٌّ هو ابن إبراهيم وأبو طالب هو ابن إبراهيم وعبد المطلب هو ابن إبراهيم ومرَّ علينا في برامج سابقة وفي لقاءات سابقة إن أبا طالب كان وصياً من أوصياء إبراهيم وهو من وُلدهِ وعبد المطلب كان وصياً وهكذا في سلالة أجداد رسول الله وأوصياء إبراهيم كلهم أنبياء كما تقول كلمات المعصومين

﴿وَاجنُبنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعبُدَ الأَصنَامَ﴾ تجنيب النبي وعلي ومن سبقهم من الأباء الطاهرين وكذلك والد رسول الله عبد الله عليه السلام تجنيبهم عبادة الأصنام الآية واضحة وصريحة الأُمَّة المسلمة هنا والأُمَّة التي جَنَّبها الله عبادة الأصنام هم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلوات الله عليهم ﴿وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجعَل هَذَا البَلَدَ آمِنًا وَاجنُبنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعبُدَ الأَصنَامَ﴾ ولذلك كان مُحَمَّدٌ يقول أنا دعوة إبراهيم أي أن دعوات إبراهيم استُجيبت، استُجيبت هذه الدعوات في مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضلَلنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ يعني الذين عبدوا الأصنام كانوا على ضلال ومن كان على ضلال لن يكون إماماً للناس وإن اهتدى بعد ذلك ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضلَلنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ ثم يبين القانون ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَن عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ من تبعني فإنهُ مني ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيرِ ذِي زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ليقيموا الصلاة على أتم وجهها ومن يقيم الصلاة على أتم وجهها غير مُحَمَّد وآل مُحَمَّد هناك جهة أو مجموعة تقيم الصلاة على أتم وجهها إبراهيم هنا في حال مناجاتهِ مع الله هل يطلب صلاةً ناقصةً أم يطلب الصلاة على أتم مراتبها حين يقول ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ إقامة الصلاة على أكمل مرتبة يطلبها إبراهيم وأين تكون هذه؟ هل تكون في غير مُحَمَّد وآل مُحَمَّد؟!

﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ أيضاً من ذريتي ﴿بِوَادٍ غَيرِ ذِي زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجعَل أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهوِي إِلَيهِم وَارزُقهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ من ثمرات القلوب واجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم وهل تهوي القلوب إلا إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ﴿واجعَل أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهوِي إِلَيهِم وَارزُقهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُم يَشكُرُونَ﴾ إلى أن يقول ﴿رَبِّ اجعَلنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ الكلام كله عن الذرية ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ لَمَّا يتحدث إبراهيم عن نفسهِ ألا يطلب أعلى مرتبة من مراتب الصلاة ﴿رَبِّ اجعَلنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ أيضاً يطلب المعنى الأعلى والأسمى كل هذا وغيرهُ من نصوص أخرى قد لا يسع المجال للتطرق إليها لأن الوقت قد مضى منه جزءٌ كبير وهناك روايات كثيرة تؤكد هذه المعاني جاءت عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كل ذلك يجعلنا في هذا الجو هذه أجواء مُحَمَّدٍ وآل محمَّد هذا

قرآنهم هذا القرآن قرآنهم والحديثُ عن إبراهيم جدهم وأبوهم والحديثُ عن البيت العتيق وهو بيتهم فلماذا حين تُفَسَّرُ هذه الآيات تُفَسَّرُ بعيداً عنهم؟! أليس هذا الجدُّ وهذا الوالد هو والدهم إبراهيم أبوهم والبيت العتيق بيتهم والقرآن قرآنهم والدين دينهم والولاية ولايتهم والربُّ ربهم لماذا حينما تُفَسَّرُ هذه الآيات تُفَسَّرُ في مكانٍ وفي وادٍ بعيدٍ عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد هذا هو التحريف للقرآن هذا هو معنى تحريف آيات الكتاب ﴿ رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ أَرِنَا مناسكنا ماذا يقصد إبراهيم عليه السلام وإسماعيل أَرِنا مناسكنا هل هناك لوحةٌ إيضاحية تكون أمام إبراهيم يتعلم منها مثلاً مناسك الحج إذا كان الكلام عن مناسك الحج وإن كانت الآية لا تتحدث هنا عن مناسك الحج مناسك جمعٌ لمنسك والمَنسَك هو العبادة الحديث عن العبادات بكل مراتبها العبادات العملية العبادات الحالية القلبية العبادات القولية ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ ما المراد أَرِنا مناسكنا؟ هل أن إبراهيم عليه السلام يطلب لوحةً إيضاحية بعد أن وصل إلى هذه المراتب العالية وبعد أن كان يدعو بهذه المعاني العميقة؟

أَرِنا مناسكنا أي أجعلنا في أعلى مراتب الإمامة من حيث هم هذا طلب لأن يكون في أعلى مراتب الإمامة هذا طلب للإراءة المحيطة أَرِنا مناسكنا يعني أن إبراهيم كان يأتي بعباداتهِ فهو لا يطلب أن يرى عبادتهُ بنفسهِ فهو عالِمٌ بعبادتهِ كما أني حين أقوم بأي عملٍ فأني عالِمٌ بما أقوم به من عمل أنا الآن حين أجلسُ هنا أمامكم وأتحدث فإني عالِمٌ بما أقوم به وهكذا كل شخصٍ هو عالِمٌ بما يقوم به، ألا يُقال بأن علم الإنسان بنفسهِ وبشؤونهِ علمٌ حضوري أصلاً المعلوم حاضر بنفسهِ عند الإنسان وهذه أعلى مراتب العلم فما المراد أَرِنا مناسكنا؟ الطلب هنا للإراءة المحيطة للإراءة الإحاطية والتي جاءت الإشارة إليها في سورة التوبة في الآية الخامسة بعد المئة ﴿ وَقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ ﴾ الآية واضحة المؤمنون هل يرون أعمالنا الحديث أن الله يرى هذه الأعمال الله هو الأول الذي لا أولية لأوليته هو يرى أعمالي وأعمال الأمم السابقة وأعمال الأمم التي ستأتي ﴿ وَرَسُولُهُ ﴾ رؤيتهُ رؤية الله بحسب العطف الموجود في الآية يعني إن النبي يرى أعمال الأمم السابقة وأعمال الذين كانوا في أيامهِ ويرى أعمالنا وما سيأتي إذاً المؤمنون أيضاً هؤلاء يرون جميع الأعمال فمن هم هؤلاء المؤمنون؟ المعنى واضح المؤمنون الذين لهم الرؤيا الكاملة الرؤيا الإحاطية إحاطة ما سبق وما هو الآن وما سيأتي وإلا ما معنى هذه الآية؟ إذا كان المراد أن المؤمنين يرون أعمالنا يعني حينما أقوم بعمل في بيتي من يراني من المؤمنين؟! الحديث عن رؤية مطلقة إحاطة في الرؤيا: **وإن الله زاد في ناظر إبراهيم زاد في قوة ناظرهِ فرأى ملكوت السماوات**، الحديث عن

إحاطة في الإراءة، الآية واضحة لكن ماذا تفعل للعميان هؤلاء الذين أعمى الله قلوبهم وبصائرهم ماذا تصنع لهم الآية واضحة ﴿وَقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ﴾ المؤمنون كيف يرون عملي؟ إذا كان الأفضل في العمل أن يكون في السر أليس العبادة يُفضَّل أن تكون في السر وأن لا تكون في العلن، أليس يُفَضَّل للإنسان أن يخفي زهدهُ كما يقول سيد الأوصياء أفضل الزهد إخفاء الزهد أليس صدقة السر أفضل من صدقة العلن وهكذا أليس الكتمان هو من أفضل درجات العبادة كتمان العبادة فكيف يرى المؤمنون عبادتي إذا كان المراد من المؤمنين أنا وأنت، كيف نرى عبادة غيرنا كيف نرى أعمال غيرنا والحديث عن كل عمل إذاً لابد من وجود قدرةٍ إحاطية إراءة إحاطية نفس الكلام الذي قالهُ سيد الشهداء حينما قال، ماذا قال؟ – **لا أعلم اصحاباً خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتي** – في بعض الروايات لا أعلم وفي بعض الروايات لا أعرف والمعنى واحد بالنسبة للحسين المعنى واحد، بالنسبة لي حين أقول أعلم وأعرف يختلف المعنى هناك فارقٌ بين العلم والمعرفة بالنسبة لي ولك أما بالنسبة لحسينٍ وآل حسين فلا فارق بين أن يقول لا أعلم أو لا أعرف لا يوجد هناك فارق لا في الدلالة اللغوية ولا في الدلالة المعرفية حين يقول لا أعلم أو لا أعرفُ أو لا أرى أصحاباً، حينما يقول لا أرى وهناك في نسخةٍ لا أرى حينما يقول لا أرى إشارة إلى الرؤيا الإحاطية لِما كان وما هو كائن وما سيكون.

والآية هنا تشير إلى هذه الحقيقة الآية واضحة من هم المؤمنون الذين يملكون هذه الرؤيا يملكون رؤية الإحاطة ﴿وَقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ﴾ هل من المنطقي أن يكون الله وحدهُ فقط يرى أعمالنا دائماً ورسول الله يراها بحسب زمانهِ فقط وما يكون أمام عينيه والمؤمنون عامة المؤمنين ومع ذلك تأتي الآية فتعطف رؤية رسول الله ورؤية المؤمنين على رؤية الله هل يعقل هذا هل يعقل هذا الكلام لأن حينئذٍ رؤية رسول الله ستكون محدودة إذا كانت مقيدة بزمانهِ وبالمقدار الذي يكون أمام عينيه وأما رؤية المؤمنين فالأمر معها أشد أكثر لأنها ستكون في غاية الضعف أضعف فهل يُعقل لرؤية المؤمنين بهذه الدرجة الضعيفة ولرؤية رسول الله المحدودة وهي بدرجة ضعيفة بحسب هذا الوصف تُعطف على رؤية الله لعمل المؤمنين لعمل الناس إذاً لابد أن تكون الرؤية موحدة رؤية الله ورؤية رسول الله ورؤية هؤلاء المؤمنين رؤيةٌ واحدة وتلك هي الرؤية الإحاطية وهنا إبراهيم يطلب في الدعاء أن يصل إلى هذه المرتبة، المرتبة التي تكون له فيها الإحاطة بحيث يكون رائياً بالرؤية الإحاطية لا بعلمهِ النفسي لنفسهِ بالرؤية الإحاطية التي يرى بها عملهُ وعمل غيرهِ هذا معنى ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ وإلا لا ينسجم الكلام العميق مع معانٍ سطحية إذا كان مُسلِمَين لك بذلك المعنى العميق وهو أعلى مراتب الإمامة إذا كان الكلام بهذا العمق فلابد أن يكون

الدعاء أيضاً بهذا العمق ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ وهذه التوبة ليست التوبة من الذنوب هذه قرينة أخرى فإبراهيم هنا لا يطلب التوبة من الذنوب إبراهيم معصوم هذه التوبة هي الرجوع ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ هذا رجوع النفس المطمئنة ورجوع الله إلى النفس المطمئنة ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ التوبة الرجوع ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ هذه الأجواء أجواء مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، إبراهيم هنا يسبح في أجواء محمَّدٍ وآل مُحَمَّد إبراهيم هنا يرفع قواعد الرمز القواعد هذه التي بناها رمزاً لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد إبراهيم يسبحُ في هذا الجو والروايات تقول لَمَّا كُشِفَ لإبراهيم عن ملكوت السماوات فرأى أنواراً خمسة فسأل عنها وهذه رموز، هذه رموز ليست القضية بهذه البساطة وبهذه السطحية لكن الأئمة ماذا يصنعون؟ ماذا يصنعون مع هذه العقول القاصرة المحدودة من مثلي وأمثالي ماذا يصنعون كيف يتكلمون يقربون لنا هذه المعاني فرأى أنواراً خمسة فسأل عنها فَعُرِّف بالأنوار الخمسة وهم أصحاب الكساء ورأى أنواراً تسعة وتاسعها في ضحضاحٍ من نور والأنوار الأخرى محيطة به وهم ولد الحسين وهذا الذي في الضحضاح هو الذي سيأتي يوم مولده سراعاً قريباً في النصف من شعبان ذلك الذي في ضحضاحٍ من نور في هالةٍ نوريه واسعة الضحضاح الهالة النورية الواسعة ذلك هو القائم من آل مُحَمَّد صلوات الله عليه، ورأى أنواراً كثيرة تطوف حوله محدقة به فلما سأل قيل أنوار شيعته فلما سأل ما أوصافهم فحدثوه أن من أوصافهم أنهم يسجدون سجدة الشكر.

الروايات تقول إن إبراهيم عليه السلام لَمَّا جاءه ملك الموت في آخر لحظةٍ من لحظات حياته طلب منه أن يقبض روحه وهو يسجدُ سجدة الشكر تشبهاً بشيعة تلكم الأنوار إبراهيم يعيش في هذه الأجواء هذي أعلى رتبة وصل إليها إبراهيم الروايات هكذا حدثتنا عن الكشف الملكوتي لإبراهيم ونتحدث عن هذه المضامين إذا ما وصل الكلام إلى قصة إبراهيم عليه السلام ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أمنحنا، أمنحنا الإحاطة الرؤيوية أو الرؤيا الإحاطية وذلك لا يعد بشيءٍ إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد هذه من مقاماتهم التي تتجلى لهم في العالم الأرضي مقامات محمَّدٍ وآل مُحَمَّد لا يسعها لا نبيٍ مرسل ولا ملكٌ مقرب مقامات محمَّدٍ وآل محمَّد لا نملك ألفاظاً نعبر بها عنها ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ تبّ علينا نحن نرجع إليك وأنت ترجع إلينا أما كيف يرجع الله للعباد فذلك معنىً ربما أشارت إليه الأحاديث القدسية الأحاديث التي تحدثت وبينت كيف أن الله سبحانه وتعالى يسرع إلينا ألا تقول الأحاديث القدسية

– **عبدي تقدم إلي شبراً أتقدم إليك ميلاً** – هذا هو الرجوع – **عبدي تقدم إلي شبراً أتقدم إليك ميلاً** – معاني عميقة ولا يوجد مجال للدخول في تفاصيلها لكنني بقدر ما أتمكن أبين جوانب منها بحسب ما يسنح المقام في طوايا هذه البرامج.

﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ رسولاً منهم من هذه الأُمَّة المسلمة أولهم مُحَمَّد أوسطهم مُحَمَّد وآخرهم مُحَمَّد بل كلهم مُحَمَّد حسينٌ مني وأنا من حسين عليٍ مني وأنا من علي، أنا عليٍ وعليٍ أنا، أنا مُحَمَّدُ ومُحَمَّدٌ أنا ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ ﴾ في هذه الأُمَّة المسلمة في هذه الأُمَّة المعصومة ﴿ وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ﴾ منهم أي من سنخيتهم كما مر علينا قبل قليل – ومن تبعني فإنه مني – ولذلك في سورة براءة لا يبلغها إلا أنت أو رجلٌ منك، فمن الذي بَلَّغ سورة براءة؟ ألم يعطها النبي لأبي بكر وهذي قضية معروفة في كتب السير والتأريخ ألم يعطها لأبي بكر، ثم أمر علياً بأن يدركه في الطريق ويأخذ منه السورة وبين ذلك الأمر: إن الله أمرني إما أن أبلغ السورة أنا – النبي – أو رجلٌ مني، فعليٌ رجلٌ منه ولا يوجد في الأُمَّة من ينطبق عليه هذا المعنى إما أنت يا مُحَمَّد أن تبلغ أو رجلٌ منك ذلك الرجل الذي منه هو عليٌ وهذه الدلالة واضحة.

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ من هذه الأُمَّة ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ وهل هناك من أحدٍ في هذه الأُمَّة جمع هذه المراتب حتى سلمان لم يكن قد جمع هذه المراتب ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾ الكتاب بكله واضح الكتاب بكله ما قال يعلمهم من الكتاب فمن الذين يعلمون الكتاب بكله؟! ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾ من الذين عندهم علم الكتاب؟! ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ الحكمة بكل مراتبها ويزكيهم فكل ما في آل مُحَمَّدٍ هو تجلياتٌ من محمَّد، مُحَمَّدٌ هو الأصل وآل مُحَمَّدٍ هم الفروع التي تجلت فيها أنوار محمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ هذه الأسماء: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ هذه الأسماء الحسنى أنا ما وقفت عليها لأن شرحها يحتاج إلى وقتٍ طويل لكن هذه الأسماء لا تتجلى إلا في الحقيقة المحَمَّدية بأجلى مراتبها ولذلك إمامنا الصادق يقول: **نحن الأسماء**

الحسنى والصفات العليا. الرواية في الكافي الشريف إمامنا هو يقول – **نحن الأسماء الحسنى** – هذه الأسماء الحسنى مجاليها الحقيقية في الحقيقة المُحَمَّدية في النور المُحَمَّدي الأعظم والحقيقةُ إني ما وقفت عليها لأن شرح هذه الأسماء يحتاج إلى وقتٍ طويل وإنما اكتفيت بما يظهر من دلالتها التي يفهمها المستمع.

﴿ رَبَّنَا وَابعَث فِيهِم رَسُولاً مِّنهُم يَتلُو عَلَيهِم آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَيُزَكِّيهِم إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * وَمَن يَرغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبرَاهِيمَ ﴾ ملة إبراهيم ما هي؟ ملة إبراهيم هي الملة التي مر الحديث عنها إن كان في موضوع الإمامة ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهدِي الظَّالِمِينَ ﴾ وإن كان الحديث عن المضامين والأجواء التي أشرت إليها في هذه الآيات ملة إبراهيم هي هذه ﴿ وَمَن يَرغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفسَهُ ﴾ وأشرت في الحلقة الماضية ماذا قال أئمتنا؟ قالوا بأن السفيه لن يكون إماماً للتقي وأجلى معاني السفاهة هي عبادة الأصنام ﴿ وَمَن يَرغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفسَهُ ﴾ الذي يرغب عن هذه الملة هؤلاء هم السفهاء والذين مرت إليهم الإشارة في أوائل سورة البقرة ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُم هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعلَمُونَ ﴾ هؤلاء هم السفهاء الذين أشارت إليهم هذه الآية، الآية الثالثةُ بعد العاشرة من سورة البقرة وقد شرحناها في حينها ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُم هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعلَمُونَ ﴾ .

﴿ وَمَن يَرغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفسَهُ ﴾ هؤلاء السفهاء الذين يرغبون عن ملة إبراهيم ملة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد في مقابل هذه الملة ﴿ وَلَقَدِ اصطَفَينَاهُ فِي الدُّنيَا ﴾ الاصطفاء هو الاختيار اصطفينا إبراهيم ﴿ وَلَقَدِ اصطَفَينَاهُ فِي الدُّنيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الصالحون هم الذين تمنى إبراهيم أن يقبض على شاكلتهم حين جاءه ملك الموت فهذه أعلى مراتب إبراهيم الأنبياء شيعة عليٍ وآل علي الأنبياء شيعة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ألا تقول الروايات بأن الأنبياء وبأن شيعة أهل البيت خلقوا من فاضل طينة أهل البيت روايات مبسوطة وواضحة عن أئمتنا صلوات الله عليهم تتحدث عن خلقة الأنبياء والأوصياء وعن أشياعهم المخلصين عن أشياع أهل البيت أنهم خلقوا من فاضل طينة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿ وَلَقَدِ اصطَفَينَاهُ فِي الدُّنيَا ﴾ هذا الاصطفاء واضح اصطفاء الإمامة اصطفاء هذه الملة الشريفة

اصطفاء هذه الأجواء اصطفاء هذا المعنى ﴿وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ هذه كلها معاني الاصطفاء ﴿وَلَقَدِ اصطَفَينَاهُ فِي الدُّنيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ومع الصالحين الصالحون بالمعنى الحقيقي والدقيق هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمّد ولكن الحديث هنا عن الصالحين في كل مراتبهم لأن الصالحين في الآخرة مراتبهم كثيرة لذلك قلت بأن المراد من الصالحين هنا بحسب الروايات التي بينت آخر منزلة لإبراهيم أنه تشبه بتلكم الأنوار المحيطة بأنوار أهل البيت وهي أنوار شيعتهم.

﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم﴾ أسلم لا بمعنى الإسلام الفقهي أسلم بالمعنى الذي تحدثت الروايات عن القلب السليم ﴿إِذ جَاء رَبَّهُ بِقَلبٍ سَلِيمٍ﴾ القلب السليم هو القلب الذي ليس فيه إلا الله أسلم بقلبك ﴿إِذ جَاء رَبَّهُ بِقَلبٍ سَلِيمٍ﴾ الروايات تقول القلب السليم ما هو؟ هو القلب الذي ليس فيه إلا الله ﴿إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم قَالَ أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ أسلمتُ، أسلمتُ بكل وجودي أسلمت بكل مداركي أسلمت بكل حقيقتي أسلمت بكل شأنٍ من شؤوناتي فتحولت إلى وجودٍ إلهي لأنه حين يسلم أين يكون؟ يكون وجوده في يد الله سبحانه وتعالى فيكون وجوداً إلهياً ﴿إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم قَالَ أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ﴾ بأي شيءٍ وصى؟ الآية السابقة تحدثت ﴿وَمَن يَرغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبرَاهِيمَ﴾ فهناك ملة هذه الملة مر الكلام عنها شرحتها الآية التي بعدها ﴿إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم قَالَ أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ أسلمت لرب العالمين أسلم وجودي فكان وجودي في يد الله سبحانه وتعالى صار وجوده إلهياً وهذا المعنى لا يتحقق إلا من الوجه الإلهي وهذا الوجه الإلهي الحقيقة المُحَمَّدية هذا المعنى لا يتحقق الإسلام لله سبحانه وتعالى هو الإسلام في الحضرة القدسية للحقيقة المُحَمَّدية.

﴿إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم قَالَ أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ﴾ الآيات مترابطة بماذا وصى؟ إمامنا الباقر عليه السلام ماذا يقول؟ ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ **قال: ووصى بولاية علي.** هذا كلام باقر العترة ما هو بكلامي – قال ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ **قال: وصى بولاية علي.** والكلام مترابط ملة إبراهيم هي ولاية علي ﴿إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم﴾ إلى أي شيءٍ أسلم؟ ﴿أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ الإسلام ولاية عليٍ وهذا المعنى

واضحٌ في روايات أهل البيت ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ﴾ بأي شيءٍ وصى؟ وصى بولاية علي ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ كما يقول باقر العترة عليه السلام أنه وصى بولاية علي وصى بولاية أمير المؤمنين ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ﴾ أيضاً وصى ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ من هم أبناءهُ؟ إسماعيل إسحاق وصية إبراهيم لبنيه لإسماعيل ولإسحاق ولأولادهم الابنُ ابنٌ وإن نزل الابن وابن الابن ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ لإسماعيل وآل إسماعيل لولد إسماعيل ولإسحاق ولولد إسحاق ويعقوب أيضاً وصى إبراهيم وصى ويعقوب الذي هو حفيد إبراهيم أيضاً وصى وهذا هو ديدن الأنبياء كل الأنبياء كانت وصيتهم لأبنائهم لمن جاء من بعدهم وحتى لأممهم كأُمَة موسى الوصية بعليٍ وآل علي ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ﴾ ما هي الوصية ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصطَفَى لَكُمُ الدّينَ﴾ اختار لكم الدين ما هو خيرة الدين؟ ما هو جوهر الدين؟ الآن لو أردنا أن نرجع إلى كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ما هي جوهرة الدين؟

ولاية عليٍ جوهرة الدين ومر علينا في الحلقات الماضية كيف أن الحسن في القرآن الكريم والإحسان والحسنى هي ولاية عليٍ وكيف أن هذه الحسنة هي جوهر النجاة وحبّه حسنة لا تضر معها سيئة، حبّه حسنة لا تقاس بها الحسنات، حبّه لو كانت حسنة كبقية الحسنات لأضرت بها السيئات فإن السيئات قد تؤدي في بعض الأحيان إلى الإحباط إلى إحباط العمل في بعض الأحيان تؤدي السيئات إلى محق الحسنات لكن ما هي هذه الحسنة التي لا تضرها سيئة، لأن هذه الحسنة تختلف عن بقية الحسنات وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة أي سيئةٍ هذه لا تشابهها سيئة لأن السيئات، الحسنات يذهبن السيئات هذا قانون الحسنات يذهبن السيئات فهذه أية سيئة لا تستطيع الحسنات أن يذهبن بها السيئة هي بغض عليٍ وبغض عليٍ ما هو سوءه؟ هو عدم ولاية عليٍ كما يقال بأن الشرور هي حدود عدمية لا أريد الدخول في هذه القضية الفلسفية لكن المراد من حقيقة بغض عليٍ هو عدم ولاية عليٍ حين تغيب الولاية ماذا يأتي؟ يأتي البغض يأتي الإنكار والبغض والإنكار حدٌ عَدَمي والولاية حدٌ وجودي فهذه السيئة التي لا تنفع معها حسنة هذه سيئة غير كل السيئات وهذه الحسنة التي لا تضر معها سيئة هذه حسنة غير كل الحسنات هذه الحسنة ولاية عليٍ والسيئة هي عداوة عليٍ.

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ﴾ كما يقول باقر العترة: بعليٍ وولاية عليٍ ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصطَفَى لَكُمُ الدّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ الإسلام الذي مرت الإشارة إليه وليس الإسلام الفقهي

﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ﴾ ﴿إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم قَالَ أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ لا تموتن إلا وأنتم مسلمون الإسلام الذي تقدم الكلام عنه وليس الإسلام الفقهي.

﴿أَم كُنتُم شُهَدَاء إِذ حَضَرَ يَعقُوبَ المَوتُ﴾ يعقوب هنا مفعول به والموت فاعل لذلك يعقوب منصوبة يعني إذ حضر الموت يعقوب ﴿أَم كُنتُم شُهَدَاء إِذ حَضَرَ يَعقُوبَ المَوتُ﴾ يعني لَمَّا حضر الموت عند يعقوب ﴿أَم كُنتُم شُهَدَاء إِذ حَضَرَ يَعقُوبَ المَوتُ إِذ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعبُدُونَ مِن بَعدِي﴾ ما هي عبادتكم باعتبار العبادة هي أبرز صورة من صور الدين العبادة تمثل الحالة النفسية والمعنوية لحقيقة العقيدة لذلك سؤال مختصر ﴿مَا تَعبُدُونَ مِن بَعدِي﴾ لم يقل ما هي عقيدتكم لم يقل ما هي تفاصيل دينكم سأل عن الجوهر عن القمة ﴿مَا تَعبُدُونَ مِن بَعدِي قَالُوا نَعبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ﴾ مسلمون بالمعنى المتقدم، نعبد إلهك وإله آبائك الكلام مع يعقوب، إبراهيم هو جده إبراهيم أبنه إسحاق وإسحاق أبنه يعقوب، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الآية هنا تحدثت عن أن إبراهيم هو أبٌ ليعقوب فإذاً الأب يطلق على الجد من جهة الأب ويطلق على الأب وأيضاً أطلقت على إسماعيل وإسماعيل عم، إسماعيل هو عم يعقوب ﴿قَالُوا نَعبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَقَ﴾ هنا آباء جمع والمفرد أب من هم هؤلاء الآباء إبراهيم جد وإسماعيل عم وإسحاق هو والد ومن هنا إبراهيم هو أبٌ لمحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله لأن الجد من جهة الأب وإن علا وحتى الجد من جهة الأم يقال له أب الجد من جهة الأم يعني مثلاً نحن حينما نقرأ في سورة النور ﴿وَقُل لِّلمُؤمِنَاتِ يَغضُضنَ مِن أَبصَارِهِنَّ﴾ إلى أن تقول الآية ﴿وَلَا يُبدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَو آبَائِهِنَّ﴾ آبائهنَّ هنا جمع للأب الذي هو من جهة الأب وللأب الذي هو من جهة الأم يعني للجد من جهة الأب وللجد من جهة الأم ولذا الحسن والحسين نقول بأن رسول الله والدهم وهذا هو التعبير القرآني في سورة النور هذا الخطاب لعامة الناس هذا الحديث لا يقال بأن رسول الله والدٌ للحسن والحسين هذي مسألة أو حالة خاصة بالحسن والحسين أبداً هذه سورة النور والخطاب عن عامة المؤمنين الخطاب عن عامة المؤمنات ﴿وَقُل لِّلمُؤمِنَاتِ يَغضُضنَ مِن أَبصَارِهِنَّ﴾ ﴿وَلَا يُبدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَو

﴿آبَائِهِنَّ﴾ ما المقصود من آبائهن هنا؟ أو آبائهن الأب الذي هو الوالد والذي فوقه وهو أب الوالد الجد من جهة الأب وكذلك الجد من جهة الأم يدخل في آبائهن لأنه لا يوجد ذكر لجد الأم للجد من جهة الأم في الآية فكلمة آبائهن تشمل الأب الوالد والأب الجد من جهة الوالد والأب الجد من جهة الأم لذلك رسول الله هو أب الحسن والحسين لا في قضية خاصة، خاصة بالحسن والحسين وإنما هذا هو الاستعمال القرآني وهنا الاستعمال القرآني أيضاً وحتى في قضية آزر فهو ليس أباً لإبراهيم وإنما استعملت كلمة أب لأنه كان عماً لإبراهيم وهنا استعمل الأب في إسماعيل فهو أب أيضاً فالعم أب ويقال العم والد في كلمات العرب.

﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ فإسماعيل أبٌ ليعقوب مع أنه في الواقع هو عمه فهذا الاستعمال القرآني لذلك آزر لم يكن والداً لإبراهيم لأن الأنبياء لابد أن يكون آبائهم موحدين هكذا نحن نعتقد آزر لم يكن أباً حقيقياً لإبراهيم وإنما كان عماً له والعم بحسب التعبير القرآني فإنه أب.

﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هذا الكلام لمن؟ هذا الكلام لمن يستمع إلى القرآن هذا الكلام لمن يقرأ القرآن هذا الكلام لنا لأن الآيات السابقة تحدثت عن إبراهيم وبنيه فماذا وصفت إبراهيم وبنيه بأنهم أُمَّة هذا أيضاً استعمال قرآني لكلمة الأُمَّة في مجموعة قليلة من الناس وهذا يفسر معنى كلمة أُمَّة في الآيات التي جاءتنا قبل قليل مرت علينا ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾ هم مجموعة قليلة هذي هنا الآية وهي الآية الرابعة والثلاثون بعد المئة تؤيد المعنى السابق الذي ذكرته ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ مضت، من هم هؤلاء الأُمَّة التي مضت؟ إبراهيم وبنوه إسحاق إسماعيل يعقوب أولاد يعقوب هذه المجموعة القليلة التي تقدم الحديث عنها لأن الآيات السابقة كانت في أجواء أسرة إبراهيم ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ قد مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هذا قانون ما هو هذا القانون؟ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ الإنسان رهينُ عمله الإنسان رهينُ فكره ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هذا الكلام للذين يقرأون القرآن وكذلك هذا الكلام في نفس الوقت يوجه لليهود وللنصارى لأننا لا زلنا في سياق الحديث عن اليهود والنصارى الذين قالوا بأن إبراهيم كان يهودياً والذين قالوا بأن إبراهيم كان نصرانياً القرآن يقول إبراهيم وولده ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ

﴿وَلَا تُسأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ إنما تسألون عما أنتم تعملون، الآية التي بعدها وهي الآية الخامسة والثلاثون بعد المئة ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَو نَصَارَى تَهتَدُوا﴾ من الذين قالوا؟ اليهود قالوا كونوا هوداً كونوا يهوداً والنصارى قالوا كونوا نصارى ومر علينا فيما تقدم من الآيات، الآيات التي تحدثت فقالت بأن اليهود هم الذين يدخلون الجنان ﴿وَقَالُوا لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَو نَصَارَى﴾ مر الكلام في مثل هذه المضامين في الآيات المتقدمة من سورة البقرة ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَو نَصَارَى تَهتَدُوا﴾ أن الهداية بحسب رؤية اليهود أن يتهود الإنسان وبحسب رؤية النصارى أن يتنصر الإنسان وقد مر علينا ﴿وَلَن تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم﴾ الآية العشرون بعد المئة ﴿قُل إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهوَاءهُم بَعدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ العِلمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهوَاءهُم: إنما ديانتهم الهوى ديانتهم ومعتقداتهم قد بنوها على الأهواء.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَو نَصَارَى تَهتَدُوا﴾ الهداية في إتباعهم ماذا نقول؟ ﴿قُل بَل مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ﴾ ملة إبراهيم الملة التي ما نسخت ملة إبراهيم هنا سؤال أليس الديانات ينسخ بعضها بعضاً ألم تأتي اليهودية فنسخت ما قبلها ثم جاءت النصرانية فنسخت اليهودية ثم جاء الإسلام فنسخ النصرانية أليست الديانات السابقة بعضها ينسخ البعض الآخر، ألم تكن الديانة الإبراهيمية قبل الديانة اليهودية، لماذا ما نسخت؟ لأن جوهر الديانة الإبراهيمية الجوهر الحقيقي للديانة الإبراهيمية هو الجوهر الحنيفي والحنيفية تعني ولاية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، الحنيفية تعني الاستقامة ﴿قُل بَل مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ حنيفاً يعني مستقيماً لا اعوجاج فيه طبعاً كلمة حنيف من الألفاظ في اللغة العربية التي تحمل معاني متضادة ربما تستعمل كلمة حنيف في بعض الأحيان بمعنى الاعوجاج والانحراف والميلان ولكن حنيف هنا المراد منها الاستقامة ﴿قُل بَل مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ المُشرِكِينَ﴾ هنا تعريض بأن الديانة اليهودية ديانة تتجه باتجاه الشرك وبأن الديانة النصرانية ديانة تتجه باتجاه الشرك أن الشرك قد خالط هذه الديانات ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَو نَصَارَى تَهتَدُوا﴾ ما هو الجواب؟

﴿قُل بَل مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ المُشرِكِينَ﴾ . إنما أنتم مشركون يا معشر اليهود ويا معشر النصارى

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ هنا انقطاع في الكلام ﴿وَقَالُوا﴾ من الذين قالوا؟ ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ اليهود قالوا والنصارى قالوا ما هو الجواب؟ ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ هذا القُل هنا خطابٌ للنبي، ثم ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ ربما يقول المفسرون ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ الكلام هنا موجه للمسلمين لأتباع النبي في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿قُولُوا﴾ يا آل مُحَمَّد ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ ما أنزل إلى آل مُحَمَّد ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ الأسباط في روايات أهل البيت هم أولاد يعقوب وما كانوا من الأنبياء كانوا من الصالحين كانوا من الأولياء لأن الأسباط ما كانوا أنبياء ما كانوا معصومين هناك من المفسرين من فسر الأسباط المراد من الأسباط يعني قبائل اليهود الأسباط الاثنا عشر وما بعث الله من الأنبياء إليهم ولكن هذا المعنى فيه شيء من التكلف المراد من الأسباط هم أولاد يعقوب وما كانوا من الأنبياء ولذلك ما أنزل إليهم ما أنزل إلى الأسباط فهناك إنزالٌ حتى على غير الأنبياء وهذا يؤيد المعنى الموجود في أول الآية ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ ما أنزل إلى آل مُحَمَّد لأن الروايات تقول هذا الخطاب لآل مُحَمَّد فما أنزل لآل محمَّد ما أنزل إليهم بشكلٍ خاص ونفس الآية تقول أن هناك إنزال أنزل على الأسباط وهم أولاد يعقوب وما هم بأنبياء فهل أن الأسباط أفضل من آل مُحَمَّد؟! الأسباط ينزل عليهم وآل مُحَمَّد لا يُنزَل عليهم؟!

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ الروايات تقول هذا الخطاب بشكلٍ مباشر لآل مُحَمَّد ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ يا آل مُحَمَّد ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ ما أنزل إليهم بشكلٍ خاص ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ الذين هم وِلدُ يعقوب ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾ جاء الذكر هنا لموسى وعيسى باعتبار الكلام في جو الرد على اليهود والنصارى ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنهُم: من جهة نسبتهم إلى الله لا من جهة مراتبهم قطعاً الأنبياء والأولياء مراتبهم مختلفة علومهم مختلفة درجاتهم في العلم مختلفة درجاتهم في اليقين مختلفة في اليقين النبوي ليس هو كاليقين الذي قد يكون عندي وعند غيري من عامة الناس اليقين النبوي شيءٌ آخر العلم النبوي شيءٌ آخر البصيرة النبوية شيءٌ آخر وقد تقدم قبل قليل الكلام عن الإراءة الإحاطية أو الإحاطة الرؤيوية.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ من جهة استقامتهم ومن جهة انتسابهم إلى الله وإلا أما فيما بينهم هناك فوارق كبيرة ﴿قُولُوا﴾ يا آل مُحَمَّد ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ من جهة النسبة إلى الله وإلا هناك فوراق في المنازل وفي الدرجات ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ مسلمون لا بالمعنى الفقهي وإنما بالمعنى الذي تقدم من معنى الإسلام أن ذواتهم قد أسلمت لله رب العالمين ﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾ من الذين أمنوا؟ يعني عامة الناس عامة الخلق ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ بما فيهم اليهود والنصارى ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ﴾ وبأي شيءٍ آمنوا؟ بالملة الإبراهيمية وما جوهر الملة الإبراهيمية؟ ولاية عليٍ وآل علي وما جوهر ولاية علي؟ إنها ولاية محمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ في شقاق في ظلال في ابتعاد عن طريق الحق ﴿وَّإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ وفي بعض الروايات قال الشقاق هنا الكفر ﴿وَّإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ في كفر ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الله سبحانه وتعالى هو الكافي هو الذي سيخلصكم من هؤلاء فإن آمنوا بشكلٍ عامٍ الناس وبما فيهم اليهود والنصارى ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ما هو هذا الشيء الذي تتحدث عنه الآية هذه والتي قبلها ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ ما هو هذا الشيء؟ الآية التي بعد هذه الآية تبين لنا هذا المعنى ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ هؤلاء نفسهم الذين قالوا ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ هم الذين يشرحون لنا هذه العقيدة وهذا الدين ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ ما هو هذا الشيء الذي إذا آمنوا به فقد اهتدوا؟! ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ صبغة الله جاءت منصوبة هنا يعني صبغة الله يعني هذا الشيء الذي إذا آمنوا به اهتدوا يعني صبغة الله، صبغة الله هنا مفعول به صبغة الله لفعلٍ مقدر محذوف تقديره يعني، يعني صبغة الله ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ الروايات

تقول – **صبغة الله ولاية عليٍ صلوات الله وسلامه عليه** – هذا من العناوين هذا من الأوصاف لولاية عليٍ في الكتاب الكريم صبغة الله، صبغة الله يعني علياً يعني ولاية علي يعني ولاية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿صِبغَةَ اللّهِ وَمَن أَحسَنُ مِنَ اللّهِ صِبغَةً وَنَحنُ لَهُ عَابِدونَ﴾ هذه الصبغة هي المراد منها ولاية عليٍ وآل علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إذاً الشيء الذي يتحقق به الهدى وتتحقق به الهداية هو ﴿صِبغَةَ اللّهِ وَمَن أَحسَنُ مِنَ اللّهِ صِبغَةً﴾.

اللَّهُمَّ إنا نسألك بحقِّ عليٍّ وآل علي أن تجعلنا من أولئك الذين يؤمنون بهذه الصبغة، أن نموت على هذه الصبغة وأن نحشر مع هذه الصبغة أن نحشر مع عليٍ وآل عليٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولقاءنا يتجدد إن شاء الله تعالى في الحلقة القادمة من برنامج قرآننا على مودة عليٍّ وآل علي أسألكم الدعاء في أمان الله.

الحلقة الثامنة عشر

تفسير سورة البقرة من الآية ١٣٩ الى الآية ١٤٤

السلام عليكم جميعاً أحباب عليٍّ وآل علي ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أوقاتكم وبلغكم شهر الصيام في صحةٍ وعافية وسلامةٍ وسعادة.

هذه الحلقة الثامنة بعد العاشرة من برنامج قرآننا وهي آخر حلقةٍ قبل هلال شهر رمضان المبارك وكما وعدتكم فيما مرَّ من برامج أخرى من أن برنامج قرآننا سيكون في نفس الوقت في أيام شهر رمضان في نفس وقت البث المباشر يعني مثل هذا الوقت بين يومٍ ويوم نشرع ببرنامج قرآننا منذُ اليوم الأول من أيام الشهر الشريف وفي اليوم الثاني يكون برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة وهكذا بين يومٍ ويوم أتمنى أن أوفق لخدمتكم في أيام شهر رمضان وأحاول أن أتِمَ الكلام في تفسير سورة البقرة.

هناك مسألة أحببتُ الإشارة إليها إن من أراد الطيران ومن أراد الدخول إلى عالم القرآن يحتاج إلى جناحين: الجناح الأول سورة البقرة والجناح الثاني سورة آل عمران من استطاع أن يُلِمَّ بمعاني هاتين السورتين فإنهُ يستطيع أن يطير في أجواء القرآن الكريم، سورة البقرة وسورة آل عمران هما الجناحان اللذان يستطيع طالب العلم في القرآن طالب التفسير في القرآن أن يستعين بهما على فهم بقية القرآن ففي هاتين السورتين يمكن أن نجد القواعد العامة لفهم القرآن بالنحو المُجمل لذلك سأحاول إن شاء الله تعالى أن أتم الكلام في أيام شهر رمضان في تفسير سورة البقرة المباركة وبعد ذلك نشرع في سورة آل عمران بحول الله تعالى وقوته تواصلاً مع ما مرَّ من الحلقات الماضية فقد وصل بنا الكلام في آخر حلقةٍ من حلقات هذا البرنامج إلى الآية الثامنة والثلاثين بعد المئة من سورة البقرة ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ هذه الآية مرَّ الكلام فيها وقلنا بان الذي جاءنا عن المعصومين المراد من صبغة الله هي ولاية النبي وآل النبي والروايات صرحت بشكلٍ قاطع بأن صبغة الله هي ولاية عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه.

الآية التي بعدها، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ لا زلنا في أجواء الحديث عن اليهود والنصارى ولا زال الكلام يدور في هذه

الأجواء ومرَّ علينا في الحلقة الماضية في الآية الخامسة والثلاثين بعد المئة ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ والكلام يدور في هذه الأجواء ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ لأن اليهود في دينهم يعتقدون أن ربهم هو الله سبحانه وتعالى والنصارى كذلك الآية تخاطبهم تقول إنكم تحاجوننا وتدخلون في هذه المحاججات والمجادلات في الله وهو ربنا وربكم نحن نؤمن به وأنتم تؤمنون به إذاً ما هو وجه الحكمة من هذه المحاججة!! فنحن نؤمن بوجوده وأنتم تؤمنون بوجوده ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ المحاججة في أي جهة؟ إن كان في أصل العقيدة في التوحيد فأنتم تؤمنون بالله ونحن نؤمن بالله وإن كانت المحاججة في شيءٍ آخر تتعلق بنا بشكلٍ شخصي فنحن لنا أعمالنا وطقوسنا وعباداتنا وأنتم كذلك فمثل ما لكم أعمال لنا أعمال ما هو وجه محاججتكم ما هو الفارقُ بيننا وبينكم في هذه القضية حتى تعتقدون بانكم أنتم الأفضل منا الكلام هنا بنحوٍ عام في الخطوط العامة ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ ونحن قد أخلصنا له العقيدة والدين والعبادة إذا كنتم أنتم تدّعون بأنكم مخلصون في دينكم وعبادتكم فنحن كذلك مخلصون إذاً ما هو وجه المناقشة؟ ما هو وجه المحاججة الآية هنا تريد أن تنبه اليهود والنصارى إلى أنكم تدخلون في محاججاتٍ عقيمة المحاججات العقيمة محاججات لا توصل إلى أيَّةِ منفعة هذا أولاً، وثانياً تجعل الإنسان في دوامةٍ هذه الدوامة تبعدهُ عن الشيء الذي ينفعه.

والآن في أجواءنا في أجواء الفضائيات مثلاً وفي أجواء الانترنيت هناك الكثير من المحاججات التي تقع بين محبي أهل البيت وبين المخالفين وهذه المحاججات إن لم تكن كل هذه المحاججات لكن يقيناً الأعم الأغلب من هذه المحاججات محاججات عقيمة لا نفع فيها لا للذين يدخلون بشكل مباشر في هذه المحاججات ولا إلى الذين يتابعونها ويستمعون إليها مجرد كلام وأصوات وحديث من دون أي فائدة لا للأطراف المتجادلة والمتحاججة ولا للناس الذين يسمعون فليس هناك من منفعةٍ وفي نفس الوقت هي مشغلة تشغل الناس عن معرفة الله وعن معرفة رسوله وعن معرفة أهل البيت ويشتغل هؤلاء المحاججون للمخالفين وهم يتصورون أنهم على أفضل حال أو هم في حال أفضل عمل يشتغلون بأحاديث المخالفين وفي نفس القوت يعرضون بقصد ومن دون قصد بحسن نية ومن دون حسن نية بإهمالٍ أو من دون إهمال يُعرضون عن حديث أهل البيت ويُعرضون عن فهم القرآن وفق منظور أهل البيت ما نفع المحاججات مع المخالفين؟ وصرف الوقت الطويل في المحاججة معهم والنتيجة لا شيء النتيجة نقاشٌ عقيم حِجاجٌ عقيم

القرآن هنا يشير إلى أن هذه المحاججات العقيمة لا فائدة فيها على الإنسان أن يبحث عن الشيء الذي ينتفع منه.

الذي ينتفع منه محبوا أهل البيت هو حديث أهل البيت هو معرفة أهل البيت الإنسان يموت وهو لم يكن قد اطلع على معارف أهل البيت ماذا ينتفع من أحاديث البخاري أو غير البخاري التي يحفظها لأجل المناقشة والمحاججة هذه قضايا ثانوية المحاججات والمجادلات مسائل ثانوية جانبية ليست ذات أهمية خصوصاً ونحن نعلم علم اليقين أن الطرف الثاني لن يهتدي إلى الحق لأن المناقشات تقع أنا أدخل في المناقشة وأنا مطمئن أني على الحق وأن الذي أجادلهُ على الباطل ولا يوجد أدنى احتمال أنني سأبدل الذي أنا عليه والطرف المقابل أيضاً يعتقد هو على الحق وأنا على الباطل ولا يوجد أدنى احتمال أن يُبدِّل الحال الذي هو عليه ما نفعُ هذه النقاشات؟! وما نفع هذه المحاججات التي ينشغل بها الناس في القنوات الفضائية أو ينشغل بها الناس على المنابر في كثيرٍ من الأوقات أو الكثير من الناس يصرفون الكثير من الوقت على الشبكة العنكبوتية فقط لمجرد الدخول في مثل هذه النقاشات أو لمجرد الاستماع والإطلاع ويهدرون الوقت الكثير لو صرفوا هذا الوقت لمعرفة أهل البيت وللاطلاع على معارف أهل البيت وللتزود من عقيدة أهل البيت لكان هذا لهم فيه المنفعة في حياتهم الدنيوية وتكون لهم فيه المنفعة عند الموت وفي قبورهم وفي الآخرة، الإنسان ماذا يصنع بأحاديث المخالفين ماذا يصنع بها إذا ما مُدد باتجاه القبلة الذي يبقى يبقى هو الحق والحق أين؟

الحق يدورُ مع عليٍّ حيثما دار كيف ندور مع عليٍّ حيثما دار؟ ندور مع عليٍّ حيثما دار ندور مع حديث عليٍّ ندور مع حديث عليٍّ وآل علي، نبقى عند هذه النقطة عند هذا المركز ألم يقل عليٌّ أنا النقطة نبقى ندور حول هذه النقطة هذه النقطة وهي المركز ندور حولها نطوف حولها بالعقول وبالقلوب وبالوجدان وبالمشاعر وبالأحاسيس وبالعواطف وبالفطرة وبكل ما هو إنسانيٌ في الطبيعة الإنسانية ندور ونطوف حول هذه النقطة وذلك لا يتجلى لنا إلا بالبحث وبالتدبر وبالتفكر وبالدراسة وبالاستماع وبالإنصاتِ إلى حديث عليٍّ وآل علي، القرآن هنا يشير إلى هذا النوع من المحاججات العقيمة ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ ما هي ثمرة هذا النقاش؟ ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ نحن ندعي الإخلاص أنتم تدعون الإخلاص، نحن ندعي أن لنا أعمالنا أنتم تدعون بان لكم أعمالكم، نحن ندعي بأن الله ربنا وأنتم تدعون كذلك الكلام نفس الشيء بين المحبين والمخالفين بين أولياء عليٍّ وبين أعدائهِ أولئك يدعون بأنهم على الحق وهؤلاء أيضاً يدعون بأنهم على الحق في الجملة وفي التفاصيل وبالنتيجة لا يصل الكلام إلى زبدةٍ واضحة يبقى كل واحدٍ من الطرفين يدور في دائرتهِ ويدور دور رحاه فهذه

المحاججات محاججات عقيمة فليبحث الإنسان عن الشيء الذي ينتفع منه ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ هذه الأشياء أنتم تدعونها ونحن أيضاً ندعيها فلن نصل إلى نتيجةٍ إذاً في النقاش ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ﴾ الأسباط هم أولاد يعقوب وما توالد منهم ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ﴾ كل طرف يدعي ما يدعي ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ﴾ من هو الأعلم إذا كنتم تؤمنون بأن الله ربكم من هو الأعلم بحال إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ﴾ الله هو الأعلم وماذا كان في كتبكم هل كان في كتبكم يا معشر اليهود بأن إبراهيم كان يهودياً هل كان في كتبكم يا معشر النصارى بأن إبراهيم كان نصرانياً ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ﴾ هذه الشهادة أين موجودة؟

موجودة في كتبهم في كتب اليهود في كتب النصارى التي تشهد بأن إبراهيم كان قبل الديانة اليهودية بأن إبراهيم كان قبل الديانة النصرانية إبراهيم إسماعيل إسحاق يعقوب الأسباط هؤلاء كانوا كلهم قبل منشأ الديانة اليهودية قبل نزول الديانة اليهودية وقبل نزول الديانة النصرانية وهذا كله مُبينٌ في كتبهم لذلك الآيات في سورة آل عمران تبين هذا المعنى الآية الخامسة والستون وما بعدها ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ﴾ وهذا المعنى كما هو مُبينٌ في القرآن الكتاب المهيمن على الكتاب المهيمن على كل الكتب كذلك هذا المعنى مُبيَنٌ في التوراة والإنجيل ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ هذه طريقة كانوا يقضون فيها الوقت طريقة المحاججة وهذا من سوء توفيق الإنسان أن يقضي وقتهُ وأن يصرف وقتهُ في أشياء لا تعود عليه بالمنفعة، المحاججة في أشياء لا تعود على الإنسان بالمنفعة ويترك في نفس الوقت الأشياء التي تنفعهُ وفيها غاية المنفعة له هذا سوءٌ سوء طالع وسوء توفيق وسوء حظ.

﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ لنفترض أنكم حاججتم في أمرٍ لكم به علم ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ

فِيمَا لَيسَ لَكُم بِهِ عِلمٌ﴾ باعتبار أن إبراهيم عاش ومات قبلكم قبل منشأ الديانة اليهودية والنصرانية فإذا أردتم أن تعلموا بذلك عليكم أن تأخذوا علمكم من الله في هذه القضية ﴿هَا أَنتُم هَؤُلاء حَاجَجتُم فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيسَ لَكُم بِهِ عِلمٌ وَاللّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لاَ تَعلَمُونَ * مَا كَانَ إِبرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ المُشرِكِينَ * إِنَّ أَولَى النَّاسِ بِإِبرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ إشارة إلى النبي مُحَمَّد ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللّهُ وَلِيُّ المُؤمِنِينَ﴾ ولقد مرَّ علينا في سورة البقرة في الآيات السابقة ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ تلاحظون التعانق بين معاني آيات الكتاب الكريم ونفس الشيء لو أردنا أن نرجع إلى حديث النبي والأئمة لوجدنا هذا التعانق في المعاني واضحاً وجلياً وصريحاً ﴿أَم كُنتُم شُهَدَاء إِذ حَضَرَ يَعقُوبَ المَوتُ إِذ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعبُدُونَ مِن بَعدِي قَالُوا نَعبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ﴾ الآيات متعانقة ومستوسقة في دلالالتها من أول الكتاب إلى آخر الكتاب الكريم.

﴿أَم تَقُولُونَ إِنَّ إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَقَ وَيَعقُوبَ وَالأَسبَاطَ كَانُوا هُودًا أَو نَصَارَى قُل أَأَنتُم أَعلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَن أَظلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ﴾ هذه الشهادة من الله أين هي موجودة؟ كما قلت قبل قليل موجودةٌ في كتبهم وهم كتموها ﴿وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعمَلُونَ﴾ إن ما تعملونهُ فإنكم تعملونهُ والله رقيبٌ عليكم إذا كان هناك من الناس من يغفل عنكم فإن الله ليس بغافلٍ عما تعملون ثم يعود القرآن يخاطبهم ﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَد خَلَت﴾ أنتم تريدون البحث والنقاش في قضية ديانة إبراهيم ﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَد خَلَت لَهَا مَا كَسَبَت وَلَكُم مَّا كَسَبتُم وَلاَ تُسأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ أنتم الآن في مواجهة دينٍ جديد في مواجهة دين مُحَمَّد صلى الله عليه وآله لماذا تعودون إلى الوراء ﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَد خَلَت﴾ إبراهيم إسماعيل إسحاق يعقوب الأسباط ما كانوا لا يهوداً ولا نصارى وأنتم تعلمون ذلك وحتى لو تنزلنا وقلنا بأنهم كانوا يهوداً أو نصارى ﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَد خَلَت لَهَا مَا كَسَبَت وَلَكُم مَّا كَسَبتُم﴾ والقاعدة والقانون ﴿كُلُّ نَفسٍ بِمَا كَسَبَت رَهِينَةٌ﴾ أنتم رهائن لِما تكسبون ولستم رهائن لِما كسب الذين سبقوكم من أسلافكم أنتم الآن في مواجهة دينٍ جديد في مواجهة الدين

الخاتم في مواجهة النبي الخاتم فابحثوا عن الذي يرشدكم إلى الحق يوصلكم إلى الهدى، لماذا تعودون إلى الوراء فتبحثون في مسائل لا تَمُتُ بصلةٍ إلى مسألة أصل هدايتكم ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إنما تُسألون عمَّا أنتم عاملون ثم تنتقل السورة المباركة إلى جوٍ آخر وهو في نفس السياق في نفس المشكلة مع أهل الكتاب وبنحوٍ أخص مع اليهود ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ وقد أشرتُ مراراً في الحلقات الماضية بأن هذا الربط المتواصل في آيات الكتاب الكريم وهذا النقاش مع اليهود إنما هو لحكمةٍ بينتها أن اليهود الأُمَّة التي من دون الأُمَّم التي فُضِّلت على العالمين لأي شيءٍ؟ لأنها كُلِّفت بأعظم تكليف بنبوة محمَّدٍ وبولاية عليٍّ وآل علي ولكنهم كتموا الحقائق والآية هنا تشير إلى هذا الأمر ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ﴾ لأن قضية الإمامة مرتبطة بإبراهيم وإبراهيم والأنبياء الذين جاؤوا من بعدهِ حملوا هذه العقيدة إلى أن وصلت بشكلٍ جلي وواضح ومُفَصَّل على يد موسى عليه السلام فبينها لأُمَّته ولذلك الكلام في هذه الأجواء مرتبطٌ بهذه القضية وإن كانوا ربما الكثير من الناس يغفلون عن هذه الحقيقة لكن الروايات المنقولة عن المعصومين تؤكد هذه الحقيقة والتبصر بدقة في آيات الكتاب يوصلنا إلى هذه النتيجة الجلية الواضحة.

تستمر سورة البقرة ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ السفهاء مرت الإشارة إليهم في الآيات الأولى من سورة البقرة حين الكلام عن الأقوام الذين عاشوا مع رسول الله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء﴾ يسمون من آمن مع رسول الله بالسفهاء ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا﴾ هذا الكلام لمن يُوَجّه؟ لقريش لليهود للنصارى لكل الناس ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ﴾ السفهاء جمع سفيه والسفيه الذي لا عقل له أو قد يكون له عقل بحسب ما يراه الناس ولكنهُ لا يعود إلى حكمةٍ وإلى سلامةٍ في التفكير ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الآية هنا تتحدث عن موضوع

تغيير قبلة النبي والمسلمين بشكل مختصر النبي صلى الله عليه وآله حين كان في مكة كان يصلي باتجاه بيت المقدس لكنه أيضاً يجعل الكعبة في نفس الاتجاه إذا كان متمكناً من ذلك يعني كان التوجه إلى بيت المقدس وبيت المقدس في فلسطين وبيت المقدس هو قبلة اليهود فكان النبي صلى الله عليه وآله يتوجه إلى بيت المقدس ما دام هو في مكة وإذا كان متمكناً من أن يجعل الكعبة وبيت المقدس باتجاهٍ واحد فيتجه بهذا الاتجاه ولكن إذا لم يكن متمكناً من ذلك فإنه يتوجه إلى بيت المقدس هكذا حدثتنا روايات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وحين هاجر إلى المدينة بقي في توجهه إلى بيت المقدس إلى أن كانت واقعة بدرٍ الكبرى بعد واقعة بدر الكبرى صار هناك تغيير في القبلة فصار التغيير باتجاه الكعبة يعني حين هاجر إلى المدينة لم يكن باستطاعة النبي أن يتوجه إلى الكعبة وإلى بيت المقدس في نفس الوقت لعدم إمكانية حصول ذلك لاختلاف الجهات.

بعد واقعة بدر وفي شهر رجب كما تقول الروايات والأخبار تغيرت القبلة فصارت باتجاه الكعبة اليهود كانوا يفتخرون على المسلمين بأنكم تتجهون إلى قبلتنا فلمَّا تغيرت القبلة هم الذين قالوا ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ﴾ السفهاء هنا وصفٌ لليهود ولمن قال بقولتهم ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُم عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا﴾ ولذلك دخلوا في نقاشٍ مع رسول الله قالوا بأنك كنت تصلي إلى بيت المقدس ثم عدلت النبي صلى الله عليه وآله ثلاث عشر سنة في مكة يصلي باتجاه بيت المقدس وفي المدينة أيضاً ما يقرب من سنتين سبعة عشر شهر يعني حدود السنة والنصف هو أيضاً يمكن أن أقول ما يقرب من سنتين على نحو المسامحة سبعة عشر شهر كان النبي صلى الله عليه وآله يصلي إلى بيت المقدس مدة مديدة من الزمن فقالوا حينما كنت تصلي إلى بيت المقدس فعدلت عن ذلك أكنت على حق فإذا عدلت عن الحق فإنك لا تعدل إلا إلى الباطل أم كنت على باطل فمن يقول بأنك الآن أنت على حق فلربما تكون على باطل كما كنت على باطل في السابق.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُم عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا﴾ والنبي صلى الله عليه وآله ناقشهم هناك مناقشة جميلة جداً بين النبي وبين اليهود من جملة ما قاله صلى الله عليه وآله قال لهم أنتم حينما تتركون العمل في يوم السبت ثم تعودون في يوم الأحد وسائر الأيام الأخرى إلى العمل هل كان تركك للعمل في يوم السبت حقاً أم باطلاً؟ فإذا كان تركك للعمل في يوم السبت كان حقاً فإذاً أنتم عدلتم إلى الباطل طيلة أيام الأسبوع وإذا كان عملكم طيلة أيام الأسبوع حقاً فحين تركتم العمل في يوم السبت إذاً كان باطلاً فهل عدلتم من الباطل إلى الباطل أم من الحق إلى الباطل أم من الباطل إلى الحق ماذا صنعتم، قالوا لا إن ترك

العمل في يوم لسبت حق وبأن العمل في سائر أيام الأسبوع حق قال كذلك هو حين كنا نصلي إلى بيت المقدس هو حق وحين صلينا إلى الكعبة هو حق وجاء لهم بأمثلة أخرى من جملتها قال إن الله سبحانه وتعالى يأمركم في فصل الصيف أن تلبسوا الثياب التي تتناسب مع هذا الفصل وحين يأتي الشتاء يأمركم أن تلبسوا الثياب التي تتناسب مع هذا الفصل للحفاظ على صحتكم وعافيتكم فهل إن الذي كان في الصيف حقاً ثم صار باطلاً أو هل إن الذي كان في الشتاء حقاً ثم صار في الصيف باطلاً فماذا؟ كما أن الصيف وما يجري فيه هو ما يناسبه وكذلك في الشتاء وما يجري فيه هو ما يناسبه كذلك الأمر في قضية الصلاة باتجاه بيت المقدس وفي الصلاة باتجاه الكعبة وتفاصيل أخرى موجودة في الروايات أنا لا أريد أن أطيل الوقوف عند هذا المطلب.

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُم عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا ﴾ الآية تجيب ﴿ قُل لِّلّهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ ﴾ هل أن هناك جهة خاصةٌ بالله وهناك جهات غير خاصة بالله؟! فهل أن التوجه إلى بيت المقدس هو فقط هذا هو التوجه لله وهل أن التوجه للكعبة أو لغير الكعبة ليس توجهاً لله؟! كل جهةٍ إنما هي لله.

﴿ قُل لِّلّهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ ﴾ وجيئ هنا بالمشرق والمغرب باعتبار أن المشرق والمغرب على أساسهما يتم تعيين الجهات ومن جملة الجهات القبلة لأن المشرق والمغرب توجد عليه دلالة وعلامة واضحة وهي الشمس من طلوعها يكون المشرق وعند غروبها يمكن أن يتشخص المغرب المشرق والمغرب هما الجهتان اللتان على أساسهما يمكن أن نحسب الزمان وأن نشخص المكان أيضاً على أساس ضوء الشمس يمكن أن نعرف الليل من النهار وعلى أساس حركة الشمس يمكن أن نعرف ساعات النهار وكذلك ساعات الليل وعلى أساس ذلك يمكن أن نقسم الوقت إلى أيام وبعد ذلك إلى أشهر وتقسم الأشهر أيضاً إلى فصول تقسم السنة إلى فصول وهذه الفصول أيضاً متأتية من حركة الشمس ومن حركة الأرض حول الشمس، المشرق والمغرب هما أساس لمعرفة الزمان ولمعرفة المكان ولتشخيص القبلة ولتشخيص أوقات العبادة لذلك دائماً يَرِد ذكر المشرق والمغرب وحين يُقال المشرق والمغرب فإنما يُراد بذلك أيضاً الشمال والجنوب ونحن على أساس تحديد المشرق والمغرب يمكن أن نُشخِّص الشمال والجنوب فكل ما كان هناك مشرقٌ ومغرب كان هناك شمال وجنوب ﴿ قُل لِّلّهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ يَهدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ ﴾ .

قد يقول قائل بأن هناك نقاطٌ في الأرض ليس فيها مشرق ومغرب طبعاً هذه نقاط وهمية هناك نقاط وهي نقاط وهمية مثل ما عندنا خط الاستواء هل يوجد على الأرض شيء اسمه خط الاستواء هو خطٌ وهمي مثل ما عندنا خطوط الطول والعرض هذه وسائل والآت وأسباب من خلالها الجغرافيون الفلكيون يستطيعون

تشخيص الأوقات تشخيص المواقع وهكذا فكما أن خط الاستواء هو حقيقة وهمية وهم كذلك خط الصفر خط جرينتش هو خطٌ وهمي لا وجود له في عالم الواقع كما أن خطوط الطول خطوط العرض أيضاَ كل هذا إنما هو شيءٌ وهمي هناك نقطةٌ وهي نقطةٌ وهمية يُقال لها نقطة الشمال ونقطةٌ أيضاً يُقال لها نقطة الجنوب ما يقال له قمة الشمال الجغرافي وهي نقطة موجودة في قمة الأرض يقال بأن هذه النقطة هكذا في عالم الاعتبار التصوري بأنهُ في هذه النقطة لا يوجد شرق ولا غرب في نقطة الشمال الجغرافي وفي نقطة الجنوب الجغرافي وهذه تقع في قمة القطب الشمالي للكرة الأرضية وكذلك تقع في نهاية القطب الجنوبي للعلم هناك فارقٌ بين القطب الشمالي الجغرافي والقطب الشمالي المغناطيسي وكذلك هناك فارق بين القطب الجنوبي الجغرافي والقطب الجنوبي المغناطيسي هناك تقسيم وهذه كلها التقسيمات تقسيمات اعتبارية فالقطب الشمالي الجغرافي الذي في أعلاه تكون النقطة نقطة الشمال أقصى الشمال والتي لا يكون فيها شرق ولا غرب والنقطة التي تكون في أقصى الجنوب لو أردنا أن نرسمها على الخارطة رسمنا الكرة الأرضية فهناك خطٌ مستقيم يتواصل بين نقطة أقصى الشمال وبين نقطة أقصى الجنوب وهذا الخط المستقيم هو الخط الواصل بين الشمال الجغرافي القطب الشمالي الجغرافي وبين القطب الجنوبي الجغرافي أما القطب المغناطيسي القطب المغناطيسي لو أردنا أن نرسمهُ فإنه يكون مائلاً ومنحرفاً والأقطاب أقطاب الأرض سواء القطب الشمالي أو القطب الجنوبي هذه الأقطاب متحركة غير ثابتة وكما يحدد العلماء بأن المسافة بين القطب الشمالي الجغرافي وهو قطبٌ وهمي وبين القطب المغناطيسي تُحدَّد بألف ميل أو أكثر من ذلك ونفس الشيء الأمر موجود مع القطب الجنوبي لذلك قلت سيكون بشكلٍ منحرف على أساس هذه القواعد اخترعت البوصلة التي تحدَّد بها القبلة وقد مرت البوصلة بمراحل كثيرة حتى وصلت إلى الحال الذي هو الآن عليه وأساس التحديد يبدأ من المشرق والمغرب كما هو في هذه الآية هذا المطلب وإن كان فيه تفصيل قد يخرجنا عن الآية لكنني أشرت إليه بشكلٍ مجمل يعني حتى في هذه الأجهزة الآن الموجودة يتم التشخيص على أساس المشرق والمغرب وعلى أساس الشمال والجنوب بعد تشخيص المشرق والمغرب في ضمن حسابات يعرفها المختصون.

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُم عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا قُل لِّلّهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ ﴾ أين المشكلة الله أراد في بداية الأمر أن تكون القبلة بهذا الاتجاه ثم أراد أن تكون القبلة باتجاهٍ آخر ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُم عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا قُل لِّلّهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ يَهدِي مَن يَشَاء ﴾ إلى أي جهةٍ يهدي؟ ﴿ يَهدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ ﴾ القبلة الحقيقية أين ﴿ يَهدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ ﴾ الذين لهم الخبرة في

روايات أهل البيت الواردة في تفسير القرآن حيثما جاء هذا العنوان صراطٌ مستقيم فهناك عطرٌ يهبُ من عليٍّ صلوات الله علية حيثما جاء ذكر الصراط المستقيم فهناك عليٌّ يُشرق بوجههِ من الآية من له خبرة بأحاديث أهل البيت الواردة في تفسير القرآن فإنه سيجد حيثما جاء ذكر الصراط المستقيم جاء ذكر عليٍّ ويمكن أن أقول بأن هذه قاعدة من قواعد تفسير القرآن وفقاً لمنهج أهل البيت، وفقاً لمنهج أهل البيت حيثما جاء ذكر الصراط المستقيم فهناك عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه فهنا يهب، يهب علينا عطرٌ من علي والحديثُ عن القبلة والحديثُ عن الكعبة، ومن كان مركزاً للكعبة من ولد فيها ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُم عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا قُل لِّلّهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ يَهدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾ إذاً الجوهر هو الهداية إلى الصراط المستقيم سواء كان الاتجاه إلى الشرق إلى الغرب فكلهُ لله لكن الجوهر هذه طقوس هذه مناسك ظاهرية في التوجه إلى بيت المقدس أو إلى الكعبة في وقتٍ من الأوقات كان التوجه إلى بيت المقدس في وقتٍ آخر صار التوجه إلى الكعبة هذه مجرد طقوس مجرد شعارات مجرد مظاهر الجوهر ما هو؟ الجوهر هو الصراط المستقيم.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُم عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا قُل لِّلّهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ يَهدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾ وتستمر الآيات ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُم أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيدًا وَمَا جَعَلنَا القِبلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيهَا إِلاَّ لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيهِ وَإِن كَانَت لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُم إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية تشتمل على مطالب عديدة ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُم أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾ مرَّ الحديث عن معنى الأُمَّة مرَّ الحديث عن خير أُمَّةٍ أخرجت للناس ومرَّ الحديث أيضاً عن الأُمَّة التي جاءت مذكورة في دعاء إبراهيم عليه السلام ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً﴾ مرَّ الكلام في هذا الموضوع لذا لا أعيده الأُمَّة هنا فقط ممكن أن أشير إلى رواية هذه الرواية جاءت عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه ذكرها السيد هاشم البحراني في تفسير البرهان، **إمامنا الصادق يقول قال الله تعالى** ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُم أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيدًا﴾ **فإن ظننت** – هذا كلام الإمام الصادق – **فإن ظننت إن الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدين أفترى أن من لا تجوز شهادتهُ في الدنيا على**

صاعٍ من تمر يطلب الله شهادتهُ يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟! – يعني هذه الآية ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ الإمام يقول هل المقصود جميع الأُمَّة، جميع من قال أشهد ان لا آله إلا الله وأن مُحَمَّداً رسول الله، إذا كان الكلام هكذا فإن في هذه الأُمَّة من لا تُقبل شهادتهُ في الدنيا على صاعٍ من تمر فكيف تُقبل شهادتهُ في يوم القيامة على الأمم الأخرى؟!

القضية واضحة لابد أن يكون هؤلاء الشهداء لهم خصوصية، صاع من تمر الصاع هو وزن مكيال الصاع بالدقة أحددهُ الصاع هو أربعة أمداد الصاع هو وزن، الصاع أربعة أمداد المُد بالتحديد إذا أردت أن أحددهُ بشكل قريب من الدقة طبعاً لا يوجد هناك تحديد دقيق لأن هذه أوزان قديمة والأوزان القديمة ليست بالغة في الدقة إلى ذلك الحد البعيد في الدقة المتناهية لكن أقول في زماننا يمكن أن أقول بأن المد يساوي 725 غرام، 725 غرام هو هذا المُد يعني ما يقرب من ثلاثة أرباع الكيلو، الكيلو ألف غرام وثلاثة أرباع الكيلو هو 750 غرام المُد تقريباً 725 غرام الصاع هو أربعة أمداد يعني يكون قريب من ثلاث كيلوات ما يقرب من ثلاث كيلوات قريب من ثلاثة كيلو هو هذا الصاع، الإمام يقول إن في هذه الأُمَّة من لا تُقبل شهادته على الصاع، السفهاء الفَسَقة الكاذبون في هذه الأُمَّة من لا تُقبل شهادتهم فهؤلاء تكون لهم شهادة على الأمم وفي يوم القيامة في هذه الدنيا التي لا قيمة لها التي لا تعدل جناح بعوضة عند الله لا تُقبل شهادهم على صاعٍ من تمر، رواية جميلة عن الإمام الباقر عليه السلام ينقلها ابن شهرآشوب في مناقبه – **الإمام الباقر يقول: إن هذه الأُمَّة لا تجوز شهادتها في يوم القيامة** – لماذا؟ – **يقول: إن في هذه الأُمَّة من لا تُقبل شهادتهُ على حُزمة بقل** – يعني باقة فجل – **لا تقبل شهادتهُ على حزمة بقل** – يعني باقة فجل كراث لا تُقبل شهادتهم عليها فكيف يكونون شهداء على الخلق؟!

الآية واضحة ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أما هؤلاء المخالفون الذين يريدون أن يحرِّفوا كتاب الله وحرَّفوا كتاب الله هذا هو التحريف، التحريف هو هذا تحريف الحقائق وإلا هذا منطق الوجدان واضح كما يقول إمامنا الباقر إن الذي لا تجوز شهادته على حزمة بقل يعني باقة فجل أو باقة كراث لا تجوز شهادتهُ عليها كيف يكون شهيد على الأمم ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ أفترى كما يقول إمامنا الصادق – **أفترى أن من لا تجوز شهادتهُ في الدنيا على صاعٍ من تمر يطلب الله شهادتهُ يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟! كلا لم يعني الله مثل هذا من خلقه يعني الأُمَّة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ وهم**

الأُمَّة الوسطى وخير أُمَّةٍ أُخرِجت للناس – وهم عليٌّ وآل عليٍّ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم الأُمَّة الوسطى وهم الشهداء على الناس وكيف يكونون شهداء على الناس بهذا العلم المحدود إنما يكونوا شهداء على الناس بذلك العلم الإحاطي وإلا كيف يشهدون على الأمم الماضية الحديث هنا عن الأمم الماضية إذا كان بهذا العلم العادي وبهذه الحواس العادية التي أملكها أنا وتملكها أنت نحن لا نستطيع أن نشهد حتى ما يجري في بيوتنا الآن إذا أنا كنتُ خارج بيتي لا أدري ماذا يجري في بيتي إذا أنا كنت خارج هذه الغرفة القريبة مني لا أدري ماذا يجري في هذه الغرفة فكيف أشهد على الأمم الماضية وفي الأمم الماضية الأنبياء والآية صريحة الآية صريحة تشمل الأنبياء والأوصياء فإذاً هذه الشهادة ليست بعلمٍ عادي لابد أن تكون بعلم الإحاطة ليس بالعلم المحسوب بالحساب الدنيوي هذا بالعلم الذي تحدثت عنه في شرح الزيارة الجامعة في قول الإمام عليه السلام: وخُزَّانَ العلم، بالعلم المحيط بالعلم الحضوري الذي تحضر فيه المعلومات لا صور المعلومات وذلك علمٌ لا نستطيع أن نتصورهُ.

هذه هي الشهادة التي جاءت الإشارة إليها في آخر آيةٍ من سورة الرعد ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ هناك شهادة شهادة مطلقة مفتوحة هذه الشهادة المطلقة والمفتوحة هذا العلم المحيط بما كان وما يكون وما هو كائن والإمام قال وأكثر من ذلك ومرت علينا الروايات في برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة في هذا المطلب في آخر حلقة كنت تحدثت فيها عن معنى وخُزَّانَ العلم هذه الشهادة هذه الشهادة الإحاطية مثل الرؤية الإحاطية ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ هذه رؤية إحاطية شهادة إحاطية ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أُمَّةً وسطا أي أنتم المركز، الأُمَّة المركز، الأُمَّة التي تقع في الوسط وهم النقطة ألم يقل عليٌّ بأنهُ هو النقطة، النقطة هي المركز والنقطة هي المدار والنقطة منها نشأت الكلمات التامة والكلمات الأتم من تلكم النقطة السيالة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ لتكونوا أنتم يا آل مُحَمَّد والرسول له مقام الإحاطة فأنتم من نورهِ الإحاطة التامة هي للحقيقة المُحَمَّدية وسائر الحقائق الأخرى إنما هي داخلةٌ فيها كيف أُقَرِّبُ المعنى أين موقع الحقيقة العلوية من الحقيقة المُحَمَّدية هناك مَثَلٌ ذكرهُ إمامنا الباقر لمن سأله عن وجه الله فأخذهُ إلى نار قال أنظر إلى هذه النار أين وجه النار لا يوجد لها وجه النار كلها وجه، وجه النار من جميع جهاتها لا يوجد للنار وجه من أي جهةٍ تنظر؟ فإنك ترى وجه النار فالنار بكلها وجهٌ لنفسها كما جاء في بعض الكلمات المنقولة عنهم صلوات الله عليهم – **إن لنا مع الله حالات نكون فيها نحن هوَ وهوَ نحن**

إلا أننا نَحنُ نَحنُ وهوَ هوَ – وهو نفس المضمون – **لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك** – في دعاء شهر رجب الحقيقة المُحَمَّدية والحقيقة العلوية تكون هيَ هيَ وتكون ليست هيَ هيَ – **أنا مُحَمَّدٌ ومُحَمَّدٌ أنا** – كما قال سيد الأوصياء وقال سيد الأنبياء والمرسلين – **أنا عليٌّ وعليٌّ أنا** – فَمُحَمَّدٌ هو عليٌّ وعليٌّ هو مُحَمَّد إلا أن محمَّداً هو مُحَمَّد وأن علياً هو علي والمعاني عميقة هذه وأنا لا أريد الخوض في هذه القضية أكثر من ذلك لكن الحديث عن القبلة وعن الجهة التي نتجه إليها حقيقة القبلة هي هذه حقيقة القبلة الاتجاه إلى محمَّدٍ وعلي ومُحَمَّدٌ هو عليٌّ وعليٌّ هو مُحَمَّد إلا أن مُحَمَّداً هو مُحَمَّد وأن علياً هو علي، ولذلك الآية السابقة قالت ﴿يَهدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾ وهل الصراط المستقيم غير مُحَمَّدٍ وعلي.

عباراتنا شتى وحُسنُكَ واحدٌ وكلٌّ إلى ذاك الجمال يُشيرُ

عباراتنا شتى يا خاتم الأنبياء ... وحُسنك واحدٌ يا سيد الأوصياء ... وكلٌّ إليكما، إلى مُحَمَّدٍ وعلي

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُم أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيدًا ﴾ هذه الإحاطة هذه من حيث مُحَمَّدٌ هو محمَّد تكونوا شهداء على الناس حين تكونون أنتم مُحَمَّد ومُحَمَّد أنتم لأن مقام الشهادة الأعظم لِمُحَمَّدٍ فقط وما أنتم ألا تجلٍّ من محمَّد ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾ حين تكونون أنتم مُحَمَّد ومُحَمَّد أنتم ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيدًا ﴾ حين يكون مُحَمَّدٌ هو مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُم أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيدًا وَمَا جَعَلنَا القِبلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيهَا إِلاَّ لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ ﴾ هذه الكعبة وهذه القبلة هذه إنما هي رمزٌ دنيوي حجريٌ معنويٌ الكعبة بما هي كعبة رمزٌ حجري والقبلة بما هي قبلة حين نتوجه إلى جهتها فهي رمزٌ معنوي ودلالاتها أعمق دلالاتها أعمق سأورد بعضاً من الكلمات المعصومية الشريفة التي تكشف عن هذه الدلالة ونحن في أجواء الحديث عن القبلةِ وتغيير القبلة أشير إلى بعضٍ من الأحاديث التي رواها شيخنا الحر العاملي رضوان الله تعالى عليه في كتابهِ الوسائل الرواية ينقلها عن شيخنا الطوسي – **عن معاوية بن عمار عن ابي عبد الله عليه السلام قال قلت له متى صُرِف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الكعبة أو متى صَرَفَ** – يعني متى صَرَفَ الناس إلى الكعبة متى صُرِف يعني متى صرفهُ الله، صَرَفَهُ أي وجهَهُ – **متى صَرَفَ رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الكعبة** – أي متى صرف المسلمين ووجههم إلى الكعبة – **قال: بعد رجوعه من بدر** – لأن بدر كانت خطاً فاصلاً بين الحق والباطل ولذلك سميت بيوم الفرقان، بدر هي التي سميت بيوم الفرقان اليوم

الذي فُرِق فيه بين الحق والباطل اليوم الذي تشخَّصَ فيه الإسلام بشعاراته وبقوانينه وبرموزِهِ وبأسمائه ومسمياتهِ وبكل اصطلاحاتهِ الجديدة بعباداتهِ بمعاملاتهِ بأخلاقه بروحانيتهِ شخصت هذه الأمور وحُدِّدت في يوم بدر يوم بدر سُمي بيوم الفرقان اليوم الذي فُرِّق فيه بين الحق والباطل لذلك بعد الرجوع من بدر بفترةٍ زمنية النبي صلى الله عليه وآله وسلم صرف الناس إلى الكعبة تغيرت القبلة وهذا لتأكيد وتشخيص المعنى أي معنى؟ تشخيص مصطلحات قواعد أصول هذا الدين الذي جاء به مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وإلا فنبينا يعلم صلى الله عليه وآله بأن القبلة الحقيقية منذ زمان آدم هي الكعبة.

عندنا رواية مروية عن عبد الرحمن بن كثير عن إمامنا الصادق عليه السلام هذه الرواية يرويها الشيخ الكليني في الكافي – **إن الله بعث جبرئيل إلى آدم فنزل غمامٌ من السماء** – غمام يعني مثل الغيم أو هو الغيم في بعض الأحيان – **إن الله بعث جبرئيل إلى آدم فنزل غمامٌ من السماء فأظَلَّ مكان البيت** – قد يكون غيماً وقد يكون شيئاً يشبه الغيم قد يكون شيئاً نورياً أظهرهُ الله لآدم لغايةٍ ستتبين تبينها الرواية – **إن الله بعث جبرئيل إلى آدم فنزل غمامٌ من السماء فأظَلَّ مكان البيت** – مكان البيت العتيق يعني الكعبة – **فقال جبرئيل يا آدم خُطَّ برجلك** – ضع مخطط – **خُطَّ برجلك حيثُ أظَلَّ الغمام** – هذا الغمام جاء يرسم خريطة باعتبار الغمام لو أقترب من الأرض سيترك ظِلالاً على الأرض فجبرئيل يطلب من أبينا آدم أن يخطط موضع ظِلال هذا الغمام – **فقال جبرئيل يا آدم خُطَّ برجلك حيثُ أظَلَّ الغمام** – لماذا؟ – **فإنهُ قبلةٌ لك ولآخر عَقِبك من ولدك** – لآخر عَقِبك من وُلدك يعني أن البشرية في آخر أيامها ستكون قبلته الكعبة وهي كعبة محمَّد وهي كعبة صاحب الأمر صلوات الله وسلامه عليه، رواية عن إمامنا الصادق، معاوية بن عمار يسأله – **متى صرف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الكعبة؟** – صرف الناس – **قال: بعد رجوعه من بدر وكان يصلي في المدينة إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً ثم أُعيد إلى الكعبة** – نفس هذه الرواية أُعيدَ إلى الكعبة يعني أن النبي صلى الله عليه وآله كان عالِماً وقطعاً هو عالِم لا يحتاج هذا الكلام إلى تبيين أو تأكيد – **ثم أُعيد إلى الكعبة** – لأن الكعبة هي القبلة الأصلية.

الرواية، **عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألتهُ: هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي إلى بيت المقدس؟ قال: نعم، فقلت: أكان يجعل الكعبة خلف ظهره؟ فقال: أما إذا كان بمكة فلا** – لماذا؟ لأنه يتمكن أن يضع الكعبة وبيت المقدس باتجاه واحد – **وأما إذا هاجر إلى المدينة فنعم حتى حَوَّلَ إلى الكعبة** – في المدينة كان يمكن أن تكون الكعبة خلف ظهره باعتبار أنهُ الاتجاهات مختلفة – **وأما إذا هاجر إلى المدينة فنعم حتى حَوَّلَ إلى الكعبة.**

رواية جميلة عن رسول الله صلى الله عليه وآله الرواية مروية عن إمامنا الكاظم صلوات الله وسلامه عليه –

عن ابي الحسن موسى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليٍّ عليه السلام: إنما مَثَلُك في الأُمَّة مَثَلُ الكعبة – إنما مَثَلُك في الأُمَّة مَثَلُ الكعبة كما أن الكعبة يتوجه إليها وهي رمز كما قلت قبل قليل رمزٌ حجري هناك الرمز الحقيقي – **إنما مَثَلُك في الأُمَّة مَثَلُ الكعبة التي نصبها الله عَلَماً وإنما يا علي تؤتى من كل فجٍ عميق ونأيٍ سحيق ولا تأتي** – الكعبة تؤتى من كل فجٍ عميق ونأيٍ سحيق من كل جهةٍ بعيدة ولا تأتي الكعبة لا تأتي إنما الكعبة تُزار ولا تزور فأنت يا علي كذلك – **إنما مَثَلُك في الأُمَّة مَثَلُ الكعبة التي نصبها الله عَلَماً وإنما يا علي تؤتى من كل فجٍ عميق ونأيٍ سحيق ولا تأتي.**

هناك رواية أو خبر نقلها الشيخ المفيد في كتابه مسارُّ الشيعة قال – **في النصف من شهر رجب سنة اثنتين من الهجرة حُوِّلت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة وكان الناس في صلاة العصر فتحولوا فيها إلى البيت الحرام** – هذه باقة من الأحاديث والروايات التي نقلها شيخنا الحر العاملي في كتابهِ وسائل الشيعة وهذا هو الجزء الثالث من وسائل الشيعة.

فعليٌّ في هذه الأُمَّة كالكعبة في هذه الأُمَّة وعليٌّ هو القبلة الحقيقية ولا عجب في ذلك نحن نقرأ في قرآننا الكريم في سورة يونس في الآية السابعة والثمانين ماذا نقرأ؟ ﴿وَأَوحَينَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَومِكُمَا بِمِصرَ بُيُوتًا وَاجعَلُوا بُيُوتَكُم قِبلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ المُؤمِنِينَ﴾ هناك في التفاسير اجعلوا بيوتكم قبلة أي اجعلوا بيوتكم باتجاه القبلة ولكن لو نظرنا إلى الآية بشكلٍ صريح وبشكلٍ واضح ﴿وَاجعَلُوا بُيُوتَكُم قِبلَةً﴾ أي بيوت؟ إنها بيوت موسى وهارون ﴿وَأَوحَينَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَومِكُمَا بِمِصرَ بُيُوتًا وَاجعَلُوا بُيُوتَكُم﴾ يعني يا موسى ويا هارون ﴿وَاجعَلُوا بُيُوتَكُم قِبلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ المُؤمِنِينَ﴾ إنما كانت بيوتهم قبلة لأي شيءٍ؟ للحجر الذي هو فيها؟ قطعاً ليس للحجر أيُّ عاقلٍ إذا تبصَّر في هذا المعنى فإنما جُعلت هذه البيوت قبلة لأي شيءٍ؟ للذين هم فيها

وما حُبُّ الديار شغفن قلبي ولكن حبُّ من سكن الديار

﴿وَأَوحَينَا إِلَى مُوسَى﴾ الآية السابعة والثمانون من سورة يونس ﴿وَأَوحَينَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَومِكُمَا بِمِصرَ بُيُوتًا وَاجعَلُوا بُيُوتَكُم قِبلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ المُؤمِنِينَ﴾ إنما كانت بيوتهم قبلة للذين كانوا فيها قبل قليل أنا أشرت إلى هذه القضية إن القبلة في معناها الحقيقي قبلة الوجود وليس القبلة لهذه الصلوات المحدودة التي نتوجه فيها من دون التوجه إلى الله في غفلةٍ وفي سهوٍ وفي نقصٍ كثير، القبلة الحقيقية قبلة

الوجود القبلة الحقيقية هي الحقيقية المحمَّدية العلوية ألم تكن الكعبة في الدنيا إنما هي صورةٌ للبيت المعمور والبيت المعمور إنما هو صورةٌ لأي شيءٍ؟ للعرش وما العرش إلا صورة لقلب محَمَّد، العرش صورةٌ لقلب مُحَمَّد العرش صورةٌ للحقيقة المُحَمَّدية كما أننا في الدنيا نتجه إلى الكعبة الملائكة تتجه إلى البيت المعمور ومن هم أشرف من ملائكة السماوات الأولى والثانية والثالثة والرابعة الملائكة العِظام إلى أين يتجهون؟ يتجهون إلى العرش، العرش تدور حولهُ كل السماوات والكرسي وهناك ما هو أعلى من العرش الحقيقة المُحَمَّدية ما العرش إلا صورة إلا تجلٍ لقلب مُحَمَّد وما البيت المعمور إلا تجلٍّ وصورة من العرش وما الكعبة في الأرض إلا صورة وتجلٍّ من البيت المعمور ﴿وَأَوحَينَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَومِكُمَا بِمِصرَ بُيُوتًا وَاجعَلُوا بُيُوتَكُم قِبلَةً﴾ .

هناك رواية جميلة عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه ذكرها الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا في جملة مجالس الإمام الرضا عند المأمون والمجالس طويلة ومفصلة في أحد المجالس – **فقال المأمون: هل فَضَّل الله العترة على سائر الناس؟** – بعد حديث فيه تفصيل أنا أخذ موطن الحاجة – **فقال المأمون: هل فَضَّل الله العترة على سائر الناس؟ فقال أبو الحسن عليه السلام:** – يعني إمامنا الرضا – **إن الله عزَّ وجلَّ أبان فضل العترة على سائر الناس في مُحكم كتابه، فقال له المأمون: أين ذلك من كتاب الله؟** – بدأ الإمام يتحدث إلى أن وصل – **قال: وأما الرابعة** – يعني النقطة الرابعة التي يبين فيها إمامنا الرضا فضل العترة على سائر الناس – **وأما الرابعة فإخراجهُ صلى الله عليه وآله الناس من مسجده ما خلا العترة** – يعني حين سدَّ الأبواب إلا باب علي والقضية معروفة – **وأما الرابعة فإخراجهُ صلى الله عليه وآله الناس من مسجده ما خلا العترة حتى تكلم الناس في ذلك وتكلم العباس فقال: يا رسول الله تركت علياً وأخرجتنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنا تركتهُ وأخرجتكم ولكن الله عزَّ وجلَّ تركهُ وأخرجكم وفي هذا تبيان قولهِ لعليٍّ عليه السلام** – أنت مني بمنزلة هارون من موسى– **قالت العلماء** – الذين كانوا جُلاساً عند المأمون في مجلس المأمون – **وأين هذا من القرآن؟** – إذا كنت، كنت تقول يا أبا الحسن بأنك ستبين فضل العترة من القرآن هذه القضية أين هي من القرآن – **قال أبو الحسن عليه السلام: أوجِدكم في ذلك قرآناً أقرأهُ عليكم، قالوا: هات، قال: قول الله عزَّ وجلَّ** ﴿وَأَوحَينَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَومِكُمَا بِمِصرَ بُيُوتًا وَاجعَلُوا بُيُوتَكُم قِبلَةً﴾ **ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى** – لماذا؟ لأن موسى أُمِر بأن يجعل بيتهُ وبيت هارون قبلة على حدٍ سواء – **ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى** – الإمام يقول – **وفيها أيضاً منزلة عليٍّ عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله** –

لأنهُ ماذا قال؟ إنه بمنزلة هارون من موسى المنزلة بكاملها ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ وإنما جيء بموسى وبهارون أمثلة تقرب المعنى وإلا فضيلة عليٍّ وفضيلة مُحَمَّدٍ صلى الله عليهما وآلهما لا تُقاس بهما فضيلة ولا تقاس بهما منازل الأنبياء – **إن أمرنا صَعِبٌ مستصعب لا يحتمله لا نبيٌّ مُرسل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب** – وموسى وهارون غاية ما بلغا إليه أن كانوا من الأنبياء المرسلين وما الأنبياء المرسلون إلا شيعةٌ لِمُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وما خُلِقوا في الروايات، إن عقول الأنبياء خُلِقت من فاضل طينة أجساد مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد الروايات هكذا حدثتنا والروايات هنا تريد أن تشير إلى الفارق وهذا الحديث عن المنازل في العالم الطبيعي أما الحديث عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد في العوالم القادسة الأولى فذلك حديثٌ آخر، هذه نفحاتٌ من معنى القبلة هناك كلامٌ عن القبلةِ في بُعدها المادي وفي الحدث التأريخي الذي حدث ولكن حقيقة القبلة أبعد من هذه المعاني.

هناك كلمةٌ لسيد الأوصياء في جملةٍ من خُطبه الافتخارية والتي نقلها الحافظ البرسي رضوان الله تعالى عليه في كتابهِ المشارق ماذا يقول سيد الأوصياء؟ يقول: **أنا الطور أنا الكتاب المسطور أنا البحر المسجور أنا البيت المعمور** – الكلمة واضحة صريحة وجلية هذا كلام علي – **أنا الطور أنا الكتاب المسطور أنا البحر المسجور أنا البيت المعمور** – كلمة ثانية أيضاً يقول فيها الإمام – **أنا إمام الأبرار أنا البيت المعمور أنا السقف المرفوع أنا البحر المسجور أنا باطن الحرم** – وباطن الحرم يعني حقيقة الحرم يعني حقيقة الكعبة – **أنا باطن الحرم أنا عِمادُ الأمم أنا صاحب الأمر الأعظم** – هو باطن الأمر وهو باطن الحرم وهو باطن الحقيقة لا عجب في ذلك أن نقرأ في تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي وهو من علماء المخالفين في تذكرة الخواص صفحة: 129 ينقل كلاماً عن سيد الأوصياء – **فلمَّا خلق آدم أبان للملائكة فضله وآراهم ما خَصَّهُ به من سابق العلم فجعله محراباً وقبلة لهم فسجدوا له وعرفوا حقه** – فآدم كان قبلة وبيت موسى وهارون كان قبلة فلِما لا يكون عليٌّ قبلة؟! والقبلة الحقيقية عليٌّ صلوات الله عليه – **فلمَّا خلق آدم أبان للملائكة فضله وآراهم ما خَصَّهُ به من سابق العلم فجعله محراباً وقبلة لهم فسجدوا له وعرفوا حقه** – إلى أن يقول – **ثم بَيَّن لآدم حقيقة ذلك النور ومكنون ذلك السر** – موطن الشاهد أن الله جعل آدم قبلةً للملائكة فسجدوا له، كما صَرَّحت الآية بأن بيوت موسى وهارون قبلة وهذا هو المعنى العميق لمعنى القبلة ولمعنى الكعبة.

هناك رواية ينقلها شيخنا ابن البطريق في كتابهِ العمدة الرواية منقولة عن أبي ذر نقلها في صفحة: 297، 298، الحديث رقم 496 كتاب عمدة صحاح عيون الأخبار لشيخنا المحدث الجليل ابن البطريق رحمة الله عليه الحديث عن أبي ذر قال – **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَثَلُ عليٍّ فيكم كَمَثَل الكعبة**

المستورة أو المشهورة النظر إليها عبادة والحج إليها فريضة – وقد روى هذا الخبر من العامة ابن المغازلي في مناقبهِ صفحة:107 حديث:149 وذكرهُ صاحب أرجح المطالب في صفحة: 480، وروى قريباً منه ابن الأثير في أُسُد الغابة الجزء الرابع صفحة:31، وكذا في ذيل اللألي للسيوطي صفحة:62، وذكرهُ شيخنا الأميني في غديرهِ الشريف الجزء الرابع صفحة: 38، من طرقهم ومصادرهم هناك كلمة جميلة للشيخ محمَّد حسين كاشف الغطاء في أحد حلقات برنامجنا يسألون والمودة تجيب ذكرت كلاماً في معرض جوابٍ لسؤال عن قولٍ ذكرهُ الشيخ كاشف الغطاء بخصوص السيدة الزهراء وتحدثت في هذا الموضوع بشكلٍ مفصل وقلت بأننا نقدس علمائنا حيثما كانوا مع أهل البيت وحينما يبتعدون عن أهل البيت فإن لا نجد لهم إجلالاً ولا تقديساً هناك حين انتقدت كلام الشيخ لأنهُ قد جانب الصواب وبينت الأمر بشكلٍ مفصل ولكنهُ مثلاً حينما يقول وهو فهمٌ عميق لِما جاء في كلمات أهل البيت هذا الكلام ذكرهُ في كتابهِ جنة المأوى في صفحة: 123 وما بعدها، وهو يتحدث عن ولادة عليٍّ في الكعبة فماذا يقول؟

وفي ولادتهِ رمزٌ آخر لعله أدق وأعمق وهو أن حقيقة التوجه إلى الكعبة هو التوجه إلى ذلك النور المتولد فيها – هذا كلام الشيخ كاشف الغطاء رحمة الله عليه – وهو أن حقيقة التوجه إلى الكعبة هو التوجه إلى ذلك النور المتولد فيها ولو أن القصد مقصورٌ على محض التوجه إلى تلك البنية وتلك الأحجار لكان أيضاً نوعاً من عبادة الأصنام معاذ الله، ولكن التناسب يقضي بأن البدن وهو تراب يتوجه إلى الكعبة التي هي تراب والروح التي هي جوهر مجرد تتوجه إلى النور المجرد وكل جنسٍ لاحقٌ بجنسه النور للنور والتراب للتراب – إلى أن يقول – نعم نتوجه بأبداننا في صلواتنا إلى الكعبة وبأرواحنا إلى النور الذي أشرق وأضاء فيها نتوجه إليه فنجعله الوسيلة إلى الله كما قال عزَّ شأنهُ ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيهِ الوَسِيلَةَ ﴾ نتوجه إليه كي يوجهنا الخير والسداد فالتوجه منا إليه والتوجيه منه لنا – كلماتٌ جميلةٌ رائعةٌ رائقة من قلم شيخنا محمَّد حسين كاشف الغطاء رضوان الله تعالى عليه كما قلت قبل قليل هذا البيت الجميل:

عباراتنا شتى وحُسنك واحدٌ وكلٌ إلى ذاك الجمال يشير

أعود إلى الآية ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُم أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيدًا وَمَا جَعَلنَا القِبلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيهَا ﴾ يعني قبلة بيت المقدس ﴿ إِلاَّ لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيهِ ﴾ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيهِ: العَقِب هو النهاية الأخيرة من القدم النهاية الأخيرة من القدم هي التي يقال لها العَقِب الحافة الأخيرة من القدم من الجهة الخلفية يقال لها العَقِب وهذا التعبير إنما هو تعبيرٌ كنائي ينقلب على عقبيه المقصود أنه يرتد عمَّا كان عليه من العقيدة من الفكر هذا مجرد تعبير كنائي وإلا ليس المقصود هنا

المعنى المادي المذكور في هذه اللفظة، ينقلب على عقبيه باعتبار الإنسان حينما يكون قائماً يستند في قيامهِ إلى أي شيءٍ؟ بالثبات والإتكاء على قدميه، حينما يريد أن يتحرك ويستدير إلى جهة أخرى أكثر جهة يستند عليها هو العقب عقب القدم إذا أراد أن يستدير وبشكل سريع أكثر جهة يستند عليها هو العقب عقب القدم ينقلب على عقبيه أن يرجع يستدير.

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا ﴾ نحن جعلناك تتوجه إلى بيت المقدس مع أن القبلة الحقيقية هي الكعبة لأجل هذا الأمر لأجل أي أمرٍ لأجل تمحيص الناس ولتعليم الناس على التسليم كي يُسلم الناس لنبيهم ولأئمتهم، عندنا رواية عن الإمام الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه يقول إن النبي حينما كان في مكة صلى إلى بيت المقدس لماذا؟ لأنهُ أهل مكة مشغوفون بحب الكعبة فحينما صلى إلى بيت المقدس صلى إلى جهةٍ هم ليسوا مشغوفين بها فصلى إلى جهةٍ تخالف هواهم وهذا نحوٌ من التربية، التربية على التسليم لِما يخالف المزاج والذوق لَمَّا جاء إلى المدينة أهل المدينة اليهود قبلتهم بيت المقدس وأهل المدينة في حالِ مزاحمة ومنافسة مع أهل مكة فلا تميل نفوسهم إلى التوجه إلى الكعبة وإنما يرغبون التوجه إلى بيت المقدس طبعاً هذه جهة من الجهات وليس هي العلة هذه جهة من الجهات الاجتماعية من الجهات السياسية المنظورة في هذه القضية الأحكام خصوصاً مثل هذا الحكم هذا حكم أساسي هذا حكم كلي تترتب عليه الكثير من المسائل، مسائل سياسية تترتب عليه الكثير من الشعارات ومن الرموز التي ستكون عناوين ثابتة لهذا الدين، فحينما تكون الأحكام بهذا المستوى قطعاً يؤخذ بنظر الاعتبار في مِلاكاتها وفي عِلل جعلها وتشريعها الكثير من المطالب منها ما هو سياسي منها ما هو اجتماعي ومنها ما هو معنوي لكن تبقى هناك علة أساسية ومِلاك أساسي في كل الأحكام هناك مِلاك ثابت في كل الأحكام وهو إيصال الناس إلى مرحلة العبودية كل حكم من أحكام الشريعة هناك فيه مِلاك جوهري لماذا شُرِّع هذا الحكم صحيح قد تكون فيه منافع في بعض الأحيان جسدية مادية وقد تكون فيه منافع أخلاقية وقد تكون فيه منافع معنوية روحانية وقد تكون فيه منافع معرفية وقد تكون وقد تكون وقد تُدفع عن الإنسان مضار ومضار أيضاً على اختلاف أشكالها وأنحائها لكن يبقى هناك مِلاك جوهري وهو أن الأحكام الشرعية تريد أن تُعَبِّد الناس أن تجعلهم في حالٍ من العبودية ولا يمكن أن يُعَبَّد الناس ما لم يعيشوا حالة التسليم فالمسلمون صلوا لفترة زمنية طويلة باتجاه بيت المقدس ثم غُيّر هذا التغيير متى كان بعد واقعة بدر هذا كله لتمهيد النفوس لأي شيءٍ؟

هذه القضية لها رباط وثيق بعليٍّ صلوات الله وسلامه عليه وهذه القضية لها رباط وثيق ببيعة الغدير لا تستغرب ذلك هذا المعنى سنستكشفهُ من خلال الآيات أنا قلت قبل قليل من كانت عنده خبرة في روايات

التفسير المنقولة عن المعصومين حيثما ذُكِر الصراط المستقيم فهناك عليٌّ والكلام بدأ ﴿قُل لِّلّهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ يَهدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾ ثم صار التعريج ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُم أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيدًا﴾ ثم يستمر الكلام ﴿وَمَا جَعَلنَا القِبلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيهَا إِلاَّ لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ طبعاً هذا النوع من التعبير ليس الحديث هنا عن علمٍ وعن جهل ﴿إِلاَّ لِنَعلَمَ﴾ يعني هل أن الله سبحانه وتعالى محتاجٌ إلى أن يغير القبلة وأن يمتحن المسلمين حتى يعرف من هو الضال ومن هو الهادي هذا الأمر واضحٌ للنبي قبل أن يكون الحديث عن هذه المسألة عن علم الله وإنما المقصود ﴿إِلاَّ لِنَعلَمَ﴾ حتى يتضح يتضح للجميع وليس هنا الحديث عن علم إلهي وعن جهلٍ في هذا الموضوع ﴿وَمَا جَعَلنَا القِبلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيهَا إِلاَّ لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيهِ﴾ الحديث هنا بلسان الملائكة الحديث هنا بلسان الأنبياء السابقين الذين هم أيضاً ينظرون إلى هذه الأُمَّة من حيث مقاماتهم ومكاناتهم، الحديث هنا أيضاً عن المؤمنين الذين أخلصوا الإيمان ﴿وَمَا جَعَلنَا القِبلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيهَا إِلاَّ لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ يعني هناك مجموعات ما عندها علم بالأشخاص الذين يتبعون النبي من هي هذه الجهات؟

الله؟! لا يمكن أن يكون ذلك، النبي صلى الله عليه وآله؟! لا يمكن أن يكون ذلك، عليٌّ فعلمه علم النبي إذاً من هي هذه الجهات؟ المؤمنون المخلصون هذه جهة، الملائكة هذه جهة ثانية، الملائكة المشرفون على تنظيم الحياة، الملائكة العاملة المدبرة وكذلك الأنبياء السابقون والأوصياء السابقون الذين يُطلون على هذه الأُمَّة ويطلعون على أحوالها وهذا مُبَيّنٌ في الروايات هناك تواصل بين الأنبياء وبين هذه الأُمَّة لكن من وراء حجابٍ غيبي وإلا الكثير منكم ربما قرأ أو سمع في نزول الأنبياء لزيارة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه والتواصل بين سيد الشهداء وبين الأنبياء حتى في العالم الدنيوي وهذه المعاني واضحة في الروايات التواصل بين الأنبياء وبين إمام زماننا وهذه معاني واضحة في الروايات وليس المقام يسمح لتفصيل الكلام في كل هذه المطالب ﴿وَمَا جَعَلنَا القِبلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيهَا إِلاَّ لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيهِ وَإِن كَانَت﴾ هذه القضية ﴿وَإِن كَانَت لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ﴾ يعني هذه القضية كبيرة لو أردت أن أذهب إلى أوائل سورة البقرة وفي حينها شرحت هذا المعنى في الآية الخامسة والأربعين من سورة البقرة ماذا تقول ﴿وَاستَعِينُوا بِالصَّبرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا﴾ ما قال وإنهما ﴿وَاستَعِينُوا بِالصَّبرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا﴾ يعني الصلاة

باعتبار الضمير يعود على الأقرب والصبر مذكر والصلاة مؤنثة بحسب التعبير اللفظي العربي ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ألا تلاحظون هذا التناسق بين هذه الآية وبين هذه الآية ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الخَاشِعِينَ: لنتصفح معاً ما جاء في بحار الأنوار الشريف في الجزء السادس والعشرين من حديث المعرفة بالنورانية المنقول عن سيد الأوصياء والذي ينقله إلينا سلمان وأبو ذر وأكرِم بهما، أقتطف المقطع الذي هو موطن الحاجة – **قال سلمان: قلت يا أخا رسول الله ومن أقام الصلاة أقام ولايتك؟!** – سلمان يسأل الأمير – **يا أخا رسول الله ومن أقام الصلاة أقام ولايتك؟! قال: نعم يا سلمان تصديق ذلك قولهُ تعالى في الكتاب العزيز** ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ **فالصبر رسول الله صلى الله عليه وآله والصلاة إقامة ولايتي فمنها قال الله تعالى** ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ **ولم يقل وإنهما لكبيرةٌ لأن الولاية كبيرةٌ حملها إلا على الخاشعين لأن الولاية كبيرةٌ حملها أو حملها إلا على الخاشعين والخاشعون هم الشيعة المستبصرون** – الخاشعون هم الشيعة المستبصرون الآية أشارت إلى هذا المعنى ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ .

والإيمان ولاية عليٍّ، حيثما وردت كلمة الإيمان في القرآن الكريم بحسب روايات أهل البيت فالإيمان ولاية علي هذه قاعدةٌ ثانية تناولتها اليوم طبعاً الذين لا خبرة لهم بروايات أهل البيت قد لا يعجبهم هذا الكلام وأنا أيضاً لا يعجبني أن لا يعجبهم هذا كما أنهم لا يعجبهم فإنني أيضاً لا يعجبني قولهم فلماذا هم يحق لهم أن لا يعجبهم هذا القول ولا يحق لي أن لا يعجبني أيضاً ما يقولون، في روايات أهل البيت من كان له خبرة بحديث أهل البيت كما قلت قبل قليل حينما يأتي ذكر الصراط المستقيم يعني هب عطر عليٍّ إذا رأيت الصراط المستقيم في آيةٍ من آيات الكتاب الكريم تَنَشَّق عطر عليٍّ هنا عليٌّ وإذا وجدت كلمة الإيمان، الإيمان تعني ولاية علي هنا أيضاً يهبُ المسك والورد والعطر والريحان هنا عليٌّ أيضاً كما يقولون مرَّ عليٌّ من هنا، مرَّ عليٌّ من هنا واستقرَّ عليٌّ في هنا، إذا جاء ذكر الإيمان هناك عليٌّ.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ طبعاً هناك وجوه في الآية وحتى في الروايات فُسِرت ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يعني ليُضيع صلاتكم باعتبار أن من المسلمين من قال فما حال

صلاتنا إلى بيت المقدس هل كانت صحيحة أو غير صحيحة في بعض الروايات هذا الجواب لهذا السؤال ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ والصلاة هي بنحوٍ وبآخر هي رمز الولاية، الولاية صلةٌ فيما بين الخلق وبين الله والصلاة مظهرها العبادي واللفظي والطقوسي في الحياة الدينية ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وتستمر الآيات الكريمة ويستمر الوقت أيضاً بالجريان ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أيُّ قبلةٍ يرضاها مُحَمَّد؟ أيُّ قبلةٍ يرضاها المصطفى صلى الله عليه وآله القبلة التي هي رمز الولاية العلوية هي هذه القبلة التي يرضاها وحتى هذا التعبير ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ لم تقل الآية فلنوجهنَّك هنا التولي والولاية هذا التعبير مأخوذ من التولي من الولاية ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ نولينك قبلة ترضاها، نجعل وجهك ونجعل قلبك متجهاً إليها متولياً لها ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ قطعاً الروايات ذكرت لنا بأن اليهود عَيَّروا المسلمين وعَيّروا النبي بأنكم تتبعون قبلتنا والروايات أيضاً حَدَّثت بأن النبي أصابهُ الحزن وخرج ينظر في السماء هذه المعاني موجودة في الروايات وهذه المعاني إنما تتحدث عن حزن النبي الذي يمثل حزن أتباعه وإلا فالنبي صلى الله عليه وآله لا يمكن أن نتصور بأنهُ يحزن من مثل هذا الكلام وهو الذي يعرف حقائق الأمور ويعرف بأن الكعبة ستكون بعد ذلك هي القبلة الحقيقية لكن هذا الكلام وهذا الحديث مثل ما جاء في الكتاب الكريم قبل قليل مرَّ علينا ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ الله يقول وقطعاً ليس الكلام عن الله كما قلت قبل قليل الكلام عن الملائكة عن المؤمنين عن الأنبياء السابقين ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ فإن الله كما يتحدث عن ذاتهِ المقدسة بهذا النحو من التعبير وهو يشير بذلك إلى الأنبياء إلى أوليائه المخلصين هذا الحديثُ يكون عن النبي نفس الشيء حينما نذهب إلى سورة الفتح فماذا نقرأ في سورة الفتح؟

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ هل للنبي ذنوب حتى تُغفر إذا كان له ذنوب متقدمة ومتأخر ما الفارق فيما بيني وبينهم أنا أقول في دعائي: اللَّهُمَّ أغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر. فإذا كان مُحَمَّدٌ المصطفى له ذنوب متقدمة وذنوب متأخرة إذاً ما الفارق بيني وبينه إذاً لِما لا أكون أنا خاتم الأنبياء إذاً لِما لا تكون أنت خاتم الأنبياء أنا وأنت عندنا ذنوب متقدمة ومتأخرة ونرفع أيدينا بالدعاء وبالتوسل والابتهال اللهم اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وما تأخر منها فهل كان لِمُحَمَّد من ذنوبٍ

متقدمة وذنوب متأخرة حتى تُغفر ﴿لِيَغفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ لا علاقة لي بما يقوله أولئك الذين لا يملكون ذوق أهل البيت لا علاقة لي بكل ما يقولون، ماذا قال أهل البيت؟ روايات أهل البيت هكذا حدثتنا معنى هذه الآية النبي يقول لعلي: **يا علي إن الله نسب ذنوب شيعتك إلي ثم غفرها** ﴿لِيَغفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ﴾ كما يقول القائل أنهُ دع هذا الذنب على حسابي امسحها بوجهي دعها في لحيتي كما يقول الناس هكذا ألفُ عين لأجل عين تُكرم، يا علي إن الله نسب ذنوب شيعتك إلي ثم غفرها لي، هناك رواية جميلة جداً لَمَّا طلب عليٌّ من رسول الله أن يدعو له بالمغفرة وطبعاً معنى المغفرة هنا معنى عميق ليس هذا المعنى السطحي فقال: **اللَّهُم أغفر لعليٍّ بحق علي.** إشارة عميقة جداً إذا كان حق عليٍّ هو الذي يكون سبباً للمغفرة إذاً أيَّةُ مغفرة هذه؟! قال: **اللَّهُم أغفر لعليٍّ بحق علي** ﴿لِيَغفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ يا علي إن الله نَسَب ذنوب شيعتك إلي ثم غفرها الخطاب في القرآن الكريم لها ألحانهُ الخاصة وخصوصاً مع النبي ومع أهل البيت هناك لحنٌ خاص في الخطاب القرآني ونأتي عليه إذا وفقنا للاستمرار في تفسير القرآن سنأتي على بيان هذه المطالب بحسب ما يسنح به المقام شيئاً فشيئاً.

﴿قَد نَرَى تَقَلُّبَ وَجهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلَةً تَرضَاهَا﴾ هذا التقلب الذي تتحدث عنه الآية له دلالات أعمق ولكننا لنبقى في الأفق الأول تقلب وجه النبي في السماء إنما هو يحدثنا عن حالة القلق وعن حالة الأذى التي كانت تنتاب أصحاب النبي بسبب ما يجري فيما بينهم وبين اليهود من محاججات ونقاشٍ وجدل وغير ذلك من الوساوس والشكوك والإثارات التي كانوا يثيرونها فيما بينهم وما حولهم.

﴿قَد نَرَى تَقَلُّبَ وَجهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلَةً تَرضَاهَا﴾ القبلة التي يرضاها الكعبة مكة وطنه الذي يحبه ﴿فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ﴾ فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام: شطر قد تأتي بمعنى الجهة فَولِّ وجهك باتجاه المسجد الحرام ونحن حين نتوجه إلى القبلة فإننا نتجهُ إلى جهتها وليس إلى بنية الكعبة بنحو التحديد وإنما إلى تخوم الكعبة إلى جهة الكعبة الاتجاه يكون باتجاه تخوم الكعبة باتجاه جهتها، وهناك تفسير للشطر وهو البعض كما تقول شطيرة شطرت هذا الشيء وهذه شطيرةٌ من ذلك الشيء يعني بعضاً منه وهذا شطر الشيء هذا شطر الكتاب هذا بعضهُ والكعبة هي بعض المسجد الحرام ﴿فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ﴾ لأنه نحن عندنا الكعبة وعندنا المسجد الحرام وعندنا الحرم دوائر، الدائرة الواسعة هي دائرة الحرم الدائرة التي هي أضيق هي دائرة المسجد الحرام الدائرة التي هي أضيق الكعبة فعندنا الكعبة ثم المسجد

الحرام ثم الحرم ﴿فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ﴾ يعني بعض المسجد الحرام والكعبة هي بعض المسجد الحرام والمعنى واحد فلو قلنا بأن المراد من شطر يعني بعض المسجد الحرام بالنتيجة الاتجاه هو إلى تخوم الكعبة إلى جهاتها إلى جهتها.

﴿قَد نَرَى تَقَلُّبَ وَجهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ تقلب وجهك كناية عن البحث عن قبلةٍ أخرى فهل كان النبي حقيقةً يبحث عن قبلةٍ أخرى أم أن المسلمين هم الذين كانوا يبحثون عن قبلةٍ أخرى ولذلك قال الأئمة بأن القرآن نزل بإياكِ أعني وأسمعي يا جارة هذه من جملة مصاديق هذا النوع من أنواع ألحان القرآن هناك ألحان متعددة في الخطاب النبوي وفي الخطاب القرآني ﴿قَد نَرَى تَقَلُّبَ وَجهِكَ﴾ تقلب الوجه هو البحث عن قبلة ﴿فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلَةً تَرضَاهَا فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ وَحَيثُ مَا كُنتُم﴾ وحيث ما كنتم في أي مكانٍ ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطرَهُ﴾ إن كان ذلك في مكة أو خارج مكة ﴿وَحَيثُ مَا كُنتُم فَوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيَعلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِّهِم﴾ يعلمون بأن اتجاهك باتجاه الكعبة هو هذا الحق لأي أمرٍ؟ أولاً لأنهُ ذُكِر ذلك في كتبهم، وثانياً لأنهم يعلمون بأنك على حق وما تأتي به فهو الحق حتى وإن لم يكن ذلك مذكوراً في كتبهم فهو مذكورٌ في كتبهم لأن النبي وسائر أوصافه بل إن أوصاف أصحابهِ وأوصاف أتباعهِ بالتفصيل جاءت مذكورة في كتبهم.

حينما نقرأ في سورة الفتح مثلاً في الآية الأخيرة ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاء بَينَهُم تَرَاهُم رُكَّعًا سُجَّدًا يَبتَغُونَ فَضلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضوَانًا سِيمَاهُم فِي وُجُوهِهِم مِّن أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُم فِي التَّورَاةِ وَمَثَلُهُم فِي الإِنجِيلِ﴾ يعني هذه الأوصاف موجودة تلك أوصافهم، ذلك مَثَلهم يعني تلك أوصافهم موجودةٌ في التوراة والإنجيل ﴿يَبتَغُونَ فَضلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضوَانًا سِيمَاهُم فِي وُجُوهِهِم مِّن أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُم فِي التَّورَاةِ وَمَثَلُهُم فِي الإِنجِيلِ كَزَرعٍ أَخرَجَ شَطأَهُ﴾ إلى آخر الآية فهم قد ذُكِروا أصحاب النبي أيضاً بأوصافهم جميع الحوادث ذُكِرت في كتب اليهود وفي كتب النصارى لكنها حُرِّفت وحُذِفت بعد ذلك وإلا الآية صريحة ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُم فِي التَّورَاةِ وَمَثَلُهُم فِي الإِنجِيلِ﴾ فكانوا يعلمون، يعلمون بأن مُحَمَّداً على الحق وبأن التوجه إلى الكعبة على الحق أيضاً ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿لَيَعلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِّهِم وَمَا اللَّهُ

بِغَافِلٍ عَمَّا يَعمَلُونَ﴾ تلاحظون هذا التركيب ورد هنا في هذه الآية ﴿وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعمَلُونَ﴾ وورد أيضاً في الآية الأربعين بعد المئة حينما جاء الكلام ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ﴾ يعني هناك شهادة عنده من الله في كتبهم ﴿وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعمَلُونَ﴾ هذا التركيب ورد هنا وهناك لأن الحديث عن نفس النقطة في الآية الأربعين بعد المئة ﴿أَأَنتُمْ أَعلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ﴾ الموجودة في كتبهم ﴿وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعمَلُونَ﴾ وفي هذه الآية أيضاً في الآية الرابعة والأربعين بعد المئة ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيَعلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّهِم﴾ من خلال كتبهم ﴿وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعمَلُونَ﴾ وكل هذه المعاني تتسق تتوحد فيما بينها.

هناك آيات سنأتي عليها إن شاء الله في الحلقات القادمة لكن بقيت نقطة واحدة فقط أشير إليها حتى تكتمل الصورة في معنى القبلة، يستمر الكلام في موضوع القبلة إلى أن تقول الآية ﴿وَمِن حَيثُ خَرَجتَ﴾ وهي الآية الخمسون بعد المئة ﴿وَمِن حَيثُ خَرَجتَ فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ﴾ الآيات التي تجاوزتها إن شاء الله أتناولها في أول يومٍ من أيام شهر رمضان المبارك لكن هناك نقطة لأن الوقت ما يكفي لأن أتناول هذه الآيات هناك نقطة حتى تتم فيها الصورة في الآية الخمسين بعد المئة ﴿وَمِن حَيثُ خَرَجتَ فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ وَحَيثُ مَا كُنتُم فَوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيكُم حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم﴾ الذين ظلموا الذين يرفضون القبلة والكعبة بالمعنى الظاهري وبمعناها الباطني قال علي أنا باطن الحرم كما مرَّ علينا قبل قليل ﴿فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِي وَلأُتِمَّ نِعمَتِي عَلَيكُم وَلَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾ هذا التعبير القرآني ﴿فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِي وَلأُتِمَّ نِعمَتِي عَلَيكُم وَلَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾ هذا التعبير أين نجدهُ؟ نجدهُ واضحاً صريحاً في سورة المائدة المباركة في الآية الثالثة ﴿اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُم فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِ﴾ ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِي﴾ ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلاَمَ دِينًا﴾ ﴿فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِي وَلأُتِمَّ نِعمَتِي عَلَيكُم وَلَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾ .

نقرأ الآيتين الآية الثالثة من سورة المائدة ﴿اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُم فَلاَ تَخشَوهُم﴾ اليوم في يوم

الغدير، اليوم ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أنا قلت الآيات وتغيير القبلة هو تمهيد للغدير لتوطين القلوب على التسليم أنكم تتوجهون إلى بيت المقدس الله يريدكم أن تتوجهوا إلى الكعبة أنتم تتبعون مُحَمَّداً وبعد مُحَمَّد الله سبحانه وتعالى يريد منكم أن تتبعوا علياً هذا نوع من التمرين والممارسة العملية هذه هي الحكمة الحقيقية في تغيير القبلة والآيات تكشف عن هذا المعنى التعاضد الواضح في الألفاظ ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بعلي ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ بعلي فالإسلام هو عليٌّ صلوات الله عليه والآية هنا ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إتمام نعمة وهداية، لا تخشوهم واخشوني، إلا الذين ظلموا، نفس الكلام في هذه الآية الذين كفروا، فلا تخشوهم واخشوني، أتممت عليكم نعمتي رضيت لكم الإسلام دينا وتلكم هي الهداية.

ونفس الشيء إذا ذهبنا إلى سورة الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ثم ماذا؟ ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ إتمام النعمة ثم ماذا؟ ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ حسب القاعدة حيثما جاء الصراط المستقيم هناك علي، لا تبحثوا عنه الصراط المستقيم علي، حين أقول حيثما جاء الصراط المستقيم فهناك علي وتلاحظون الآيات بعضها يشد البعض ووالله لو كان هناك وقت يكفي لتتبعت هذه الكلمات كلمة الصراط المستقيم في الكتاب الكريم ولوجدتم ذلك جلياً إنهُ علي، ولرأيتم ذلك جلياً إنه علي، أليس هذا هو الكتاب الصامت؟ والكتاب الصامت إنما هو صورة، الآن حينما أنت تأخذ صورة فوتوغرافية هذه الصورة الفوتوغرافية أنت الصامت، أنت لو كان اسمك جعفر مثلاً فأخذت لك صورةً فوتوغرافية أو رسمت لك لوحةً فهذه صورتك وهذا أنت أقول بأنك جعفرٌ ناطق وهذه الصورة هي جعفر الصامت فعليٌ هو الناطق والكتاب هذا هو الصامت والصامت يدلنا على الناطق لكن الناطق هو الذي يكشف حقائق الصامت كلما وجدتم صراطاً مستقيماً إنه علي ولا تنسوا فإن الحروف المقطعة في أوائل السور إذا جمعناها وأسقطنا المتشابه منها تتكون عندنا جملة: **صراط عليٍّ حقٌّ نُمسكه.**

عليٌّ في الحروف المقطعة، عليٌّ في الآيات المحكمة عليٌّ في الآيات المتشابهة عليٌّ في كل حرفٍ من حروف الله عليٌّ في كل صفحةٍ من صفحات هذا المصحف بل هذا المصحف عليٌّ وهذا المصحف يدور مع عليٍّ حيثما دار ألم يقل خاتم الأنبياء بأن القرآن يدور مع عليٍّ حيثما دار ألم يقل بأن الحق يدور مع عليٍّ حيثما دار وهل الحق إلا القرآن وهل القرآن إلا الحق وهل الحق إلا عليٌّ وهل عليٌّ إلا الحق وهل

القرآن إلا علي وهل عليٌّ إلا القرآن وهل محمَّدٌ إلا علي وهل عليٌّ إلا مُحَمَّد إلا أن محَمَّداً هو مُحَمَّد وعليٌّ هو علي صلوات الله وسلامه عليهما.

يا مُحَمَّدُ يا علي يا مُحَمَّدُ يا علي أكفيانا فإنكما كافيان وانصرانا فإنكما ناصران، أنتم ملاذنا في الدنيا والآخرة صلوات الله عليكما وعلى آلكما الأطيبين الأطهرين.

وإن شاء الله نلتقيكم في اليوم الأول من شهر رمضان وأتم الكلام من حيث انتهيت أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة التاسعة عشر

تفسير سورة البقرة من الآية ١٤٥ الى الآية ١٥٧

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، هذه هي الحلقة التاسعةُ بعد العاشرة من برنامج قرآننا وهذا هو اليوم الأول من أيام شهر رمضان المبارك أعاده الله علينا وعليكم بالولاية والمحبة والمودة لمُحمَّدٍ وآل مُحَمَّد ووفقنا في هذا الشهر الشريف وإياكم أن نزداد قرباً من إمام زماننا وأن نزداد بصيرةً ومعرفةً في عليٍ وآل علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

كما وعدتكم سابقاً سيكون برنامج قرآننا بين يومٍ ويوم في هذا اليوم وهو اليوم الأول من أيام الشهر الشريف سيكون أولُ حلقةٍ من حلقات هذا البرنامج في هذا الشهر المبارك وفي يومٍ غد سنعود إلى برنامج الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة وهكذا بين يومٍ ويوم نعيشُ في أجواء الكتاب والعترة الطاهرة، أما البرنامج الثاني وهو مجالسُ المودةِ في شهر رمضان المبارك سيكونُ بعد أن يرفع أذان العشاءين بتوقيت النجف الأشرف وأيضاً سيكونُ على طريقة البث المباشر وألقاكم في ذلك الوقت على خيرٍ إن شاء الله.

وأشرعُ فيما أريد بيانه في هذه الحلقة حيثُ تم الكلامُ في آخر حلقةٍ من حلقات هذا البرنامج في الآية الرابعة والأربعين بعد المئة، أشرعُ الآن في الآية الخامسةِ الأربعين بعد المئة وسأحاول الاختصار كي أتمكن أن أتناول أكثر عددٍ من آيات سورة البقرة لأحاول أن أتم الكلام في سورة البقرة حتى نهاية الشهر الشريف وأنا بينتُ فيما مضى من الكلام بأن سورة البقرة وسورة آل عمران هما بمثابة جناحين يطيرُ بهما من يريد أن يحلق في أجواء القرآن وقد ورد في روايات وأحاديث أهل بيت العصمة رواية مثلاً عن أبي بصيرٍ عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه أنه من قرأ البقرة وآل عمران جاء يوم القيامة وتضله غمامتان الغمامتان هنا رمز لآثار سورة البقرة وسورة آل عمران تضلانه كالغمامتين أو كالعباءتين في ذلك اليوم الذي يرى فيه الناس الأهوال فهناك غمامتان هناك عباءتان تضللان ذلك الذي يأتي وهو يحملُ معه معاني سورة البقرة وسورة آل عمران، الآية الخامسةُ والأربعون بعد المئة، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ لازلت الآيات في سياق عديد الآيات التي تتحدثُ

عن القبلةِ وعن تغيير القبلة ومر شطرٌ من هذه الآيات في الحلقة الماضية ﴿وَلَئِنْ أَتَيتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ الذين أوتوا الكتاب واضحٌ لديكم أن المراد من ذلك اليهود والنصارى وبشكلٍ أخص اليهود ﴿وَلَئِنْ أَتَيتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبلَتَكَ﴾ أساساً هم لا يتبعون ديناً فكيف يتبعون قبلتك؟ لأن اليهود قبلتهم إلى فلسطين إلى بيت المقدس إلى الصخرة وأما قبلة النصارى فهي ليست محددةً بمكانٍ معين قبلة النصارى بشكلٍ عام إلى جهة المشرق إلى جهة الشرق من حيثُ ظهر الدين من حيثُ بدأ الدين النصراني إلى جهة المشرق ﴿وَلَئِنْ أَتَيتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ الذين أوتوا الكتاب وخصوصاً اليهود الذين كانوا في زمان النبي صلى الله عليه وآله الصفة الواضحة لهم العناد مع رسول الله وإنا كانت هذه الصفة عند اليهود سابقاً موجودة حتى مع أنبياءهم السابقين ولكن العناد كان صفةً واضحةً لليهود في زمان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لذلك الآية تحدث عن هذا المعنى.

﴿وَلَئِنْ أَتَيتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ بكل آيةٍ بكل دليل سواء كان هذا الدليل يعتقدون بصحته أو لا يعتقدون بصحته ﴿وَلَئِنْ أَتَيتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبلَتَكَ﴾ وهذا هو شأن المعاند، المعاند يرفض كل شيء سواء كان ذلك الرفض منطقياً أو ليس منطقياً هذا هو العناد وهذا هو حالُ اليهود مع رسول الله وهذا هو حالُ المخالفين مع أهل البيت الرفضُ لأهل البيت سواء كان الكلام المطروح منطقياً أو ليس منطقياً ﴿وَلَئِنْ أَتَيتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبلَتَهُم﴾ وهذا شيءٌ طبيعي فإنك على الحق وأن القبلة التي يريد الله أن تتجه إليها قد بُينت لك فلا يمكن أن تتبع قبلتهم ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبلَتَهُم وَمَا بَعضُهُم بِتَابِعٍ قِبلَةَ بَعضٍ﴾ يعني لا اليهود سيتبعون النصارى ولا النصارى سيتبعون اليهود ومر علينا الكلامُ في الآيات السابقة مثلاً في الآية الثالثة بعد العاشرة بعد المئة من سورة البقرة ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيءٍ﴾ هذا المعنى هو نفسه الموجود هنا في هذه الآية ﴿وَمَا بَعضُهُم بِتَابِعٍ قِبلَةَ بَعضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهوَاءهُم مِّن بَعدِ مَا جَاءكَ مِنَ العِلمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وهذا الكلام مر علينا أيضاً في الآية العشرين بعد المئة من سورة البقرة ﴿وَلَن تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم قُل إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهوَاءهُم بَعدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ العِلمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا

نَصِيرٍ﴾ نفس الكلام هنا يتردد في هذا الآية ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهوَاءهُم مِّن بَعدِ مَا جَاءكَ مِنَ العِلمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الخطاب في هذه الآية أو في العدد الكثير من الآيات القرآنية التي تأتي بهذا النحو تأتي بهذا اللحن تأتي بهذه الصيغة في مخاطبة النبي قطعاً لا يقصد النبي في هذا الخطاب بشكلٍ مباشر وبشكلٍ حقيقي وإنما النبيُ فقط هنا جهةُ خطاب مرآتية النبي هنا يعكسُ الخطاب الإلهي هذا الخطاب إنما هو للأمة لأنه لا يتوقع أن يوصف النبيُ بأنه ظالم وقد مر علينا في عهد الإمامة ﴿وَإِذِ ابتَلَى إِبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهدِي الظَّالِمِينَ﴾ عهدُ النبوةِ عهدُ الإمامة وإمامُ الأئمة وسيدُ الأئمة هو خاتمُ الأنبياء صلى الله عليه وآله فلا يمكن أن يأتي هذا الوصف على رسول الله ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهوَاءهُم مِّن بَعدِ مَا جَاءكَ مِنَ العِلمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الخطاب هنا خطابٌ للأمة وفي هذا الخطاب عدةُ إشعارات عدةُ تلويحات:

التلويحُ الأول أن هذه الأمة لن تكون فيها الإمامة بحسب ما تريد وبحسب ما تختار لأن هذه الأمة يمكن أن توصف بأنها ظالمة ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهوَاءهُم مِّن بَعدِ مَا جَاءكَ مِنَ العِلمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يمكن أن توصف الأمة بأنها ظالمة فإذا أمكن أن توصف بأنها ظالمة لا يمكن أن تكون الإمامة فيها بنحوِ الاختيار ﴿لَا يَنَالُ عَهدِي الظَّالِمِينَ﴾ أيضاً في الآية إشارة إلى أن الظالمين ما كانوا على حظٍ من العلم ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهوَاءهُم مِّن بَعدِ مَا جَاءكَ مِنَ العِلمِ﴾ يعني إذا جاءك العلم فإنك لن تتبع أهواءهم ولكن من الذي يتبعُ أهواءهم؟ الذي يتبعُ أهواءهم أولئك الذين خلوا من العلم هناك إشعارات في داخل هذه الآية والإشعارات لا تأتي بشكلٍ مباشر من نفس الألفاظ وإنما حينما ندقق النظر في الآية ونتدبر في الآية الشريفة تظهر منها هذه الإشعارات تظهرُ منها هذه التلويحات لأننا بنينا على هذا الأساس أن هذا الخطاب لم يكن موجهاً لرسول الله بشكلٍ مباشر وإنما النبيُ هنا إنما هو مرآة الخطاب، الخطاب يوجهُ إلى هذه المرآة والمرآة تعكسُ الخطاب للجهة التي يوجه لها الخطاب بنحوٍ حقيقي إياك أعني وأسمعي يا جارة كما يقول إمامنا الباقر وإمامنا الصادق بأن القرآن نزل بإياك أعني وأسمعي يا جارة ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهوَاءهُم مِّن بَعدِ مَا جَاءكَ مِنَ العِلمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

وأيضاً في الآية إشعارٌ آخر الإشعار الثالث الموجود في الآية فيه إشارة إلى أن البعض من هذه الأمة سيتبع

أهواء الذين أوتوا الكتاب وحينما ندرس تأريخ الخلافة بعد رسول الله سنجد أن لليهود يداً طولا في خلافة الخليفة الأول في خلافة الخليفة الثاني خصوصاً في خلافة الخليفة الثاني هناك قرائن موجودة وواضحة في كتب التأريخ تشير إلى ذلك علماً أن التأريخ مزور أن التأريخ كتبه الظالمون أن التأريخ زوره المزورون وأن الذين كتبوه إنما هم وعاظ السلاطين فلذلك اختفت الكثير من الحقائق لكن مع ذلك بقيت هناك قرائن وإشارات ودلالات يمكن من خلالها أن نستكشف الصورة كاملةً ولو بنحوٍ من غموض.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ والآية فيها إشارة إلى أن أساس النجاة هو العلم لأن العلم هو الذي يقود إلى الهدى قطعاً العلم لوحده لا يكونُ سبباً للنجاة هناك فارقٌ بين علم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وبين علم غيرهم علم مُحَمَّدٍ وآل محمَّد له خصوصياته علم محمَّدٍ وآل محمَّد هو عينُ العصمة هو عينُ الهداية هو عينُ الحق أما العلم الذي عندنا العلمُ الذي عندنا يمكن أن يقودنا إلى الهدى ويمكن أن نستعمله في الضلال أيضاً ولكننا نحتاج إلى التوفيق العلمُ مع التوفيق يقودنا إلى الهدى يقودنا إلى الهداية والتوفيقُ إنما هو نحو رعايةٍ من الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه وتلك هي من أهم وظائف الإمامة التي نعتقدها فليست وظيفةُ الإمامة أن يجلس على عرش الحكم جلوسُ المعصوم في مناصب الحكم وفي مناصب السياسة إنما هو لحاجة الناس أم الوظيفة الأولى للإمامة وظيفةُ الإمام المعصوم هي رعاية الخلق في طريق الهداية وفي طريق دين الله سبحانه وتعالى فالعلم لوحده بالنسبة لنا العلمُ الذي نحن نعلمه يحتاج إلى التوفيق وإلا قد يكون العلمُ في بعض الأحيان وبالاً على الإنسان لكن مع التوفيق فالتوفيق هو خير رفيقٍ في الطريق التوفيق حارسٌ يحرس الإنسان وتلك هي رعاية الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه.

الآية التي بعدها ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ يعرفون مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُم﴾ لا كما يقول البعض بأن المراد يعرفون القرآن هذا الفهم أقرب إلى الواقع حينما نقول أن فلاناً يعرفُ فلاناً الآخر كما يعرفُ أبنه أما أن نقول مثلاً أن فلاناً يعرف الكتاب الكذائي يعرف القرآن كما يعرفُ أبنه ففيه شيءٌ من البعد ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ يعرفون محَمَّداً ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُم وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ كتب اليهود كتب النصارى وخصوصاً كتب اليهود ذكرت أوصاف النبي وبالتفصيل أنا أشرت في الحلقة الماضية مثلاً ما جاء في سورة الفتح حين نقرأُ في سورة الفتح في وصف النبي وأصحابه وبنحوٍ إجمالي القرآن هنا ذكر الأمور بنحوٍ مجمل ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى

الكُفَّارِ رُحَمَاء بَينَهُم﴾ هذه أوصاف تفصيلية ﴿تَرَاهُم رُكَّعًا سُجَّدًا يَبتَغُونَ فَضلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضوَانًا سِيمَاهُم فِي وُجُوهِهِم مِّن أَثَرِ السُّجُودِ﴾ القرآن هنا جاء بذكرٍ إجمالي لكن هذه التفاصيل موجودة في كتب اليهود بنحوٍ مفصل وكذلك في كتب النصارى بشهادة القرآن ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُم فِي التَّورَاةِ وَمَثَلُهُم فِي الإِنجِيلِ﴾ مثلهم يعني أوصافهم تلك أوصافهم جاءت مذكورةً في التوراة وفي الإنجيل ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُم فِي التَّورَاةِ وَمَثَلُهُم فِي الإِنجِيلِ﴾ لذلك الآية هنا صريحة الآية السادسة والأربعون بعد المئة ﴿الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ يَعرِفُونَهُ كَمَا يَعرِفُونَ أَبنَاءهُم وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنهُم لَيَكتُمُونَ الحَقَّ وَهُم يَعلَمُونَ﴾ قد يكون هناك مجموعة كبيرة من عامتهم لا يعلمون الحقائق أو يصدقون بما يقوله الخاصة من تحريف الكلم لكن هناك قطعاً مجموعه مطلعه على الحقائق وعارفه بتفاصيل الأمور ﴿الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ يَعرِفُونَهُ كَمَا يَعرِفُونَ أَبنَاءهُم﴾.

وهذه القضية هي نفسها في هذه الأمة هذا التركيز على أحداث بني إسرائيل ولا زلنا في سورة البقرة ولا زالت الآيات العشرات من الآيات تترادف بعضها بعد البعض الآخر تتحدث عن بني إسرائيل وعن ما جرى في بني إسرائيل وتتحدث عن اليهود الذين عاشوا مع محَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وهناك رباطٌ وثيق بين ما كانوا عليه في زمان النبي وفي الأزمنة السابقة فإن ذلك سيجري في هذه الأمة وجرى في هذه الأمة ﴿الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ يَعرِفُونَهُ كَمَا يَعرِفُونَ أَبنَاءهُم﴾ الذين خالفوا علياً والذين عادوا علياً وآل عليّ ألا يعرفونهم كما يعرفون أبناءهم؟! القضيةُ هي هي ﴿الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ يَعرِفُونَهُ كَمَا يَعرِفُونَ أَبنَاءهُم﴾ لَمَّا وقف سيدُ الشهداء صلوات الله وسلامه عليه في كربلاء في اليوم العاشر وأخذ يبين لهم الأمور من هو كلهم كانوا يعرفون من هو وما أنكر أحدٌ منهم ذلك وحتى حينما قدم شمرٌ على قتله وعلى قطع رأسه الشريف ماذا قال له؟ قال إني أذبحك وإني أعلم بأنك ابن بنت رسول الله وإني أعلم بأنك ابن عليّ بن أبي طالب إنما أذبحك بغضاً لأبيك هل هناك معرفة أكثر من هذه المعرفة؟!

شبث بن ربعي وهو من رواة الحديث عند المخالفين ومن الفقهاء في أيامه كان عمره على أقل الروايات 96 سنة وهو كان قائد الرجالة في جيش ابن سعد في وسط المعركة في وسط المعركة ماذا كان يقول؟ لَمَّا ارتفعت الشمس يقول: قاتلنا مع عليّ بن أبي طالب – كان في ضمن الجيش في ضمن جيش العراق الذي خرج إلى صفين يقول – لقد قاتلنا مع عليّ بن أبي طالب وابنه من بعده – يعني الإمام الحسن – آل أبي سفيان ثم عدونا على ولده وهو خيرُ أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية ومع ابن سمية الزانية ضلال يا لك من

ضلال والله – هو يقول – لا يوفقُ أهل هذا المصر إلى خيرٍ أبدا ولا يسددهم إلى رشد. أهناك معرفة أوضح من هذه المعرفة هذه قضية واضحة وبينه وهذا الأمر كان واضحاً منذ اليوم الأول من شهادة رسول الله حين فارق هذه الدنيا مسموماً قتيلاً شهيداً صلى الله عليه وآله ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وهذا الأمر لازال جارياً إلى يومنا هذا فهناك الكثير من علماء المخالفين ممن يعلمون الحقائق ويكتمونها وليس فقط يكتمونها وإنما يسعون إلى كتمانها في أي زاويةٍ من زوايا الحياة لذلك في هذه السنين الأخيرة بعد أن انتشرت الفضائيات وبعد أن انتشرت الكتب وبعد ثورة المعلومات تلاحظون الكم الهائل من علماء المخالفين عدد كثير جداً من علمائهم وخصوصاً من المثقفين منهم من حملة الشهادات ممن تطلعوا إلى معرفة الحقيقة ووصلوا إلى الهدى ووالوا أهل البيت وتلك المكتبات مشحونة بكتبهم هذه الظاهرة ألا تدل على هذه الحقيقة؟ بأن الحقائق قد كتمت عن عامة السنة؟ ألا تدل هذه الحقيقة على أن الذين بيدهم المعلومات يكتمونها ويحرفونها بحسب أهواءهم؟ وهذه حقيقة موجودة لماذا هذه الكثرة المتكاثرة في هذه السنين الأخيرة من الكتب والدراسات التي كتبها الكثير من المثقفين وحتى البعض منهم من علماء الدين ممن عرفوا الحقيقة مع أهل البيت واستمسكوا بعروتهم الوثقى وفازوا بولائهم لعليٍّ وآل عليّ ووصلوا إلى شاطئ الأمان هذا يكشف عن هذه الحقيقة عن التعتيم.

﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ثم تقول الآية ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ وهذا الخطاب أيضاً للأمة حينما كان الخطاب عن النبي بما هو نبي جاءت الصيغة بصيغة الغائب ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ الحديث هنا عن النبي وعن كماله فجاءت بصيغة الغائب لكن حينما يوجه الكلام إلى الأمة وفي الآية إشعارٌ ببعض الأمور التي لا يريدها الله قطعاً لا تكون من النبي لان الخطاب موجهاً للنبي ومن النبي إلى الأمة فالنبي هو الرسول ما معنى الرسالة؟ هذا مصداقٌ من مصاديق الرسالة النبي هو الذي يحمل الرسالة ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ وما الرسول إلا مرآة لنقل الخطاب الرسالي وهذا هو الخطاب الرسالي الموجه للأمة ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الممترين يعني الشاكين الامتراء هو الشك ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ إذا كان اليهود يعلمون الحق فهل يعقل أن النبي يشكُ في الحق؟ الآية السابقة ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ لا يشكون يعلمون بأنه الحق لا شك عندهم في ذلك قطعاً هذه الآية لا تشير إلى النبي وإنما تشير إلى الأمة إلى مجموعة من الأمة يدخلها الشك والريبة وهذا كان موجوداً في زمان النبي وبعد النبي

﴿الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُمتَرِينَ﴾ إذا كان اليهود ليس عندهم شك فهل يعقل أن الخطاب في هذه الآية لرسول الله، بشكلٍ مباشر؟! وإنما هذا خطابٌ رسالي عبر المرآة الرسالية ﴿الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُمتَرِينَ﴾ من الشاكين ﴿وَلِكُلٍّ وِجهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ ولكلٍ لكل أمةٍ لكل نبيٍ لكل وليٍ بل حتى في التكوين لكل كائنٍ له وجهةٌ يتجه إليها ويصل إليها وكل الكائنات هي سائرةٌ باتجاه باريها.

﴿وَلِكُلٍّ وِجهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وإن كان الحديث هنا عن القبلة وعن الكعبة ﴿وَلِكُلٍّ وِجهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ الآية في أفق من أفاقها تتحدث عن الكعبة تتحدث عن القبلة ولكن في أفق آخر تتحدث عن القبلة الكونية وليس عن القبلة المحدودة بالكعبة وهي قبلة أهل القبلة قبلة المسلمين الآية فيها أفق آخر وهو الحديث عن الكعبة الكونية القبلة الكونية الحقيقةُ المحمَّدية فكل الكائنات سائرةٌ باتجاهها ﴿وَلِكُلٍّ وِجهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ موليها هنا جاء هذا الاستعمال في الحديث عن القبلة إذا أردنا أن نرجع إلى الآيات فماذا نجد؟ ﴿قَد نَرَى تَقَلُّبَ وَجهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلَةً تَرضَاهَا﴾ ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلَةً تَرضَاهَا﴾ الآيات التي قبلها ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُم عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا﴾ والآيات التي بعدها كذلك والآيات التي تأتينا لماذا يأتي بهذا الاستعمال تولي التولي والولاية هو أن الإنسان يعطي وجهه وقلبه وحياته لجهة يتوجه بكل كيانه لجهة يكون مرتبطاً بتلكم الجهة وهذا هو معنى الولاية لأهل البيت وأنا قلت بأن التوجه إلى الكعبة بأن التوجه إلى القبلة إنما هو مظهر من مظاهر ولاية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

أنا إن شاء الله تعالى بعد شهر رمضان في الوقت المناسب سأشرع في شرح معاني وفي بيان معاني الصلاة، الصلاة بكل خصوصياتها بحسب ما جاء في كلمات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وحينها ستتضح الكثير من هذه المطالب حينما أقول بأن التوجه إلى الكعبة بأن التوجه إلى القبلة إنما هو مظهرٌ من مظاهر الصلاة ومظهرٌ من مظاهر الولاية التوجه إلى الكعبة التوجه إلى القبلة هو مظهرٌ من مظاهر الصلاة وجزءٌ من أجزاء الصلاة والصلاة هي جزءٌ من أجزاء الولاية ومظهرٌ من مظاهر الولاية ﴿وَلِكُلٍّ وِجهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ لكل أمة قبلة لكل أمة جهة تتوجه إليها ﴿فَاستَبِقُوا الخَيرَاتِ﴾ ليست المشكلة في الجهة التي تتجه إليها الأمة هناك حكمةٌ في أن تتجه الأمة إلى بيت المقدس في وقتٍ من الأوقات وهناك حكمةٌ أخرى في أن تتجه الأمة ويتجه الناس إلى الكعبة في وقتٍ آخر والأمرُ بيد الله سبحانه وتعالى لا توجد هناك ضرورة أن يكون الاتجاه ثابتاً دائماً في كل زمانٍ وفي كل مكان في مقطعٍ زماني كانت القبلةُ بيت

المقدس وفي مقطعٍ آخر صارت القبلةُ هي الكعبة ﴿وَلِكُلٍّ وِجهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاستَبِقُوا الخَيرَاتِ﴾ الاستباق والتنافس فليكن على الخيرات، الخيرات في روايات أهل البيت مفسرة بالولاية بولاية عليٍّ وآل عليّ ﴿فَاستَبِقُوا الخَيرَاتِ﴾ وهذا يدل على نفس المعنى أن حقيقة القبلة وأن حقيقة الكعبة وأن حقيقة التوجه إلى القبلة هو الولاية ﴿فَاستَبِقُوا الخَيرَاتِ﴾ ﴿وَلِكُلٍّ وِجهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاستَبِقُوا الخَيرَاتِ﴾ الاستباق في حقيقة القبلة لا في أن القبلة تكون في هذه الجهة أو في تلكم الجهة تحديد الجهة للقبلة يكون بحسب مصالح هذه المصالح قد تكون اجتماعية قد تكون سياسية قد تكون تأريخية وقد تكون وقد تكون ولكن أين هي الثمرة؟ وأين هو الجوهر؟ الجوهر في حقيقة التوجه إلى القبلة وهي الولاية لذلك الاستباق ليس في التوجه إلى الجهة ألف أو إلى الجهة باء وإنما في الخيرات والخيرات كما وقعت في كلمات المعصومين هي ولاية عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه.

﴿فَاستَبِقُوا الخَيرَاتِ أَينَ مَا تَكُونُوا يَأتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ الآية هنا فيها إشارة إلى مظهر من مظاهر الولاية بحسب روايات أهل البيت الآية تتحدث في أفقٍ من أفاقها عن أصحاب الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه وروايات كثيرة جداً وردت عن أهل البيت في بيان معنى هذه الآية في أنها في أصحاب الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه فقط على سبيل المثال أقرأ رواية واحدة وإلا الروايات كثيرة جداً الرواية أنقلها من تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني رضوان الله تعالى عليه الرواية – **عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لقد نزلت هذه الآية في المفقودين من أصحاب القائم عليه السلام** – أي آية قولهُ عزَّ وجلَّ ﴿أَينَ مَا تَكُونُوا يَأتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ – **إنهم المفقودون في فرشهم ليلاً أو من فرشهم ليلاً فيصبحون بمكة وبعضهم يسير في السحاب نهاراً يُعرفُ باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه** – الحلية هي الصفة الظاهرية وقد تكون الملبس المظهر الخارجي – **قال: فقلتُ جعلتُ فداك أيهم أعظمُ إيمانا؟ قال: الذي يسيرُ في السحاب نهاراً** – وروايات كثيرة جداً أنا فقط أخذت هذا النموذج هذا المثال من كلمات أهل البيت في أن هذه الآية إنما هي في أصحاب إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه وحينما تكون الآية في هذا الأفق فهناك ارتباطٌ أيضاً بين معنى الولاية وهي ولاية إمام زماننا وبين الكعبة التي هي مكان الظهور الشريف وبين الكعبة التي هي جهةُ توجه أنصار الإمام صلوات الله وسلامه عليه.

﴿وَلِكُلٍّ وِجهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاستَبِقُوا الخَيرَاتِ﴾ وإلا ما معنى هذه الآية في وسط هذه المضامين المتحدثة عن اليهود والنصارى وعن قبلة اليهود وعن قبلة النصارى وعن قبلة المسلمون ﴿وَلِكُلٍّ وِجهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاستَبِقُوا

﴿الخَيرَاتِ أَينَ مَا تَكُونُوا يَأتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ تلاحظون الآيات القرآنية كلها تدور في فناء عليٍّ وآل عليّ وهذا ليس برغبتي أنا وإنما هي كلمات أهل البيت تقول هكذا القرآن قرآنهم وهم يعرفون قرآنهم وهذه الكلمات كلماتهم صلوات الله وسلامه عليهم قد يقول قائلٌ هناك خرقٌ للسياق نعم هناك خرقٌ للسياق الأسلوب القرآني له خصوصيات لذلك في الروايات إن أبعد شيءٍ عن عقول الرجال ما هو؟ القرآن تفسيرُ القرآن أبعدُ شيءٍ عن عقول الرجال أو من عقول الرجال، الإمام يقول ربما تكون الآيةُ أولها في شيء وآخرها في شيءٍ آخر وهذا خرقٌ للسياق خرقُ السياق يكون في أفقٍ من آفاق القرآن، القرآن له أكثر من أفق بل له آفاق وآفاق هناك آفاقٌ قرآنيه يخرُق فيها السياق وهناك آفاقٌ قرآنيه يحافظ على السياق في وحدة المعنى ومع كل ذلك فإن في الأسلوب القرآني هناك مواطن يأتي الخرق لوحدة السياق حتى في الأفق الأول في أفق العبارة وعلى سبيل المثال الآن هذه الآية هي تخرق السياق ﴿وَلِكُلٍّ وِجهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاستَبِقُوا الخَيرَاتِ أَينَ مَا تَكُونُوا يَأتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾.

لكن ما الحكمة من ذلك؟! الحكمة في ذلك تريد الآيات أن تقول يريد القرآن أن يقول بأن موضوع القبلة وبأن موضوع تغيير القبلة وبأن التوجه إلى الكعبة مرتبطٌ بولاية عليٍّ مرتبطٌ ببيعة الغدير وبيعة الغدير امتدادها أين؟ بيعة الغدير هي بيعةُ إمام زماننا وما بيعة أصحاب الإمام عليه السلام للإمام في يوم ظهوره بين الركن والمقام إلا مصداقٌ من مصاديق الولاء بالعهود وبالمواثيق لبيعة الغدير.

﴿وَلِكُلٍّ وِجهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاستَبِقُوا الخَيرَاتِ أَينَ مَا تَكُونُوا يَأتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ * وَمِن حَيثُ خَرَجتَ فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ﴾ وَمِن حَيثُ خَرَجتَ: هناك من المفسرين من يقول ﴿وَمِن حَيثُ خَرَجتَ﴾ فإنما أنت خرجت من مكة يعني ومن حيثُ مكة التوجه إلى المسجد الحرام يكون على السواء سواء كنت في مكة أو كنت خارج مكة ﴿وَمِن حَيثُ خَرَجتَ﴾ هذه هي الآية التاسعة والأربعون بعد المئة ﴿وَمِن حَيثُ خَرَجتَ فَوَلِّ وَجهَكَ﴾ أيضاً ولي من الولاية من التولي ﴿فَوَلِّ وَجهَكَ﴾ حينما تجعل وجهك بهذا الاتجاه فإنك توالي هذا الاتجاه ﴿وَمِن حَيثُ خَرَجتَ فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ﴾ شطر باتجاه المسجد الحرام ﴿وَمِن حَيثُ خَرَجتَ فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ﴾ أو بعض المسجد الحرام وهو الكعبة ﴿وَإِنَّهُ لَلحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ الحقُّ الذي ذكر قبل قليل ﴿الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُمتَرِينَ﴾.

﴿ وَمِن حَيثُ خَرَجتَ فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ ﴾ هناك آيتان عندنا الآية مئة وتسعة وأربعون والآية مئة وخمسون يردُ هذا التعبير فيهما الآية مئة وتسعة وأربعون ﴿ فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعمَلُونَ ﴾ الآية الخمسون بعد المئة ﴿ وَمِن حَيثُ خَرَجتَ فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ وَحَيثُ مَا كُنتُم فَوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطرَهُ ﴾ فالآية الأولى تتحدث عن التوجه إلى الكعبة لمن كان في مكة ﴿ وَمِن حَيثُ خَرَجتَ ﴾ من أين خرج النبي؟! خرج من مكة ﴿ وَمِن حَيثُ خَرَجتَ فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ ﴾ يعني إن كنت في مكة فولِ وجهك للمسجد الحرام ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ هذا الأمر ﴿ لَلحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعمَلُونَ ﴾ .

الآية الثانية ﴿ وَمِن حَيثُ خَرَجتَ فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ وَحَيثُ مَا كُنتُم ﴾ أيضاً تؤكد أنك سواء كنت في مكة أو كنت خارج مكة الآية الأولى كانت تتحدث عن التوجه إلى المسجد الحرام لمن كان في مكة ﴿ وَمِن حَيثُ خَرَجتَ ﴾ إنما خرجت من مكة ﴿ فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ هذا الأمر ﴿ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعمَلُونَ ﴾ الآية التي بعدها ﴿ وَمِن حَيثُ خَرَجتَ فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ وَحَيثُ مَا كُنتُم ﴾ حيثما كنتم أي خارج مكة ﴿ فَوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيكُم حُجَّةٌ ﴾ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيكُم حُجَّةٌ: الآية هنا كما جاء في روايات أهل البيت تشير إلى هذه الحقيقة أن وصف النبي في كتب اليهود في كتب النصارى بأنه سيتوجه في قبلته إلى الكعبة فلو لم يتوجه النبي إلى الكعبة لكان هناك حجة بيد اليهود وبيد النصارى أن هذا النبي ليس هو الموجود في كتبنا يعني المعلومات التي يخفونها سوف يظهرونها يحتجون بها ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيكُم حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم ﴾ في بعض الروايات، رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إلا هنا بمعنى لا، بمعنى ولا، يعني لتكون الآية هكذا ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيكُم حُجَّةٌ و لاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم ﴾ وحتى الذين ظلموا منهم لن تكون لهم حجة عليكم أو أن المراد إلا الذين ظلموا منهم بحسب الظاهر اللفظي وهنا استثناء فالمقصود إلا الذين ظلموا منهم يعني أولئك الذين هم خارج إطار اليهود والنصارى وهم من؟ قريش وأمثال قريش فلا تخشوهم واخشوني ولا يوجد هناك فارق في المعنى.

﴿ وَمِن حَيثُ خَرَجتَ فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ وَحَيثُ مَا كُنتُم فَوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيكُم حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِي وَلأُتِمَّ نِعمَتِي عَلَيكُم وَلَعَلَّكُم تَهتَدُونَ ﴾ هذه الإشارة أنا أشرت إليها ﴿ فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِي ﴾ في أي قضية في قضية التوجه إلى الكعبة ﴿ وَلأُتِمَّ نِعمَتِي عَلَيكُم ﴾ في أي قضية في نفس القضية في قضية التوجه إلى الكعبة ﴿ وَلَعَلَّكُم تَهتَدُونَ ﴾ تصلون إلى الهدى في أي قضية؟ في قضية التوجه إلى الكعبة لأن الآيات كلها تتحدث عن هذا المعنى ففي التوجه للكعبة ﴿ فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِي ﴾ وفي التوجه للكعبة ﴿ وَلأُتِمَّ نِعمَتِي عَلَيكُم ﴾ هناك تمام النعمة وفي التوجه للكعبة ﴿ وَلَعَلَّكُم تَهتَدُونَ ﴾ إذاً هناك ثلاثة أمور ذكرت ﴿ فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِي ﴾ ﴿ وَلأُتِمَّ نِعمَتِي عَلَيكُم ﴾ ﴿ وَلَعَلَّكُم تَهتَدُونَ ﴾ وهذا المضمون يمكن أن نجده واضحاً في سورة المائدة هذا المضمون يأتي بنحوٍ واضح في سورة المائدة في الآية الثالثة ﴿ اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُم ﴾ متى يئس الذين كفروا من ديننا؟ حينما وضعت العلامات الشاخصة أيُ علامةٍ شاخصة شخصت الدين؟ بيعةُ الغدير الآية واضحة في بيعة الغدير ﴿ اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُم فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِ ﴾ هناك ترابط بين التوجه للقبلةِ للكعبة نفس هذه التعابير الآيات عن القبلة ﴿ فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِي وَلأُتِمَّ نِعمَتِي عَلَيكُم وَلَعَلَّكُم تَهتَدُونَ ﴾ في بيعة الغدير ﴿ فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِ ﴾ ﴿ اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُم فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِ اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلاَمَ دِينًا ﴾ .

إذا نذهب إلى الآية السادسة وإلى الآية السابعة في سياق آية الوضوء والتيمم ﴿ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُم ﴾ والوضوء والتيمم هي مظهرٌ من مظاهر الولاية أيضاً لأن الطهور الأعظم هي ولايةُ عليّ هذا طهورٌ أصغر ومن دون الطهور الأعظم لن يتحقق الطهور الأصغر الروايات تقول بأن عدو عليٍّ لو جاء إلى الفرات وهو يزخُ زخيخاً هكذا يقول الإمام الصادق يزخ زخيخاً يعني الماء متدافع فيه كثير وكثير وكثير ماء كثير يعني ماء معتصم بالاصطلاح الفقهي الماء المعتصم بالاصطلاح الفقهي الماء الذي لا تؤثر فيه النجاسة لا يتنجس بملاقاة النجاسة الماء المعتصم، جاء إلى الفرات وهو يزخُّ زخيّخاً فقال: بسم الله ثم شرب وقال: الحمدُ لله، يعني أدى الطقوس الدينية المستحبات الإمام يقول: ما كان ذلك إلا دماً مسفوحاً هذا الماء ما كان إلا دماً

مسفوحاً لأن الطهور الأعظم هي ولايةُ عليّ ﴿وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُم وَلِيُتِمَّ نِعمَتَهُ عَلَيكُم﴾ تلاحظون إتمام النعمة مترابط إتمام النعمة مترابط بين الوضوء والتيمم بين الطهارة وبين التوجه إلى الكعبة والتوجه إلى الكعبة والطهارة هي من أجزاء الصلاة ومن روح الصلاة ومن شرائط الصلاة سمي ما شئت ليس الآن الحديث في المصطلحات إنما هي كلها تقع تحت عنوان الصلاة في معنى الصلاة في روح الصلاة فما بين الصلاة في طهارتها وفي كعبتها وما بين الولاية بين ولاية عليّ تجد هذه العبائر واحدة ﴿وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُم وَلِيُتِمَّ نِعمَتَهُ عَلَيكُم لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ ثم تستمر الآية التي بعدها ﴿وَاذكُرُوا نِعمَةَ اللَّهِ عَلَيكُم﴾ متى؟

﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ﴾ أيُّ ميثاق غير ميثاق بيعة الغدير ميثاقُ الولاية ﴿وَاذكُرُوا نِعمَةَ اللَّهِ عَلَيكُم﴾ هذه في سورة المائدة قبل قليل قرأنا في الآية الثالثة ﴿فَلَا تَخشَوهُم وَاخشَونِ اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلَامَ دِينًا﴾ الآن في الآية السادسة والسابعة ﴿وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُم وَلِيُتِمَّ نِعمَتَهُ عَلَيكُم لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ * وَاذكُرُوا نِعمَةَ اللَّهِ عَلَيكُم وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذ قُلتُم سَمِعنَا وَأَطَعنَا﴾، بخٍّ بخٍّ لك يا عليّ لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمنٍ ومؤمنة، في لامية عمر بن العاص التي يخاطب فيها معاوية:

معاويةُ الفضل لا تنسى ليِّ وعن منهج الحقِّ لا تعدلي

إن شاء الله إذا صارت مناسبة في أيام الشهر الشريف أتلوها على مسامعكم ماذا يقول فيها وهو يخاطب معاوية؟

وبخبخَ شيخاك لَمَّا رأوا عُرى عقد حيدرا لم يحللِ

بخ بخ شيخاك يعني الخليفة الأول والخليفة الثاني قالا لعليٍّ في بيعة الغدير بخٍّ بخٍّ لك يا عليّ أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

وبخبخَ شيخاك لَمَّا رأوا عُرى عقد حيدرا لم يحللِ

وبخبخَ شيخاك لَمَّا رأوا عُرى عقد حيدرا لم يفللِ

﴿وَاذكُرُوا نِعمَةَ اللَّهِ عَلَيكُم وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذ قُلتُم سَمِعنَا وَأَطَعنَا﴾ بخٍّ بخٍّ لك يا علي ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ لأن الجماعة في نفس الوقت الذي بخبخوا فيه كانت النيةُ على المخالفة ثابتة في قلوبهم ﴿وَاذكُرُوا نِعمَةَ اللَّهِ عَلَيكُم وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذ قُلتُم سَمِعنَا وَأَطَعنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ الكلام لا

يكفي أن تقولوا سمعنا وأطعنا الكلام بحاجة إلى تقوى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ والآيات تستمر على هذا المعنى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ فهل كان الصحابة قوامين لله شهداء بالقسط حين دعاهم عليٌّ للشهادة على بيعة الغدير حتى في أيام خلافته.

قضية أنس بن مالك معروفة وكيف أن الأمير دعاه للشهادة واعتذر قال بأنني قد كبرت فدعا عليه أمير المؤمنين قال: اللهم أصبه بواضحة فاضحة فأصابه البرص والقضية معروفة في كتب التأريخ ونفس الشيء لَمَّا دعاهم سيد الأوصياء لأن يشهدوا له بالحقّ إن كان بعد واقعة السقيفة أو كان في قضية الشورى، الشورى التي أبتدعها عمر بن الخطاب والتفاصيل مذكورة في كتب التأريخ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ هذا في سياق الآية السابقة التي تحدث عن الميثاق ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ولكن بعد ذلك الأمور تبدلت وتقلبت ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا: الآية كأنها جاءت في سياق تعداد النعم الإلهية أيّ أن الله سبحانه وتعالى كما أنعم عليكم بأيّ نعمةٍ بنعمة التوجه إلى الكعبة لأن الآية السابقة هكذا تقول ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ كما يعني أن الله سبحانه وتعالى كما أنعم عليكم كذلك أرسل إليكم وقلت بأن النعمة الكاملة وبأن النعمة التأُمَّة في قضية الكعبة والقبلة هي في معنى ولاية عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ يعني كذلك نحن ارسلنا ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ رسولاً منكم: وهذه نعمة كبيرة لو كان النبي من قومٍ آخرين هل كان العرب العُتاة العرب الذين عُرفوا بالعصبية والعناد يقبلون ويُذعنون لنبي من فارس مثلاً أو لنبي من الترك أو لنبي من الكرد ما أذعنوا والشعوب الأخرى أذعنت لكن العرب لو كان النبي قد بُعِثَ من أُمَّة أخرى لَمَا أذعنوا لذلك النبي ولذلك هذه نعمة من لطف الله سبحانه وتعالى أن خلصكم من هذا الابتلاء حينما أقول بأنهم لا يُذعنون لا أعني جميعهم لكن النسبة الغالبة فإنها لا تُذعن النبي جاء منهم

ويعرفونهُ ويسمونه بالصادق الأمين ويعرفون شرف نَسَبهِ وحَسَبهِ ويعرفون شرف قومه وقبيلتهِ ومع ذلك ما آمنوا به.

﴿كَمَا أَرسَلنَا فِيكُم رَسُولاً مِّنكُم يَتلُو عَلَيكُم آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُم﴾ التزكية هي التربية هي التنقية ﴿يَتلُو عَلَيكُم آيَاتِنَا﴾ وهذه التلاوة كان يتلوها من كتابٍ ومن غير كتاب ﴿وَيُزَكِّيكُم﴾ وجودهُ معكم وجود النبي هو زكاة لكم طهارة لكم النبي طهرهم من أدرناهم ومن أوساخهم المادية والمعنوية ﴿يَتلُو عَلَيكُم آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُم وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ﴾ والكتاب والحكمة إنما هي المعرفة الخاصة هذه المعرفة التي وصل إليها سلمان وصل إليها أبو ذر وصل إليها المقداد أمثال هؤلاء الذين تعلموا الكتاب والحكمة في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ﴾ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعلَمُونَ:ما علمه لعامَّة الأُمَّة أما الكتاب والحكمة فهذا علمٌ للخاصة لأصحاب المراتب العالية من الإيمان ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ﴾ والآية هنا لو دققنا النظر فيها فهي تشير إلى نفس الموضوع الذي تحدثت عنه في برنامج يسألون والمودة تجيب عن موضوع أمية النبي صلى الله عليه وآله ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ﴾ هذه هي الآية الحادية والخمسون بعد المئة من سورة البقرة.

إذا أردنا أن نذهب إلى سورة العلق وهي السورة الأولى بحسب المشهور النازلة على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ﴿اقرَأ بِاسمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِن عَلَقٍ * اقرَأ وَرَبُّكَ الأَكرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَم يَعلَم﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعلَم: من سياق الآيات من جملة هذا الشيء هو أن علمه بالقلم ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَم يَعلَم﴾ هنا رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ﴾ يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ألا ينطبق هذا المعنى الموجود في هذه الآية على نفس المعنى الموجود في سورة العلق بأنه كان يعلمهم القراءة والكتابة ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ﴾ هنا في سور العلق ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَم يَعلَم﴾ ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ﴾ لا أريد أن أقف كثيراً عند هذا المعنى وإنما أستمر فقط أشرت إلى هذه الإشارة ﴿فَاذكُرُونِي أَذكُركُم وَاشكُرُوا لِي وَلَا تَكفُرُونِ﴾ في الروايات الشريفة الواردة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن هذه الفضيلة الله سبحانه

وتعالى جعلها لأولياء النبي لأُمَّة النبي حين الحديث عن أُمَّة النبي أُمَّة النبي في الدرجة الأولى هم المعصومون أُمَّة النبي وفي الدرجة الثانية هم أشياع المعصومين هؤلاء هم أُمَّة النبي فقد مرَّ الكلام عن معنى الأُمَّة في الحلقات الماضية من هذا البرنامج خصوصاً حينما تحدثنا عن الآية ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ﴾ ﴿فَاذكُرُونِي أَذكُركُم﴾ هذه خصوصية وهبة لأُمَّة النبي وأُمَّة النبي كما قلت بالدرجة الأولى المعصومون وبالدرجة الثانية أتباع المعصومين هؤلاء هم أُمَّة النبي أما أولئك الذين غيروا وقلبوا ماذا يقول لهم رسول الله حين يردون على حوض الكوثر كما في البخاري وفي غير البخاري يقول: سحقاً سحقاً وبُعداً بُعداً لهم أولئك الذين قَلَّبوا وغَيّروا وبدلوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حين يردون على النبي على حوض الكوثر فيطردهم عن الحوض وساقي الكوثر أنتم تعرفونه عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه.

﴿فَاذكُرُونِي أَذكُركُم﴾ الروايات تقول إن الله سبحانه وتعالى لَمَّا خلق الملائكة وحتى العرش ولَمَّا خلق كل الكائنات لم يخاطب أيَّ كائنٍ من الكائنات فقال له أذكرني وأنا أذكرك هذا الخطاب وُجه للنبي أيضاً من خلال المرآة وُجه للنبي إلى أُمَّة النبي ﴿فَاذكُرُونِي أَذكُركُم﴾ وهذا الجزاء هنا لا يُعرف مدى سعتهِ نحنُ نذكر الله سبحانه وتعالى ولكن حينما يذكرنا الله سبحانه وتعالى هل نستطيع أن نتصور مدى سعة هذا الجزاء؟ لا توجد هنا مقايسة أو مناسبة فقط في حالة واحدة حينما يكون الخطاب هنا موجه لرسول الله وللمعصومين حينما يكون الخطاب موجه لرسول الله وللمعصومين للحقائق المعصومة التي نخاطبها – **لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك** – يكون المعنى حينئذٍ بينهم وبينه ﴿فَاذكُرُونِي أَذكُركُم﴾ أما حينما أنا أذكر الله وحينما يذكر أيُّ إنسانٍ يذكر الله سبحانه وتعالى – **وما عسى أن يبلغ مقداري حتى أُجعَلَ محلاً لتقديسك، إلهي لولا قبول الواجب من أمرك لنزهتك عن ذكري إياك على أن ذكري لك بقدري لا بقدرك** – وما عسى أن يبلغ مقداري حتى أُجعَلَ محلاً لتقديسك وتنزيهك وتسبيحك وذكرك يا إلهي هذه فقرات من مناجاة الذاكرين المنقولة والمروية عن إمامنا زين العباد صلوات الله وسلامه عليه إلهي لولا الواجب من قبول أمرك لنزهتك عن ذكري إياك.

﴿فَاذكُرُونِي أَذكُركُم﴾ إذا كان الخطاب للذات المُحمَّدية للذوات المحمَّدية العلوية إذا كان الخطاب لهذه الذوات فذلك شأنٌ فيما بينهم وبينه لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك ولكن إذا كان الخطاب عبر المرآة الرسالية عبر المرآة المحمَّدية لأتباع محمَّدٍ لأتباع أئمة محمَّدٍ لأتباع أوصياء مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم إذا كان الخطاب فهنا الجزاء لا يمكن أن نتصورهُ ﴿فَاذكُرُونِي أَذكُركُم﴾ نحن نذكر الله والذكر له

درجات هناك الذكر القلبي في القلب وهناك الذكر اللساني وحتى الذكر القلبي أيضاً على مراتب، فهناك الذكر القلبي المرسوم في القلب وفي التصور بألفاظ معينة وهناك الذكر القلبي الذي هو الارتباط الروحي والمعنوي وهناك الذكر اللساني والذكر اللساني أيضاً منه ما هو الجلي المسموع ومنه ما هو الخفي الخافت وهناك الذكر العقلي وهو الفكر والتفكر وهناك الذكر الإنساني والمراد من الذكر الإنساني وهو ذكر الإنسان بكل كيانهِ لله سبحانه وتعالى وهذا إنما يتحقق في أي مكان؟ يتحقق في حال عمل الإنسان وفي حال تصرفات الإنسان من أفضل معاني الذكر أن الإنسان يذكر الله عند مواضع الطاعة وعند مواضع المعصية، يذكرهُ عند مواضع الطاعة فيتحرك باتجاه الطاعات ويذكرهُ عند مواضع المعصية فينكمش عن مواضع المعصية ولذلك في كلمات سيد الأوصياء في كلمات أهل البيت في معنى التقوى، التقوى أن يجدك الله في مواضع طاعته وأن يفتقدك من مواضع معصيته وهذا هو الذكر وأما الذكر الأكبر ولذكرُ الله أكبر الذكر الأكبر فتلك ولاية علي كما أن الطهور الأكبر ولاية علي، كما أن الصلاة الكبرى ولاية علي من دون الصلاة الكبرى لا تقبل الصلاة الصغرى من دون الطهور الأكبر لا يُقبل الطهور الأصغر ومن دون الذكر الأكبر لا يُقبل الذكر الأصغر ما فائدة اللقلقة اللسانية من دون ولاية علي، ولاية علي هي الرباط فيما بين الإنسان وبين الله.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ فإذاً الذكر الأكبر ولاية علي والذكر الأصغر له مراتب منه اللساني الجلي والخفي ومنه القلبي المصور بصورة ومنه الرباط المعنوي ومنه الذكر العقلي الفكر ومنه الذكر الإنساني الذكر العملي حينما يتذكر الإنسان ربه في مواطن الطاعة وفي مواطن المعصية وهناك مظاهر وصور أخرى للذكر ولكن كما قلت إذا كان الخطاب للأمَّة لأمَّة النبي لأتباع النبي والمعصومين ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ فهذا جزاء لا حدود له ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ والكفر هنا له مصاديق له درجات ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ هذا الشكر هو الشكر العملي هناك الشكر اللفظي الشكر العملي ما هو؟

الشكر العملي هو الإلتزام بالذكر الأكبر ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ قطعاً هنا الباري سبحانه وتعالى حينما يخاطبنا ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ قطعاً يريد المرتبة الأعلى لا يريد المرتبة الأدنى من الذكر فإنه يريد المرتبة الأعلى فحينما يريد المرتبة الأعلى المراتب الدنيا ستدخل تحتها وإلا لا يريد هنا المرتبة الدنيا من الذكر وهو الذكر اللساني لأنه إذا أراد المرتبة الدنيا وهو الذكر اللساني فإن الذكر الأكبر لن يكون داخلاً في الكلام لكنه قطعاً يريد الذكر الأكبر الذي هو سبب القبول وسبب النجاح والذي هو سبب الصحة للذكر الأصغر

والشكر هنا هو بالإلتزام بالذكر الأكبر ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ لأن الذكر الأصغر لو لم نلتزم به لا نقع في دائرة الكفر الذكر الأصغر هناك منه ما هو واجب وهناك منه ما هو المستحب الإنسان حتى لو ترك الصلاة فإنه لا يكفر يكون فاسقاً يكون عاصياً حينما يتركها من غير إنكارٍ لها لا يكون كافراً صحيح أن الصلاة من أهم الواجبات الشرعية لكن الإنسان لو لم يؤدها صحيح في الروايات في بعض الروايات إن الكلب يحمد الله على أنه جعله كلباً ولم يجعله تاركاً للصلاة وإن الخنزير يحمد الله أن جعله خنزيراً ولم يجعله تاركاً للصلاة وإن كانت هذه الأحاديث أيضاً فيها الإشارة إلى ولاية عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه وإلا الصلاة من دون ولاية عليٍّ لا معنى لها والخنزير هنا يحمد الله أن جعله خنزيراً ولم يجعله تاركاً للصلاة تاركاً لولاية عليٍّ وكذلك الكلب فأن تارك ولاية علي أنجس من كل هذه المعاني والروايات صريحة وواضحة عندنا لأن النبي نوح جمع كل الحيوانات جمع كل الحيوانات في سفينتهِ الحيوانات الطاهرة والحيوانات النجسة والإمام صلوات الله وسلامه عليه يقول ولم يحمل فيها ولد الزنا ما كان من جملة الثمانين الموجودين في سفينة نوح فيهم واحد لم يكن فيهم واحد من ابناء الزنا والإمام صلوات الله وسلامه عليه يقول – الناصب لنا شرٌّ من ولد الزنا – ماذا نفهم من هذا؟ الإمام يقول بأن نوحاً عليه السلام حمل الكلب في السفينة الكلب عين نجسة ولم يحمل ابن الزنا في سفينتهِ يقول وإن الناصب شرٌّ من ولد الزنا وهذه معاني مبسوطة في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ الذكر هو الذكر الأكبر ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ والشكر هو بالإلتزام بالذكر الأكبر فإن عدم الإلتزام بالذكر الأكبر يؤدي إلى أي شيءٍ؟ إلى الكفر ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ ومرَّ علينا أيضاً في سورة البقرة مرت هذه الآية علينا وهي الآية الخامسة والأربعون ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ وقرأت على مسامعكم كلام أمير المؤمنين الذي نقلهُ إلينا سلمان الفارسي فقال: يا سلمان الصبر نبوة مُحَمَّد والصلاة ولايتي وإن الله قال وإنها ولم يقل وإنهما ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ قال الخاشعون هم الشيعة المستبصرون لأن ولايتي هي الكبيرة، هي الكبيرة على النفوس لأن هناك الكثير من النفوس الكثير من القلوب تجد ولاية عليٍّ بمعناها العميق كبيرة لا تقبلها تنفر منها.

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ الآية هنا أيضاً تؤكد هذا المعنى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ

﴿وَالصَّلَاةِ﴾ طبعاً هناك أفاق للآية من جملة أفاق الآية ورد في معنى الصبر في روايات أهل البيت الصوم يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصوم والصلاة وأيضاً ورد في معناها الصبر وما الصوم إلا مصداق من مصاديق الصبر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ لماذا جاء ذكر هذا الوصف ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ لأن الصبر عنوان عام الصبر هناك الصبر على الطاعات، الصلاة أيضاً يمكن أن تكون مصداقاً من مصاديق الصبر لأن الصلاة تحتاجُ إلى مرابطة تحتاج إلى مصابرة تحتاج إلى مثابرة، الصوم هو صبر أيضاً وكل عبادة من العبادات تقع تحت هذا العنوان التمسك بولاية عليٍّ هو صبر، ولا يمكن أن ينجو المؤمن في الحياة الدنيوية أن ينجو بدينه وأن ينجو بدنياه إلا بالصبر، الصبر هو العلاج الناجع لكل من أحب علياً وآل علي من دون الصبر نقع في المتاهات بعد المتاهات ومن دون الصبر نقع في الفشل بعد الفشل، الصبر هو وسيلة النجاح في الحياة الدنيوية وهو وسيلة النجاح أيضاً في الحياة الدينية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ الصبر وسيلةٌ توصلنا إلى شاطيء الأمان وعندنا قانون هذا القانون لا يختلف ولا يتخلف القانون ماذا يقول؟ أنهُ من صبر ظفر إن لم يظفر بكل بغيتهِ فإنه سوف يظفر ببعضها هذا قانون لا يختلف ولا يتخلف في الحياة، لا في الحياة الدنيوية ولا في الحياة الدينية من صبر ظفر إن لم يظفر بكل حاجتهِ يظفر ببعضها ولذلك الآية هنا جاءت بعد الحديث عن أي شيءٍ؟ بعد الحديث عن الكعبة بعد الحديث عن القبلة الذي هو معنىً من معاني الولاية ثم انتقل الكلام عن الولاية بأفاق عديدة إلى أن وصل ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ والتمسك بالذكر يحتاج إلى الصبر كيف نتمسك بالذكر الأكبر في هذه الدنيا الغادرة من دون الصبر، الصبر هو الذي يُعيننا على التمسك بالذكر الأكبر وهو عليٌّ وولايته ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وما شهر الصيام وما الصوم فيه إلا صورةٌ من صور الصبر إلا نحوٌ من أنحاء التربية على الصبر وهنا لا أريد الحديث عن الصيام ربما أتحدثُ عن شيءٍ من أسرارهِ في موطنٍ آخر حين يأتي ذكر الصيام.

الآية التي بعدها، الآن بدأ الكلام يرتفع شيئاً فشيئاً الحديث عن القبلة وعن تبديل القبلة وعن الفتنة ثم ارتفع الكلام للحديث عن القبلة في معناها الأعمق وهي ولاية علي ووصل الكلام إلى التمسك بالذكر الأكبر ثم جاءت الآية تحدثنا أننا نستعين تأمرنا ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ إن الله يكون معكم يؤيدكم إلى أن يرتفع المعنى في الآية الرابعة والخمسين بعد المئة ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

﴿أَمواتٌ بَل أَحياء وَلَكِن لاَّ تَشعُرُونَ﴾ الآية تريد أن تقول بأن هذا الطريق بأن طريق الذكر الأكبر بأن طريق الذكر الأعظم بأن طريق عليٍّ الذي نستعين عليه بالصبر وبالصلاة هذا الطريق فيه ما فيه ومن جملة ما فيه في هذا الطريق هذا الطريق يقود إلى الشهادة يقود إلى القتل ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ﴾ وسبيل الله كما في كلمات أهل البيت سبيل الله سبيل علي هكذا ورد في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في هذه الآية أو في غيرها سبيل الله ولذلك أنت تخاطب الإمام الحجة عليه السلام وأنت تقرأ دعاء النُدبة وتناجيه: **أينَ السَبيلُ بعد السبيل**. أئمتنا هم السبيل ألا تخاطب إمام زمانك هكذا: **أينَ السَبيلُ بعد السبيل** ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَموَاتٌ بَل أَحيَاء﴾ من مات في حب آل محمَّدٍ مات شهيداً ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَموَاتٌ بَل أَحيَاء وَلَكِن لاَّ تَشعُرُونَ﴾ الكلام هنا عن حياة لمن؟ لأولئك الشهداء لأولئك العظماء الذين قضوا في طريق ولاية علي وآل علي، هؤلاء ليسوا أمواتاً أنتم أيها الذين تعيشون في هذه الحياة الدنيوية أنتم محجوبون أنتم الأموات بمعنىً آخر هؤلاء يعيشون حياةً أخرى حياةً حقيقية.

﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَموَاتٌ بَل أَحيَاء وَلَكِن لاَّ تَشعُرُونَ﴾ الآية الكريمة هنا تتحدث عن حياةٍ أرقى عن حياةٍ أعلى عن حياةٍ أفضل عن حياةٍ أحلى من هذه الحياة التي نحياها في هذه الدنيا الضيقة والتي نتكالب عليها وهنا يأتي سؤال وهذا السؤال أعتقد بأن الإجابة موجودة عندكم لكن السؤال يأتي من خلال هذه الآية هل أن الإنسان حينما يموت يُرادُ من الموت، الموت يعني انتهاء الحياة أو أنه ينتقلُ إلى صورةٍ أخرى من صور الحياة، قطعاً الإنسان بعد موتهِ لن ينتهي وإنما ينتقل إلى صورةٍ أخرى من صور الحياة وهذا الأمر يعم المؤمن ويعم غير المؤمن، يعم الذي يقتل في سبيل الله ويعم الذي يقتل في عداء الله سبحانه وتعالى يقتل في مواجهة أولياء الله، مثلاً في سورة آل عمران هذه الآيات ماذا يفهم منها؟ الآية التاسعة والستون بعد المئة من سورة آل عمران والآية السبعون بعد المئة ﴿وَلاَ تَحسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبيلِ اللّهِ أَموَاتًا﴾ لاتحسبنَّ أن الإنسان يظن الحسبان الإنسان حينما أقول أحسب الأمر الفلاني أظن ﴿وَلاَ تَحسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبيلِ اللّهِ أَموَاتًا بَل أَحيَاء﴾ هؤلاء أحياء ﴿عِندَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ﴾ هناك وصفٌ آخر يأتي في الآية التي بعدها ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضلِهِ وَيَستَبشِرُونَ بِالَّذِينَ لَم يَلحَقُوا بِهِم مِّن خَلفِهِم أَلاَّ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ

هُم يَحزَنُونَ﴾ في الآية الثالثة الأخرى وهي الحادية والسبعين بعد المئة ﴿يَستَبشِرُونَ بِنِعمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجرَ المُؤمِنِينَ﴾ هذه الأوصاف أحياءٌ يرزقون، فرحين ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، يستبشرون بنعمةٍ من الله وفضل، هذه الأوصاف كلها تشير إلى درجةٍ أرقى من درجات هذه الحياة ونفس الشيء لأولئك الذين وقفوا في وجه أولياء الله، في سورة غافر نفس هذا المعنى ونفس هذا المضمون في الآية السادسة والأربعين في الآية الخامسة والأربعين والسادسة والأربعين ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرعَونَ سُوءُ العَذَابِ * النَّارُ يُعرَضُونَ عَلَيهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ ويوم القيامة لا فيه غداة ولا فيه عشية الغداة والعشية إنما هي في عالم الدنيا في هذا العالم فيه غداة وفيه عشية يوم القيامة الأرض تبدل غير الأرض والسماء مطويات بيمينه كل شيء يتبدل لأن الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى إلى يوم القيامة، وأذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت كل شيء يتغير ﴿النَّارُ يُعرَضُونَ عَلَيهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَومَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدخِلُوا آلَ فِرعَونَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾ الآية هنا تتحدث عن حياةٍ قبل يوم القيامة هذه الآية الخامسة والأربعون السادسة والأربعون من سورة غافر ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرعَونَ سُوءُ العَذَابِ﴾ في بعض المصاحف تُكتب سورة المؤمن، سورة غافر هي نفسها سورة المؤمن ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرعَونَ سُوءُ العَذَابِ * النَّارُ يُعرَضُونَ عَلَيهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَومَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدخِلُوا آلَ فِرعَونَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾ .

فهناك حياةٌ بعد هذه الحياة لأولياء الله ولأعداء الله وهذا تفصيل مذكور في الروايات عن عالم البرزخ وأن الذين ينتقلون إلى عالم البرزخ حياتهم على درجات هناك من يُلهى عنهم تكون درجة الحياة بالنسبة لهم ضعيفة وهناك من تكون قبورهم حفرة من حفر النيران أو روضة من رياض الجنان وهم أولئك الذين محضوا الإيمان أو محضوا الكفر وهذا تفصيل مذكور في الروايات الآن لست بصدد الحديث عنه لكن بالنسبة لهؤلاء الذين يُقتلون في سبيل الله لهم حياة تختلف عن حياة الباقين ما السببُ في ذلك؟ قد تسأل عن السر في ذلك هناك سران: هناك سر الجزاء جزاء الإخلاص هناك سر جزاء القرب هؤلاء ﴿وَمَا أَعجَلَكَ عَن قَومِكَ يَا مُوسَى﴾ ﴿وَعَجِلتُ إِلَيكَ رَبِّ لِتَرضَى﴾ هؤلاء عَجَّلوا في القربِ وفي الرجوع إلى الله هؤلاء عَجَّلوا في التعجيل جزاء هذا التعجيل أن الله أقبلَ إليهم، تقدم إليَّ شبراً أتقدم إليك ميلا، أذكروني أذكركم، فهؤلاء تقدموا إلى الله شبراً فتقدم الله إليهم ميلا هذا سرٌ، وسرٌ آخر هو سرٌ تكويني الإنسان له أجل وهناك علاقة

بين الروح وبين البدن، حينما يأتي الأجل تنفصم هذه العلاقة تكوينياً بين الروح والبدن كيف تنفصم تنتهي عملية الموائمة مثلما كل شيء له زمن معين يبقى فيه مؤهلاً للاستفادة منه ثم ينتهي زمن الصلاحية أليس هناك زمن لصلاحية الأشياء؟

تكون هذه الأشياء صالحة للاستعمال لكذا من المدة، الأجل الذي يوضع للإنسان وطبعاً حتى حينما يكون هناك بداء إن كان بداء لطول الأجل أو لقصر الأجل هذا البداء ينعكس على الطبيعة والتكوين البدني للإنسان فإذا قُلِّل من عمر الإنسان بسبب قانون البداء فإن الفساد سيسرع إلى بدن الإنسان إلى أن يصل إلى الحد الذي لا تكون هناك موائمة بين الروح وبين الجسد لكن في بعض الأحيان الإنسان قبل أن يصل إلى مرحلة فساد العلاقة وفساد الموائمة بين الجسد والروح تأتي عوامل خارجية تؤدي إلى فصل الروح عن الجسد فمن جملة قوانين الحياة الدنيوية والحياة الروحية والجسدية للإنسان هناك مجموعة من العوامل تؤدي إلى فصل الروح عن الجسد كأن يقتل الإنسان في حادث في معركة في أي شيء بالسم في أي قضيةٍ أخرى حينما يقتل هذا الإنسان فإنهُ حينما يموت يكون قد مات قبل الأجل الأفتراضي له فلنسميه بالأجل الافتراضي فإنه يأخذ معهُ جزءاً من الفعلية يعني إن فعلية الحياة الدنيوية لم تنتهي بانفصام الروح عن الجسد بحسب الأجل المسمى له وإنما انفصمت بحسب عاملٍ آخر فلا زال يحمل جزءً من هذه الفعلية وهذه الفعلية تتجلى أكثر عند الشهداء الذين يذهبون بأنفسهم أما أولئك الذين تأتيهم الحوادث عرضاً فإن آجالهم إنما كانت مصورة بهذه الصورة لا يحملون معهم هذه الفعلية الشهيد هو يذهب بنفسهِ إلى أجلهِ إلى مقتلهِ إلى نهاية حياته فيكون هناك جزء من الطاقة جزء من الفعلية موجودة عنده لم يكن قد استنفذها في الحياة الدنيوية وهذا مطلب ربما يكون واسعاً وعميقاً لكنني بشكل مختصر أشير إليه.

بسبب العلاقة بين الروح والجسد هناك نحو من الطاقة هذه الطاقة الموجودة عند الإنسان ومن أسباب هذه الطاقة مثلاً الحرارة الغريزية الموجودة في داخل الإنسان الآن لو نفترض أننا نستطيع من أن نبرد داخل الجسم الإنساني نستطيع أن نسحب الحرارة فإن الأعضاء الداخلية لن تعمل لا القلب يعمل ولا المعدة ما هو السر الذي يجعل القلب يعمل؟ طبعاً هناك الآن في العلوم الحديثة اكتشفت هناك كهربائية موجودة في داخل البدن الإنساني داخل البدن الإنساني هناك تفاعل كيميائي وهناك قوة كهربائية وهناك قوة مغناطيسية وهناك الطاقة الحرارية التي تسمى بالحرارة الغريزية هذه مجموعة العوامل هذه المنظومة هي التي تؤدي إلى حركة الأعضاء الداخلية لبدن الإنسان وإلا كيف تتحرك أنت نائم والقلب يعمل أنت نائم والكلية تعمل أنت نائم والكبد يعمل أنت مشغول بأمرٍ آخر وكل هذه الأعضاء تعمل كيف تعمل هذه الأعضاء؟ تعمل بالطاقة المغناطيسية بالطاقة الكهربائية وبالحرارة الغريزية وبالتفاعل الكيميائي الموجود هذه بمجموعها تشغل داخل الإنسان هذه المنظومة إنما تتحرك بسبب طاقة، وهي الطاقة الإنسانية هذه الطاقة الإنسانية الآتية من

الروح والمتركبة بما يسمى بالنفس النفس البشرية التي هي عامل الرباط بين الروح وبين الجسد، الجسد حقيقة مادية والروح حقيقة معنوية فكيف ترتبط الروح بالجسد ما لم يكن هناك عامل برزخي فيه جنبة مادية وفيه جنبة معنوية عامل برزخي وسطي وتلك هي النفس، النفس عامل برزخي وعامل رباط فيما بين الروح وفيما بين الجسد هذه الطاقة إذا وصلت إلى حدٍ ما ودخلت في مرحلة النفار فيؤدي ذلك إلى فساد العلاقة والموائمة بين الروح والجسد يموت الإنسان حينئذٍ وطبعاً هذا يكون تحت إشراف ملك الموت وهناك منظومة كاملة للموت على رأسها ملك الموت وأعوان ملك الموت أعداد كثيرة هائلة من الملائكة وهذا التفصيل مذكور في الروايات المنقولة عن النبي وعن الأئمة المعصومين لا أقصد بهذا التصوير الذي بينته وإنما يمكن أن يستنتج هذا المعنى من خلال الروايات وعلى أي حالٍ الآن ليس الكلام في هذه القضية.

لكن السر التكويني أن الشهيد حينما يذهب بنفسهِ إلى الموت ويقتل في سبيل الله الطاقة الموجودة عنده لم تكن قد استنفذت فيأخذ هذه الطاقة معه إلى الحياة الآخرة فلذلك حياته ستتشكل بشكلٍ آخر هذه الطاقة تكون لها مدخلية بسبب هذه الطاقة الروايات تتحدث عن أن المؤمنين الشهداء الذين بلغوا الدرجات العالية في القرب من الله سبحانه وتعالى هؤلاء يزورون أهاليهم وبيوتهم دائماً وأن الله سبحانه وتعالى يريهم ما يسرهم من أهاليهم ويخفي عليهم ما يغيضهم وما يؤذيهم والروايات واضحة وبأن المؤمن يتمكن من زيارة أهله في الدنيا على حسب درجتهِ على على حسب ما عندهُ من الطاقة ومن مات على حب آل مُحَمَّدٍ مات شهيداً هذه الطاقة طاقة الولاية هذه طاقة أخرى تُضاف للإنسان هذه طاقة الحياة يا أيها الذين آمنوا استجيبوا للرسول إذا دعاكم لِما يحييكم هناك حياة أخرى، إذا دعاكم لِما يحييكم وفي الروايات يحييكم يعني ولاية علي فهناك طاقة أخرى غير الطاقة التكوينية وهي أيضاً طاقة تكوينية هذه الطاقة التي تتحول إلى أن المؤمن ينظر بنور الله هذه هي الطاقة التي تأتي من هذه الحياة الثانية حياةٍ جديدة المضافة للإنسان، الاستجابة لرسول الله إلى أي شيء؟ إذا دعاكم لِما يُحييكم.

المؤمن ينظر بنور الله هذا المعنى الذي يتجلى بعد ذلك في أي حقيقة؟ الحقيقة التي تبينها الروايات بأن المؤمن يمكن أن يصلَ إلى درجة الله سبحانه وتعالى يقول فيها كنتُ يدهُ التي يبطش بها وكنت رجلهُ التي يسعى بها وكنت عينهُ التي يبصر بها وكنت أذنه التي يسمع بها هذا بطاقة أخرى غير هذه الطاقة الاعتيادية فهذا الشي يستشهد أو هذا الذي يموت على حب آل مُحَمَّد حتى لو مات على فراشهِ فإنه يحمل معه طاقة، وهذا موضوع يحتاج إلى بسط في القول أكثر من ذلك ولكنني أكتفي بهذه الإشارات.

﴿ وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمواتٌ بَل أَحيَاء وَلَكِن لاَّ تَشعُرُونَ ﴾ ومن هنا يتضح لنا مدى غباوة هذا القائل الذي يقول بأن الإنسان إذا مات انتهى كأولئك الذين يقولون بأن رسول الله لَمَّا مات فلا نفع ولا

ضرر يتوقع منه وأعتقد زيارة إلى المسجد النبوي تنبئك عن مثل هذه الغباوات ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ الآية التي بعدها ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ الكلام لا زال متواصلاً عن الصبر الآية السابقة وهي الثالثة والخمسون بعد المئة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ هذا طريق ستلقون فيه ما تلقون يا شيعة علي ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في سبيل علي ﴿أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ لأن الحواس محدودة الحواس التي يحملها الإنسان محدودة بحدود الدنيا ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ أيضاً هنا وبشر الصابرين الحديث عن الصبر والروايات تقول، الروايات وردت عندنا تتحدث عن ثلاثة أفاق في هذه الآية:

الأفق الأول هذه الآية خاصةٌ بأهل البيت ولم يلقى أحدٌ من البلاء كما لقي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا المعنى واضح جداً.

الأفق الثاني ما يلقاه شيعة أهل البيت بنحوٍ عام في طريق ولاية علي.

الأفق الثالث الذي أشارت إليه الروايات ما يلقاه أهل العراق وروايات كثيرة عديدة عن المعصومين أن هذه الآية في أفق من أفاقها تعني ما يلقاه أهل العراق في الفترة الزمانية القريبة من ظهور إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه.

فهناك إذاً أكثر من افق في الآية هناك افق الروايات تحدثت أن هذه الآيات والتي بعدها هي في الأئمة لأن الأئمة هم الذين جرى عليهم البلاء كما جاء في هذه الآية وكما قال خاتم الأنبياء – **ما أوذي نبيٌ مثل ما أوذيت** – ومن أهم معاني ومصاديق هذا الحديث ما أوذي نبيٌ في عترتهِ مثل ما أوذيت لم يؤذى نبيٌ في عترته مثل ما أوذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالأفق الأول الآلام والمصائب والويلات التي تلقاها أهل البيت، الأفق الثاني لكل أوليائهم وأتباعهم عبر العصور، الأفق الثالث ما يلقاه أهل العراق في الفترة الزمانية القريبة من ظهور إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه. ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ قال القتل ومرَّ على العراقيين ما مر، من سنة: 68 فقط هذا مقطع وإلا حتى قبل سنة:68 ، من سنة: 68 إلى 2003، مرَّ على شيعة العراق الخوف من الظالمين ومن 2003 وإلى يومنا هذا لا زال شيعة العراق يعيشون تحت طائلة الخوف من النواصب، من 68 إلى 2003 الخوف من الحاكم من الحكومة ومن الحزب

الحاكم ومن 2003 من السقوط إلى يومك هذا الخوف من النواصب، ﴿وَلَنَبلُوَنَّكُم بِشَيءٍ مِّنَ الخَوف﴾ القتل ﴿وَالجُوعِ﴾ قال الجوع غلاء الاسعار، هذا تفسير الروايات وليس تفسيري ﴿وَلَنَبلُوَنَّكُم بِشَيءٍ مِّنَ الخَوف﴾ قال القتل والموت ﴿وَالجُوعِ﴾ وهو غلاء الأسعار ﴿وَنَقصٍ مِّنَ الأَموَالِ﴾ قال نقص الأموال هو فساد التجارات فساد العمل التجاري وربما ما عاشه العراق في فترة الحصار وما بعد الحصار هو مصداق من هذه المصاديق لا أعني على نحو الحصر ولكن مصداق من هذه المصاديق ﴿وَنَقصٍ مِّنَ الأَموَالِ وَالأَنفُسِ﴾ ونقص الأنفس يأتي بالموت الطبيعي ويأتي بالقتل ويأتي بسبب الجوع وبسبب الأمراض وبسبب كل المشاكل التي تحيط بالحياة ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ الثمرات فيها إشارة إلى النقص في المزروعات، النقص فيما يحتاجهُ الناس في حياتهم اليومية وإن كان هناك تفسير قال والثمرات في بعض كتب التفسير المراد من الثمرات الأولاد لأن الأولاد هم ثمرات القلوب أو ثمرات الأكباد.

﴿وَلَنَبلُوَنَّكُم بِشَيءٍ مِّنَ الخَوف﴾ وهو القتل ﴿وَالجُوعِ﴾ وهو غلاء الأسعار ﴿وَنَقصٍ مِّنَ الأَموَالِ﴾ فساد التجارات ﴿وَالأَنفُسِ﴾ وهو الموت بمختلف الأسباب ﴿وَالثَّمَرَات﴾ وهو المزروعات وما يحتاجهُ الناس في حياتهم اليومية ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ بشر الذين يصبرون في هذا الطريق في أي طريق؟ في طريق الذكر الأكبر لأن هذا إنما يجري عليهم بسبب ولائهم للذكر الأكبر ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ من هم هؤلاء الصابرون؟ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتهُم مُّصِيبَةٌ﴾ المصيبةُ وهو كل ما يصيب الإنسان فيؤدي إلى إيذائهِ فيؤدي إلى حزنهِ ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيهِم صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِم وَرَحمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ المُهتَدُونَ﴾ بهذا القدر نكتفي وتتمة الحديث إن شاء الله تأتينا بعد يوم غد في يوم غد سنعود إلى الزيارة الجامعة الكبيرة.

أسألكم الدعاء وألتقيكم على مودة عليٍّ وآل علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في أمان الله.

الحلقة العشرون

تفسير سورة البقرة من الآية ١٥٨ الى الآية ١٧١

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته وهذه الحلقة العشرون من برنامج قرآننا وهي الحلقة الثانية من هذا البرنامج في أيام شهر رمضان المبارك أتمنى لكم صياماً مقبولاً ودعاءً مستجاباً وأن يجمعنا وإياكم تحت راية أم الحسن والحسين في الدنيا والآخرة، كلامنا متواصلٌ في بيان معاني آيات سورة البقرة وقد وصلنا في الحديث في الحلقة الماضية إلى الآيات الكريمة، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾

هذه الآيات تحدثت عنها في الحلقة الماضية من هذا البرنامج، خلاصة الكلام أن هذه الآيات في أفقٍ من أفاقها هي خاصةٌ بأهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفي أفقٍ آخر هذه الآيات في أتباعهم في أوليائهم وفي أفقٍ ثالث هذه الآيات فُسِّرت في كلمات أهل البيت بما يجري من بلاءٍ في أرض العراق في زمانٍ قريب من ظهور إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، تقريباً هذه المطالب أشرت إليها وتحدثت عنها لذا لن أعيد ما تقدم من الكلام وأنتقل إلى آيةٍ أخرى من آيات سورة البقرة وهي الآية الثامنة والخمسون بعد المئة:

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ الآية هنا تتحدثُ عن منسكٍ من مناسك الحج عن طقسٍ من طقوس الحج ومن طقوس العمرة أيضاً ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ ﴾ الصفا والمروة هما تلان أو جبلان كما يقع في كلام العرب فإن العرب تطلق لفظة الجبل على أي مرتفعٍ من الأرض حتى لو لم يكن ارتفاعهُ عالياً جداً في لغة العرب كلمة الجبل تُطلق على أي مرتفعٍ من الأرض فيقال بأن الصفا والمروة هما جبلان في الحقيقة الصفا عبارة عن ارتفاع معين في الأرض والمروة كذلك ارتفاع صخري هناك ارتفاع صخري يسمى بالصفا وارتفاع صخري أيضاً

يسمى بالمروة وفي لغة العرب كلمة الصفا وكلمة المروة تعني الصخر تعني الحجر الصلب هناك فارق بين كلمة الصفا وبين كلمة المروة كلا اللفظتين تدلان على الصخرة الصلبة لكن الصفا هي الصخرة الصلبة الملساء ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ والشعائر المراد منها من شعائر الله يعني من الأمور المعروفة من الأمور المعلومة، الشعائر هي العلائم هي الطقوس ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ والحج والعمرة معناهما واضحٌ هو المعنى الشرعي المعروف ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ فلا أثم عليه الجناح هو الأثم ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ يعني أن يتردد فيما بينهما وهو منسك السعي التردد فيما بين الصفا والمروة الابتداء بالصفا والانتهاء بالمروة ثم الرجوع إلى الصفا الحركة تبدأ من الصفا من جهة الصفا باتجاه المروة فإذا ما وصل الساعي إلى المروة يرجع يعود مرة ثانية إلى الصفا ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ يعني يتردد في سعيه فيما بينهما ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ التطوع هو العمل المندوب هو العمل المستحب ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ فإن الله شاكرٌ عليم هذه من اسمائهِ الحسنى والشاكر من الشكر والشكر هو ما يصدر من الشاكر من مدحٍ أو من ثناءٍ أو من جزاءٍ من جزاء لفظي أو من جزاء فعلي في مقابل شيءٍ وصل إليه وأنا هنا لا اريد أن أشرح معنى هذين الاسمين، هذه معاني ألفاظ الآية بشكلٍ عام.

الآية لو نظرنا إليها ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ هذا المقطع واضح الصفا والمروة من شعائر الله من الطقوس من العلائم ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ هذا المقطع ايضاً واضح ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ فلا أثم عليه ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ وكأن الآية تشعرنا بأن الطواف وبأن السعي فيما بين الصفا والمروة شيءٌ مذموم كأن هناك تصور عن أن السعي بين الصفا والمروة شيءٌ مذموم الآية تقول من أراد أن يسعى فيما بينهما فلا جناح عليه فهو ليس مأثوماً ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ وأما إذا أراد الإنسان أن يعمل هذا الأمر بنحوٍ مندوب بنحوٍ مستحب فإن الله شاكرٌ عليم فإن الله سيجازيه خيراً، الآية من خلال ألفاظها هكذا تُفهم ولا يوجد فهمٌ آخر لألفاظ الآية غير هذا الفهم الذي ذكرتهُ، الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا أثم عليه أن يطوف بهما ماذا يُشعر هذا الكلام؟ يُشعر وكأنه هناك تصور كأن هناك معنى أن السعي بين الصفا والمروة شيءٌ مذموم لذلك الآية تنفي الأثم ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ

بِهِمَا ﴾ ثم تأتي الآية فتقول ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ أما الذي يتطوع خيراً يعني الذي يأتي بالسعي بنية المندوب تطوعاً هكذا فإن الله سيجازيه خيراً وكأن الفاظ الآية مضطربة هكذا يبدو وهذا يذهب بنا إلى أي شيءٍ؟ يذهب بنا إلى أن القرآن يحتاج إلى مترجم يترجمه وهناك الأعداد الكثيرة من الآيات القرآنية التي لحنها هذا اللحن وإنما جعلها الله سبحانه وتعالى بهذا اللحن وبهذه الصيغة كي يعود الناس يبحثون عن مترجم يترجم هذا القرآن ولذلك نعود إلى كلام النبي وإلى كلام الأئمة كي يترجموا لنا هذه الآية، هذه الآية هي الآية التي تُشَرِّعُ هذا المنسك أي منسك؟ منسك السعي بين الصفا والمروة وهذا المنسك منسكٌ واجب وهو من أجزاء الحج ومن أجزاء العمرة المعتمر والحاج لا يصح حجهما من دون السعي ولا تصح العمرة من دون السعي بين الصفا والمروة لابد من السعي بين الصفا والمروة وذلك أمرٌ واجب ومنسكٌ من المناسك الواجبة وجزءٌ من الأجزاء المهمة في العمرة وفي الحج تشريع هذا المنسك من هذه الآية لكننا نحن وألفاظ الآية لا توجد دلالة في ألفاظ الآية على التشريع.

الآية قالت ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ ﴾ وكأن الآية تريد أن تقول بأن هناك تصور موجود في الأذهان عن أن السعي بين الصفا والمروة شيءٌ مذموم الآية تريد أن تنفي هذا الذنب تقول ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ ﴾ ثم تقول ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ وكأن هذا الأمر أمرٌ مستحب أمرٌ مندوب والحال أن هذه القضية واجبة المعنى في هذه الآية لن يتجلى إلا بالرجوع إلى كلام النبي وإلى كلام الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذه نقطة من نقاط كثيرة محطة من محطات كثيرة في الكتاب الكريم لا يمكن أن تُفهم بتفاصيلها إلا بالرجوع إلى الكتاب الشارح وهو الكتاب الناطق هذا الكتاب كتابٌ مجمل وهناك كتابٌ شارح وهو الكتاب الكبير وهو الإمام المعصوم وهو الكتاب الناطق فإذاً نحن الآن عرفنا أولاً الألفاظ والمدلولات اللفظية للآية وعرفنا بأن هذه الآية لوحدها بعيداً عن كلام النبي بعيداً عن كلام المعصومين لن تُفهم لابد من الرجوع إلى كلام النبي وإلى كلام المعصومين لنستنبط منها لنستخرج منها الحكم الواجب الحكم الشرعي الواجب بخصوص منسك السعي بين الصفا والمروة هنا وقفةٌ لتوضيح المطلب الروايات حدثتنا عن العمق في دلالة السعي بين الصفا والمروة.

هناك عدة أفاق أذكر بعضاً منها جاء في بعض رواياتنا إن السعي بين الصفا والمروة فيه إشارةٌ إلى أبينا آدم وأمنا حواء فإن أبانا آدم لَمَّا نزل إلى الأرض نزل عند هذا الجبل عند هذا المرتفع عند الصفا وإن أمنا حواء نزلت عند الجبل الثاني عند المرتفع الثاني وهو المروة وبين هذين الجبلين كانت حركتهما وكان اللقاء في تلكم البقاع فهناك إشارة ورمزية إلى معنى الاستخلاف وإلى بداية الحياة الإنسانية لأبينا ولأمنا على الأرض وأيضاً

هناك افقٌ آخر حينما ترك إبراهيم عليه السلام زوجته هاجر مع ولده إسماعيل فأصاب إسماعيل العطش فذهبت أمه هاجر تبحث عن ماء فاتجهت باتجاه الصفا ثم اتجهت باتجاه المروة والقصة معروفة وهو سعي هاجر بحثاً عن الماء لأنقاذ نبي الله لأنقاذ إسماعيل لأنقاذ وليدها فسعت سبعاً بين الصفا والمروة إلى أن كانت قضية بئر زمزم التي وجدتها تفور تحت أقدام إسماعيل وهناك أفقٌ ثالث في الروايات أيضا أن إبراهيم عليه السلام لَمَّا كان عازماً على ذبح ولدهِ إسماعيل بعد أن رأى ما رأى في رؤياه النبوية فكان الشيطان يترائى له في مسيرهِ في هذه المنطقة فكان يهرول كان يسعى فراراً من أن يلتقي بالشيطان لا يريد أن يُكلمه هذا أفقٌ ثالث وهناك أفاقٌ أخرى في روايات أهل البيت أنا أشرت إلى هذا المثال لكي تضح الصورة عندما أقول بأن الآيات لها أفاق وبأن المعاني الدينية وأن العقائد لها أفاق في كلمات أهل البيت لها أكثر من أفق لها أكثر من وجه وكل جهة مأخوذة بلحاظٍ معين بحيثيةٍ معينة هذا تصور عام عن المضمون الموجود في هذه الآية أما إذا أردنا أن ننظر إلى البعد التأريخي إذا أردنا أن ننظر إلى هذه الآية في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا اردنا أن ننظر إلى ذلك هناك مجموعة من الروايات التي وردت عن النبي وعن الأئمة أنا أخترت منها حديثين.

وهذا هو كتاب الكافي الشريف وهذا هو الجزء الرابع فهو الجزء الثاني من فروع الكافي هناك عندنا رواية منقولة عن إمامنا الصادق عليه السلام – **سُئِل أبو عبد الله عليه السلام عن السعي بين الصفا والمروة فريضة أم سنة** – فريضة واضح معناها يعني شيئاً واجباً – **سُئِل أبو عبد الله عليه السلام عن السعي بين الصفا والمروة فريضة أم سنة؟ فقال: فريضة، قلت: أوليس قال الله عزَّ وجلَّ ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾** – الإمام يقول فريضة السائل يقول لكن الآية بدلالتها اللفظية لا تدل على ذلك – **قال: كان ذلك في عمرة القضاء** – الإمام يقول – **قال: كان ذلك في عمرة القضاء** – عمرة القضاء أي عمرة؟ النبي صلى الله عليه وآله لَمَّا خرج من المدينة باتجاه مكة وصارت قضية الحديبية وصلح الحديبية وما جرى فيه من تفصيل تأريخي فمن جملة الأمور التي اتفق النبي صلى الله عليه وآله عليها مع قريش أنهُ أن يأتي في العام القادم للعمرة وللحج فبعد فترة ذهب النبي مع أصحابهِ للعمرة وكانت قريش تضع أصناماً على مرتفع الصفا وعلى مرتفع المروة كان هناك صنم كبير وهو صنم أساف، أساف كان على جهة الصفا وكان صنم نائلة أيضاً على جهة المروة وأصنام أخرى النبي اشترط عليهم في حال إذا ما جاء للاعتمار أو للحج فإنهم يرفعون هذه الأصنام، فلمَّا جاء النبي للعمرة مع أصحابه قال لهم ارفعوا الاصنام فرفعوا الأصنام من الصفا والمروة وسعى النبي مع أصحابه بحسب الاتفاقية بقي أحد أصحابهِ لم يسعى بين الصفا والمروة تشاغل فأرجعت قريش الأصنام فقالوا يا رسول الله إن فلاناً لم يسعى بين الصفا والمروة وقد أرجعت قريش أصنامها

فنزلت الآية ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ مع وجود الأصنام فإنهما من شعائر الله فقال إمامنا – **قال: كان ذلك في عمرة القضاء** – عمرة القضاء هي هذه التي كانت في العام القابل يعني في العام الذي جاء بعد عام صلح الحديبية – **قال: كان ذلك في عمرة القضاء إن رسول الله صلى الله عليه وآله شرط عليهم أن يرفعوا الأصنام من الصفا والمروة فتشاغل رجلٌ وترك السعي حتى انقضت الأيام وأعيدت الأصنام فجاؤوا إليه فقالوا: يا رسول الله إن فلاناً لم يسعى بين الصفا والمروة وقد أعيدت الأصنام فأنزل الله عزَّ وجلَّ** ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ – أي وعليهما الأصنام – هذا بُعدٌ تأريخي بخصوص دلالة الآية أو مضمون الآية.

وهناك جهةٌ أخرى أيضاً جاءت في الروايات أيضاً في الكافي الشريف والرواية منقولةٌ عن إمامنا الصادق وهو يتحدث عن حج رسول الله الرواية طويلة أنا فقط أشير إلى المقطع الذي يتعلق بهذا الموضوع وهذا هو الجزء الرابع من كتاب الكافي الشريف إمامنا الصادق يقول – **حتى انتهى إلى مكة** – يعني حتى انتهى رسول الله إلى مكة – **في سلخ أربعٍ من ذي الحجة** – يعني وقد انقضت انسلخت من ذي الحجة أربعة أيام – **حتى انتهى إلى مكة في سلخ أربعٍ من ذي الحجة** – يعني قد انقضت من ذي الحجة اربعة أيام – **فطاف بالبيت سبعة أشواط ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام ثم عاد إلى الحجر فاستلمهُ** – هذا الكلام عن حجة الوداع – **ثم عاد إلى الحجر فاستلمهُ وقد كان استلمهُ في أول طوافه ثم قال إن الصفا والمروة من شعائر الله فابدأ بما بدأ الله تعالى به** – أي البداية من الصفا – وإن المسلمين كانوا يضنون أن السعي بين الصفا والمروة شيءٌ صنعهُ المشركون – باعتبار هناك أصنام موجودة وكان المشركون العرب كانت تحج إلى الكعبة وذلك من بقية الديانات الحنيفية كان هناك من العرب على الديانة الحنيفية وبقيت أثار الديانة الحنيفية ديانة إبراهيم وإسماعيل بقيت اثارها موجودة فكانوا يحجون ومن جملة الحج كانوا يسعون بين الصفا والمروة ولكن وضعوا أصناماً على الصفا والمروة المسلمون ماذا كان البعض منهم يعتقد بأن هذا الفعل هو من فعل المشركين – **وإن المسلمين كانوا يضنون أن السعي بين الصفا والمروة شيءٌ صنعهُ المشركون فأنزل الله عزَّ وجلَّ** ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالمَروَةَ مِن شعائرِ اللّهِ فَمَن حَجَّ البَيتَ أَوِ اعتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيهِ﴾ – لاتتصوروا بأن أثماً يلحق به أنتم تعتقدون بأن السعي من أفعال المشركين وليس كذلك، لا يوجد أثم وإنما هي من شعائر الله عليه أن يتطوع عليه أن يطوف بهما ﴿فَمَن حَجَّ البَيتَ أَوِ اعتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ .

من خلال هذه الروايات وهناك مجموعة أخرى من الروايات ومن الأحاديث من خلالها نستشكف معنى هذه الآية ومعاني الآيات الأخرى لكنني أكتفي بهذا القدر لأنني لو أسهبت في تفاصيل أخرى بخصوص هذه الآية الكريمة فإن ذلك سيحتاج إلى وقتٍ طويل وإنني أحاول أن أختصر المعاني لأجل أن نتمكن من إتمام شرح وتفسير سورة البقرة خلال أيام شهر رمضان المبارك.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ فالآية جاءت في أبعادها التأريخية في جهتين: الآية جاءت تنبه المسلمين بأن التصور الموجود عند المسلمين الأوائل بأن السعي بين الصفا والمروة من أعمال المشركين الآية تقول ليس كذلك وإنما الصفا والمروة من شعائر الله ومن تطوَّف فيهما فلا جناح عليه وأيضاً هناك بُعدٌ آخر للحادثة التي وقعت في عمرة القضاء كما اشرت إليها قبل قليل ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ فالآية هنا إلى أي نتيجة نصل فيها؟ نصل فيها إلى نتيجتين أن السعي بين الصفا والمروة شيءٌ واجب وهو من مناسك الحج أيضاً هو شيءٌ مستحب فيما لو أن الإنسان قضى ما كان واجباً عليه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ في ذلك إشارة إلى الوجوب بحسب البيانات التي قدمتها ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ في ذلك إشارة إلى الاستحباب.

الآية التي بعدها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ هناك بينات والبينات هي الدلائل الواضحة هناك مجموعة تكتم هذه البينات ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ هناك رواية موجودة في تفسير البرهان ينقلها عن إمامنا الحسن الزاكي العسكري صلوات الله وسلامه عليه الإمام العسكري يقول: **قيل لأمير المؤمنين عليه السلام من خير الخلق بعد أئمة الهدى ومصابيح الدجى** – أئمة الهدى ومصابيح الدجى هم المعصومون – **قيل لأمير المؤمنين من خير الخلق بعد أئمة الهدى ومصابيح الدجى قال: العلماء إذا صلحوا** – بهذا الشرط العلماء إذا صلحوا وهو يشير إلى حديث النبي صلى الله عليه وآله صنفان من أمتي إذا صَلُحا صَلُحت الأُمَّة وإذا فسدا فسدت الأُمَّة وهما الأمراء والعلماء هناك صنفان إذا صلحا صلحت الأُمَّة وإذا فسدا فسدت الأُمَّة – **قيل لأمير المؤمنين من خير الخلق بعد أئمة الهدى ومصابيح الدجى قال: العلماء إذا صلحوا، قيل فمن شَرار خلق الله بعد إبليس وفرعون وبعد المتسمين** – لماذا جاء ذكر إبليس وذكر فرعون لأن إبليس جاء مذكوراً في القرآن وهو اشرُّ

شياطين الجن وفرعون جاء مذكوراً في القرآن وهو أشرُّ شياطين الإنس فهنا مثالان مثالٌ من أعظم عظماء شياطين الجن ومثال من أعظم عظماء شياطين الإنس – **قيل فمن شَرار خلق الله بعد إبليس وفرعون وبعد المتسمين باسمائكم** – متسمين باسمائكم أي الذين أخذوا أوصافكم ألقابكم والقضية معروفة – **وبعد المتسمين باسمائكم والمتلقبين بألقابكم والآخذين لأمكنتكم والمتأمرين في ممالككم** – واضح الطغاة والظَلَمة منذ يوم شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله – **قيل فمن شَرار خلق الله بعد إبليس وفرعون وبعد المتسمين باسمائكم والمتلقبين بألقابكم والآخذين لأمكنتكم والمتأمرين في ممالككم؟ قال: العلماء إذا فسدوا وإنهم المظهِرون للأباطيل الكاتمون للحقائق** – هؤلاء هم شرار الخلق – **العلماء إذا فسدوا وإنهم المظهِرون للأباطيل الكاتمون للحقائق وفيهم قال الله عزَّ وجلَّ** ﴿أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ .

أعودُ إلى الآية الشريفة بعد هذا البيان وهذا التوضيح من كلام سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكتُمُونَ مَا أَنزَلنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى﴾ هناك بينات دلائل واضحة وهناك هدى الأمور واضحة مشخصة قد كشفت الحقائق ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكتُمُونَ مَا أَنزَلنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى مِن بَعدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ﴾ يعني الحقائق موجودة في هذا الكتاب ومن الذي يدل على هذه الحقائق؟ حديث رسول الله الذي حرَّفوه والذي منعوه والذي ضربوا الناس عليه لأجل روايتهم أرجعوا إلى التأريخ فستجدون بأن الخلفاء الذين حكموا الناس بعد مقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وشهادته بالسم ماذا صنعوا؟ حرَّقوا كتب الحديث حرَّقوا الحديث المكتوب ومنعوا الناس من رواية الحديث وحرَّقوا المصاحف التي كان قد كُتب الحديث فيها لشرحها ولبيان أسباب نزولها وضربوا الناس ومنعوهم لأجل روايتهم الحديث والتأريخ شاهدٌ على ذلك ثم جاءت فترةٌ أخرى وهي فترة معاوية وهي فترة الافتراء ووضع الحديث، الفترة الأولى فترة السقيفة حكم السقيفة كانت إلغاء للأحاديث ثم جاءت فترة معاوية الفترة الأموية فتم وضع الحديث وتم الافتراء وكذلك حُرِّفت الأحاديث التي بقيت بأيدي الناس فهناك إلغاء لطائفة كبيرة من الأحاديث ثم وضعٌ للحديث افتراءً على رسول الله وتحريفٌ للأحاديث الموجودة في أيدي الناس ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكتُمُونَ مَا أَنزَلنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى﴾ فضاعت البينات والهدى ﴿مِن بَعدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ﴾ في روايات أهل البيت ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكتُمُونَ مَا أَنزَلنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى﴾ في عليّ ﴿مِن بَعدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ

﴿وَيَلعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ في روايات أهل البيت اللاعنون كما قال إمامنا الصادق صلوات الله عليه قال نحن اللاعنون، المخالفون ماذا يقولون؟ يقولون اللاعنون في هذه الآية هوامُ الأرض حشرات هذا موجود في كتبهم في تفاسيرهم في كتب حديثهم حين يقفون عند هذه الآية ﴿أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ اللاعنون الحشرات هوام الأرض هل هناك دلالة عربية في كلمة اللاعنون على أن اللاعنين هم حشرات؟ لاحظوا التحريف لاحظوا التقليب لاحظوا قلب الحقائق والمعاني يعني الآية تتحدث عن أولئك الذين يكتمون الحقائق وهم في نفس الوقت يكتمون الحقائق في نفس هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكتُمُونَ مَا أَنزَلنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى﴾ في عليٍّ ﴿مِن بَعدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ﴾ وبينهُ النبي صلى الله عليه وآله ﴿أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ اللاعنون هنا الأئمة المعصومون الذين تكون لعنتهم فيها من القوة والفاعلية أن يخرجوا الملعونين من دائرة الرحمة وإلا حينما ألعن شخصاً أنا ألعن شخصاً أو أنت أيها المشاهد تلعن شخصاً هذا اللعن ليست له أي فاعلية حينما نلعن شخصاً هذا اللعن لا يخرج ذلك الشخص من رحمة الله فمن نحن حتى تكون لعنتنا مخرجةً للناس من رحمة الله لابد أن يكون اللاعن هذا لديه من القدرة والولاية على أن يخرج الملعونين من دائرة الرحمة واللاعنون هنا هم الأئمة المعصومون وهم المتخلقون بأخلاق الله، الله هو الذي يقول ﴿يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ المعصومون وهم الموجودات الكائنات التي تخلقت، تتخلق بأخلاق بالوجه الحقيقي، النبي يأمرنا يقول تَخَلَّقوا بأخلاق الله لكننا مهما سعينا فإنا لا نستطيع أن نتخلق بأخلاق الله ولو بلغنا الذروة في ذلك فهو بنحو المجاز لا بنحو الحقيقة الأئمة المعصومون هم الذين تخلقوا بأخلاق الله ومن أخلاقهِ أنه يلعن أعدائهُ.

﴿أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ تابوا عن أي أمرٍ؟ عن كتم الحقائق ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصلَحُوا﴾ كيف يكون الإصلاح؟ يكون الإصلاح أن يبيّنوا الحقائق ﴿وَأَصلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ تابوا وأصلحوا وبينوا، كيف أصلحوا؟ أصلحوا يعني تحدثوا مع الذين شوهوا أفكارهم سابقاً فأصلحوا أفكارهم وبينوا بعد ذلك للذين تكلموا معهم سابقاً أو للذين لم يتكلموا معهم سابقاً هناك ثلاث مراحل: أولاً توبة ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ تابوا ندموا واستغفروا وتركوا، التوبة ما هي؟ التوبة في روايات أهل البيت ندمٌ في القلب واعتذارٌ باللسان وتركٌ بالفعل هذه أركان التوبة ندمٌ في القلب يندم الإنسان واعتذارٌ باللسان وهو الاستغفار وكذلك الاعتذار للناس إذا كانت الاساءة في حق الناس واعتذارٌ باللسان وهو الاستغفار وتركٌ بالفعل فما المراد من

التوبة هنا؟ أن يترك ذلك الفعل الشائيء وهو كتمان الحقائق ﴿تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ أصلحوا أن يعودوا لكل أولئك الذين خدعوهم وضللوهم فيرشدوهم إلى الحقائق وبعد ذلك ﴿وَبَيَّنُوا﴾ وبينوا الحقائق لكل الناس ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ فضل عليٍّ وما نزل في عليٍّ من كتابٍ وما جاء في عليٍّ من حديث محمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ التوبة بيد الله سبحانه وتعالى اللعنة هنا على الذين كتموا الحقائق، أيَّةُ حقائق؟ الحقائق التي تتحدث عن عليٍّ وآل علي ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ لكن هناك استثناء لمن؟ للذين تابوا واصلحوا وبينوا الحقائق أيضاً ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

ثم تستمر الآيات ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ الحديث هنا عن أي مجموعة عن المجموعات التي تسير في هذا الطريق في نفس طريق أولئك الذين يكتمون الحقائق هؤلاء الذين يكتمون الحقائق يتبعهم الكثير من الناس ويتعصبون لأمورهم وينهضون باحتجاجاتهم ويؤيدونهم بالقول وباللسان وبالعمل وبالمال وبالمحبة والعاطفة وبكل ما يصدر منهم هؤلاء هنا تتحدث الآية عن هذه الجموع ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كيف كفروا؟ الكفر هو التغطية الذين كفروا بتلك الحقائق غطوا تلك الحقائق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا﴾ خالدين في هذه اللعنة، الخلود في هذه اللعنة هو الخلود في الطرد عن رحمة الله ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ العذاب لا يُخفف عنهم في قبورهم ولا يخفف عنهم العذاب في يوم القيامة خالدين في هذه اللعنة إذاً هذه اللعنة هي اللعنة التكوينية هناك لعنة تكوينية ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ هذه اللعنة التكوينية هي التي تجعلهم في عذابٍ لا يخفف عنهم أما لعنة الملائكة والناس أجمعين فهي تتفرع عن تلكم اللعنة الأولى ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ أولئك عليهم لعنة الله لعنة الله المتأتية ممن يقول عليهم لعنة الله هناك فارق بين الآيتين، الآية تقول السابقة ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ يعني إن الله هو الذي يقوم باللعن ويلعنهم اللاعنون أما هذه الآية فتقول ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ لا توجد دلالة في الآية أن الله يلعنهم في هذه الآية

وإنما هناك من يصب دعاءه عليهم باللعنة الإلهية وتلك هي لعنة الملائكة ولعنة الناس أجمعين من المؤمنين ومن غيرهم لأنهم هم أيضاً في جهنم يلعنوا بعضهم بعضاً كلما دخلت أُمَّة لعنت أختها هناك ملاعنة فيما بينهم يلعن بعضهم بعضاً في جهنم لكن اللعنة التي تجعلهم في عذاب الله لا يخفف هي اللعنة التي مرت ﴿أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ خالدين في هذه اللعنة ﴿لاَ يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يُنظرون يعني يُمهلون لا يُعطون الفرصة كي يُخفف عنهم العذاب ﴿وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ثم تقول الآية التي بعدها ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ما هي هذه الانتقالة من بعد الكلام المتقدم الخطاب هنا لكل الناس وبنحوٍ خاص لأولئك الذين يكتمون الحقائق ولأولئك الذين يسيرون في ركابهم القرآن يقول لهم بأنه ليس من إله في هذا الوجود إلا واحد وهذا الإله الواحد هو الذي بيده كل شيء ومع أنه بيده كل شيء وكل القدرة عنده لكنه رحمان رحيم فإلى أين تعطون وجوهكم لماذا تعرضون عن هذا الإله الرحمان الرحيم لماذا تكتمون الحقائق وأنتم تعلمون أن كتمانكم للحقائق هو حربٌ مع الله وحربٌ مع أوليائه.

﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ ليس في هذا الوجود إلا إله واحد ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ لا يوجد غيرهُ ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحمَنُ الرَّحِيمُ﴾ وهو رحمان ورحيم وهناك رحمةٌ رحمانية وهناك رحمةٌ رحيمية الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية فيهما إشاراتٌ لمراتب الرحمة وأنا هنا لا أريد الحديث عن معاني الاسماء الحسنى لكن الآية بالجملة تعطي هذا المعنى ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ وهذا الإله الواحد هو الرحمان وهو الرحيم فإلى أي جهةٍ تذهبون لماذا تسيرون في الطريق الذي تحاربون فيه هذا الإله وتحاربون أوليائه ما الذي تنتفعون من ذلك؟ الآية التي بعد هذه الآية خطابٌ لكل من يملك عقلاً ﴿إِنَّ فِي خَلقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ وَاختِلاَفِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلكِ الَّتِي تَجرِي فِي البَحرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحيَا بِهِ الأَرضَ بَعدَ مَوتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَينَ السَّمَاء وَالأَرضِ لآيَاتٍ لِّقَومٍ يَعقِلُونَ﴾ الخطاب هنا موجه لأولئك الذين يكتمون الحقائق الآيات التي مرت علينا ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكتُمُونَ مَا أَنزَلنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى﴾ في علي، هؤلاء في لعنةٍ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذَابُ﴾ الخطاب لهم أنتم أيها الكاتمون للحقائق، إلهكم إلهٌ واحد وهو الرحمان الرحيم لماذا تُعرضون عنه؟ أنتم فكروا إن لم تفكروا بهذا الأفق بهذا المستوى

فانظروا انظروا إلى ما حولكم هذه لوحة كبيرة لوحة كبيرة جداً مليئة بالتصاوير المختلفة بانوراما هذه الآية عبارة عن بانوراما ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذه لقطة السماوات بعظمتها والأرض بسعتها وبما فيها من تصاريف الحياة وألوان المخلوقات ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذه لقطة ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ هذه لقطة أخرى تبدل الليل إلى نهار تبدل النهار إلى ليل وما يجري فيهما من تصاريف الأمور ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ وهذه السفن التي تسير في البحر بما ينفع الناس لا بما يُضر الناس لا هذه السفن الحربية التي تصب الحمم على رؤوس الناس ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ ولا سفن القراصنة التي تسرق أموال الناس وتقتلهم السفن التي فيها منفعة الناس فيها ما يكمل حياة الناس فيها ما يسعد حياة الناس يعني الملاحة البحرية المتطورة الحضارية المتحضرة.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذه لقطة أنا قلت هذه الآية عبارة عن بانوراما عبارة عن ألبوم من الصور ومن اللوحات المعروضة أمام أعين الناس ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذه صورة ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ صورة ثانية ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ صورة ثالثة، الفُلك من الذي عَلَّم الإنسان أن يصنع الفلك الله هو الذي عَلَّم الإنسان أن يصنع الفلك فكيف سارت هذه الفُلك بسبب القوانين، الله أودع قوانين في الماء وأودع قوانين في المواد التي تصنع منها السفن وأودع قدرات في الذهن البشري لصناعة السفينة من مواد معينة ثم توضع على الماء وفقاً لقوانين الله سبحانه وتعالى جعلها من خصائص الأشياء في الحياة بسبب ذلك تسير هذه السفن ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ هذه صورة أخرى أرضٌ موات ينزل المطر فتخضر وتنبت اشجارها وثمارها وحشائشها وأعشابها وأزهارها وورودها ورياضها النظرة هذه صورة أخرى ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ من جميع أنواع الدواب من الحشرات من هوام الأرض من الطيور من السباع من البهائم من البشر ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ هذه صورة أيضاً ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ حركة الرياح، حركة الرياح التي تغير حركة الغيوم وتغير طبيعة الطقس وحتى حركة

السفن هي مستندة إلى حركة الرياح أيضاً ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ هذه لقطة أخرى أنا قلت هذه بانوراما مجموعة من الصور.

الصورة الأولى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الصورة الثانية ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ الصورة الثالثة ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ والصورة الرابعة ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ الصورة الخامسة ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ الصورة السادسة ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ الصورة السابعة ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ كل هذه الصور وكل هذه اللقطات كل لقطة من هذه اللقطات مشتملة على عددٍ هائل من الأحداث ومن التغيرات ومن التبدلات ومن التقلبات ومن الشؤون المختلفة ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ كل هذا الذي حولكم يا بني البشر والخطاب عام للناس بنحوٍ عام ولأولئك الذين يكتمون الحقائق كل هذا إلى أي شيءٍ يقودكم كل هذا يقودكم إلى إلهٍ حكيمٍ قادرٍ مقتدرٍ عالمٍ لماذا لا تبحثون عن رضاه؟ لماذا لا تبحثون عن التقرب إلى هذا الذي يملك كل شيء وهو قادرٌ على أن يفعل كل شيء؟ أنتم في حياتكم الدنيوية من يملك حفنةً من الدراهم والدنانير أو من يملك سلطة محدودة كأن يكون شيخاً لعشيرة أو أميراً في إمارة تبذلون ما عندكم لأجل التقرب إليه بل في بعض الأحيان تبذلون ما عندكم فقط لأن تسلموا عليه أو لأن يسلم عليكم فقط لا لشيءٍ آخر فلماذا لا تتقربون إلى هذا الإله الذي جزءٌ صغيرٌ من آياتهِ هذه الآيات أما تعقلون إلى أين تذهبون لذلك هم يستحقون هذه اللعنة التي أشارت إليها الآيات ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ هؤلاء لا يستحقون أن تخفف عنهم هذه اللعنة هؤلاء الذين تُقام عليهم كل هذه الحجج كل هذه الدلائل كل هذه البينات وهم بأيديهم يكتمون الحقائق والبينات ماذا يستحقون؟ هؤلاء هم الذين حكموا على أنفسهم بهذا ليس الله الذي حكم عليهم الله سبحانه وتعالى ليس محتاجاً أن يحكم عليهم هؤلاء هم الذين حبسوا أنفسهم في هذه اللعنة لذلك الآية ماذا قالت؟

قالت ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ هم هؤلاء خالدون فيها هم خالدون في هذه اللعنة ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ثم تبين الآيات على نفس النسق على نفس المعنى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الله سبحانه وتعالى هو الإله الرحيم الوحيد الواحد وحين نقول بأن الله واحد فهذه الواحدية ليست عددية الله سبحانه وتعالى يجلُّ عن الواحدية العددية حين نقول بأن الله واحد فليس

الحديث هنا عن الأعداد لأننا إذا قلنا بأن الله واحد نريد بذلك العدد فإن العدد الواحد له ثاني وليس لله ثاني هذه واحدية واحديةُ إلهية هذه الواحديةُ التفردية وليست الواحدية العددية لأن الواحدية العددية تقتضي الإثنينية بعد الواحد يأتي الاثنان أما هذه الواحدية هذه الواحدية التفردية هذا واحد لا يأتي بعده اثنان هذا واحدٌ وكل ما عداه فهو باطل وكلُ ما عداه وإن وجد فهو من فيض جوده سبحانه وتعالى هو واحدٌ كلُ ما عداه باطل وإن وجد ما عداه فذلك من فيض جوده وتلك هي ظلالٌ في جنب وجوده سبحانه وتعالى.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ﴾ هؤلاء هم نفس الأشخاص الذين مر الكلامُ عنهم قبل قليل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ هؤلاء يكتمون الحقائق وماذا يظهرون؟ يظهرون الأباطيل كما قرأت قبل قليل على مسامعكم من كلمات سيد الأوصياء التي رواها لنا إمامنا الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه يخفون الحقائق ويظهرون الأباطيل نحن عندنا في سورة هود على نفس النغمة وعلى نفس اللحن نحن قرأنا في آيات سورة البقرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ في عليّ ﴿أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ على نفس هذا النغم وعلى نفس هذا اللحن في سورة هود من الآية السابعة بعد العاشرة وما بعدها نمر مروراً سريعاً على هذه الآيات لا أريد أن أقف عندها طويلاً فإن ذلك يضطرني إلى أن أقضي وقتاً طويلاً مع هذه الآيات.

الآيات في سورة هود ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ الحديثُ عن رسول الله ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ من هو الذي كان على بينةٍ من ربه أكثر من رسول الله؟!بعد ذلك تقول الآية ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ وتستمر الآية ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية واضحة صريحة بينة جلية في رسول الله ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ هو رسول الله ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يتلوه يأتي بعده ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ من هو هذا الشاهدُ الذي من ذلك الذي على بينةٍ من ربه؟! ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ الأحزاب من هم؟!أولئك الذين كانوا في زمان رسول الله قريش، اليهود، المنافقون ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ

فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ الآية التي بعدها ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ وبعد ذلك ماذا؟ تقول الآية ﴿أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ﴾ الأشهاد جمعُ لشاهد ومر علينا قبل قليل في الآية السابقة ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ الآية التي بعدها ﴿أُوْلَئِكَ﴾ الذين افتروا الذين كذبوا الذين كتموا الحقائق ﴿أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ نفس المضامين الموجودة ﴿يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ هؤلاء الأشهاد هم نفسهم اللاعنون كما مر علينا في آيات سورة البقرة ﴿وَيَلعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ هؤلاء الأشهاد هم الذين جاء ذكرهم هنا وهؤلاء الأشهاد جمعٌ لشاهد والشاهدُ بحسب الروايات عليٌّ في هذه الآية ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ الشاهد الذي يتلوا محمَّداً وهو من مُحَمَّد أهو غيرُ عليّ؟!

لا يحتاج الكلام هنا إلى أدلةٍ أو إلى بحث ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ منهم هؤلاء الظالمون؟ الآية التي بعدها ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ﴾ وسبيل الله في روايات أهل البيت عليٌّ وآل عليّ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * أُوْلَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ أسلموا ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ هناك فريقان فريقٌ كتموا الحقائق وهم الأعمى والأصم وفريقٌ أمنوا بتلكم الحقائق وهم البصير والسميع ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ الآيات واضحة الآيات مجرد الوقوف عندها بشيء من التدبر بشيء من التأمل يتضح التعانق بين هذه الآيات وبين

الآيات التي نحن بصدد بيانها وبصدد شرح معناها من سورة البقرة المباركة ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ .

أعود إلى آياتنا في سورة البقرة حيث وصلنا إلى الآية الخامسة والستين بعد المئة، على نفس السياق ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ الأنداد جمعٌ لند والند هو المثل ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ من دون الله آلهةً من دون الله حقائق وجودات يجعلونها مماثلةً لله سبحانه وتعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ في يوم القيامة ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعةً ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ أقف هنا عند كلمات أهل البيت عند أحاديث أهل بيت العصمة.

هناك رواية جميلة جداً ذكرها السيد هاشم البحراني ونقلها عن الكافي الشريف موجودة في الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف الروايةُ عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه – **عن جابرٍ قال: سألت أبا جعفر** – الروايةُ كما قلت في الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف – **عن جابرٍ** – وهو جابر الجعفي – **قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ** ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الإمام ماذا قال؟! – **قال: هم والله أولياء فلانٍ وفلان** – فلان وفلان معروفة لديكم هذا التعبير الكنائي في روايات أهل البيت واضح جابر يسأل الإمام الباقر – **سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ** ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ **قال: هم والله أولياء فلانٍ وفلان اتخذوهم أئمةً من دون الإمام الذي جعله الله للناس إماما فلذلك قال** ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ **في يوم القيامة** ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ **في ذلك الوقت** ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ **أولئك الأوائل يتبرأون من الذين ينادون الآن بحبهم** ﴿إِذْ تَبَرَّأَ

الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ – الأتباع في زماننا هذا وما بعد زماننا هذا – ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ **يا ليت لنا رجعةً** ﴿ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا ﴾ **ولكن لا طريق إلى ذلك** ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ''كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ – لذلك القضية في غاية الخطورة – **ثم قال أبو جعفرٍ عليه السلام: هم والله يا جابر أئمة الظلمة وأشياعهم** – هذه الآيات تتحدث عن أئمة الظلمة وأشياعهم وهذا الحديث أيضاً رواه شيخنا المفيد رحمة الله عليه في كتابه الاختصاص.

هناك رواية جميلة ينقلها الشيخ الطوسي في الأمالي شيخ الطائفة عن إمامنا الصادق عليه السلام – **عن أبان بن عثمان عن أبي عبد الله جعفر بن مُحَمَّد عليهما السلام قال** – ماذا قال إمامنا الصادق؟ – **إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بِطنان العرش** – يعني من مركز القرار في العرش – **إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بِطنان العرش** – تقرأ من بِطنان ومن بُطنان العرش – **إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بُطنان أو من بِطنان العرش أين خليفة الله في أرضه؟** – هذا هو النداء العرشي – **أين خليفة الله في أرضه؟! فيقوم النبي داوود عليه السلام فيأتي النداء من عند الله عزَّ وجلَّ لسنا إياك أردنا وإن كنت لله تعالى خليفة، ثم ينادي ثانيةً أين خليفة الله في أرضه؟! فيقوم أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام فيأتي النداء من قبل الله عزَّ وجل: يا معشر الخلائق** – هذا نداءٌ إلهي – **يا معشر الخلائق هذا عليُّ بن أبي طالب خليفة الله في أرضه وحجته على عباده فمن تعلق بحبله** – بحبل عليٍّ – **في دار الدنيا فليتعلق بحبله في هذا اليوم ليستضيء بنوره وليتبعه إلى الدرجات العلى من الجنات، فيقوم الناس الذين تعلقوا بحبله في الدنيا فيَتبعونه إلى الجنة.**

إذا كنت للنيران في الحشر قاسماً أطعت الهوى والغي غير محاذري
نصرتك في الدنيا بما أستطيعهُ فكن شافعي يوم المعاد وناصري

أبيات ابن أبي الحديد يخاطب سيد الأوصياء.

فيقوم الناس الذين تعلقوا بحبله في الدنيا فيَتبعونه إلى الجنة، ثم يأتي النداءُ من عند الله جلَّ جلاله ألا من أتم بإمامٍ في دار الدنيا فليتبعه إلى حيثُ يذهب فحينئذٍ ﴿ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ

حَسَرَاتٍ عَلَيهِم وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ .

الحديث واضح وليس بحاجةٍ إلى شرح رواه شيخنا الطوسي شيخ الطائفة في الأمالي رواه أيضاً أستاذه الشيخ المفيد في الأمالي أيضاً الكتاب معروف بأمالي المفيد أو بمجالس المفيد رحمة الله عليه، من خلال هذه النصوص من خلال هذه الكلمات من خلال هذه الأحاديث المعاني واضحة وجلية في آيات الكتاب الكريم ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ﴾ أولئك الذين نصبوا أئمة من دون أئمة آل مُحَمَّد ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ من أحبكم أحب الله من عاداكم عادا الله وهذا المعنى من بديهيات المعاني في عقيدتنا الشيعية من أحبكم أحب الله حبُ أهل البيت وحبُ الله سبحانه وتعالى ولا يمكن الانفكاك بين هذين الحبين حبُ أهل البيت هو حبُ الله بشكلٍ مباشر من دون حاجزٍ ومن دون وسيط ومن أطاعكم أطاع الله وطاعةُ أهل البيت هي طاعة الله من دون مرتبةٍ فالصلةٍ فيما بين هاتين الطاعتين من أحبكم أحب الله من أطاعكم أطاع الله من أبغضكم أبغض الله ومن عصاكم عصى الله لا يوجد هناك فارق بين هذه المعاني حبهم حب الله طاعتهم طاعة الله بغضهم بغض الله معصيتهم معصية الله.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الذين امنوا بعليٍّ وآل عليّ ﴿ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ الحب الحقيق هنا ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ المجموعة الأولى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ يعني هم يصنعون لهم آلهةً الروايات موجودة عندنا الروايات التي تتحدث عن أن الذي ينصب إماماً غير لإمام الذي نصبه الله فهو مشرك مشركٌ حقيقي حين يسألون الأئمة يسألون الإمام الباقر يسألون الإمام الصادق من أين جاء الشرك والإشراك إلى هؤلاء؟! قالوا لأنهم جعلوا أنفسهم شركاء لله لأن نصب الإمام أمرٌ مخصوصٌ بالله فهم نصبوا الإمام فقد جعلوا أنفسهم شركاء لله من هنا جاء الشرك وهذا أعظم الشرك يعني هؤلاء جعلوا أنفسهم شركاء لله هؤلاء لم يعبدوا شريكاً وإنما هو نصبوا أنفسهم شركاء لله من هنا جاءهم الشرك العظيم لذلك هم يحبون هؤلاء أئمة الباطل كحب الله هم أصلاً لا يحبون الله لكنهم يجعلون حبهم للأئمة الباطل كحب الله وهذا الحرف حرف تشبيه هنا ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ أما الذين امنوا فهم ﴿ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ لا يوجد هناك حرف تشبيه هم أشد حباً لله، الحب الحقيقي عندهم لماذا؟ لأنهم يحبون عليّاً ومن أحب عليّاً فقد أحب الله

حبُ عليّ هو حبُ الله لا يوجد هناك فاصل تشتبه إذا تصورت أن الحب على نوعين هناك حبٌ لله وحبٌ لعليّ لا يوجد هذا المعنى في عالم الحقيقة في عالم الألفاظ يوجد هذا المعنى لكن في عالم الحقيقة لا يوجد هذا الفارق في المعنى حبُ عليٍّ هو حبُ الله وحبُ الله هو حبُ عليٍّ هذا التفريق تفريق لفظي في عالم الحقائق حبُ عليٍّ هو حبُ الله وطاعةُ عليٍّ هي طاعة الله عليٌّ ممسوسٌ كما يقول صلى الله عليه وآله ممسوسٌ في ذات الله، ممسوس هذه ذاتٌ فنت في الله عليٌّ ذاتٌ إلهية حينما أقول عليٌّ ذاتٌ إلهية قد يستغرب البعض لكن حينما تأتي الروايات وتقول: لازال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه بعد ذلك الله سبحانه وتعالى يقول: أكوُنُ رجله التي يمشي بها أليس هذا هو وجودٌ إلهي لأي عبدٍ من العبيد لماذا يستكثر هذا المعنى على عليٍّ؟! وهو عليٌّ عليّ، لكنه المرض هذا الفايروس الأموي هذا فايروس السقيفة الذي ينخرُ في القلوب وفي بعض الأحيان على حين غرة على حين غفلة هذا الفايروس يخترق القلب الشيعي في بعض الحالات هذا الفايروس إذا ما أخترق القلب يأتي بالويلات حينئذٍ لا توجد مناعة عند الإنسان يضرب جهاز المناعة إذا ضرب جهاز المناعة يعني ضرب جهاز البراءة وإذا ضربت البراءة عند الإنسان ضربت الولاية حينئذٍ حصانة الولاية هي بالبراءة من أعداء عليٍّ وآل عليّ فلا تدع الفايروس يضرب البراءة عندك إذا ضربت البراءة ضربت الولاية لأن المناعة والحصانة هي في البراءة وإنما الدين الولايةُ والبراءة لذلك نحن نقرأ في سورة البقرة في الآيات التي هي آيات الكرسي ماذا نقرأُ فيها؟

﴿فَمَن يَكفُر بِالطَّاغُوتِ﴾ بعد ذلك ﴿وَيُؤمِن بِاللّهِ﴾ البداية هناك كفرٌ بالطاغوت ﴿فَمَن يَكفُر بِالطَّاغُوتِ﴾ هذه الآية السادسة والخمسون بعد المئتين ﴿فَمَن يَكفُر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِن بِاللّهِ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾ هناك براءةٌ وبعدها ولاية ﴿فَمَن يَكفُر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِن بِاللّهِ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾ والعروة الوثقى عليٌّ والعروة الوثقى ولايةُ عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللّهِ﴾ هؤلاء أصلاً لا يؤمنون بالله ولا يحبون الله وإنما يخادعون أنفسهم لكنهم ينصبون لهم آلهةً من بشر أئمة جورٍ وأئمة ضلال فيأخذون دينهم من أئمة الضلال أولئك ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللّهِ﴾ لا يأخذون دينهم من الله وإنما ينصبون أنداداً يأخذون منهم الدين ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً﴾ يأخذوا منهم الدين ﴿يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ﴾ أشد حباً لله إنما دينهم من أين يأخذونه من أراد الله بدأ

بكم في الزيارة الجامعة الكبيرة نخاطب الأئمة من أراد الله بدأ بكم البداية منهم والنهاية عندهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ متى؟ في يوم القيامة وحتى عند الموت أيضاً ولكن الآيات هنا تتحدث عند يوم القيامة ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ إن كان ذلك من أئمتهم أو من الأتباع كلهم ظلمة لأنهم مشركون والمشرك ظالم ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وهم كلهم مشركون من دون استثناء ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ الأبواب هنا غُلقت في وجوههم ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ الذين اتُبعوا تبرؤوا من أتباعهم خوفاً من العذاب ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ تَقَطَّعَت بِهِمُ الأَسبَابُ: من هم الأسباب؟! الأسبابُ مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد ﴿تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ لأنهم لا يملكون وسيلةً للتواصل مع هذه الأسباب أين السبب المتصل بين الأرض والسماء ألا نخاطبُ الإمام الحجة في دعاء الندبة بهذا الخطاب؟! أين السبب المتصل بين الأرض والسماء هذا هو السبب الذي نتمسك به.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ هناك تقطع فيما بينهم وبين الأسباب لا يملكون أسباباً الأسباب الحقيقية بعيدة عن متناول أيديهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ هؤلاء الأتباع يا من يعيشون في أيامنا هذه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ لأن البراءة هي أساس النجاة قبل قليل أن قلت البراءة هي المناعة الحقيقية فهؤلاء يريدون أن يتبرؤوا علهم ينالون المناعة الآية واضحة هؤلاء لماذا يريدون أن يتبرؤوا؟! لأن البراءة هي المناعة مثل هذا الذي سيصاب بمرض مرض ينتشر فيذهب يريد المضادات لهذا المرض حتى تكون عنده المناعة هؤلاء لماذا يريدون أن يتبرؤوا؟ لأنهم عرفوا بأن البراءة من أولئك هي المناعة التي تحول فيما بينهم وبين العذاب ولكن لا طريق إليهم إلى البراءة أئمتهم أئمة الجور تبرؤوا من أتباعهم لكن هذا التبرؤ لا علاقة له بالبراءة التي هي المناعة لأن أصل المشكلة هي موجودة في رؤوس أئمتهم لأن هم المشكلة فحتى لو تبرؤوا من أتباعهم إنما يتبرؤون من أتباعهم بتوهم أن هذا التبرؤ سيخفف عنهم أو سيخفف عليهم العذاب لكن الأتباع يريدون أن يتبرؤوا من أئمتهم لأي شيءٍ؟ لأنهم يجدون أن البراءة فيها مناعة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ يتمنون ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا

﴿مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعمَالَهُم حَسَرَاتٍ عَلَيهِم﴾ سيرون أعمالهم ويرون ما بدلوا من مالٍ ومن جهدٍ ومن سعيٍ ومن عداءٍ وما سفكوا من دماء عليٍّ وآل عليّ وما سفكوا من دماء أوليائهم وما فعلوا وما فتحوا من قنواتٍ فضائية تعادي عليّاً وآل علي وما دبجوا من كتبٍ ومن كلام ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعمَالَهُم حَسَرَاتٍ عَلَيهِم وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾.

الآية التي بعدها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرضِ حَلَالاً طَيِّباً﴾ خطاب للناس بشكلٍ عام يا أيها الناس لماذا لا تعيشون في هذه الأرض وتأكلون من حلالها الطيب وتتقربون إلى الله هذا الحلال الطيب ما هي آثاره؟ آثارُ الحلال الطيب ستنعكس على الجسد وعلى الروح حينما تهنئون بحلالكم الطيب طبعاً هناك إشارات في هذه الآية الكريمة إلى ما جاء في رواياتنا في روايات أهل البيت الأرض وما عليها للإمام الأرض وما عليها للإمام هناك عندنا في الروايات الحديث عن أن النواصب وأن أعداء أهل البيت أبناء زنا الحديث عن الزنا هنا في مرتبتين هناك الزنا، الزنا المعروف وهناك الزنا المتأتي من التصرف المغصوب في الأرض وما عليها فإن الأرض وما عليها للإمام ولم يأذن الإمام إلا لشيعته والروايات تقول إنما أذن لشيعته لأي شيءٍ؟ لتطيب ولاداتهم لتطيب موالدهم ولتطيب مناكحهم لأن الأرض وما عليها للإمام وهذا موضوع فيه تفصيل ومن هنا دخل الزنا على أعداء أهل البيت الزنا بالمعنى الثاني يعني أنهم من أبناء الحرام من هذا الطريق من جهة التصرف بالأرض وما عليها بنحوٍ من دون إجازة المالك الحقيقي وهو الإمام المعصوم فالأرض وما عليها للإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه وهذا المعنى واضحٌ وجليٌ في أعداد غفيرة وكثيرة من النصوص المعصومية وسنأتي على ذكرها في حينها إن شاء الله تعالى.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرضِ حَلَالاً طَيِّباً﴾ متى يكون ما في الأرض حلالاً طيباً؟ حين يكون الإنسان في منهج عليٍّ وآل عليّ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ﴾ هذا المنهج الثاني يعني الآيات تريد أن تقول اتبعوا خطوات عليٍّ وكلوا في الأرض ومما في الأرض حلالاً طيباً ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ﴾ يعني اتبعوا خطوات عليٍّ فكلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأمُرُكُم﴾ بأي شيءٍ؟! ﴿بِالسُّوءِ وَالفَحشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعلَمُونَ﴾ ماذا تقول روايات أهل البيت في هذه الآية؟ ﴿إِنَّمَا

﴿يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالفَحشَاء وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعلَمُونَ﴾ الروايات عن أهل البيت ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ﴾ بسوء العقيدة في مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿وَالفَحشَاء﴾ بعداوة عليٍّ وإنكار إمامته ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعلَمُونَ﴾ أن تنصبوا أئمةً من أئمة الظلال فإنكم بذلك تقولون على الله ما لا تعلمون لأن الله سبحانه وتعالى نصب أئمةً وأنتم جئتم بجهلكم وظلالكم فنصبتم أئمةً هذا المعنى هو واضحٌ في كلمات أهل البيت هذه روايات أهل البيت هكذا فسرت هذه الآية إنما يأمركم بالسوء بسوء العقيدة في محمَّد والفحشاء بإنكار ولاية عليٍّ الفحشاء الشيء البعيد غاية البعد عن مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله هو عداوة عليٍّ ولذلك الصلاة عن أي شيءٍ تنهى؟ تنهى عن الفحشاء والمنكر تنهى عن الفحشاء عن الابتعاد عن عليٍّ فالصلاةُ هي مظهرُ ولاية عليٍّ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالفَحشَاء وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعلَمُونَ﴾ بالسوء بسوء العقيدة في مُحَمَّد والفحشاء في عداء عليٍّ وإنكار حقه وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون أن تنصبوا أئمة باطلٍ وتحلونهم مكان عليٍّ في عقيدتكم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ﴾ الآية التي بعدها وهي الآية السبعون بعد المئة من سورة البقرة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لهؤلاء ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ﴾ ما أنزل الله في عليٍّ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ﴾ الآن أنت خاطب الناس اتبعوا ما أنزل الله على مُحَمَّدٍ في عليٍّ هكذا تقول الروايات ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُوا بَل نَتَّبِعُ مَا أَلفَينَا عَلَيهِ آبَاءنَا﴾ ما وجدنا عليه آبائنا وهذه هي الحقيقةُ التي نعيشها في هذا الزمان وعاشتها الأجيال التي قبلنا ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُوا بَل نَتَّبِعُ مَا أَلفَينَا عَلَيهِ آبَاءنَا أَوَلَو كَانَ آبَاؤُهُم لاَ يَعقِلُونَ شَيئاً وَلاَ يَهتَدُونَ﴾ يعني حتى لو كان آبائهم الآباء هنا من هم؟ الأئمة الذين سبقوهم، لذلك في الروايات لا تسب أبَّ الرجل فيسب أباك ما معنى هذه الرواية؟ قال: لا تسب أئمتهم فيسبون أئمتك، لا تسب أبَّ الرجل فيسب أباك قال: لا تسب أئمتهم فيسبون أئمتك وإنما آبائنا الحقيقيون محمَّدٌ وعليّ وهذا المعنى وضاح في الروايات أنا وأنت يا عليّ أبوا هذه الأمة الأبوان الحقيقيان، المؤمنون آبائهم الحقيقيون مُحَمَّدٌ وعليّ وأولئك آبائهم، آبائهم أيضاً معروفون.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُوا بَل نَتَّبِعُ مَا أَلفَينَا عَلَيهِ آبَاءنَا﴾ المؤمنون هذا دعاءهم اللهم أحيينا ما

أحييت عليه مُحَمَّداً وآل محمَّد وأمتنا على ما أمتَّ عليه مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد وأولئك أيضاً دعاءهم كدعاء الذين سبقوهم يريدون الحياة والممات وفقاً لحياة وممات آبائهم فهنيئاً لهم بهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾ ما ألفينا: ما وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ * وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هناك تمثيل جميل جداً في هذه الآية ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مثل هؤلاء هؤلاء الذين كفروا بكل تلك الحقائق التي أنزلها الله على مُحَمَّدٍ في عليٍّ وآل عليّ ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنعِقُ بِمَا لَا يَسمَعُ إِلَّا دُعَاء وَنِدَاء﴾ الآية جميلة جداً هنا النعيق، النعيق هو صوت الراعي في أغنامه صوت مالك الحيوانات في حيواناته حينما يكون صاحب الحيوانات عنده مجموعة من الحمير مجموعة من البغال مجموعة من الأغنام مجموعة من الحيوانات الصوت الذي يطلقه لأجل تنبيه هذه الحيوانات عندما يسوقها أو عندما يقودها في المسير هذا الصوت يقال له نعيق في لغة العرب الآية هنا تعطينا مثلاً عن هؤلاء الذين تقطعت بهم الأسباب في الدنيا والآخرة.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنعِقُ﴾ من النعيق ﴿يَنعِقُ بِمَا لَا يَسمَعُ﴾ بما يعني ينعق بحيواناته **بما** هذه **الما** هنا **بما** اسمٌ موصول يدل على الحيوانات لأن النعيق هو النعيق من صاحب الحيوانات لحيواناته ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنعِقُ بِمَا﴾ يعني بحيواناته ﴿يَنعِقُ بِمَا لَا يَسمَعُ﴾ لأن الحيوانات لا تعي ما يقول صاحبها فقط تسمع الصوت الآية تريد أن تقول إن هؤلاء حتى لو كلمناهم فإنهم كحال الحيوانات لا يسمعون إلا الصوت ولا يعرفون تفاصيل الكلام وهذه هي الحقيقة الآن حينما تتكلم مع هؤلاء المخالفين فإنهم لا يسمعون إلا الصوت إلا جرس الصوت أم تفاصيل الكلام فهم لا يعبئون به بل إن في كتبهم الكثير الكثير من النصوص التي تأيد المعاني التي أشرتُ إليها وتتحدث عن إمامة أهل البيت وعن عصمتهم يمرون عليها ولا يعبئون بها وكأن شيئاً لم يكن ولا أقول حديث وحديثان هناك مئات من الأحاديث في كتبهم ولكنهم يمرون عليها ولا شيء، الآية هنا تتحدث عن هذه الحقيقة ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنعِقُ بِمَا لَا يَسمَعُ إِلَّا دُعَاء وَنِدَاء﴾ الدعاء والنداء هو الصوت الصادر من الإنسان النداء هو الصوت العالي المرتفع حين أنادي على شخص أناديه بصوتٍ عالي الدعاء ممكن يكون بصوتٍ عالي وممكن يكون بصوتٍ منخفض يعني الآية تقول إن الراعي حينما ينعق في حيواناته سواء كان نعيقه نداءاً بصوتٍ عالي أو دعاء قد لا يكون بصوتٍ عالي الدعاء يشمل الصوت العالي والصوت غير العالي فلما ذكر النداء إذاً المراد من

الدعاء الصوت غير العالي فإن هذه الحيوانات لا يُفرقُ عندها إن كان الصوت دعاءً أو كان نداءً إن كان بألفاظ أو بغير ألفاظ هي فقط تسمعُ جرس الصوت.

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنعِقُ بِمَا لاَ يَسمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء ﴾ فقط الصوت التفاصيل لا تعرفها هذه الحيوانات وأولئك هم أعداء عليٍّ الآية تقول ﴿ صُمٌّ بُكمٌ ﴾ صمٌّ جمعٌ لأصم وهو الذي لا يسمع، بكمٌ جمعٌ لأبكم وهو الأخرس، وعميٌ جمعٌ لأعمى ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنعِقُ بِمَا لاَ يَسمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ ﴾ هذا هو حالهم ﴿ بُكمٌ عُميٌ فَهُم لاَ يَعقِلُونَ ﴾ ومر علينا قبل قليل في سورة هود حين قرأنا الآيات ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتلُوهُ شَاهِدٌ مِّنهُ ﴾ وهو عليٌّ، وصل الكلام في الآية الرابعة والعشرين من سورة هود ﴿ مَثَلُ الفَرِيقَينِ كَالأَعمَى وَالأَصَمِّ وَالبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَل يَستَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾ نفسُ هذا المثل هنا موجودٌ في سورة البقرة ﴿ صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ فَهُم لاَ يَعقِلُونَ ﴾.

بهذا القدر أكتفي من آيات سورة البقرة المباركة وإن شاء الله تعالى أتم الحديث في الحلقة القادمة ألقاكم على مودة عليٍّ وعليٍّ وعليٍّ وعليٍّ ..... حتى ينقطع النفس.

أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة الحادية والعشرون

تفسير سورة البقرة من الآية ١٧٢ الى الآية ١٨٢

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته وهذه الحلقة الحادية والعشرون من برنامج قرآننا والسورة التي بين أيدينا سورة البقرة حيث تم الكلام في الحلقة الماضية في الآية السبعين بعد المئة من آيات سورة البقرة وكذلك كانت الآية الحادية والسبعون بعد المئة هي آخر آيةٍ تحدثت عنها وتم الكلام فيها وهي الآية: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنعِقُ بِمَا لاَ يَسمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ فَهُم لاَ يَعقِلُونَ﴾ أشرعُ بالآية التي بعدها، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقنَاكُم وَاشكُرُوا لِلّهِ إِن كُنتُم إِيَّاهُ تَعبُدُونَ﴾ .

مرَّ علينا في الآية الثامنة والستين بعد المئة خطابٌ لكل الناس ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ وتحدثت في حينها عن مسألة أن الأرض وما عليها للإمام المعصوم وتحدثت أيضاً عن الآثار المترتبة على تصرف الناس في الأرض وما عليها من دون أذن المعصوم الآية الثامنة والستون بعد المئة ﴿يَا أَيها النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ﴾ الخطاب هنا لكل الناس أما الآية التي بين أيدينا الآن وهي الثانية والسبعون بعد المئة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخطاب للذين آمنوا ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقنَاكُم وَاشكُرُوا لِلّهِ إِن كُنتُم إِيَّاهُ تَعبُدُونَ﴾ الآية السابقة ماذا قالت؟

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الآية هذه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية السابقة قالت ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الأَرضِ حَلاَلاً طَيِّباً﴾ بنحوٍ عام، الآية هنا تتحدث ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقنَاكُم﴾ لشيءٍ فيه خصوصية ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقنَاكُم وَاشكُرُوا لِلّهِ إِن كُنتُم إِيَّاهُ تَعبُدُونَ﴾ إن كنتم عابدين لله فاشكروا له ما المراد من الشكر؟ الشكر في أسمى معانيه هو الشكر بالعمل والشكر بالعمل لا يتحققُ إلّا حينما تكون العقيدة سليمةً صافيةً صحيحة،

الآية هنا تطالبنا بالشكر ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ وأسمى معاني الشكر هو الشكر بالعمل الشكر بالأفعال وشكر الأفعال لا يتحققُ إلا بعد وجود المعرفة الصحيحة المعرفة التي محلها العقل والقلب ولا يمكن للإنسان أن ينال المعرفة الصحيحة إن كان ذلك في حد العقل أو كان ذلك في حد القلب إلا أن يكون المصدر الذي استقى منه المعرفة مصدراً لا يعطي إلا المعرفة الصحيحة وهذا لا يمكن أن نتصوره إلا أن يكون ذلك المصدر مصدراً معصوماً وإلا ما هو الضمان أن تصدر المعرفة الصحيحة فتكون صحيحةُ فعلاً وهي صادرةٌ من جهةٍ ليست معصومة لأن الجهة التي لا تكون معصومة يحتمل فيما يصدر عنها إما ان يكون خطأً وإما أن يكون صواباً وبنفس الدرجة، يمكن أن يكون خطأً بنسبة خمسين بالمئة ويمكن أن يكون صواباً بنسبة خمسين بالمئة فما الدليل على صحة ما صدر حتى نتبعه وما الدليل على خطأ ما صدر حتى نتجنبهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ هناك شكرٌ بحسب هذا الوصف الذي بينتهُ وهذا الشكر لا يتحققُ إلا أن تكونوا في غاية العبادة ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ وهنا تقدم الضمير ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ وكما يقول أهل العربية بأن الضمير إذا تقدم وكان الضمير المنفصل قبل الفعل فإن ذلك يدل على الحصر كما نقرأ في سورة الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ما جاء في سورة الفاتحة نعبدك ونستعين بك أو نستعينك لم يأتي هذا وإنما جاء الضمير المنفصلُ متقدماً ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وإنما تقدم الضمير على الفعل لأجل الحصر أي أن تكون العبادة محصورة في جهةٍ واحدة هي الجهة التي نتوجه إليها في كل شيءٍ وكل مآلنا يعود إليها إلى الله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ وهذا الشكر إنما يتحقق بالفعل وبالعمل المستند إلى العقيدة السليمة وسيأتينا كلامٌ في تتمة الحديث إن شاء الله أحاول أن أمر مروراً سريعاً على الآيات.

الآية التي بعد هذه الآية ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ هذه مصاديق من المواطن التي حرمها الله سبحانه وتعالى علينا والتي لا تقع في العنوان الذي أشارت إليه الآية السابقة، الآية السابقة قالت ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ فهذه المحرمات التي حُرِّمت يعني أنها من الخبائث وليست

من الطيبات لأن الآية السابقة تحدثت عن طيبات الرزق والآية قالت ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ فالآية التي بعدها تحدثت عن الخبائث ﴿إِنَّما حَرَّمَ عَلَيكُمُ﴾ والتحريم هو المنع ﴿إِنَّما حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيتَةَ وَالدَّمَ وَلَحمَ الخِنزِيرِ﴾ الميتة هذا العنوان ينطلق على أمرين: الأمر الأول ينطلق على الحيوانات التي تموت قبل أن تُذبح هذه هي ميتة يعني الحيوانات التي يجوز أكلها وتموت قبل أن تُذبح فهذه هي ميتة هذا العنوان الأول، والعنوان الثاني يطلق على الحيوانات التي لا تُذبح بالطريقة الشرعية الصحيحة يعني على الحيوانات غير المُذكاة الحيوانات التي لا تُذكى ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيتَةَ﴾ الميتة إذاً هي الحيوانات التي يجوز أكلها ولكنها ماتت قبل أن تُذبح ماتت بالحالة الطبيعية لموت الحيوانات أو بسبب حادثٍ أو عارض فهي ميتة وكذلك الحيوانات التي يجوز أكلها ولم تذكى ما ذُكيت حين الذبح لم تذبح على الطريقة الشرعية فهي ميتة فهذان النوعان يطلق عليهما الميتة ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيتَةَ وَالدَّمَ﴾ مطلق الدم سواء كان هذا الدم من الإنسان او من غير الإنسان، الدم هنا محرم بشكلٍ عام هذا الدم من الإنسان أو من غير الإنسان من الحيوانات من البهائم من الطيور مطلق أنواع الدماء هي محرمة ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيتَةَ وَالدَّمَ وَلَحمَ الخِنزِيرِ﴾ والخنزير عينٌ نجسة والأمرٌ واضحٌ لا يحتاج إلى شرح طول.

﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيرِ اللَّهِ﴾ هو هذا أيضاً من عناوين الميتة ما أُهِلَّ به لغير الله لكن خُصِّصَ باعتبار أن هذا الأمر له خصوصية يعني هذا الأمر هو أكثر سوءاً ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيرِ اللَّهِ﴾ أي ما ذُبِح لغير الله ما أُهِلَّ به لغير الله يعني ما ذُبِح لغير الله سبحانه وتعالى والحيوانات التي تذبح لغير الله سبحانه وتعالى من خلال روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على نحوين هناك النحو المعروف وهي الحيوانات مثلاً التي تذبح للأصنام كانت تذبح للأصنام ولكن هناك نحوٌ آخر أيضاً أشارت إليه الروايات وهي الحيوانات التي تذبح وقد تذبح على الطريقة الشرعية ولكنها تذبح لأجل المباهاة لأجل المفاخرة لخدمة الظالمين لعناوين مختلفة فهذه أيضاً ورد لها ذكرٌ في روايات أهل البيت ووضعت تحت هذا العنوان بأنها أُهِلَّ بها لغير الله لأنه لم يُرد بها وجه الله أو لم يُرد بها الانتفاع الاعتيادي العادي في حياة الناس اليومية الطبيعية وهناك حوادث وقصص وقعت في زمان سيد الأوصياء تشير إلى هذا الأمر لكن المقام لا يسع لذكرها.

﴿إِنَّما حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيتَةَ وَالدَّمَ وَلَحمَ الخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيرِ اللَّهِ﴾ ما ذبح لغير الله ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيرِ اللَّهِ فَمَنِ

﴿اضطُرَّ غَيرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ﴾ الاضطرار هذا الأمر يحددهُ الإنسان أو يحدده أهل الخبرة أو يحددهُ الواقع هذه مسألة الضرورة ومسألة الاضطرار مسألة لا يوجد هناك ميزان رياضي لتحديدها وإنما إما أن تحدد بحسب الواقع بحسب معطيات الواقع أو بحسب علم أهل الخبرة أو بحسب علم الإنسان بنفسه.

﴿فَمَنِ اضطُرَّ غَيرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ﴾ في روايات أهل البيت المراد من الباغي، هنا المراد من الباغي الذي خرج للصيد بغياً وفي روايات أخرى الذي خرج باغياً على إمامهِ وأما العادي ففي رواياتٍ هو اللص وفي روايات هو قاطع الطريق وكل هذه إنما هي مصاديق لأن الباغي على الإمام ولأن كذلك الخارج في سفر الصيد للصيد اللهوي المحرم والخارج للسرقة والخارج لقطع الطريق على الناس كل ذلك سفرهم محرم وفي السفر المحرم لا يستطيع الإنسان أن يُقصِّرَ في صلاتهِ أو في صيامه يجب عليه أن يُتم الصلاة والصيام وكذلك لا يجوز له أن يأكل من الميتة لو كان مضطراً لأنهُ هو الذي قد خرج في سفر المعصية ذلك الإنسان الذي يخرج في سفر أو في طريق بحسب الظروف المباحة الاعتيادية وبسبب الأوضاع التي مرَّ فيها يضطر إلى أكل الميتة فيجوز له أن يأكل من الميتة المقدار الذي ينجو به من الميتة أو من الخنزير أو من غيرهِ لأن الآية تحدثت عن أصناف محرمة ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيتَةَ وَالدَّمَ وَلَحمَ الخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيرِ اللّهِ فَمَنِ اضطُرَّ﴾ المضطر لذلك هناك استثناءات ﴿غَيرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ﴾ الباغي هنا هو الخارج على إمام زمانهِ والخارج أيضاً للصيد اللهوي المحرم كما يفعل مثلاً الطغاة والملوك والسلاطين وكذلك اللصوص وكذلك قطاع الطرق هؤلاء سفرهم محرم ولو كانوا يصلون ويصومون فلا يحق لهم أن يقصروا في صلاتهم وفي صيامهم يجب عليهم أن يصلوا تماماً وأن يصوموا وكذلك لا يحق لهم لو اضطروا الا لذلك إلى أكل الميتة إلى أكل الخنزير لا يجوز لهم ذلك.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيتَةَ وَالدَّمَ وَلَحمَ الخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيرِ اللّهِ فَمَنِ اضطُرَّ غَيرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثمَ عَلَيهِ﴾ الإثم هو الجزاء المترتب على العمل السيء مثل ما هناك الثواب على العمل الصالح طبعاً كلمة الثواب في لغة العرب يمكن أن تكون جزاءً للعمل الصالح وللعمل الطالح لكن لأنها غالباً استعملت في جزاء العمل الصالح فيتبادر دائماً من كلمة الثواب أنها جزاءٌ للعمل الصالح وإلا في أصل لغة العرب الثواب يكون للعمل الصالح وللعمل الطالح الثواب هو الجزاء الثواب هو جزاء العمل وثاب إليه رجعَ إليه فالمراد من الثواب ما يرجع إلى الإنسان بسبب عمله، أما الإثم ففي لغة العرب الإثم هو جزاء العمل السيء وقد يطلق الإثم أيضاً على العمل السيء وإنما جزاء الإنسان بنفس عملهِ ﴿فَمَنِ اضطُرَّ غَيرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثمَ عَلَيهِ﴾ يعني فلا جزاء

على هذا العمل السيء لأنه كان مضطراً إلى ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ غفرانهُ ورحمتهُ واسعةٌ تسع كل شيء والغفور من المغفرة والمغفرة تعني التغطية إن الله يغطي عيوبكم إن الله يغطي نقائصكم فهو غفورٌ وهو رحيم وتعمكم رحمته ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ ما أنزل الله من الكتاب ومرَّ علينا في الآيات السابقة وبينت بأن الروايات تتحدث عن أولئك الذين يكتمون ما نزل على مُحَمَّدٍ في فضل عليٍّ هكذا حدثت الروايات، مرَّ علينا في الآية التاسعة والخمسين بعد المئة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ في عليٍّ ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ نفس الكلام الذي مرَّ في تلكم الآية هنا يأتي متكرراً واضحاً لكن لماذا تكرر الكلام هنا؟ هذا ما سيتضح لنا في آخر الحديث.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ يشترون به ثمناً قليلاً: يعني يدفعون الثمن ما هو؟ كتمانهم لحقِّ عليٍّ فينالون ماذا؟ ينالون شيئاً من مال، ينالون شيئاً من جاه، ينالون شيئاً من متاع الدنيا ومن رجع إلى كتب التأريخ فإنه سيجد النماذج الكثيرة التي فعلت هذا الأمر وأسوأ من ذلك أن كثيراً منهم فعلوا ذلك من دون مقابل الآن كتب الحديث عند المخالفين التي كُتبت ليس كل هذه الكتب كتبها مؤلفوها مقابل الأموال هناك العديد منهم من كتب ذلك تقرباً إلى الشيطان كتب ذلك للانتقاص من عليٍّ وآل عليٍّ من دون مقابل وهذا هو الأسوأ فيهم ربما البعض كتب ذلك مقابل دريهمات مقابل أموال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ يشترون يعني يدفعون هذا الأمر ثمناً فماذا يُعطى هذا الدافع؟ يُعطى شيئاً من مال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ التعبير جداً دقيق هم بعملهم هذا يشترون الثمن هناك ثمن ومُثمن فالعملية هكذا الثمن بالأساس يدفعونهُ هو ما يقومون به من كتمان الحقائق الشيء الذي يشترونه وهو المباع الأموال التي ينالونها لكن التعبير هنا جميل جداً سمى ما يشترونه ثمناً قليلاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾ هؤلاء ما يأكلون في بطونهم إلا النار: ما المراد من ذلك حينما يستلمون الأموال ويشترون بها الأطعمة الطيبة فهل هم يأكلون ناراً إنما مآب هذه الأطعمة نهايتها إلى النار وحقيقة هذه الأطعمة لو أزيحت الحجب عن هذه الأطعمة التي نالوها بهذا المال لرأوها ناراً ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ

﴿يُزَكِّيهِم﴾ لا يطهرهم، لماذا؟ هل هناك من حاجة إلى التزكية؟! نعم الذين يدخلون إلى الجنان لابد أن يُزكوا وهذه التزكية تزكية تكوينية لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش في الجنان من دون أن يمر بمرحلة التزكية ما قبل الدخول إلى الجنة بعملية تطهيرٍ تكويني بعملية تطهيرٍ معنوي ونزعنا ما في قلوبهم من غل لابد أن تتم هذه العملية قبل الدخول إلى الجنة وهذا عنوان هذا مثال لابد أن ينزع من الإنسان كل نقص سواء كان هذا النقص مادياً أو معنوياً وهذه هي عملية التزكية قبل الدخول إلى الجنان ولذلك قبل أن يدخلوا إلى الجنان لابد أن يردوا على حوض الكوثر الورود على حوض الكوثر هو عملية التطهير، الوارد على حوض الكوثر والشارب من حوض الكوثر إنما هو يقوم بعملية تطهير، والواقف على حوض الكوثر المصطفى والساقي على حوض الكوثر المرتضى وعملية التطهير ما بين المصطفى والمرتضى ولذلك عبر في الروايات عن ولايتهم عن ولاية عليٍّ بالطهور الأعظم هكذا عبر عن ولاية الأئمة بأنها الطهور الأعظم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى﴾ الصفقة التجارية متألفة من طرفين هناك شيء يشترى وهناك ثمن هناك ثمن ومثمن هؤلاء اشتروا الضلالة بأي شيءٍ؟ بالهدى قدموا الهدى ثمناً تنازلوا عنه فنالوا الضلالة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى﴾ كما قال صلى الله عليه وآله إنما هذه الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر فيها آخرون هناك صفقات تجارية تُعقد في هذه الدنيا هذا نحوٌ من أنحاء الصفقات التجارية ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ اشتروا العذاب بالمغفرة لماذا جعل المغفرة في مقابل العذاب ولم يجعل النعيم في مقابل العذاب؟! لأن الناس في يوم القيامة كلهم يحتاجون إلى المغفرة ما من أحدٌ إلا وهو محتاجٌ إلى المغفرة الروايات تقول حتى الأنبياء إنهم يحتاجون إلى المغفرة إلا نبينا وآله المعصومون إلا نبينا وآلهُ لا يحتاجون إلى المغفرة لأنهم هم باب المغفرة وهم سبب المغفرة الروايات تقول حتى الأنبياء يحتاجون إلى شفاعة محمَّدٍ صلى الله عليه وآله.

الروايات تحدثنا مثلاً حينما نقرأ في سورة الفجر ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ الآية الثالثة والعشرون من سورة الفجر ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ الروايات المنقولة عن أئمتنا روايات مهولة تتحدث عن الكيفية التي تأتي بها جهنم ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ﴾ الروايات تقول إن الملائكة تسحبها، جيء بها

يجاء بها إلى ساحة المحشر ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ فتكاد تنفلت من أيدي الملائكة الغلاظ الشداد الروايات تصف المنظر المهول أن هذه الأعداد الهائلة من الملائكة قد قيدت جهنم بسلاسل وأيةُ سلاسل هذه؟ فتكاد أن تنفلت جهنم وحين تنفلت جهنم حين يُجاء بها، الروايات تقول إن الأنبياء طُراً كل الأنبياء إلا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله الأنبياء طُراً يجثون على الرُكب هكذا تقول الروايات، وإن الناس يلوذون بالأنبياء ما هو جواب الأنبياء؟ جواب الأنبياء يقولون لهم عودوا إلى محمَّد الناس يلوذون بالأنبياء فلا يليذهم نبيٌ من الأنبياء، الخوف والرعب الذي يملأ المحشر فحينئذٍ يلوذ الناس بِمحَمَّد فحينما يلوذ الناس بِمُحَمَّد يقف أمام جهنم فتنكمش جهنم فتقول ما لي ولك يا مُحَمَّد الروايات تقول بأن الأنبياء كلهم ينادون يا روحي يا نفسي إلا مُحَمَّد ينادي يا أُمَّتي، الكل بحاجةٍ إلى المغفرة لذلك الآية هنا جعلت الذي يقابل العذاب المغفرة والمغفرة في أجلى معانيها شفاعة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ مقابل الضلال الهدى أما ما هو مقابل العذاب في يوم القيامة؟ المغفرة لأنه بالمغفرة بالشفاعة ندخل إلى الجنان لا بأعمالنا ما قيمة أعمالنا، الإنسان الذي يتصور بأنه يدخل الجنة بعمله فإنه سيوكل إلى عمله وإذا أوكل إلى عمله نهايتهُ سوداء، النجاة هي بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد النجاة لا بأعمالنا نحن نؤدي أعمالنا بقدر ما نتمكن لكن الواقع يشهد بأنها ناقصة مهما جئنا بأعمالنا على أتم الشروط تبقى منقوصة فإذا كانت الأعمال منقوصة فإنها لن تفي بالغرض لن تسدد القيمة الكاملة إذاً لابد من الشفاعة لابد من المغفرة ومن هنا الكل محتاجٌ إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد في يوم القيامة، وإيابُ الخلق إليكم إياب الخلق كل الخلق يعودون إليكم وهذه القضية ليست قضية اجتماعية وعرفية، نظام التكوين الذي وضعه الباري سبحانه وتعالى هو هكذا ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ أيُّ صبرٍ هؤلاء يملكون، هل يصبرون على النار؟ قطعاً لا يصبرون على النار لكن الآية تريد أن تقول إن هؤلاء يذهبون بأرجلهم هؤلاء هم يقودون أنفسهم بأنفسهم إلى النار أولئك الذين يكتمون حقائق عليٍّ، فضائل عليٍّ، يكتمون الحقيقة وهم يعلمونها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ في عليٍّ ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إذا كانت هذه أحوالهم إذاً ماذا نصنع بمجادلتهم نحن ربما نفكر في مناقشة في مجادلة أولئك الذين قد ينفع النقاش معهم أما أولئك العُتاة هؤلاء الذين لا يأكلون في بطونهم إلا النار كبار

القوم كبار علمائهم الناهضون باحتجاجاتهم ما الفائدة من الحديث معهم؟ إن كان في الفضائيات أو في غير الفضائيات هؤلاء هذه نهايتهم ما الفائدة من الحديث معهم إلا ضياع الوقت وإلا إشغال الناس بغير ذكر عليٍّ وآل علي، زينوا مجالسكم بذكر عليٍّ لا أن نزين مجالسنا بتلك الوجوه المتجهمة بتلك الوجوه الكالحة التي قضت حياتها في عداء عليٍّ وآل عليّ، زينوا مجالسكم بذكر عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه زينوا قلوبكم بذكر عليٍّ، ذكرُ عليٍّ زينة المجالس ذكر عليٍّ زينة القلوب ذكر عليٍّ طهارة النفوس والأرواح، ذكر عليٍّ كمال العقول وحين نذكر علياً فإننا نقمع الشياطين نقمع شياطين الجن والإنس إذا أردتم أن تغيضوا أعداء عليٍّ فاذكروا علياً وألهجوا بذكر علياً فإن ذلك يدخل الغيض على قلوبهم فإن ذلك يدخل الأذى على نفوسهم، أصدعوا بذكر عليٍّ أرفعوا الصوت بعليٍّ صلوات الله وسلامه عليه.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ﴾ لا يحتاجون إلى التزكية لأنهم ذاهبون إلى النار المحتاجون إلى التزكية أولئك الذين يذهبون إلى الجنان ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ يعني هؤلاء يتعجب القرآن منهم يقول هل عندهم القدرة أن يصبروا على النار ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ لأن النار آتيةٌ آتية ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ وهؤلاء كتموا الحقائق هؤلاء يريدون أن يبطلوا الكتاب وقد حرَّفوه، حرفوه في تفاسيرهم فما تركوا شيئاً من حقٍّ في الكتاب إلا وأبطلوه ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ الشقاق هو الاختلاف ﴿ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ مثل ما يأتي اثنان كل واحد يذهب في شقٍ من الطريق ولذلك نبينا صلى الله عليه وآله ماذا قال لعمار؟ قال يا عمار إذا رأيت الناس سلكوا أودية طرق مختلفة فاسلك في الوادي وفي الطريق الذي يسلك فيه علي لا تذهب في تلك الشقة يميناً وفي تلك الشقة شمالاً أبحث عن عليٍّ، الهدى مع عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه والأمان مع علي وإن كانت الدنيا مريرةً مع عليٍّ فما الدنيا إلا صبرُ ساعة كما قال موسى بن جعفر، حتى لو كانت الدنيا مريرةً وعذاباً مع عليٍّ فما الدنيا إلا صبر ساعة ولكن الخلود مع عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه ولكن النعيم المقيم مع عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ ﴾ وما الكتابُ إلا علي وهل حقيقة الكتاب

إلا علي ومرَّ علينا في أول سورة البقرة ﴿الم * ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيبَ فِيهِ هُدًى لِّلمُتَّقِينَ﴾ قالها صادق العترة قال ذلك الكتاب ذلك عليٌّ لا ريب فيه هدىً للمتقين ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الكِتَابَ بِالحَقِّ﴾ نزل الكتاب، الكتاب الصامت ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اختَلَفُوا فِي الكِتَابِ﴾ في الكتاب الناطق ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الكِتَابَ بِالحَقِّ﴾ وهو الكتاب الصامت الذي كتموا حقائقهُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الكِتَابِ﴾ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اختَلَفُوا فِي الكِتَابِ﴾ في الكتاب الناطق ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ في اختلافٍ بعيد وفي طرق شتى، وما طريق الحق إلا عند عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه يا أيها المولى الولي يا أمير المؤمنين، والخطاب لعليٍّ ولحسنٍ ولحسينٍ ولكلهم لأولهم ولآخرهم لإمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه وإمام زماننا هو عليٌّ وعليٌّ هو إمام زماننا، أولهم مُحَمَّد أوسطهم مُحَمَّد آخرهم محمَّد كلهم مُحَمَّد.

يا أيها المولى الوليُ ومن له الشرف العلي ومن به أنا واثقُ
لا أبتغي مولىً سواك ولا أرى إلا ولاك ومن عداك فطالقُ
كم يعذلوني في هواك تعنفاً أنا عاشقٌ أنا عاشقٌ أنا عاشقُ

﴿لَّيسَ البِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَن آمَنَ بِاللّهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَالمَلآئِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُربَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالمُوفُونَ بِعَهدِهِم إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي البَأسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ البَأسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾ آيةٌ واحدة هي الآية السابعة والسبعون بعد المئة تعطينا صورة كاملة عن هوية المسلم عن هوية المؤمن هذه هي هوية المسلم هذه هي هوية المؤمن هذه هي هوية شيعة عليٍّ صلوات الله عليه.

﴿لَّيسَ البِرَّ﴾ البرُ هو الخير ﴿لَّيسَ البِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ﴾ الأساس ليس في النقاشِ أو في الخلاف أو في الحديث فيما مر من نقاشات ومن كلامٍ حول قضية القبلة، القبلة ليست أساساً إنما هي رمز القبلة شعار القبلة طقس القبلة رمز القبلة مظهر القبلة صورة الحقيقة وراء هذه الصورة الحقيقة وراء هذا الرمز ﴿لَّيسَ البِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ﴾ القضية ليست في الطقوس أنما أشير في هذه الآية إلى القبلة لأنه قد حدث نقاشٌ كبير ولغطٌ وكلام وكلام فيما بين اليهود والمسلمين وفيما بين المسلمين

أنفسهم ﴿لَّيسَ البِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَن آمَنَ بِاللّهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَالمَلآئِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ وهذه هي عقيدة القرآن ولا أعتقد أن ألفاظ الآية بحاجةٍ إلى شرح كثير ﴿لَّيسَ البِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَن آمَنَ بِاللّهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَالمَلآئِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ هذا هو البُعد العقائدي البُعد الفكري هذه عناوين رموز من آمن بالله فهو التوحيد، واليوم الآخر فتلك عقيدة العدل وعقيدة المعاد، والملائكة والكتاب والنبيين فتلك هي عقيدة الغيب فالملائكة والكتاب والنبيون هم واجهة الغيب جهة الغيب هذا الجانب الفكري العقائدي أما الجانب العملي ﴿وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ هذا هو الإنفاق وإنما جيء بذكر المال لأن المال عزيزٌ على نفوس الناس ﴿وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ على حب من؟ على حب الله سبحانه وتعالى على حب رسولهِ على حب دينهِ ﴿وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُربَى﴾ وفي الروايات المنقولة عن المعصومين المراد من ذوي القربى هم قربى النبي وقربى النبي على وجه الحقيقة هم المعصومون أما غيرهم فيأتي على نحو المجاز.

﴿وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُربَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابنَ السَّبِيلِ﴾ وابن السبيل واضحٌ الذي قطع به الطريق فلا يملك مالاً لمواصلة سفره أو لتدبير أموره ﴿وَالسَّآئِلِينَ﴾ الذين يطلبون ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ الرقاب المراد من ذلك لعتق رقاب العبيد أو لمساعدة العبيد الذين كاتبهم أسيادهم في باب المكاتبة هناك باب في الفقه يسمى بباب المكاتبة حيث يُكاتب العبد على أن يدفع شيئاً من المال أو أن يدفع قيمتهُ لسيدهِ بعد ذلك يعتقه ﴿وَأَقَامَ الصَّلاةَ﴾ الكلام هنا عن العبادات ﴿وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ إيتاء الزكاة هنا غير الأموال التي تنفق خارج حدود الزكاة ﴿وَآتَى المَالَ﴾ المال هنا دفع المال والتضحية بالمال بنحوٍ عام ليس المراد المال هو مال الزكاة هنا ﴿وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُربَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ الحديث هنا عن الزكاة الواجبة ﴿وَالمُوفُونَ بِعَهدِهِم إِذَا عَاهَدُوا﴾ وأول العهود المأخوذة على الإنسان هو عهد الإمامة والولاية وكل هذه الأشياء التي مرت هي داخلةٌ في عهد الإمامة والولاية ﴿وَالمُوفُونَ بِعَهدِهِم إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي البَأسَاء وَالضَّرَّاء وَحِينَ البَأسِ﴾ في روايات أهل

البيت عن إمامنا الصادق عليه السلام قال ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ قال هو الجوع والخوف والحرب القتل، في البأساء والضراء، البأساء هو الخوف والضراء هو الجوع وحين البأس يعني في الحرب ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾ عند الخوف ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ عند الجوع ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ عند الحرب والقتل ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ في روايات أهل البيت أينما جاء وصف المتقين يُراد منهم شيعة عليٍّ ولذلك من ألقاب إمامنا سيد الأوصياء إمام المتقين، إمام المتقين هذه الكلمة لم تطلق جزافاً هكذا القرآن بكامله حيثما وردت هذه الصفة المتقون مفسرة في روايات أهل البيت بشيعة عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه.

الآية التي بعدها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ الآية هنا تتحدث عن حكمٍ شرعي عن منظومة شرعية وهي منظومة القِصاص ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ كُتِبَ يعني فُرِضَ عليكم، هناك نظامٌ شرعي هذا النظام تنفذه الدولة الإسلامية ينفذهُ المجتمع الإسلامي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ الحديث هنا القصاص إنما هو في القتلى وحتى في غير القتلى لكن الآية هنا تتحدث عن القصاص في القتلى وإلا فالمقاصة يمكن أن تكون في الجراحات أيضاً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ قطعاً هنا الحديث عن القتل العمدي وإلا في القتل الخطأ لا يكون هناك قصاص في القتل الخطأ هناك تدفع الدية أو العفو، الإنسان حينما يقتل إنساناً آخر خطأً فيقال لهذا القتل، القتل الخطأي فالقتل الخطأي حكمهُ الشرعي إما أن تُدفع الدية لذوي القتيل لذوي المقتول أو أن ذوي المقتول يعفون عن القاتل وينتهي الموضوع الكلام هنا في القتل العمدي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ يعني لو أن شخصاً حر قتل شخصاً حر، الحر هنا في مقابل العبد يعني ليس مملوكاً في زماننا ربما لا يوجد ابتلاء بهذه القضية بشكل واسع لكن في الأزمنة القديمة في زمان التنزيل هذه القضية كانت قضية منتشرة وشائعة في المجتمع قضية الأحرار والعبيد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ يعني لو أن حراً قتل حراً قتلاً عمدياً فإن ذوي المقتول يحق لهم أن يطالبوا بإقامة القصاص عليه بقتله لكن لو ان حراً قتل عبداً فهل يُقتل الحر بالعبد في الشريعة؟ لا، وإنما يُعزر يُضرب يعاقب وقد يعاقب بالسجن أو بغيرهِ ولكن تجب عليه الدية أن

يدفع دية العبد ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ أما إذا قتل العبد عبداً مثله قتل المملوك مملوكاً فإنه يأتي حكم القصاص هنا إلا أن يتنازل ذوي القتيل إما بطلب الدية أو أنهم يعفون عنه ﴿وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ وكذلك الأنثى لو قتلت أنثى قتلاً عمدياً فيأتي هنا حكم القصاص لكن لو أن ذكراً قتل أنثى يمكن أن يُقام القصاص على الذكر إذا كانت الأنثى حرة يمكن أن يُقام القصاص على الذكر لكن على ذوي الأنثى المقتولة القتيلة أن يدفعوا نصف دية الرجل القاتل إلى ذويه باعتبار أن دية المرأة هي نصف دية الرجل وهذه أحكام شرعية ونحن الآن لسنا بصدد الحديث في حكمتها وفي عللها ربما لو وصل الكلام للحديث عن مثل هذه المعاني سأتحدث في التفاصيل لكن نحن والآيات التي بين أيدينا ونحن في مقام الإيجاز لا في مقام الإسهاب والإطناب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ يعني لو أن أولياء القتيل عفوا عن القاتل وهنا جاء بعبار أخيه كأن الآية تريد أن تقرب بين هؤلاء وهؤلاء حتى لا تسفك دماء أكثر ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ فهذا العفو قد يكون من دون دية وقد يطالب أولياء القتيل بالدية ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ بحسب روايات أهل البيت الروايات هكذا تقول عن إمامنا الصادق عن إمامنا الباقر أنه إذا طلب أولياء القتيل الدية فعليهم أن لا يُصَعِّبوا الأمر أن لا يُعَسِّروا الأمر لأنه يجوز لهم أن يطلبوا أكثر من الدية إذا كان القتل قتلاً عمدياً وأولياء القتيل لا يريدون إقامة القِصاص على القاتل يمكن أن يتصالحوا معه بأقل من الدية أو على الدية ويمكن أن يطلبوا أكثر من الدية أن يُضاعفوا الدية إلى مرتين إلى ثلاثة بحسب ما يريدون فلذلك الآية تقول إذا وصل الأمر فيما بين القاتل وأولياء القتيل إلى قضية الدية فلا يُعسروا عليه لا يُصَعِّبوا عليه الأمور ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يعني أولياء القتيل فليتبعوا المعروف في هذه القضية ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ وأن القاتل عليه أن يؤدي الدية إلى أولياء المقتول بإحسان أن لا يُماطل هكذا قالت كلمات الصادق والباقر صلوات الله عليهما.

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ الاتباع بالمعروف يتعلق بأولياء القتيل أن لا يُعَسِّروا في طلباتهم والأداءُ إليه بإحسان هذا يتعلق بالقاتل إذا ما تم الاتفاق على الدية فلا يماطل معهم

في دفع الدية وإنما يؤدي إليهم بإحسان ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ يعني هذا الباب الذي فُتِح من أن أولياء القتيل يمكن أن يتصالحوا على الدية أو على ما هو دون الدية أو حتى لو كان أكثر من الدية فذلك تخفيف على القاتل، القاتل سوف ينجو من القتل من القصاص وأولياء القتيل سينتفعون من المال الذي سيأتي إلى ورثة القتيل لو ترك زوجةً وأطفالاً مثلاً ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ رحمة الله واسعة حتى تسع القاتل ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ من أعتدى من أولياء القتيل مثلاً أن يكون قد عفا عن القاتل وبعد أن عفا وأَمِنَ القاتل على نفسهِ يذهب فيقتلهُ هذا اعتداء لأن العملية أنتهت أو أن يكون قد طلب الدية أو أقل من الدية أو أكثر من الدية واستلم الأموال وبعد أن استلم الأموال ذهب فقتل القاتل ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

ثم تأتي الآية التاسعة والسبعون بعد المئة ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الآية هنا تريد أن تشير أن هذا النظام نظام القصاص سيحافظ على حياة المجتمع الروايات المنقولة عن المعصومين تبين هذا المعنى الروايات تقول لَمَّا جعل الله القصاص نظاماً وقانوناً في مثل هذه الأمور فإن القاتل يخاف أن يقتل فبذلك حفظة حياة القاتل وحفظة حياة المقتول فالآية هنا تقول ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لأن القاتل لو أراد أن يقتل ويعرف أن بعد قتله القصاص وهو سيقتل فإنه سيرجع عن هذا الأمر فإذا رجع القاتل عن هذا الأمر بذلك سينجو القاتل والقتيل وتلك هي الحياة التي أشارت إليها الآية هذا من جهة ومن جهةٍ أخرى هو هذا النظام بنحوٍ عام يحافظ على الحياة في المجتمع وعلى قيمة الحياة الإنسانية ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يا أصحاب العقول الألباب هي العقول الألباب جمعٌ للب واللب قد يطلق على القلب وقد يطلق على العقل ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لماذا قال يا أولي الألباب؟ لأن الآية تحثنا على التدبر وعلى التفكير في نظام الباري سبحانه وتعالى الذي يرعى كل صغيرةٍ وكبيرة ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لعلكم تتقون أي لعلكم تصلون إلى المرتبة التي تجعلكم في مقام القرب من الله سبحانه وتعالى فالتقوى كما قال سيد الأوصياء أن يجدك الله في مواضع طاعته وأن يفتقدك من مواضع معصيته أهم مواضع طاعته أن تكون مع عليٍّ وأهم مواضع معصيته أن تكون بعيداً عن عليٍّ كل مكانٍ يكون قريباً من عليٍّ هي هذه مواضع الطاعة وكل مكانٍ يكون

بعيداً عن عليٍّ هي هذه مواضع المعصية فعليٌّ حيثما دار يدور معه الحق وعليٌّ حيثما دار يدور معه القرآن وعليٌّ هو عليٌّ.

الآية الثمانون بعد المئة ﴿كُتِبَ عَلَيكُمُ﴾ كُتب: فُرض ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ وهذه في رواياتنا من الآيات التي نسخت، نسخت بآيات الميراث لأن هذه الآية تتحدث عن وجوب الوصية للوالدين والأقربين، الميت قبل أن يموت الإنسان قبل أن يموت يجب عليه أن يكتب وصيةً أن يوصي بالكتابة أو باللفظ أن يوصي ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ من أمواله أن يفرض لهم حقاً ولذلك ورد الكلام في بعض الروايات وفي كتب التفسير من أنه نسخت بآيات الميراث وأنا هنا لا أريد الدخول في كل هذه التفاصيل بشكلٍ عام نحن والآية.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ إذا حضر أحدكم الموت يعني أحس بأن المنية قريبة أحس بأن هذا المرض أو بأن هذا الحال الذي هو فيه يشير إلى أن حياته باتة على النهاية وشيكة باتة النهايةُ وشيكة إذا كان الإنسان في مثل هذه الحالة يجب عليه أن يوصي إن كان باللفظ أو بالكتابة ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ يعني إن ترك مالاً إن ترك أملاكاً ﴿الوصيةُ﴾ أم إذا لم يكن قد ترك شيئاً فلا تجب عليه الوصية إذا كان مطلوب أموال للآخرين يجب عليه أن يوصي ويبين بأن فلاناً يطلبه بأن هناك حاجة أو مال في ذمته للجهة الفلانية وهكذا أما الحديث هنا في هذه الآية إذا كانت عنده أموال عنده أملاك عنده عقارات عنده أي شيء يملكه تجارات فعليه أن يوصي أن يترك وصيةً إذا ما أحس أن الموت قد قرب منه يوصي بأمواله بجزء منها بكله: للوالدين والأقربين بالمعروف، يعني بالنحو العادل لا أن يعطي لبعض وأن يحرم البعض الآخر ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ كتبت عليكم الوصية، للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين: الوالدان واضح معناهما وأما الأقربين فهم القرابات من جهة الوالد والقرابات من جهة الوالدة ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ الوالدان الأب والأم وأم الأقربين فالمراد قرابات الأب وقرابات الأم ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا﴾ هذا الأمر حق واجب ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.

ونلاحظ تكرار هذه الكلمة متقون، تقوى، يتقون، اتقوا، وبحسب الروايات كل هذه الألفاظ مدارها إتباع

عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، هناك مسألة لا بأس بتوضيحها ترتبط بهذه القضية إذا كانت هذه الآية تتحدث عن الوصية الواجبة على الإنسان إذا ما ترك مالاً لوالديه ولأرحامه من جهة والدية قبل نزول آيات الميراث فهذا موضوع آخر أم إذا كان الآية لها وجهٌ آخر الحديث عن الوصية حتى بعد نزول آيات الميراث وهناك من قال بهذا الوجه وبهذا المعنى ولربما حتى في بعض الروايات ما يشير إلى ذلك فعلى هذا الوجه هناك مسألة لا بأس من بيانها لأجل الفائدة الإنسان حينما يشعر بأن الموت بات وشيكاً بأن الموت بات قريباً منه فيجب عليه أن يترك الوصية أن يبين الوصية ما المراد من الوصية هنا؟! أموال الميت تقسم إلى ثلاثة أقسام ثلثان هذا هو حق الورثة ولا يحق لأي أحدٍ من غير الورثة أن يتصرف في هذا المال هناك ثلثان للورثة الثلث الباقي يحق للإنسان قبل موته أن يوصي به بحسب ما يريد فيمكن أن يوصي بالثلث أيضاً للورثة بكله أو ببعضه ويمكن أن يوصي بالثلث لشخصٍ آخر غريب أصلاً ليس من قراباته ولا من ورثته ويمكن أن يوصي بهذا المال لإنفاقه في سبيل الله ويمكن ... ويمكن ...

وإن كان عندنا في بعض الروايات أن هذا الثلث يعاد به إلى صاحب الأمر إلى الإمام المعصوم والمسألة فيها تفصيلات أن لا أريد أن أذهب إلى كل التفصيلات في الروايات موجود عندنا هذا الثلث أساساً هو يذهب إلى صاحب الأمر إلى الإمام المعصوم عليه السلام لكن نحن وما هو معروف في الكتب الفقهية وما هو معروف في الرسائل العملية فالميت الإنسان يحق له أن يوصي بثلث أمواله تصرف بحسب وصيته إما أن يعود بها بكاملها بكامل الثلث إلى الورثة أو ببعضٍ من الثلث إلى الورثة وهناك في أحكامنا الفقهية هناك العديد من فقهاءنا استناداً إلى ما جاء في النصوص أنه لو أراد الإنسان أن يوصي بثلث ماله في أمرٍ من الأمور يستحب له أن يوصي بجزءٍ منه إلى الورثة إلى أرحامه وهناك تفصيلات أخرى خلاصة الكلام أن الإنسان لا يحق له أن تكون وصيته أكثر من الثلث يعني لو أن إنسان كتب في وصيته أن ينفق على مسجد من المساجد كذا من المال فلما تحسب التركة يوجد أن هذا المال يتجاوز الثلث فلا يصرف هذا المال وإنما يصرف فقط الثلث إلا إذا أجاز الورثة ذلك فقالوا نحن نقبل أن يصرف على بناء هذا المسجد أو على هذه المؤسسة هذا المقدار الذي أوصى به الميت فإنهم حينئذٍ يجيزون الصرف من أموالهم من حصتهم لأن الميت لا يحق له أن يتصرف في أمواله أكثر من الثلث وصيته تكون في دائرة الثلث.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾ يعني إذا كانت هذه الوصية وصية لفظية والموصى هو الذي بدل ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ يعني إذا كان هناك شخص موصى وهذا الإنسان الذي أقترب منه

الموت اقتربت منيته أوصى هذا الشخص بوصيةٍ ما ولكن هذا الموصى بدل الوصية فإنما الإثم يقع عليه لا على الميت ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعدَمَا سَمِعَهُ﴾ من الميت ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ الجزاء والآثار المترتبة على هذا العمل السيء تقع على عاتق من؟ على عاتق الذين يبدلون الوصية.

﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ جيء بهذان الاسمان في الآية لينبئ هذا الموصى بأنك سمعت ولكن الله أيضاً سمع بأنك علمت ولكن الله أيضاً علم ﴿اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ إذا كنت أنت سمعت ولم يكن معك شخصٌ آخر فإن الله معك فإن الله قد سمع وهو السميع العليم ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ آخر آية أقف عندها هي الآية الثانية والثمانون بعد المئة ﴿فَمَن خَافَ مِن مُّوصٍ﴾ موصٍ: يعني موصى الشخص الذي يوصى إليه ﴿فَمَن خَافَ مِن مُّوصٍ﴾ يعني إذا كان الإنسان الذي يريد أن يوصي، يوصي زيداً من الناس وخاف منه خاف أن يبدل الوصية ﴿فَمَن خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ جنفاً: يعني انحرافاً ميلاً، يعني أن ينحرف عن الوصية أن يميل عن الوصية الحقيقية يعني يحرف الوصية ﴿فَمَن خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَو إِثمًا﴾ أو أنه يرتكب حراماً إما أن يحرف الوصية أو أصلاً يرتكب حراماً في عملية نقله للوصية وأدائه للوصية ﴿فَأَصلَحَ بَينَهُم﴾ يعني أصلح بين الموصى وبين الورثة بين الوالدين الأقربين بين الذين تذهب إليهم الوصية كل ذلك يجري في حياته قبل موته يعني بالنسبة لصاحب المال ﴿فَمَن خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَو إِثمًا فَأَصلَحَ بَينَهُم فَلَا إِثمَ عَلَيهِ﴾ يعني إذا كانت هناك مصالحة فيما بين الوصي وفيما بين الورثة والميت قبل أن يموت الإنسان قبل أن يموت يقوم بهذا الأمر ﴿فَلَا إِثمَ عَلَيهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وذلك لا إثم عليه لدفع المشكلة لدفع الأذى الذي سيحدث بين الأقارب فيما لو مات هذا الشخص ﴿فَمَن خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَو إِثمًا فَأَصلَحَ بَينَهُم فَلَا إِثمَ عَلَيهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هذه هي الآية الثانية والثمانون بعد المئة وهي آخر آيةٍ أتناولها في هذه الحلقة.

لكن بقيت للحديث بقية، نحن تلونا الآيات وممرنا عليها مروراً سريعاً لكن هناك بعض النقاط أن أجلتها ليكون الحديث فيها في آخر الحلقة لأجل الاختصار لأني خفت أن أتشعب في الحديث فلا أتمكن من

أتناول العدد الذي أريد أن أتناوله من الآيات في هذه الحلقة، أعود إلى الآية الأولى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ الآية هنا تتحدث عن الأكل من الطيبات ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ وتتحدث عن الشكر ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ هناك أكلٌ للطيبات وهناك شكرٌ لله وهناك عبادة والآية التي بعدها تحدثت عن تحريم عناوين معينة ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ هذه عناوين حرمت على الناس ثم جاءت الآية التي بعدها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ وقلنا ما أنزل الله من الكتاب في عليٍّ والآيات التي بعدها تواصلت إلى أن وصلنا إلى الآية الأخيرة، النقطة التي أريد الإشارة إليها حين نذهب إلى سورة عبس وتولى في الآية الرابعة والعشرين، ماذا تقول هذه الآية؟

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ الآية هنا تأمر الإنسان أن ينظر إلى طعامه ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ وهي الآية الرابعة والعشرون من سورة عبس وهذا هو الكافي الذي يكفينا ويكفي شيعة أهل البيت، في كتاب العلم من الكافي في الجزء الأول الرواية، **عن زيدٍ الشحام عن أبي جعفرٍ عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ** ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ – وهي الآية التي تلوتها على مسامعكم قبل قليل من سورة عبس الرابعة والعشرون – **عن أبي جعفرٍ عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ** ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ **قال: قلت ما طعامه؟** – زيدٌ الشحام يسأل الباقر عليه السلام – **قال: قلت ما طعامه؟ قال صلوات الله عليه: علمه الذي يأخذه عمن يأخذه.**

أفقٌ من آفاق هذه الآية يبينه إمامنا الباقر في هذه الكلمات القصيرة ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ **قال: علمه الذي يأخذه عمن يأخذه.** الآيات هنا تتحدث عن الطعام وعن أطيب الطعام، الآية في سورة عبس ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ بنحوٍ عام لكن الآية هنا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخطاب للذين أمنوا ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ الحديث هنا عن أطيب الطعام ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ وبعد ذلك ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ فهناك طيبات الطعام وهناك الخبائث التي جاء ذكرها ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾ إلى آخره لنذهب إلى أحاديث أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لنقتطف بعضاً من كلماتهم وبعضاً من أحاديثهم مثلاً هذه الرواية:

عن إمامنا الحسن الزاكي العسكري قال الله عزَّ وجلَّ ﴿إِن كُنتُم إِيَّاهُ تَعبُدُونَ﴾ – كما في الآية التي بين أيدينا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقنَاكُم وَاشكُرُوا لِلّهِ إِن كُنتُم إِيَّاهُ تَعبُدُونَ﴾ – **قال الله عزَّ وجلَّ** ﴿إِن كُنتُم إِيَّاهُ تَعبُدُونَ﴾ **أي إن كنتم إياه تعبدون فاشكروا نعمة الله بطاعة من أمركم بطاعته من مُحَمَّدٍ وعليٍّ وخلفائهم الطيبين** – ﴿فاشكروا﴾ لأن الآية أمرت ﴿وَاشكُرُوا لِلّهِ إِن كُنتُم إِيَّاهُ تَعبُدُونَ﴾ وقلت في حينها الشكر هنا الشكر بالأفعال الشكر بالعمل – **فاشكروا نعمة الله بطاعة من أمركم بطاعته من مُحَمَّدٍ وعليٍّ وخلفائهم الطيبين** – لأن الصراع مع الشيطان في أي جهةً الصراع مع الشيطان والصراع مع الناس مع السلاطين مع أصحاب الأموال الصراع مع الدنيا في أي دائرةٍ؟ في دائرة عليٍّ وآل عليّ وهذي هي الحقيقة حتى لو أراد البعض أن يغمض عنها.

رواية عن إمامنا الحسن العسكري أقتطع منها هذا المقطع الكلام ينقله عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ماذا يقول نبينا صلى الله عليه وآله – **أتدرون ما أشدُ ما ينفخون به** – النبي يتحدث عن نفخ الشياطين عن نفخهم وعن نفثهم وعن وساوسهم – **أتدرون ما أشدُ ما ينفخونه به؟! هو ما ينفخون بأن يوهموه** – يوهموا الإنسان – **أن أحداً من هذه الأمة فاضلٌ علينا أو عدلٌ لنا أهل البيت كلا والله بل جعل الله تعالى مُحَمَّداً ثم آل مُحَمَّد فوق جميع هذه الأمة كما جعل الله تعالى السماء فوق الأرض وكما زاد نور الشمس والقمر على السها** – السها نجمٌ صغير مختفٍ في السماء – **كلا والله بل جعل الله تعالى مُحَمَّداً ثم آل مُحَمَّد فوق جميع هذه الأمة كما جعل الله تعالى السماء فوق الأرض وكما زاد نور الشمس والقمر على السها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وأما نفثاته** – تلك نفخاته – **وأما نفثاته فأن يرى أحدكم أن شيئاً بعد القرآن أشفى له من ذكرنا أهل البيت** – إذاً نفخات الشيطان ما هي؟ أن يرى أن أحداً يعادل أهل البيت في فضلهم هذه نفخات الشيطان وأما نفثات الشيطان فأن يرى الإنسان أن شيئاً أشفى لنفسه من بعد القرآن من دون حديث أهل البيت الشفاءُ في حديث أهل البيت والشفاءُ في الاثنين في القرآن والعترة – **وأما نفثاته** – نفثات الشيطان – **فأن يرى أحدكم أن شيئاً بعد القرآن أشفى له من ذكرنا أهل البيت ومن الصلاة علينا فأن الله عزَّ وجلَّ جعل ذكرنا أهل البيت شفاءً للصدور وجعل الصلوات علينا ماحيةً للأوزار والذنوب ومطهرةً للعيوب ومضاعفةً للحسنات** – وربما هناك الكثير ممن لا يروق له هذا الكلام لكن هذا الكلام هو كلامهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

بنفس هذا اللحن بنفس هذا المضمون الرواية موجودة في احتجاج الشيخ الطبرسي الرواية منقولة عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه – **ثم قال عليه السلام: عباد الله** – الحديث هنا في القصاص وفي القتل وقد مر علينا مر علينا الكلام عن القصاص وعن القتل والقاتل والقتيل ماذا قال صلوات الله وسلامه عليه – **عباد الله هذا قصاص قتلكم** – بعد أن تحدث عن القصاص – **هذا قصاص قتلكم لمن تقتلونه في الدنيا وتفنون روحه أولا أنبئكم بأعظم من هذا القتل وما يوجب الله على قاتله مما هو أعظم من هذا القصاص؟ قالوا: بلا يا ابن رسول الله، قال: أعظم من هذا القتل أي يقتله قتلاً** – يعني أن القاتل يقتل القتيل قتلاً – **لا ينجبر ولا يحيا بعده أبداً** – لأن القصاص المذكور هنا في الآية في الوجه العام الأول الحديث عن إزهاق الروح والإنسان إذا أزهقت روحه سيحيي بعد ذلك لكن الإمام هنا يتحدث عن قتلٍ لا حياة بعده – **قال: أعظم من هذا القتل أي يقتله قتلاً لا ينجبر ولا يحيا بعده أبداً، قالوا: ما هو؟ قال: أن يظله عن نبوة مُحَمَّدٍ وعن ولاية عليّ بن أبي طالب صلى الله عليهما ويسلك به غير سبيل الله ويغريه باتباع طريق أعداء عليٍّ عليه السلام والقول بإمامتهم ودفع عليٍّ عن حقه وجحد فضله وأن لا يبالي بإعطائه** – بإعطاء عليٍّ – **واجب تعظيمه فهذا هو القتل الذي هو تخليد المقتول في نار جهنم خالداً مخلداً أبداً فجزاء هذا القتل مثل ذلك الخلود في نار جهنم** – القتل الحقيقي هو هذا ونفثات الشيطان ونفخات الشيطان إنما هي في هذه الدائرة ومن أراد النجاة بينت الرواية التي تلوتها على مسامعكم – **فاشكروا نعمة الله بطاعة من أمركم بطاعته من مُحَمَّدٍ وعليٍّ وخلفائهم الطيبين.**

إذاً الآيات هنا تتحدث عن علم آل مُحَمَّد تتحدث عن حديث آل محمَّد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ إلى علمه هذا عمن يأخذه ما هي هذه الطيبات؟ ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ طيبات ما رزقنا هو حديث أهل البيت هو علم أهل البيت الذي يأخذنا إلى شاطيء الأمان في هذه الحياة وما بعد هذه الحياة أم الضلالة كل الضلالة هو أن نترك حديث أهل البيت خلف ظهورنا إلى أين نتجه إذا تركنا حديث أهل البيت؟ إذا تركنا هذه الطيبات وما أكلنا منها سنتجه إلى الآية الثانية ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾ حينئذٍ سنتجه إلى هذه الأطعمة إلى هذه الخبائث.

أنا ذكرت لكم فيما مر من حلقات هذا البرنامج الرواية عن الإمام الصادق: لو أن عدو عليٍّ جاء إلى الفرات وهو يزخ زخيخا، يزخ زخيخا يعني النهر مليء بالماء بحيث تكاد أمواجه أن تخرج عن جانبيه هذا المراد يزخ زخيخا المياه متدافعة متواصلة ومرتفعة إلى الحد الذي تكاد أمواجه أن تخرج على جانبيه أن يفضي

النهر فجاء عدو عليٍّ ونهر الفرات بهذا الحال لو جاء عدو عليٍّ إلى الفرات وهو يزخ زخيخاً فقال: بسم الله وشرب منه ثم قال: الحمد لله، يعني أداء المستحبات أيضاً وذلك يكشف عن أنه يعتقد بالإسلام فقال: بسم الله وشرب وقال: الحمد لله الإمام يقول: والله ما كان ذلك إلا دماً مسفوحاً. لأن الذي يعرض عن عليٍّ إلى أين يذهب؟

يذهب إلى ﴿الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ الاتجاه يكون بهذه الجهة لأن هذه العناوين هي عناوين أعداء عليٍّ في القرآن، صحيح أن الوجه الأول أن الأفق الأول للآية الحديث عن محرمات معروفة ومذكورة في كتبنا الفقهية وفي كتبنا الشرعية لكن آيات القرآن آفاقها عديدة في أفقٍ آخر هذه العناوين هي عناوين أعداء عليٍّ هذه الرموز رموز الطريق الذي يبعدنا عن عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، هذه الرواية رواية جميلة جداً ينقلها داوود بن كثير عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه – **قال: قلت لأبي عبد الله** – داود بن كثير يقول – **قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أنتم الصلاة في كتاب الله عزَّ وجلَّ وأنتم الزكاة وأنتم الحج؟** – هذا المعنى حينما يسأل داوود بن كثير لأنه قد ورد في رواياتٍ كثيرة هو قد سمعه من محدثي أهل البيت لذلك هو يسأل – **قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أنتم الصلاة في كتاب الله عزَّ وجلَّ وأنتم الزكاة وأنتم الحج؟ فقال: يا داوود نحن الصلاة في كتاب الله عزَّ وجلَّ ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحج ونحن الشهر الحرام ونحن البلد الحرام ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله** – وتتذكرون حينما شرحت معنى قبلة الله بأن القبلة في حقيقتها عليٌّ إنما أنا أستند إلى هذه النصوص هذا قانون في تفسير القرآن الإمام هنا يعطينا قانوناً ومنهجاً في تفسير القرآن انتبهوا إلى هذه الرواية – **فقال: يا داوود نحن الصلاة في كتاب الله عزَّ وجلَّ ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحج ونحن الشهر الحرام ونحن البلد الحرام ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله ونحن وجه الله، قال الله تعالى** ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ – وجه الله في هذه الآية هم هم لا غيرهم – **ونحن وجه الله، قال الله تعالى** ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ **ونحن الآيات ونحن البينات** – وأنتم كذلك وأنتم كذلك وأنتم كذلك ومن غيركم

إليكم ذوي آل النبي تطلعت نوازع من قلبي ضِماءٌ وألببُ

هذه قاعدة هذا قانون يبينه لنا إمامنا الصادق وهذه الأوصاف وهذه المعاني التي ذكرها إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه ذكر هذه المعاني لأجل الأمثلة لأجل المصاديق، ما في الكتاب الكريم من شيءٍ حسنٍ وجميل فهو من عناوينهم وهو من مظاهرهم ثم يستمر الإمام يقول – **وعدونا في كتاب الله**

الفحشاءُ والمنكرُ والبغيُ والخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ والأصنامُ والأوثانُ والجبتُ والطاغوتُ والميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزير – الآية التي بين أيدينا ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيتَةَ وَالدَّمَ وَلَحمَ الخِنزِيرِ﴾ وها هو إمامنا يقول – **وعدونا في كتاب الله الفحشاءُ والمنكرُ والبغيُ والخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ والأصنامُ والأوثانُ والجبتُ والطاغوتُ والميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزير، يا داوود إن الله خلقنا وأكرم خلقنا وفضلنا وجعلنا أمنائه وحفظته وخزانه على ما في السماوات وما في الأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداءً فسمانا في كتابه وكنى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبها إليه تكنيةً عن العدو وسمى أضدادنا وأعداءنا في كتابه وكنى عن أسمائهم وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتقين** – إذاً هذه الرواية تعطينا قاعدة وقانوناً في تفسير القرآن الكريم طبعاً ليس فقط في هذه الرواية لوحدها وإنما هناك العديد الوفير من روايات أهل البيت التي جاءت تعضد هذا المفهوم وهناك المئات من الروايات تعضد هذا المعنى على نحو المصاديق هناك عندنا مفاهيم وهناك عندنا مصاديق هناك مجموعة من الروايات أعطتنا مفهوماً عاماً يمثل قواعد للتفسير وهناك عندنا مئات من الروايات جاءتنا كمصاديق لهذه القواعد فعندنا مئات من الروايات تأيد هذا المعنى على نحو المصداقيه وعندنا العدد الوفير من الروايات التي تحدثنا عن هذه القاعدة في التفسير وكل ما هو جميلٌ في الكتاب الكريم.

وهذا معنى قوله الذي أردده دائماً بأن الكتاب بكله في عليٍّ وفي فناء عليّ لأن الكتاب بكله في عليٍّ وفي فناء عليّ فما كان من حسنٍ ومن أسماءٍ ممدوحة ومن معانٍ جميلة فهي في عليٍّ وما كان من أسماء مبغوضة إلى الله فهي في أعداء عليٍّ فذلك أيضاً في فنائهم لان الحديث يكون عن ولايته وعن البراءة من أعدائه فولاية عليٍّ أن نواليه وأن نوالي أولياءه وبراءة عليٍّ أن نتبرأ من أعدائه ومن شيعة أعدائه وهذه المعاني واضحة في هذه الرواية جلية صريحة بينة وأنا قلت الروايات عديدة على سبيل المثال أذكر روايةً أخرى أنا لست في مقام الاستقصاء وإنما على سبيل المثال أذكر روايةً أخرى تصب في هذا المجرى في هذا المعنى الرواية أيضاً عن إمامنا الصادق ماذا قال؟

قال نحن أصل كل بر – كل بر فنحن أصله – **نحن أصل كل بر ومن فروعنا كل بر ومن البر التوحيد والصلاة** – هذه من فروعهم انتبهوا إلى دقة الرواية – **قال نحن أصل كل بر ومن فروعنا كل بر ومن البر التوحيد** – عقيدة التوحيد – **والصلاة والصيام وكظم الغيض والعفو عن المسيء ورحمة الفقير وتعاهد الجار والإقرار بالفضل لأهله** – وهذه مصاديق كل خيرٍ في القرآن في الدين في الحياة في الكون فهو من مظاهرهم ثم يقول – **وعدونا أصل كل شر ومن فروعهم كل قبيحٍ وفاحشة فهم الكذب والنميمة**

والبُخل والقطيعةُ وأكل الربا وأكل مال اليتيم بغير حق وتعدي الحدود التي أمر الله عزَّ وجلَّ بها وركوب الفواحش ما ظهر منها وما بطن من الزنا والسرقة وكل ما وافق ذلك من القبيح وكذب من قال إنهُ معنا وهو متعلقٌ بفرع غيرنا – الرواية دقيقة وجميلة جداً – **وكذب من قال إنهُ معنا وهو متعلقٌ بفرع غيرنا** – أن يتعلق بهذه الأعمال القبيحة فإنها فروع أعداءنا أنتم إذا أردتم أن تتمسكوا بنا تمسكوا بفروعنا ما هي فروعهم؟ التوحيد الصلاة الصيام كظم الغيض العفو عن المسيء رحمة الفقير تعاهد الجار الإقرار بالفضل لأهله وأما فروع أعداءهم فكل قبيحٍ وفاحشة فيقول – **وكذب من قال إنهُ معنا وهو متعلقٌ بفرع غيرنا** – هذه الروايات وأمثالها تعطينا منهجاً في تفسير القرآن كما قلت قبل قليل هناك مجموعة وفيرة من مثل هذه الروايات التي تتحدث عن قواعد عن قوانين لتفسير القرآن والتي على أساسها أنا أفسر هذه الآيات وعندنا مئات من النصوص بمثابة مصاديق بمثابة تفعيل لهذه القواعد في تفسير القرآن في تطبيق هذه القواعد تطبيقاً عملياً وفقاً لمذاق الأئمة لبيان معاني آيات الكتاب الكريم فإذاً هذه الآيات كلها في أي جو؟ إنها في جو عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم﴾ والطيبات هنا ولاية علي، الطيبات هنا أحاديث أهل البيت في ولاية علي ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ إلى علمهِ هذا عمن يأخذهُ لأن الأئمة أخبرونا إن من استمع إلى ناطقٍ فقد عبده فإن كان هذا الناطق ينطق عن عليٍّ، فقد أخذ عن عليٍّ، فقد أخذ عن الله فإن كان هذا الناطق ينطق عن الله فقد عبد الله ومن هو هذا الذي ينطق عن الله؟ هل هناك غير عليٍّ وآل علي، من استمع إلى ناطقٍ فقد عبده فإن كان الناطق ينطق عن الله فقد عبد الله وإن كان الناطق ينطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان، فلينظر الإنسان إلى علمه هذا عمن يأخذه، أنت بين اثنين إما أن تأكل من طيبات ما رزقك الله وتشكر الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ كيف نشكر الله سبحانه وتعالى؟ نشكر الله بالتمسك بعروة علي وهذا الشكر الحقيقي لله هي هذه العبادة الحقيقية لله وإلا ليست العبادة في ركوعٍ أو في سجود، العبادة إذا كانت في ركوع أو في سجود وليس خلفها وليس بعدها ولاية علي لا قيمة لها إذاً القيمة الأساس هي في ولاية علي أول شيءٍ نحرص على تحصيلهِ وعلى ضمانهِ ولاية علي ومما يؤكد هذ المعنى مما يؤكد معنى ولاية علي هو مداومة ذكر علي لتلهج الألسنة ولتعيش القلوب دائماً في وادي علي.

هذا التأكيد الذي أؤكدهُ دائماً على ذكر علي ليس هذا هوساً وليس هذا جهلاً من يتصور ذلك هذا هو الذي يغط في جهلٍ عميق هذا ناتجٌ من خلال النظر الطويل لسنين طوال في حديث أهل البيت أنا أقولها

لكم وبصراحةٍ منذ ثلاثين سنة وربما أكثر وأنا أعيش مع حديث أهل البيت أعيش مع حديث أهل البيت في ليلي ونهاري وهنا لا أريد أن أفتخر بشيءٍ أريد أن أبين هذه الحقيقة كي ينتفع منها من يريد أن ينتفع منها هذه الفترة الزمنية الطويلة التي عشتها مع حديث أهل البيت في كل كتبهم في كل مصادرهم كل ما قالوه في فقههم في أحكامهم الشرعية في أخلاقهم في آدابهم في سُننهم في أفكارهم في عقائدهم في مقاماتهم الغيبية في كل جانبٍ من الجوانب التي تكلموا فيها في تفسير قرآنهم لم أجد إلا هذه القضية، القضية: عليٌّ، القضية منذ أن جاء محمَّدٌ صلى الله عليه وآله والقضية عليٌّ المدار عليٌّ المركز عليٌّ النقطة الأولى والأخيرة عليٌّ وقد قالها وأنا النقطة من النقطة تكون البداية، البداية من عليٍّ والنهاية عند عليٍّ، إذا أردت محمَّداً فدونك علي وإذا أردت الله فدونك علي وإذا أردت الجنان فدونك علي وإذا أردت حسناً أو حسيناً فدونك علي وإذا أردت صاحب الأمر فدونك علي وإذا أردت القرآن فدونك علي وإذا أردت الثواب والجزاء والأجر فدونك علي وإذا أردت المعرفة والعلم والحقيقة فدونك علي وإذا أردت البلاغة والفصاحة والبيان فدونك علي وإذا أردت الفضل في كل شيءٍ فدونك علي، فماذا أقول بعد هذا؟ أنا لا أقول في ختام حديثي هذا إلا ألقاكم إن شاء الله تعالى في الحلقة القادمة على مودة وولاية عليٍّ وعليٍّ وعليٍّ وعليٍّ وعليٍّ وعليٍّ وعليٍّ وعليٍّ ... حتى ينقطع النفس.

أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة الثانية والعشرون

تفسير سورة البقرة من الآية ١٨٣ الى الآية ١٩٣

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، وهذه الحلقة الثانية والعشرون من برنامج قرآننا لا زال الكلام متواصلاً في سورة البقرة ووصل الكرم بنا إلى الآية الثالثة والثمانيين بعد المئة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾

الخطاب واضحٌ للذين أمنوا وإن كان في روايات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وردت الإشارات في بعض الروايات أن الخطاب هنا لخاصة أولياء عليٍّ وآل علي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيَامُ﴾ الصيام في لغة العرب هو الانقطاع ولا أريدُ أن أدخل في هذه التفاصيل فالصيام معروفٌ لدينا ولديكم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكُم﴾ من هم الذين قبلنا؟ في الروايات الشريفة إن صيام شهر رمضان لم يفرض على أي أمةٍ من الأمم السابقة نعم في الديانات السابقة كان هناك نوع من أنواع الصيام وقد مرت الإشارة إليه مثلاً في سورة مريم من أنا نذرت صوماً فلن تكلم اليوم أحداً، وكذلك مرت الإشارة في قصة زكريا هناك انقطاعٌ عن الكلام لكن صيام شهر رمضان لم يفرض على أي أمةٍ من الأمم وإنما جاء الحديثُ هنا في الكتاب الكريم ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكُم﴾ الروايات المنقولة عن أئمتنا إن صيام شهر رمضان كان مكتوباً على الأنبياء فقط نعم كتب على بعض الأمم أنحاء أخرى من الصيام أيام أخرى غير أيام شهر رمضان أما صيام شهر رمضان الأمة الأولى التي فرض عليها صيام هذا الشهر هي أمة مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله والآية هنا حين تقول ﴿عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكُم﴾ المراد من قبلكم هم الأنبياء فما من نبيٍ من الأنبياء قد نبيء إلا وفرض الله عليه صيام شهر رمضان وهذا هو المعنى الموجود في روايات أهل البيت من أن الأنبياء هم شيعةُ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وما أشرتُ إليه قبل قليل من أن الروايات قالت ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هو خاصةً لأولياء عليٍّ وآل علي.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ لعلكم تتقون لعلكم تصلون إلى هذه المرتبة إلى أي مرتبةٍ؟ إلى مرتبة التقوى والتقوى هي ولاية عليٍّ وآل علي لأنه بولاية عليٍّ وآل علي في عالم الدنيا نتقي من الضلال وبولاية عليٍّ وآل علي في عالم الآخرة نتقي من النيران ومن هنا جاء هذا الاسم جاء هذا المعنى في حقيقة ولاية عليٍّ وآل علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ وهنا أقف وقفةً لأبين شيئاً من معنى الصيام أبين شيئاً من روح الصيام هناك نصٌ منقولٌ عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه وهو يحدثنا عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وهذا هو كتاب مصباح الشريعة، قال الصادقُ عليه السلام: قال النبي صلى اله عليه وآله: الصومُ جُنةٌ من آفات الدنيا وحجابٌ من عذاب الآخرة فإذا صمت فأنوي بصومك كف النفس عن الشهوات وقطع الهمة عن خطوات الشيطان والشياطين وأنزل نفسك منزلة المرضى لا تشتهي طعاماً ولا شراباً وتوقع في كل لحظةٍ شفاك من مرض الذنوب وطهر باطنك من كل كذبٍ وكدرٍ وغفلةٍ وظلمةٍ يقطعك عن معنى الإخلاص لوجه الله تعالى، قيل لبعضهم إنك ضعيف وإن الصيام يضعفك قال: إني أعده بشر يومٍ طويل والصبرُ على طاعة الله أهون من الصبر على عذابه، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال تعالى الصومُ لي وأنا أجزي به، والصومُ يميت مراد النفس وشهوة الطمع وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن والشكرُ على النعم والإحسانُ إلى الفقراء وزيادة التضرع والخشوع والبكاء وجل الالتجاء إلى الله تعالى وسبب انكسار الهمة وتخفيف السيئات وتضعيف الحسنات وفيه من الفوائد ما لا يحصى وكفا بما ذكرناه منه لمن عقله ووفق لاستعماله إن شاء الله تعالى.

هذه الكلمات التي جاءت في مصباح الشريعة وهو كتابٌ معروفٌ ونسبته معروفةٌ لإمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه المضامين التي جاءت في هذه النصوص مضامين واضحة ومضامين بينة تحدثنا عن معنى الصيام وعن روح الصيام ولا أريد أن أقف عندها طويلاً فإن ذلك يحتاج إلى شيءٍ من التفصيل لستُ في مقامه لكنني أقول بالجملة معنى الصيام وروح الصيام على مراتب وآثار الصيام تظهرُ في طبقاتٍ من حياة هذا الإنسان ومن وجود هذا الإنسان هناك آثارٌ للصيام في عالم الملك حين أقول عالم الملك المراد من عالم الملك هو هذا العالم الذي نحنُ نعيشُ فيه هذا مصطلحٌ شاع استعماله بين الحكماء شاع استعماله بين أهل الله يسمى هذا العالمُ الطبيعيُ الدنيويُ سمي ما شئت من التسميات يسمى عالم الطبيعة بعالم الملك فالصيام آثاره في عالم الملك حين تأتي الأحاديث فتقول صوموا تصحوا في عالم الملك هناك آثارٌ للصيام في حياة الإنسان والإنسانُ أيضاً كما أن هذا الوجود كما أن هذه العوالم طبقات هناك طبقةُ عالم الملك وهناك

طبقةُ عالم الملكوت وهناكَ وهناك، الإنسانُ أيضاً في وجوده الإنسانُ في بنيته الجسدية الروحية العقلية أيضاً فيه ما يمثل عالم الملك وفيه ما يمثل عالم الملكوت وفيه ما يمثل العوالم الأخرى في عالم الملك الإنساني للصيام آثار والأثر واضحٌ صوموا تصحوا الصحة هنا قد تتجلى في بعض الأحيان في الصحة البدنية وهذا الامر واضحٌ، هذا الأمرُ واضحٌ لدا الإنسان حين يصوم وواضحٌ عند المتخصصين في علم الطب وفي علم حياة الإنسان فالصيام آثارٌ على الصحة البدنية للإنسان وكذلك للصيام آثارٌ على الصحة النفسية للإنسان وقد أشارت النصوص قبل قليل إلى جوانب من هذه الآثار النفسية على نفس الإنسان على روح الإنسان هذه جملة من آثار الصوم في عالم الملك.

وهناك ما هو أبعد من ذلك هناك آثارُ الصومِ في عالم الملكوت ومن آثار الصومِ في عالم الملكوت ما جاءت إليه الإشارة في الحديث القدسي والذي مر ذكره قبل قليل إن الله سبحانه وتعالى يقول – **الصومُ لي وأنا أجازي عليه أو وأنا أجازي به** – حين يقول الحديثُ القدسيُ – **الصومُ لي** – ما المراد من المعنى العميق المعنى البعيد للصوم؟ هناك معانٍ قد تكون في عالم الملك غير المعاني التي أشرت إليها لكنني لست في مقام الحديث عن كل آثار الصيام أريد فقط أن أشير إلى هذا الجانب الذي قد يغفل عنه الكثيرون – **الصومُ لي** – فهل هناك مناسبةٌ بين هذا الحديث – **الصومُ لي** – وبين الحديث القدسي الآخر – **يا أحمد خلقتك لي** – هذه لي الموجودة في الصوم ولي الموجودة في حديث – **يا أحمدُ خلقتك لي** – هذه هي واحدة – **الصومُ لي، يا أحمد خلقتك لي أو خلقتك لأجلي** – خلقتك لي أو خلقتك لأجلي والصومُ لي فالمعنى واحد مر علينا في بدايات سورة البقرة في الآية الخامسة والأربعين ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾ وقد جاء في رواياتنا أن الصبر هنا يراد منه الصوم ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾ جاء في أحاديث أهل البيت أن المراد بالصبر هنا الصوم في وجهٍ من وجوه الآية وجاء في أحاديث أخرى كما مر علينا في قول أمير المؤمنين بأن الصبر هنا نبوة محمَّد وإن الصلاة هنا ولايتي ولاية عليٍّ ﴿**وَإِنَّهَا**﴾ ولايةُ عليٍّ ﴿**لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾ وقال الخاشعون هم الشيعة المستبصرون فالصبر هو الصوم وهو مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله والصلاة هي عليٌّ ولايةُ عليٍّ ولقد ترددت هذه الكلمة عن سيد الأوصياء وعن الأئمة صلوات الله عليهم كان يرددها سيد الأوصياء: أنا صلاة المؤمنين وصيامهم، وهذه الكلمةُ أيضاً وردت عن إمامنا الباقر عن إمامنا الصادق عن عديدٍ من أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ فالصبر هو الصوم في وجهٍ من الوجوه والصبرُ مُحَمَّدٍ والصبرُ عنوانٌ ورمزٌ لمحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم والصلاة هنا ستكون باطن الصوم فالصلاة ولاية عليٍّ وولاية عليٍّ هي باطنُ ولاية مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم بل هي هي بوجهٍ من الوجوه فحينما يأتي الحديثُ القدسي فيقول: الصومُ لي، ويا أحمد خلقتك لي خلقتك لأجلي، الإشارات واضحةٌ هنا إذاً ما المراد من كل هذا المعنى الإشارة إلى أين تريد أن تشير؟ هذا المضمون وهذه الفحوى إلى أي شيءٍ تريد أن تشير؟

الولايةُ هي رباط المخلوق بالله سبحانه وتعالى وقد مر الكلام في هذا المعنى، الولاية هي معنى العلاقة ونحو العلاقة بين المخلوق وبين الله وهذه الولاية تتجلى مرةً في مُحَمَّدٍ وأخرى في عليٍّ وهكذا في المعصومين حتى تتجلى في إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، الولايةُ رابطٌ يشد الإنسان إلى الله أما الدنيا بكل ما فيها فهي رباطٌ يشد الإنسان إلى التراب إلى الثرى، فهناك شدٌ إلى الله وهناك شدٌ إلى الدنيا يعني هناك صراعٌ بين الولاية وبين الدنيا هناك شدٌ بهذا الاتجاه وهناك شدٌ بالاتجاه المعاكس ومن هنا جاء الصيامُ لأي شيءٍ؟ جاء الصيامُ ليحرر الإنسان من بعض هذه القيود قيد الطعام قيد الشراب قيد الجنس وقيود أخرى وقطعاً هناك قيود معنوية كثيرة يعني حينما تقول الأحاديث من صام صامت جوارحه وإنا في الحقيقة لا نعرف هذا الصيام لأننا ما جربناه نحن جربنا صيام المعدة نحن نصومُ عن الطعام عن الشراب عن المفطرات المعروفة في كتب الفقه أما هذا المعنى من صام صامت جوارحه فإننا ما جربنا هذا النوع من الصيام حتى نتمكن من الحديث عنه فذلك صيامُ الخواص صيام الأولياء إنما نحن ننقطع عن الطعام والشراب فنتلبس بالصيام الفقهي بالصيام الذي يكتب عنه في أوائل الرسائل العملية بأن العمل بما في هذه الرسالة مبرأٌ للذمة العمل مجزأ مبرأ للذمة فنحن نصوم ننقطع عن الطعام ننقطع عن الشراب ننقطع عن المفطرات في ضمن هذه الدائرة في ضمن هذه الحدود في وهو إبراء الذمة من الوجهة الفقهية لكن الصيام عندنا لا يتحقق بمعناه الحقيقي وعلى أي حال فنحن نتكلم، نتكلم في هذه المعاني أفضل مما نسكت فالصيامُ يحرر الإنسان من كثيرٍ من القيود مثلما نحن نتحرر من قيد الطعام من قيد الشراب من قيود أخرى وهي المفطرات هناك كذلك قيود نفسية معنوية عقلية أشارت إليها الكلمات التي قرأتها قبل قليل من أحاديث مصباح الشريعة أشارت إلى جملة عديدة من هذه القيود العقلية والنفسية والقلبية والروحية التي إذا ما صام الإنسان بحسب ما يريده أهل البيت فإن ذلك الصيام يحرر الإنسان من هذه القيود إذا حرره فعلاً من هذه القيود فإنه يستطيع أن يقترب شيئاً فشيئاً بواسطة هذا الرباط أي رباطٍ؟

رباط الولاية الولايةُ هي رباط المخلوق بالله سبحانه وتعالى لكن هناك ما يعيقها الذي يعيقها هو هذا الانشداد إلى التراب إذا ما تحرر الإنسان من هذه القيود الترابية فإنه سيتحرك باتجاه هذا السبب باتجاه هذا

الباب وهو باب الولاية ومن هنا كان الصوم هو اسمٌ وعنوانٌ ورمزٌ لمحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله فمُحَمَّدٌ هو الباب الذي يودي إلى ولاية الله وما ولايةُ الله إلا هي في مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم مُحَمَّدٌ يقودنا إلى الله وما يضادُ مُحَمَّداً فإنه يقودنا إلى التراب والحديثُ المعروف بين العرفاء – **الدنيا حرامٌ على أهل الآخرة والآخرة حرامٌ على أهل الدنيا وكلاهما الدنيا والآخرة حرامٌ على أهل الله** – فالدنيا حرامٌ على أهل الآخرة الذين يطلبون الآخرة لابد أن يعرضوا عن الدنيا، الدنيا حرامٌ على أهل الآخرة والآخرة حرامٌ على أهل الدنيا، لأن الذين يطلبون الدنيا لن يستطيعوا أن يصلوا إلى الآخرة، وكلاهما الدنيا والآخرة حرامٌ على أهل الله.

الصوم لي يا أحمد خلقتك لأجلي خلقتك لي وأحمدُ صلى الله عليه وآله هو مجمع الولاية الإلهية وعليٌّ يقول: **أنا صلاةُ المؤمنين وصيامهم**. تلك رموزٌ تلك دلائل أن لا أدعي أنني أفهمه في عمقها الحقيقي وكذلك حينما لا أكون أنا قد فهمتها فليس من المعقول أنني أطالب المشاهد أن يفهمها في عمقها الحقيقي إنما أشير إليها فقط لأنتفع أنا منها وكذلك ينتفع المشاهد منها في أي شيءٍ؟ في أن كل شيءٍ مرده إلى الله وأن كل شيءٍ مرده إلى الحقيقة المحَمَّدية والعلوية لنعرف عظمة أئمتنا لنعرف عظمة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وأن هذه العبادات وأن هذه الطقوس ليست هكذا أمراً نُظم بنحو ما تنظم الأمور الاجتماعية في حياة الناس الدينُ والتشريعات ما نظمت كما يُنظم الإنسان شؤونه العائلية وإنما هذه العبادات وهذه الطقوس وهذه المناسك كلها يرتبط بعضها بالبعض الآخر وهي عبارة عن سلاسل من المظاهر ومن المراتب ومن الصور التي كلُ واحدةٍ منها تكشف عن حقيقةٍ أعمق وأبعد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ وقطعاً هناك من المضامين ومن الفحوى ما هو أعمق وأعمق وأعمق بكثير لكن المقام لا يسعُ لتبيان كل المطالب فنحن محصورون ومقيدون بالوقت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ﴾ فُرض عليكم الصيام والكتابة هي الفرض أوجب الله عليكم الصيام ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكُم﴾ على الأنبياء الذين فرض الله عليهم صيام شهر رمضان ﴿لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ لعلكم تصلون إلى عمق معنى الصيام الذي أشرتُ إليه لعلكم تصلون إلى معنى الولاية فما مر من إشاراتٍ يقودنا إلى معنى الولاية يوصلنا إلى التقوى، التقوى وهي حماية الإنسان من الضلال وحماية الإنسان من الضلال ليس فقط المراد من الضلال هنا الكفر حماية الإنسان من الضلال هناك ضلالٌ للحواس الحواس قد تضل في تقييمها إذا لم تكن هناك موازين صحيحة لتقييم ما تصل إليه الحواس من

نتائج هناك ضلالٌ للعقول وقد يكون الضلال ليس فقط في الجانب الديني قد يكون الضلال في الجانب الدنيوي وحين يكون الضلال في الجانب الدنيوي قد يقود الإنسان أيضاً إلى ضلالاً في الجانب الديني هناك ضلالٌ في القلوب هناك ضلالٌ في وجدان الإنسان وهناك وهناك، أنحاء من الضلال تحوط الإنسان.

﴿لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ تصلون إلى هذه المرتبة من الولاية وهي مرتبة التقوى ثم تقول الآية الأخرى ﴿أَيَّامًا مَّعدُودَاتٍ﴾ كتب عليكم الصيام أياماً معدودات هناك أيام معدودة يجب فيها الصيام وهذه الأيام المعدودة جاءت الإشارة إليها في الآية التي بعدها ﴿شَهرُ رَمَضَانَ﴾ إذاً الصيام واجب في أيامٍ معدودة وهذه الأيام المعدودة هي شهر رمضان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَّعدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَو عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّن أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ وأعتقد أن هذا المضمون واضحٌ لديكم في فقه أهل البيت صلوات الله عليهم وفقه أهل البيت هو فقه القرآن من كان مريضاً عاجزاً عن الصيام أو كان في سفرٍ ليس في وطنه أو ليس على حد الإقامة الشرعية كما هو مبينٌ في مضانه فإن الله سبحانه وتعالى قد رخص له أن يفطر ونحن عندنا لا يجوز للمسافر أن يصوم وكذلك لا يجوز للمريض إذا كان الصومُ يضرُ بصحته فلا يجوز له أن يصوم إذا كان المرض يضر بصحته فلا يجوز له أن يصوم وكذلك المسافرُ بحسب الشرائط الشرعية المعروفة لا يجوز له أن يصوم فقد رخص الله سبحانه وتعالى للمسافر وللمريض ولحالاتٍ أخرى كالشيخ الكبير وكذلك كالمرأة المرضعة أو كالمرأة المقرب الحامل المقرب ومصاديق أخرى معروفة فقد رخص الله لهؤلاء أن يفطروا وإن الله سبحانه وتعالى يحب كما تقول الروايات أن يعمل الإنسان برخصه كما أن يحب أن يعمل الإنسان بعزائمه العزائم هي الواجبات كما أن الله سبحانه وتعالى يحب أن يعمل الإنسان بفريضة الصيام إذا توفرت فيها الشروط الشرعية المعروفة كذلك يحب أن يعمل الإنسان برخصه إذا ما توفرت أيضاً الشروط الشرعية في الرخص.

﴿أَيَّامًا مَّعدُودَاتٍ﴾ والمراد منها شهر رمضان التي يجب فيه الصيام ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَو عَلَى سَفَرٍ﴾ فلا يجوز له الصيام ﴿فَعِدَّةٌ مِّن أَيَّامٍ أُخَر﴾ وإنما يجب عليه القضاء ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِديَةٌ طَعَامُ مِسكِينٍ﴾ المفسرون داخوا في هذه الآية ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ يطيقونه المتبادر منها أي يستطيعونه أي يستطيعون الصيام يطيقونه من الطاقة ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِديَةٌ طَعَامُ مِسكِينٍ﴾ وداخ فيه المفسرون وأولوها

بتأويلات، من المفسرين من قال بأن هذه الكلمة تحمل معاني متضادة فيطيقون تأتي بمعنى يستطيعون وبمعنى لا يستطيعون ومنهم من قال بأنه يطيقون ليس من الطاقة وإنما من الإطاقة والإطاقة هي أقصى ما يمكن أن يعمل باتجاهه الإنسان وذلك سيؤدي إلى تعبه وإلى أذاه وقالوا وقالوا، ولا أريد أن أدخل في تفاصيل ما قالوا في روايات أهل البيت صلوات الله وسلام عليهم أجمعين عن إمامنا الصادق عن إمامنا الباقر قال: الآية هكذا معناها وعلى الذين كانوا يطيقونه الذين كانوا يطيقونه كالشيخ الكبير كالرجل المريض كالمرأة المريضة الشيخ الكبير حينما كان شاباً حينما كان قوياً كان يطيقه كان يتمكن من الصيام وعلى الذين كانوا يطيقونه ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ الذين كانوا يطيقونه والآن لا يستطيعون الصيام فعليهم فديةٌ أن يدفعوا فدية، فدية مقابل الصيام الذي لا يستطيعون أن يأتوا به طعام مسكين والمراد من طعام المسكين هو كما بين في الكتب الفقهية ما مقداره مُد من الحنطة، من الرز، من اللحم أو أي شيءٍ آخر من التمر والمُد هو ما يعادل 725 غرام قرابة ثلاث أرباع الكيلو، وقطعاً يستحب أن يكون من أوسط ما يستطعمه الإنسان من أوسط ما يطعم الإنسان أهله عائلته يعني الطعام الذي في الغالب يتناوله الإنسان وهذا يختلف باختلاف البلدان هناك في بعض البلدان الطعام الشائع الرز هناك في بعض البلدان الطعام الشائع ربما اللحم وهكذا أو الخبز.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ وعلى الذين كانوا يطيقونه والآن لا يستطيعون ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ من تطوع ﴿خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ المراد من تطوع هنا بحسب هذا البيان الذي أشرتُ إليه من تطوع فيما يقدمه من فديةٍ للمساكين من تطوع يعني من أعطى الأفضل لم يقتصر على إعطاء الحنطة فقط مثلاً أعطى الخبز ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا﴾ يعني أن تتأكدوا من أنكم فعلاً من أنكم غير قادرين فعلاً ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فإن في الصيام منفعة كبيرة في الصيام قربة كبيرة تقودكم إلى الله سبحانه وتعالى ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ وهي أيام شهر رمضان ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ وهو القضاء ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ الذين كانوا يطيقونه كالشيخ الكبير ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ مُدٌ من طعام ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ من تطوع خيراً فيما أنفق في فدية الصيام ﴿وَأَن تَصُومُوا﴾ أن تتأكدوا من أنكم لستم قادرين لأن الصيام خيرٌ لكم خيرٌ لكم من أن تدفعوا الفدية

﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ هذه الأيام المعدودة التي أشرت لها في الآية السابقة هي أيام شهر رمضان ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾ عندنا في الروايات نهيٌ عن أن نقول: جاء رمضان، ذهب رمضان، صمت رمضان، الروايات عن الأئمة إن رمضان اسمٌ من أسماء الله سبحانه وتعالى وإن الله لا يأتي من مكانٍ ولا يذهبُ إلى مكان وإنما أن نقول: جاء شهرُ رمضان وهنا التعبير واضح شهرُ رمضان أن نقول جاء شهرُ رمضان، انقضى شهرُ رمضان، ذهب شهرُ رمضان.

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ إذاً هو هذا الشهر الذي يجب صيامه هناك في رواياتنا من سأل من سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لماذا كان الصوم في هذا الشهر في ثلاثين يوم؟ النبي أجاب صلى الله عليه وآله إن أبانا آدم لَمَّا أكل من الشجرة فقد بقي ما دخل في جوفه من الشجرة ثلاثين يوماً ولذلك الله سبحانه وتعالى أمره بعد ذلك وهو نبيٍ من الأنبياء كما مر علينا قبل قليل من أن الأنبياء السابقين صاموا شهر رمضان فأمره الله سبحانه وتعالى أن يصوم ثلاثين يوماً أن يصوم شهراً وهذا هو تطهيرٌ للجوف فإن الشجرة فيها رمزيةٌ معاندةٌ لأي شيءٍ؟ للولاية لمعنى الولاية والمعنى عميق أنا لا أريد الدخول فيه.

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ أنزل القرآن في شهر رمضان لأي سببٍ؟ هدىً ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ هذه هدىً كيف نعربها في قواعد النحو هدىً هنا ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى ﴾ هدىً يقال عنها مفعول لأجله يعني أن القرآن أنزل لأي شيءٍ؟ المفاعيل في العربية عدة أنواع أحد أنواع المفاعيل مفعول لأجله هدىً هنا إذا أردنا أن نعربها هي مفعول لأجله يعني أن القرآن أنزل لأجل أن يكون هدىً للناس ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ إنزال القرآن في شهر رمضان طبعاً وقع فيه الكلام الكثير من المفسرين لكن المراد من إنزال القرآن في شهر رمضان إنزال هذا القرآن متى؟ في ليلة القدر وواضح الكلام حينما مثلاً نذهب إلى سورة الدخان ﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ الإنزال كان في ليلةٍ واحدة ﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ ثم يتحدث القرآن عن خصائص هذه الليلة ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ وهي ليلة القدر فالإنزال في شهر رمضان وقلبُ شهر رمضان ليلة القدر والإنزال كان في الليل وليس في النهار الحديث عن ليلة.

﴿حم * وَالكِتَابِ المُبِينِ﴾ وعندنا في روايات أهل البيت، الرواية عن الإمام موسى الكاظم قال ﴿حم﴾ مُحَمَّد ﴿وَالكِتَابِ المُبِينِ﴾ عليٌّ ﴿إِنَّا أَنزَلنَاهُ فِي لَيلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ الليلة المباركة فاطمة على أي حالٍ ﴿حم * وَالكِتَابِ المُبِينِ * إِنَّا أَنزَلنَاهُ فِي لَيلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفرَقُ كُلُّ أَمرٍ حَكِيمٍ﴾ فإنزال القرآن كان في شهر رمضان بالتحديد في ليلة القدر وكذلك نحن نقرأُ في سورة القدر ﴿إِنَّا أَنزَلنَاهُ فِي لَيلَةِ القَدرِ﴾ إلا أن تأتي السورة فتحدثنا ﴿لَيلَةُ القَدرِ خَيرٌ مِّن أَلفِ شَهرٍ * تَنَزَّلُ المَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمرٍ﴾ فالقرآنُ نزل في شهر رمضان ونزل في ليلة القدر وليلةُ القدر فيها رمزيةٌ عميقةٌ إنها فاطمة ومن هنا يتجلى لنا إن معنى التنزيل ليس معنىً ساذجاً نستطيعُ أن نتصوره بسذاجة وإلا فالقرآن بكله في قلب رسول الله والقرآن بكله رسول الله صلى الله عليه وآله محيطٌ به والآياتُ مثلاً في سورة طه ﴿وَلَا تَعجَل بِالقُرآنِ مِن قَبلِ أَن يُقضَى إِلَيكَ وَحيُهُ﴾ وقفة قصيرة على الآية نجد أن القرآن في قلب مُحَمَّد ﴿وَلَا تَعجَل بِالقُرآنِ مِن قَبلِ أَن يُقضَى إِلَيكَ وَحيُهُ﴾ فهناك نظامٌ هو نظام الوحي وهناك أيضاً قرآنٌ في قلب مُحَمَّد ﴿وَلَا تَعجَل بِالقُرآنِ مِن قَبلِ أَن يُقضَى إِلَيكَ وَحيُهُ﴾ ونفس الشيء في سورة القيامة في الآية السادسة بعد العاشرة ﴿لَا تُحَرِّك بِهِ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِ﴾ والآية التي بعدها ﴿إِنَّ عَلَينَا جَمعَهُ وَقُرآنَهُ﴾ .

﴿لَا تُحَرِّك بِهِ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِ﴾ ﴿وَلَا تَعجَل بِالقُرآنِ مِن قَبلِ أَن يُقضَى إِلَيكَ وَحيُهُ﴾ كما في سورة طه كل هذا يشير إلى أن القرآن بكله في قلب مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وما الإنزال هنا بمعنى الإنزال الساذج وكأنني أنزل شيءٍ من مكانٍ عالٍ بالعلو المادي القضية أعمق وأكبر من ذلك فإذا كان القرآن في قلب مُحَمَّد فكيف يكون الإنزالُ؟ الإنزالُ من قلب مُحَمَّدٍ إلى قلب مُحَمَّد والمعنى عميقٌ جداً إذا كان القرآن في قلبه صلى الله عليه وآله فما معنى الإنزال إذاً؟ هناك معانٍ عميقة ودقيقة تحتاج إلى التفكر وتحتاج إلى التدبر ومن جملة منافع الصيام إذا فعلاً أنطبق هذا المعنى علينا من صام صامت جوارحه فإن شيئاً من هذه المعاني قد ينكشف للعقول وللقلوب وقد تتعانق القلوب والعقول والأرواح مع هذه المعاني ولكن أنا لنا بصيام كهذا الصيام ﴿شَهرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ فهو أنزل هدىً للناس ﴿شَهرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهُدَى وَالفُرقَانِ﴾ هذه الواو هذه الواو ليست عاطفة هذه الواو إنها واو

المعية ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ هذه الواو واو المعية يعني أن الذي يأتي بعدها يأتي وهو مفعول معه ليس معطوفاً على الهدى، الهدى كانت مفعولاً لأجله يعني أن القرآن نزل لأي، لأجل أي غايةٍ؟ لأجل أن يكون هدىً للناس لكن في أي صورةٍ كان نزل بأي هيئةٍ؟ ببينات من الهدى والفرقان فالقرآن فيه بينات من الهدى وهناك فرقان وقد مر علينا في سورة البقرة في قصة موسى عليه السلام في الآية الثالثة والخمسين ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ هناك كتاب وهناك فرقان وفي حينها حين بينت معاني هذه الآية، الفرقان هو العلم أو الكتاب أو الحقيقة التي نزلت على موسى في ولاية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، الفرقان هو ذلك الكتاب الذي يتحدث عن هذه الحقيقة أو ذلك الجانب من الوحي الذي يتحدث عن هذه الحقيقة.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ ولذلك هذا المعنى في رواياتنا أيضاً حين يسألون الأئمة في معنى هذه الآية ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ قال الفرقان هو المحكَمُ من الكتاب، والمحكم من الكتاب أجلى معانيه ولاية علي المحكم من الكتاب هو هذا ليس المراد من المحكم من الكتاب هو الدخول في هذه الأبحاث الفقهية والأصولية والتفسيرية في الآيات المحكمة والمتشابهة لأن المحكم والمتشابه في عنوانهِ العميق كما في روايات أهل البيت في الكافي وغيره، المحكم عليٌّ وآل علي والمتشابه أعدائهم الفرقان قال هو المحكم من الكتاب، المحكم يعني الجهة الحاكمة الجهة التي لها القدرة على تفسير ما بقي من الكتاب وهذه المطالب بحاجة إلى تفصيل لكنني أحاول أن أختصر المطالب والمعاني حتى أتمكن من بيان معنى أكبر عددٍ من الآيات القرآنية الكريمة.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى﴾ لأجل هداية الناس وبهذه الصيغة نزل بهذه الصيغة مع ﴿بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ بينات الهدى هي الدلائل هي البراهين الواضحة وأما الفرقان الفارقان إشارة إلى الحقيقة الفارقة الواضحة ومن هنا كان اسم عليٍّ الفاروق الأعظم، من هو الفاروق الأعظم؟ الفاروق الأعظم عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه، عليٌّ الذي يميز بين الحق والباطل وفي كل مظاهرهِ في كل شؤوناتهِ ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ من شهد يعني من حضر من كان في بلدهِ حاضراً وما عندهُ من مرض ما عنده من مانع يمنعه ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ

سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ كل هذا لأي شيءٍ؟ كل هذه التفاصيل ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسرَ﴾ أرجعوا إلى أحاديث أهل البيت ما معنى هذه الآية؟ قال اليسر علي والعسر فلانٌ وفلان ليس في رواية واحدة في روايات عديدة عن الأئمة المعصومين ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسرَ﴾ ومرَّ علينا قبل قليل قول عليٍّ أنا صلاة المؤمنين وصيامهم ومرَّ علينا قبل قليل جانباً من المعنى العميق للصيام، الصوم لي ويا أحمد خلقتك لي خلقتك لأجلي ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ العدة أن تُكملوا الصيام إلى آخرهِ أن تكملوه إلى الثلاثين إذا كان الشهر ثلاثين أن تُكملوا العدة يعني الأيام المعدودة التي مرت الإشارة إليها ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ يعني هنا مدة محسوبة محصورة من بداية هلال شهر رمضان إلى هلال شهر شوال هي هذه العدة قد تكون ثلاثين أو قد تكون أقل من ذلك.

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ في روايات أهل البيت ولتكبروا الله على ولايتنا التكبير قال التعظيم ولتعظموا الله على ولايتنا هكذا قال أئمتنا هذا قول صادقهم هذا قول باقرهم ما هو بقولي ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ قال ولتعظموا الله على ولايتنا ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لعلكم بذلك تشكرون نعمة الولاية التي منَّ الله بها عليكم فإذاً المعنى العميق للصوم أين يكون؟ ليس في الانقطاع عن طعامٍ او عن شراب ما الانقطاع على الطعام وعن الشراب إلا هو لفك الرباط مع هذا العالم الترابي لأجل ماذا؟ لأجل أن نذهب بعيداً في سبب الولاية في منهج الولاية في طريق الولاية الذي هو طريق القرب إلى الله حيثُ الباب المفتوح الباب الحقيقي الباب الحقيقي هو مُحَمَّدٌ وعليٌّ صلوات الله عليهما وآلهما ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى﴾ براهين وحقائق ومظاهر ولكن قمة هذه الحقائق هو الفرقان وهي حقيقة ولاية عليٍّ ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسرَ﴾ يريد أن يوصلكم إلى الولاية ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسرَ﴾ لا يريد أن يشدكم إلى الدنيا فإن فلان وفلان يشدانكم إلى الدنيا إلى التراب ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا﴾ لتعظموا الله ﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ ولتعظموا الله على ما هداكم ولتعظموا الله على ولايتنا على ولاية عليٍّ وآل علي ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وهذا هو الباب الحقيقي الذي يفتح بين العباد وبين الله لذلك يأتي الكلام بعد أن تم الحديث

عن الباب المفتوح ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ إذا سألك عبادي فإني قريب: قريبٌ بولايتي التي تمت إلى كل عبدٍ من عبيدي بصلة إلى أوليائي.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ إذا ما فُتحت الأبواب ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ الآية هنا تتحدث عن الدعاء وعن التوجه إلى الله سبحانه وتعالى وأعتقد أن دلالة الآية واضحة وإن كان الكثير من المخالفين لأهل البيت يقيمون الدنيا ولا يقعدونها عند هذه الآية ويقولون بأن هذه الآية دليلٌ واضحٌ على شرك شيعة أهل البيت بسبب توسلهم برسول الله وبآل رسول الله والحال إن الآية ليس فيها أي دلالة على هذا المعنى، قطعاً الكلام عن الدعاء بل عن كل شيءٍ فهو مرده إلى الله سبحانه وتعالى إذا نذهب إلى سورة الأنعام الآية الأربعون والحادية والأربعون ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ فإن الدعاء وإن العبادة هي لله سبحانه وتعالى حين أقرأ هذه الآية وأتدبر فيها فإني لا أغفل هذا المعنى الذي جاء مثلاً في هذه الآية في الآية الأربعين وفي الآية الحادية الأربعين ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ وكذلك في الآية الثالثة والستين وفي الآية الرابعة والستين من سورة الأنعام ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ هذه الآيات وغيرها من آيات الدعاء في الكتاب الكريم كلها تشير إلى هذه الحقيقة إلى حقيقة أن الدعاء لله سبحانه وتعالى وأن الله سبحانه وتعالى هو مصدر الفيض لكن هذا لا يتعارض مع التوسل برسول الله وبآل رسول الله لنقف عند هذه الآية التي هي العمدة في الباب:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ثم تقول الآية ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ فليستجيبوا لي في أي شيءٍ؟ فليستجيبوا لي في أن يدعوني لأن الله هنا يطلب من عبادِهِ أن يدعوه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ثم تقول الآية ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ فليستجيبوا

لطلبي ما هو طلبهُ سبحانه وتعالى ؟ ما هو أمرهُ يأمرنا أن ندعوه، القسم الأول من الآية لسانها لحنها هو أمرٌ وطلبٌ من الله سبحانه وتعالى من عبيدهِ أن يتوجهوا إليه بالدعاء ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ صحيح الألفاظ لم تأتي بصيغة الأمر لكن الكلام يدل على هذا المعنى يدل على أن الله سبحانه وتعالى يريد من عبيدهِ أن يتوجهوا إليه بالدعاء ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ فليستجيبوا لي في هذه القضية في أي قضية؟ في أن يتوجهوا إليَّ بالدعاء ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ الآية إذاً تطلب منا الاستجابة لله سبحانه وتعالى في أي شيءٍ؟ الاستجابة لأمرهِ في أننا نتوجه إليه بالدعاء هذا الأمر وهذا التوجيه أن نستجيب لله سبحانه وتعالى ليس محصوراً في هذه الآية وليس محصوراً في هذه القضية، الآن الآية تتحدث عن الدعاء والدعاء هو نحوٌ من أنحاء العبادة مثلاً إذا نريد أن نذهب إلى سورة آل عمران، الجهاد هو أيضاً عبادة من العبادات أليس الجهاد يُكتب في أبواب العبادات أليس الجهاد لا يصح من الإنسان إلا إذا كان بنية القربة والعبادة، في الفقه كل عمل يُشترط في صحتهِ القربة نية القربة، الجهاد عبادةٌ من العبادات أيضاً هل يجوز للإنسان أن يُشرك في هذه العبادة؟

العبادة هي خالصةٌ لله، الآن الذي مرَّ علينا في الآية السادسة والثمانين بعد المئة ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ الله سبحانه وتعالى يأمرنا بأن نستجيب لأي شيءٍ؟ أن نستجيب لأمرهِ في أن نتوجه إليه بالدعاء والدعاء عبادةٌ الدعاء عبادةٌ لفظية ووجدانية ومعنوية وهي نحوٌ من أنحاء العبادات، العبادات ليس محصورة في الدعاء فقط، الجهاد عبادةٌ من العبادات يُشترط في صحتها نية القربة هذه عبادة لا يحق لأحدٍ أن يقول بأن الجهاد ليس من العبادات بل الجهاد من أهم العبادات ماذا يقول القرآن في الآية الثانية والسبعين بعد المئة من سورة آل عمران ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ هذه استجابةٌ لله وللرسول في عبادة من العبادات هل هذا شرك القرآن هنا يأمر بالشرك؟ أليس الجهاد عبادة من العبادات والآيات صريحة هنا ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ

﴿مِن بَعدِ مَآ أَصَابَهُمُ القَرحُ﴾ الاستجابة في أي شيءٍ؟ أن رجعوا إلى الجهاد بنية القربة جاءوا بهذه العبادة فكانت هذه العبادة التي هي عبادة لله وهي داخلة في التوحيد العبادي إذا أردنا أن نبحث هذا الموضوع موضوع التوحيد العبادي ما المراد من التوحيد العبادي؟ أن جميع العبادات تكون لله فقط أليس الجهاد عبادة من العبادات الاستجابة هنا في هذه الآيات لمن؟ أليس لله ولرسوله فهل العبادة لرسول الله؟ قطعاً لا، وإنما الرسول وسيلة هنا وهذا هو معنى التوسل، الرسول هنا وسيلة العبادة لله فقط فلا ضير أن نتوسل برسول الله ولا ضير أن نخاطبه وأن نستغيث به وأن نقول يا محمَّد أغثني ويا محمَّد أدركني.

﴿الَّذِينَ استَجَابُوا لِلّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أليس قالوا لبيك يا الله لبيك يا رسول الله هو هذا المراد ما المراد من الاستجابة؟ أن قالوا باللفظ أو بالفعل لبيك يا الله لبيك يا رسول الله كيف كانت الاستجابة هنا ؟ سواء كانت الاستجابة لفظية أو عملية معنى استجابتهم هو هذا لبيك يا الله لبيك يا رسول الله ﴿الَّذِينَ استَجَابُوا لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعدِ مَآ أَصَابَهُمُ القَرحُ﴾ إلى آخر الآيات هذا مصداق من مصاديق العبادات والاستجابة فيها مثل ما في الآية التي أني بصدد شرحها ﴿فَليَستَجِيبُوا لِي﴾ هنا الذين استجابوا لله والرسول في آيةٍ أخرى الآيات عديدة في آيةٍ أخرى وهذه الآية آمرة بصيغة واضحة صريحة وهي الآية الرابعة والعشرون من سورة الأنفال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا استَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحيِيكُم﴾ وهنا تكرر حرف اللام مرتين مرة مع الله ومرة مع الرسول يعني نفس الاستجابة، استجابة لله واستجابة للرسول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا استَجِيبُوا لِلّهِ﴾ لو كانت الاستجابة لله فقط بشكل خاص وأن الرسول الاستجابة له مختلفة لقالت الآية يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول لكن الآية ما قالت هكذا قالت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا استَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ اللام موجودة مع لفظ الجلالة وموجودة مع كلمة الرسول يعني الاستجابة بنفس الدرجة بنفس القوة بنفس التوجه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا استَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحيِيكُم﴾ بحسب المعروف بين المفسرين ﴿إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحيِيكُم﴾ أي إذا دعاكم للجهاد هذا الرأي المشهور وهنا أراء أخرى إذا دعاكم للدين في روايات أهل البيت ﴿إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحيِيكُم﴾ إذا دعاكم لولاية علي وولاية علي هو جوهر العبادات وحقيقة العبادة، فالاستجابة هنا هي الاستجابة الموجودة في سورة البقرة التي نحن

بصدد الحديث عنها ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ لعلهم يرشدون لعلهم يصلون إلى الرشد. الرشد هذا هو الذي إليه الإشارة في سورة البقرة في آياتٍ ستأتينا إن شاء الله في الآية السادسة والخمسين بعد المئتين ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ هناك رشد وهناك غي قد تبين الرشد من الغي فما هو الرشد ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ الرشد هو هذا ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ والطاغوت هذا العنوان هو العنوان المناقض لولاية علي ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ الدعاء عبادةٌ خاصةٌ بالله سبحانه وتعالى ولكننا نتوسل برسول الله صلى الله عليه وآله وبآل رسول الله وسيلةً إلى الله، الآية التي بعدها ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ والرفث معروفٌ في كتب التفسير هو مقاربة النساء لأنهُ قبل هذه الآية كان يحرم على المسلمين أن يقتربوا من نسائهم في شهر رمضان حتى في الليل يعني حتى لو أفطروا فإنه يحرم عليهم ان يقتربوا من نسائهم، الآية هنا بيّنت هذا الحكم ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ يعني مقاربة النساء ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ وهذا تعبير في غاية الجمال الأدبي ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ الإشارة هنا الإنسان مع لباسه هناك علاقة فيما بينه وبين لباسهِ فكأن اللباس جزءٌ منه وكأنه جزءٌ من اللباس وكذلك اللباس ساترٌ للإنسان وكذلك اللباس زينةٌ للإنسان وكذلك اللباس يعطي الراحة للإنسان كل هذه المعاني إنما هي أوصاف للعلاقة الزوجية السليمة الصحيحة بين الزوج وزوجته.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ تختانون يعني تخونون كان مجموعة من الشباب ممن لا يستطيعون أن يمسكوا أنفسهم فكانوا يخالفون الحكم الشرعي الأول قبل هذا التحليل كانوا يقاربون نسائهم في الليل ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ

عَلَيكُم وَعَفَا عَنكُم﴾ وجاءكم هذا الحكم رحمةً ورأفةً بكم ﴿أُحِلَّ لَكُم لَيلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُم هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُم وَأَنتُم لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُم كُنتُم تَختَانُونَ﴾ تخونون أنفسكم الخيانة هنا يعني الخيانة في مقابل الأمانة والمراد من الأمانة الالتزام بالحكم الشرعي والخيانة عدم الالتزام بالحكم الشرعي ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُم كُنتُم تَختَانُونَ أَنفُسَكُم فَتَابَ عَلَيكُم وَعَفَا عَنكُم فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ إذا أردتم أن تقتربوا من نسائكم فاقتربوا رُفِع ذلك الحكم ﴿وَابتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُم﴾ ابتغوا ما كتب الله لكم أطلبوا ما أجاز الله لكم تصرفوا في حياتكم في المجال وفي الدائرة التي أجاز الله سبحانه وتعالى لكم أن تتحركوا فيها.

﴿وَابتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُم وَكُلُوا وَاشرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيطُ الأَبيَضُ مِنَ الخَيطِ الأَسوَدِ مِنَ الفَجرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيلِ﴾ الحكم الشرعي سابقاً كان في الليل لا يجوز مقاربة النساء وإذا ما صار وقت الإفطار فنام أحدهم إذا نام حتى لو استيقظ بعد ذلك حتى لو نام لدقائق فإنهُ لا يجوز له أن يأكل أو أن يشرب والحادثة التي نزلت هذه الآية فيها معروفة في كتب التفسير بحادثة خوات بن جبير، خوات بن جبير رجل كبير السن وهو من صحابة النبي وكان أخاً لعبد الله بن جبير الذي استشهد في واقعة أحد، عبد الله بن جبير الصحابي الذي أمرهُ النبي وأمّرهُ على الرماة الخمسين الذين يقفون في الجهة الثانية من جبل أحد وبعد ذلك الصحابة تركوا أمر النبي وذهبوا للغنائم فلم يبقى إلا عبد الله بن جبير لم يخالف أمر النبي وكان معه اثنا عشر من الصحابة وكلهم استشهدوا قتلهم خالد بن الوليد، خالد بن الوليد ومن معه من قريش قتلوا هذه المجموعة هذا خوات بن جبير أخو عبد الله بن جبير الذي استشهد في أحد كان رجل كبير السن وفي أيام حفر الخندق فكان المسلمون منشغلين بحفر الخندق صار وقت الغروب ذهب إلى عائلتهِ فطلب من عائلتهِ أن يُعدوا له طعام الإفطار فقالوا لم يجهز إلى الآن فبقي ينتظر فأخذته إغفائه نام ثم استيقظ قال لا يحل لي بعد ذلك أكل الطعام فما أكل شيئاً وهو رجل كبير السن في اليوم الثاني ذهب إلى الخندق فأغمي عليه، نزلت هذه الآية فشرعت هذا التشريع ﴿وَكُلُوا وَاشرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيطُ الأَبيَضُ مِنَ الخَيطِ الأَسوَدِ مِنَ الفَجرِ﴾ يعني هي في نفس الواقعة كان هناك مجموعة من الشباب يختانون انفسهم وكان هناك هذه الحالة كحالة خوات بن جبير فتغير الحكم الشرعي إلى هذا الحكم الذي نحن عليه الآن والآية هنا تتحدث عن هذه الواقعة وعن هذه الحوادث.

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ وهو الفجر الصادق الذي وصفتهُ الروايات بأنه بياضٌ مستطيل مستعرض في عرض الأفق كالثياب القباطية ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ أتموا الصيام إلى الليل يعني إلى وقت صلاة المغرب.

﴿ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ ﴾ لا تباشروا النساء ﴿ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ عاكفون في المساجد الحديث هنا عن حكم الاعتكاف، الاعتكاف يمكن أن يُقال لمن يطيل المكوث في المسجد للعبادة وللذكر ولقراءة القرآن فيقال له هذا معتكف لكن هذا الاعتكاف اعتكاف لغوي عرفي الآية لا تتحدث عن هذا الاعتكاف الآية تتحدث عن الاعتكاف الذي هو عنوان شرعي موجود في الكتب الفقهية أن الإنسان ينوي الاعتكاف فيذهب إلى المسجد وله شرائط في المكان في الزمان في الأفعال إلى غير ذلك إذا كنتم في عبادة الاعتكاف وهذه العبادة مذكورة في الرسائل العملية عادة يذكر الاعتكاف بعد باب الصيام بعد أن تنتهي مسائل الصيام في الرسائل العملية تأتي مسائل الاعتكاف، الاعتكاف عبادة من العبادات الحديث في هذه الآية عن تشريع هذه العبادة فإذا كنتم معتكفون في المساجد إذا كنتم معتكفين في المساجد فلا يحل لكم أن تباشروا النساء ﴿ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ تلك أحكامه حدوده ﴿ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ لا تقربوا الحدود لا تقربوها أي يعني لا تخرجوا من الحد الذي أجاز الله سبحانه وتعالى لكم أن تتحركوا في داخلهِ أبتعدوا عن هذه الجهات.

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ يعني كل هذه التشريعات كل هذه الأحكام مردها إلى حقيقةٍ واحدة وهي التقوى وقلت بأن التقوى في حقيقتها هي ولاية عليٍّ وآل علي ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الآية هنا لها أكثر من أفق ورد في روايات أهل البيت بأن الآية حين تقول ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه وعن غيرهِ من أئمتنا المعصومين ورد في الروايات أن قريشاً كانت في الجاهلية تقامر الرجل على ماله وأهله حينما يلعبون القمار يجعلون من رهان القمار جميع المال وحتى الأهل وإذا ما غلبوه ظفروا به أخذوا ماله وأهله فالآية هنا تتحدث عن أن هذا أخذٌ وأكلٌ لمال الناس

بالباطل ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ هذا تحريم لذلك الأمر تحريم على المسلمين أن يعملوا كما كان القرشيون يعملون أن يقامروا في لعب القمار بأموال الرجال وبعوائلهم فكانوا يقامرون الرجل على ماله وأهله فهذا هو أكل المال بالباطل.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ وتدلوا بها إلى الحكام أيضاً ورد هذا المعنى في روايات أهل البيت وهو أن يترافع الناس في خلافاتهم المالية إلى حُكام الجور فإن حُكام الجور لن يحكموا بالعدل فحينئذٍ ستؤكل أموال الناس بالباطل ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ والإدلاء الى الحكام على نحوين: إما أن يكون الإدلاء إلى الحكام والترافع إلى الحُكام وهم حُكام الجور وهو يعلم بأن هذا الحاكم هذا القاضي سيقضي بالباطل أو أن يترافع إلى الحاكم ويزور الدلائل أن يأتي بشهود كاذبين وبسبب أن الشهود يشهدون لصالحِهِ فإن الأموال تنتقل إليه وبذلك يأكل أموال الناس بالباطل فالآية هنا تتحدث عن مصاديق من أكل المال بالباطل إما عن طريق المقامرة كما كانت تفعل قريش فيقامرون الرجل على مالهِ وأهله وإما عن طريق رفع الأحكام إلى قضاة الجور والإنسان يعلم بأن هذا القاضي لن يحكم بالعدل لأن القوانين الموجودة عنده أو هو بنفسهِ جائر أو هو يأخذ الرشاوى ويعمل وفقاً للرشاوى التي يأخذها وكذلك أيضاً من مصاديق أكل أموال الناس بالباطل أن يأتي الشخص بأدلة بشهود زور لإثبات حقهِ فيأكل أموال الناس بالباطل ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ أموالكم يعني أيها المؤمنون وكأن هذه الأموال هي كلها لكم وإن كان البعض يمتلك مقدار والبعض الآخر يمتلك مقداراً آخر لكن بالنتيجة لو كنتم مؤمنين وكنتم تتصرفون بالشكل الصحيح كما يريد الله وتُخرجون الحقوق وتصرفون الأموال في مواردها الصحيحة لانتفع الجميع من ذلك هذا المراد من تعبير أموالكم.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ والأَهِلَّة: جمعٌ لهلال هذه الأهلة الهلال الذي يخرج في أول كل شهر هي مواقيت، الله سبحانه وتعالى جعلها آلةً للتوقيت وسيلةً للتوقيت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ وهذا إقرارٌ وتشريعٌ بأن الاعتماد على الهلال يكون اعتماداً صحيحاً وأيضاً الآية

تشعر بهذا المعنى أن الهلال وأن الاعتماد على توقيت الهلال هو توقيتٌ عام لكل الناس لأن الآية لا تريد أن تشير إلى أن في البلد الفلاني يُعتمد نظام للتوقيت وفي البلد الثاني يُعتمد على نظام آخر الآية تتحدث بشكل عام ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُل هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ عن الأهلة جمعٌ لهلال باعتبار أنه لكل شهرٍ هلال هذا المقصود يسألونك عن الأهلة باعتبار لكل شهر هلال يقال هلالُ شهر شعبان هلال شهر رمضان هلال شهر شوال فلكل شهرٍ هلال فجمعت فقيل لها الأهلة.

﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُل هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ﴾ كذلك هي مواقيت لتحديد فترة الحج، متى هي أشهر الحج ﴿وَلَيسَ البِرُّ بِأَن تَأتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأتُوا البُيُوتَ مِن أَبوَابِهَا وَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾ الآية هنا أدنى تبصُّر أدنى تفكر في الآية ما هو موطن الشاهد أن يقال ﴿وَلَيسَ البِرُّ بِأَن تَأتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ لا يوجد أي ذكر للبيوت ولا يوجد أي كلام عن أن الإنسان يأتي البيوت من ظهورها ثم ليس هناك في العرف في المجتمع أن يقول أحد بأن البر أن نأتي البيوت من ظهورها ليس معروفاً هذا، الذي يأتي البيوت من ظهورها هم اللصوص هم قطاع الطرق المجرمون يأتون البيوت من ظهورها يعني هذه الآية في وسط هذه الآيات أولاً لم يسبقها كلام ولا حديث ولا ذكر عن بيوت وأبواب وظهور ثم من قال من الناس في ذلك الوقت أو حتى في هذا الوقت بأن الذي يأتي البيوت من ظهورها فإنه يقوم بعملٍ حسن بعملٍ صالح ما قال أحدٌ بذلك، إنما الآية هنا تريد أن تلفت النظر تلفت النظر إلى حقيقة وإلا ما معنى فُجأةً ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُل هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ وَلَيسَ البِرُّ بِأَن تَأتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ فمن الذي جاء إلى البيوت من ظهورها؟ ومن أين جاء هذا الحديث؟ أليس أن هذا الحديث جاء بهذه الصيغة يريد أن يلفت النظر إلى قضية ما هي هذه القضية؟

﴿وَلَكِنَّ البِرَّ﴾ الخير كل الخير من أتقى التقوى، التقوى ولاية علي ﴿مَنِ اتَّقَى وَأتُوا البُيُوتَ مِن أَبوَابِهَا وَاتَّقُوا اللّهَ﴾ التقوى في كل مكان ﴿لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾ لعلكم تصلون إلى الفلاح لأن الفلاح الحقيقي هو في البلوغ إلى المعنى الحقيقي لولاية مُحَمَّدٍ وعليٍّ صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما الأطيبين الأطهرين، أذهب إلى كلمات أهل البيت حينما نقرأ القرآن وتواجهنا هكذا آية بشكل مفاجيء حديث عن الصيام أحكام الصيام ثم الكلام عن أكل أموال الناس بالباطل ثم الحديث عن الأهلّة وبيّنت الآية بأنها مواقيت للناس

والحج فُجأةً ﴿وَلَيسَ البِرُّ بِأَن تَأتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ وكأن أحداً قال بأن البر هو أن نأتي البيوت من ظهورها يعني هناك مفاجأة في نقل الكلام لذلك نعود إلى أهل البيت ماذا يقولون؟

الرواية في الكافي الشريف، **عن أبي بصيرٍ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: الأوصياء هم أبواب الله عزَّ وجلَّ التي يؤتى منها ولولاهم ما عُرِف الله عزَّ وجلَّ وبهم احتجَّ الله تبارك وتعالى على خلقه** – الرواية الثانية ينقلها الشيخ الطبرسي في الاحتجاج عن الاصبغ بن نباته من أصحاب سيد الأوصياء – **قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام فجاءه ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين من البيوت في قول الله عزَّ وجلَّ** ﴿وَلَيسَ البِرُّ بِأَن تَأتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا البُيُوتَ مِن أَبوَابِهَا﴾ – للعلم هذا ابن الكوا من المعارضين والخارجين على أمير المؤمنين هذا من الخوارج من الخارجين ومن الزنادقة لكنه يمتلك عقليةً وذكاءً ويمتلك علماً كذلك في كلام العرب وفي القرآن، لاحظوا السؤال ابن الكوا يقول للأمير: من البيوت؟ ما قال ما البيوت لأنهُ فَهِم بأن الآية هنا تتحدث عن أشخاص، سؤال ابن الكواء: يا أمير المؤمنين من البيوت؟ ما قال ما البيوت، ما معنى البيوت هنا قال من البيوت، لأن أي ناظر إلى هذه الآيات لا يفهم منها الحديث هنا عن بيوت عن طابوق وطين عن خشب وحديد لأنهُ ما من أحدٍ يقول بأن البر أن نأتي البيوت من ظهورها حتى اللصوص إذا كانوا يستطيعون أن يأتوا البيوت من الأبواب فإنهم يأتون البيوت من الأبواب اللصوص يأتون البيوت من ظهورها في حال الاضطرار وإلا ما من أحدٍ يأتي البيوت من ظهورها، لذلك هذا ابن الكواء يسأل – **يا أمير المؤمنين من البيوت في قول الله عزَّ وجلَّ** ﴿وَلَيسَ البِرُّ بِأَن تَأتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا البُيُوتَ مِن أَبوَابِهَا﴾ **فقال سيد الأوصياء: نحن البيوت التي أمر الله بها أن تؤتى من أبوابها، نحن باب الله وبيوتهُ التي يؤتى منها فمن بايعنا وأقرَّ بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها، ومن خالفنا وفَضَّل علينا غيرنا** – هذه مهمة جداً – **ومن خالفنا وفَضَّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها** – إذاً هؤلاء هم اللصوص الحرامية هؤلاء – **ومن خالفنا وفَضَّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها** – هؤلاء هم الحرامية.

رواية أخرى، **عن سعدٍ عن أبي جعفر** – يرويها العياشي في تفسيرهِ – **قال: سألتهُ عن هذه الآية** ﴿وَلَيسَ البِرُّ بِأَن تَأتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا البُيُوتَ مِن أَبوَابِهَا﴾ **فقال: آلُ مُحَمَّد أبواب الله وسبيله والدعاة إلى الجنة والقادة إليها والأدلاء عليها إلى يوم القيامة.**

روايةٌ أخرى، **عن ظريف عن أبي جعفرٍ عليه السلام، قال: قال: من أتى آل مُحَمَّدٍ أتى عيناً صافية** –

أي والله سادتي – **من أتى آل مُحَمَّدٍ أتى عيناً صافية تجري بعلم الله ليس لها نفاد ولا انقطاع ذلك بأن الله لو شاء لأراهم شخصه حتى يأتوه من بابه ولكن جعل آل مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أبوابهُ التي يؤتى منها وذلك قول الله عزَّ وجلَّ** ﴿وليس البِرُّ بِأَن تَأْتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا البُيُوتَ مِن أَبوَابِهَا﴾ . الروايات صريحة وواضحة وأنا جئت بها لا للاستدلال بها وإنما لأجل التبرك لأجل ترطيب اللسان بكلام مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد لأجل أن أشنِّفَ أسماعكم لا بحديثي أنا فمن أنا وما حديثي لأُشَنِّفَ أسماعكم بحديث سادتكم وأئمتكم بحديث مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

﴿وَلَيسَ البِرُّ بِأَن تَأْتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ هناك تقوى من اتقى، ولاية علي ﴿وَأْتُوا البُيُوتَ مِن أَبوَابِهَا وَاتَّقُوا﴾ إذاً ولاية عليٍّ في البداية ولاية عليٍّ في النهاية وحقيقتها الفلاح ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾ وحَيَّ على الفلاح وحَيَّ على خير العمل وحَيَّ على الصلاة إنها كلها ولاية علي، هل يشكُّ أحدٌ منكم أن خير العمل ولاية علي؟ يشك أحد في ذلك؟ خير العمل ولاية علي، الصلاة إذاً ولاية علي والفلاح إذاً ولاية علي لأن هذه العناوين كلها لحقيقةٍ واحدة، حَيَّ على الصلاة حَيَّ على الفلاح حَيَّ على خير العمل هنا دعوة لموضوعٍ واحد لحقيقةٍ واحدة هي ولاية علي صلوات الله وسلامه عليه.

﴿وَلَيسَ البِرُّ بِأَن تَأْتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا البُيُوتَ مِن أَبوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾ هذه أيضاً قاعدة نثبتها نحن سابقاً ثبتنا قاعدة الصراط المستقيم هذه القاعدة الأولى الصراط المستقيم عليٌّ صلوات الله عليه، القاعدة الثانية الإيمان ولاية علي، حيثما جاء ذكر الصراط المستقيم في القرآن الكريم يعني علياً وحيثما جاء ذكر الإيمان في القرآن الكريم يعني ولاية علي، القاعدة الثالثة حيثما جاء ذكر التقوى والأمر بالتقوى والحديث عن المتقين فإن الكلام عن ولاية علي، هذه قواعد إذا أردتم أن تتدبروا القرآن وفقاً لمنهج أهل البيت ووفقاً لذوق أهل البيت وهذه قواعد مهمة لو عملتم بها ستنتفعون كثيراً في قراءة القرآن، القاعدة الأولى: الصراط المستقيم أينما قرأتموه في القرآن فهو علي، القاعدة الثانية: الإيمان إينما قرأتموه في القرآن فهو ولاية علي، التقوى أينما قرأتموها في القرآن فهي ولاية علي.

﴿وَلَيسَ البِرُّ بِأَن تَأْتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا البُيُوتَ مِن أَبوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ * وَقَاتِلوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وسبيل الله هذه قاعدةٌ رابعة: سبيل الله الرواية صريحة عن الأئمة المعصومين سبيل الله

عليٌّ وآل علي هكذا قالوا ﴿وَقَاتِلوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُم وَلَا تَعتَدُوا﴾ نحن لا نريد الاعتداء على أحد ولكن القرآن يقول إن الذين يقاتلونكم فقاتلوهم هذا حقٌّ يشهد به العقل والمنطق والفطرة وحتى الحيوانات ﴿وَقَاتِلوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُم وَلَا تَعتَدُوا﴾ لا تبتدأوا بالقتال أو بالاعتداء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبّ الْمُعتَدِينَ﴾ المعتدون هم الإرهابيون، الإرهابيون الذين ذبحوا شيعة أهل البيت هؤلاء هم المعتدون ﴿وَقَاتِلوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُم وَلَا تَعتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبّ الْمُعتَدِينَ * وَاقتُلُوهُم﴾ اقتلوهم من؟ اقتلوا المعتدين ﴿وَاقتُلُوهُم حَيثُ ثَقِفتُمُوهُم وَأَخرِجُوهُم مِّن حَيثُ أَخرَجُوكُم﴾ واقتلوهم حيث ثقفتموهم: حيث وجدتموهم ﴿وَأَخرِجُوهُم مِّن حَيثُ أَخرَجُوكُم﴾ وأخرجوهم أيضاً يعني عاملوهم كما عاملوكم وإلا فإنكم إن لم تقفوا بوجوههم فإنهم سيتمادون في غيِّهم وهذه حقيقة هذه الأوامر كانت للمسلمين في مواجهة المشركين في مواجهة أعداء رسول الله وهذه أيضاً الفكرة وهذ المنطق هو منطق الحياة البشرية منذ أن كانت وإلى يومنا هذا وحتى في مستقبلها.

﴿وَقَاتِلوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُم وَلَا تَعتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبّ الْمُعتَدِينَ * وَاقتُلُوهُم﴾ اقتلوا هؤلاء المعتدين ﴿وَاقتُلُوهُم حَيثُ ثَقِفتُمُوهُم وَأَخرِجُوهُم مِّن حَيثُ أَخرَجُوكُم وَالفِتنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتلِ﴾ أما من يسعى لإثارة الفتنة ولإيجاد الفتنة ما المراد من الفتنة؟ الفتنة هو ما يقوم به الناس لأجل إضلال الناس ما يقوم به البعض لأجل إضلال الناس ونحن فتنتا أين؟ فتنتنا في أولئك الذين يُشككون في أهل البيت فتنتنا في أولئك الذين يُضعِّفون حديث أهل البيت يُشككون في مقامات أهل البيت ينتقصون من مقامات أهل البيت ومن شئون أهل البيت وما شاء الله الفضائيات أمامكم وترون لكن الطامة أن تخرج علينا عمائم سوداء وبيضاء وخضراء وبنفسجية أن تخرج علينا هذه العمائم تتحدث باسم أهل البيت وباسم شيعة أهل البيت وهم يُقَطِّعون أهل البيت إرباً إرباً، هذه هي الفتنة هذه الفتنة أشدُ من القتل.

﴿وَاقتُلُوهُم حَيثُ ثَقِفتُمُوهُم وَأَخرِجُوهُم مِّن حَيثُ أَخرَجُوكُم وَالفِتنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتلِ﴾ فقد ورد في كلمات أهل البيت بأن ممن يتلبس بلباس الفقه في الوسط الشيعي من فقهاء الشيعة ممن يتلبسون فيركبون مراكب العامة ويتقربون إلى أشياع أهل البيت بأنهم من حَملة علومهم ولكن بعد ذلك تبدأ بعد ذلك يبدأون بنشر سمومهم وبنشر قيئهم وقذارتهم عبر الفضائيات أو عبر غيرها هؤلاء الذين قالت عنهم الروايات بأنهم أضر على

ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد بن معاوية على الحسين واصحابه لأن يزيد وأصحاب يزيد سلبوا الحسين وأصحابه أرواحهم وهؤلاء فقهاء السوء ماذا يفعلون هؤلاء؟ هؤلاء يسلبون ضعفاء شيعتنا دينهم وإيمانهم كَبرت عمائمهم أو صَغُرت وضعوا ألقاباً طويلة، قصيرة، عريضة، القضية ليست مهمة لكن الفتنة هي هذه الفتنة التي هي أشد من القتل هي هذه.

﴿ وَالفِتنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُم عِندَ المَسجِدِ الحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُم فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُم ﴾ لا تقاتلوهم عند المسجد الحرام فإن للمسجد الحرام قدسية وأحكام خاصة معروفة هناك أحكام خاصة للكعبة للمسجد الحرام وللحرم ﴿ وَلاَ تُقَاتِلُوهُم عِندَ المَسجِدِ الحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُم فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُم ﴾ هم هتكوا الحرمة ﴿ فَاقتُلُوهُم كَذَلِكَ جَزَاء الكَافِرِينَ ﴾ إذا هم هتكوا الحرمة فلا حرمة لهم، ما زالوا في المسجد الحرام في الحرم وهو يحافظون على هذه الحرمة حرمتهم تحفظ لكن حين يهتكون حرمة المسجد الحرام فلا حرمة لهم.

﴿ وَلاَ تُقَاتِلُوهُم عِندَ المَسجِدِ الحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُم فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُم فَاقتُلُوهُم كَذَلِكَ جَزَاء الكَافِرِينَ ﴾ وصف الكافرين هنا هو لنفس المعتدين الذين مرَّ ذكرهم قبل قليل ﴿ فَإِنِ انتَهَوا ﴾ إذا تركوا الاعتداء ﴿ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُم ﴾ وهذه آخر آية أقف عندها في هذه الحلقة من هذا البرنامج وهي الآية الثالثة والتسعون بعد المئة ﴿ وَقَاتِلُوهُم حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتنَةٌ ﴾ إذا كانوا هم السبب في إيجاد الفتنة ﴿ وَقَاتِلُوهُم حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَوا فَلاَ عُدوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ الآية واضحة لكن في روايات أهل البيت دلالةٌ ودلالةٌ أخرى في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الرواية ينقلها شيخنا ابن قولويه عن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿ فَلاَ عُدوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ يعني في الآية ﴿ وَقَاتِلُوهُم حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَوا فَلاَ عُدوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ الإمام يقول ﴿ فَلاَ عُدوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ من هم هؤلاء الذين جاء ذكرهم في هذه الآية – **قال: أولاد قَتَلة الحسين عليه السلام** – يعني الآية تتحدث عن إمام زماننا لأنه من الذي يقتل أولاد قَتَلة الحسين؟

إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، تلاحظون الترابط العميق بين الآيات وتلاحظون كيف أن المعاني تتسلسل وكيف أن الآيات الكريمة تتحدث عن مظاهر العبادات مشيرةً في عمقها إلى حقيقة ولاية عليٍّ إلى الأبواب التي يجب أن يؤتى إلى الله منها إلى إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه – **قال: أولاد قَتَلة**

الحسين – رواية يرويها الشيخ الصدوق بسندهِ – **عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلتُ لأبي الحسن علي بن موسى الرضا يا ابن رسول الله ما تقول في حديثٍ روي عن الصادق عليه السلام أنهُ قال: إذا قام القائم عليه السلام قتلَ ذراري قَتَلة الحسين بفعال آبائها فقال صلوات الله عليه: هو كذلك، قلت فقول الله عزَّ وجلَّ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزرَ أُخرَى﴾ ما معناه؟ قال: صدق الله في جميع أقواله لكن ذراري قتلة الحسين يرضون فعال آبائهم ويفتخرون بها** – وسامراء واضح معناها – **لكن ذراري قتلة الحسين يرضون فعال آبائهم ويفتخرون بها ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه ولو أن رجلاً قُتِل في المشرق فرضي بقتله رجلٌ في المغرب لكان الراضي عند الله عزَّ وجلَّ شريك القاتل وإنما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم قال: فقلت له بأي شيءٍ يبدأ القائم فيهم إذا قام ؟ قال: يبدأ ببني شيبة ويقطع أيديهم لأنهم سُراق بيت الله عزَّ وجلَّ.**

وهناك روايات أخرى عديدة في هذا المعنى وفي هذا المضمون أكتفي بإيراد ما أوردت من الروايات الشريفة ولكن الخلاصة التي نصل إليها الخلاصة التي نصل إليها أن جميع شؤون الدين وأن جميع الأحكام وأن جميع العبادات ترتبط في مكان هذا المكان هو جوهرة هذا الدين تلاحظون جميع الآيات جميع العبادات جميع الأحكام وتلاحظون الروايات بعضها يشرح البعض هذا يكشف عن صحة هذه الروايات لأن هذه الروايات ما صدرت من شخصٍ واحد ولا صدرت في زمانٍ واحد هذه الروايات صدرت من زمان رسول الله إلى زمان غيبة الإمام صلوات الله وسلامه عليه الغيبة الكبرى لأن الإمام في زمان الغيبة الصغرى أيضاً كانت تخرج منه التوقيعات الإمام متى انتهت غيبتهُ الصغرى؟ انتهت غيبتهُ الصغرى سنة: 329 للهجرة يعني هذه النصوص جاءتنا عبر أكثر من ثلاث قرون 329 سنة أزمنة مختلفة أمكنة مختلفة رواة مختلفون لكن تلاحظون إن جميع هذه النصوص تعود إلى مكان واحد تلتقي في نقطةٍ واحدة هذه النقطة هي ولاية علي وآل علي إذا كان البعض يجهل هذا فما ذنبي وما ذنب أحاديث أهل البيت إذا كان البعض لم يقرأ وعاش في جهل ولم يطلع ولم يعرف الحقائق فما ذنبي أنا وما ذنب أحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هناك حقيقة القرآن أشار إليها، هذه الحقيقة أشارت إليها سورة الروم هذه الآية تحتاج إلى توقف أن الإنسان يقف عندها، الآية السابعة من سورة الروم الآية التي قبلها ﴿وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ﴾ الأكثرية لا تعلم فماذا يعلمون؟ الآية التي بعدها، الآية السادسة ﴿وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ﴾ الآية السابعة ﴿يَعلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنيَا وَهُم عَنِ الآخِرَةِ هُم غَافِلُونَ﴾ الآخرة هنا ليس هي الآخرة التي نصل

إليها بعد يوم القيامة لا حضوا الآية ﴿يَعلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنيَا﴾ ما قالت الآية يعلمون الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون قالت ﴿يَعلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنيَا﴾ يعني هناك شيء في الحياة الدنيا غير ظاهر هم لا يعلمونه ولذلك الآية تقول ﴿وَهُم عَنِ الآخِرَةِ﴾ يعني الشيء الآخر في الحياة الدنيا هم غافلون عنه، الحقيقة هذه الآيات بحاجة إلى تدبر أنا أنصح المؤمنين والمؤمنات أن يقفوا عند هذه الآيات، الآية السادسة والآية السابعة من سورة الروم خصوصاً وأن سورة الروم من السور التي يستحب قراءتها في ليالي شهر رمضان خصوصاً في ليالي القدر الآية السادسة ﴿وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ﴾ الأكثرية لا تعلم ماذا يعلمون إذاً؟ ﴿يَعلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنيَا وَهُم عَنِ الآخِرَةِ﴾ ليس الآخرة التي نصل إليها بعد يوم القيامة ﴿وَهُم عَنِ الآخِرَةِ﴾ هذه الآخرة في مقابل الظاهر من الحياة الدنيوية يعني هناك باطن في الحياة الدنيوية هناك شيء موجود في هذه الحياة الناس في غفلةٍ عنه هذا الشيء هو حقيقة أهل البيت هو حقيقة الولاية التي هي حقيقة القرآن وحقيقة المعاني وهذه المعاني عميقة جداً أكثر من أن تكون مجرد كلام أنا أرددهُ بلساني هذه قضية لها عمق تكويني ولها عمق وجداني ولها عمق شرعي.

﴿يَعلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنيَا وَهُم عَنِ الآخِرَةِ هُم غَافِلُونَ﴾ هناك غفلة عن هذه الحقيقة هناك غفلة واضحة غفلة عن ولاية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد هناك غفلة عن ولاية عليٍّ وآل علي بهذا أكتفي مما أوردتهُ من كلام الكتاب والعترة وهما ملاذي وملاذكم إن شاء الله تعالى في السراء وفي الضراء، الكتاب والعترة ملاذنا في السراء وفي الضراء، الكتاب والعترة ملاذنا في الليل وفي النهار، الكتاب والعترة ملاذنا في الحياة وعند الممات، إذا لم يكن الكتاب والعترة ملاذاً لنا في الحياة وفي الممات فلا قيمة لهذه الحياة نحن هكذا نقرأ في زيارة عاشوراء في الأدعية الأخرى الشريفة:

اللَّهُم أحينا محيا مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وأمتنا ممات مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، محيا مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وممات مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد: هو على الكتاب والعترة بين الكتاب والعترة، اللَّهُمَّ لا تفرق بيننا وبين مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد طرفة عينٍ أبداً في الدنيا وعند الموت وفي قبورنا وفي مواقف يوم القيامة اللَّهُمَّ عَرّفنا وجوه مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد عند ساعات الاحتضار اللهم عرفنا وجوه مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ليلة الوحشة في قبورنا اللهم وفقنا أن نتمسك بحجزة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد في مواقف يوم القيامة بمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد أسألكم الدعاء يا شيعة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد في أمان الله.

الحلقة الثالثة والعشرون

تفسير سورة البقرة من الآية ١٩٤ الى الآية ٢١١

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، وهذه الحلقة الثالثة والعشرون من برنامج قرآننا والكلام متواصلٌ في بيان معاني سورة البقرة، آخر آية وقفت عندها هي الآية الثالثة والتسعون بعد المئة من آيات سورة البقرة، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَقَاتِلوهُم حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَوا فَلاَ عُدوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وآخر أية ذكرتها ما جاء في روايات أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم في بيان أفقٍ من أفاق هذه الآية حيثُ كانت الإشارة في الروايات إلى أن الآية الكريمة تشير إلى زمان ظهور إمام زماننا صلوات الله عليه ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ﴾ نفس المعنى الذي تردد في أكثر من آيةٍ من آيات الكتاب الكريم ﴿هُوَ الَّذِي أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ هذا المعنى الذي تردد في ثلاث آياتٍ من آيات الكتاب الكريم هو نفسهُ الإشارة إليه في هذه الآية ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَوا فَلاَ عُدوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الروايات أشارت إلى أن المراد من الظالمين هنا هم ذراري قتلة الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقد تلوت على مسامعكم جانباً من هذه الروايات، فقلت هذا أفقٌ من افاق الآية وإلا ففي الآية أكثر من أفق.

الآية التي بعدها ﴿الشَّهرُ الحَرَامُ بِالشَّهرِ الحَرَامِ وَالحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعتَدَى عَلَيكُم فَاعتَدُوا عَلَيهِ بِمِثلِ مَا اعتَدَى عَلَيكُم وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ المُتَّقِينَ﴾ الحديث هنا عن أن المشركين لو اعتدوا عليكم وبدأوكم القتال في أحد الأشهر الحرم وأن المسلمين كانوا يرون أن دفعهم لا يكون إلا بالقتال في الأشهر الحرم فحينئذٍ يُقاتلون في الأشهر الحرم ﴿الشَّهرُ الحَرَامُ بِالشَّهرِ الحَرَامِ﴾ كما مر علينا في آية القصاص ﴿الحُرُّ بِالحُرِّ وَالعَبدُ بِالعَبدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى﴾ كذلك ﴿الشَّهرُ الحَرَامُ بِالشَّهرِ الحَرَامِ وَالحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ المُقاصة هي المماثلة ﴿الشَّهرُ الحَرَامُ بِالشَّهرِ الحَرَامِ﴾ فإذا كان الاعتداء وكان ابتداءُ القتال في الشهر الحرام فيحل

للمسلمين أن يقاتلوا في الشهر الحرام لأن هؤلاء قد انتهكوا حرمة الشهر فلا حرمة لهم، نحن عندنا في الأحكام الشرعية مثلاً إذا رجل قتل رجلاً خارج الحرم وجاء فاستجار بالحرم خارج الحرم خارج دائرة الحرم قتل رجلاً آخر فاستجار بالحرم دخل إلى الحرم هل نستطيع أن نقيم عليه القتل أن نقتله أن نقيم عليه القصاص لا نستطيع الشريعة تقول يُضيَّق عليه تُضيَّق عليه المعاملة حتى بسبب هذا التضييق في المعاملة يخرج من الحرم حتى يقام عليه الحد يقام عليه القصاص لكن لو أن رجلاً داخل الحرم قتل رجلاً آخر يُقتل لأنهُ انتهك حرمة الحرم فلا حرمة لهذا الرجل بسبب انتهاكه لحرمة الحرم، هذا الحكم في قضية جزئية نفس الحكم أيضاً يكون في القضية الكبيرة إذا كان المشركون قد بدأوا المسلمين بالقتال في الأشهر الحرم، لذلك الآية تقول ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ القضية قضية قِصاص ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ كما يقاتلونكم في الشهر الحرام فإنه يحل لكم أن تقاتلوهم في الشهر الحرام قاتلوكم في الشهر الحرام وتجدون أن دفعهم وأن الانتصار عليهم يكون بمقاتلتهم في الأشهر الحرم فقاتلوهم في الأشهر الحرم.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ الحرمات جمعٌ لحرمة هذه الحرمة قد تكون حرمةً للشهر فيكون هذا الشهر من الأشهر الحرم قد تكون هذه الحرمة للمكان، المسجد الحرام، الحرم، الحرمة هو التقديس الحرمة هو المكان الذي له خصوصية معينة بحيث هناك جملة من الأمور لا يستطيع الإنسان أن يتعداها أو أن يفعلها في دائرة هذه الحرمة، الآية هنا تقول ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ الحرمات قصاص في أي مكان تنتهك الحرمة نستطيع أن نرد على ذلك الشخص الذي انتهك الحرمة أن نرد عليه بنفس الحال التي قد قام به أو قد فعلهُ، إذا كان الاعتداء في الأشهر الحرم يُرد عليه في الأشهر الحرم إذا كان الاعتداء داخل الحرم يرد عليه كذلك عند المسجد الحرام يرد عليه كذلك لأنه هو الذي انتهك الحرمة فلا حرمة له ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ قضية مقاصة قصاص، الآية أعتقد أن معناها واضح لا تحتاج إلى كثير شرح.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ اتقوا الله في أن تبتدئوا أنتم بالاعتداء أو أن تتجاوزوا حدود الاعتداء وإنما أن تردوا على المعتدي بمثل ما اعتدى عليكم، المراد هنا واتقوا الله، اتقوا الله في أنكم لا يحق لكم أن تبتدأوا أنتم بالاعتداء خصوصاً في الأشهر الحرم خصوصاً في الأماكن التي لها حرمة كالمسجد الحرام أو كالحرم وكذلك لو اعتدي عليكم بانتهاك هذه الحرمة ردوا ولكن ردوا بنفس مقدار الاعتداء فإن هذه الحرمات إنما تقع تحت هذا القانون:

﴿ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ .

﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ لأنكم إذا لم تردوا الاعتداء عليه فإنه سيتمادى وهذه قضية طبيعية، المعتدي الذي ينتهك الحرمات ويشرع ويبتدئ بالاعتداء إذا لم يتلقى رداً كالأمر الذي قام به فإنه سيتمادى في غيه وفي اعتدائه ﴿ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وأنا قلت المعنى الحقيقي للتقوى هي ولاية عليٍّ صحيح هذا المعنى الظاهر الالتزام بالواجبات الشرعية والانتهاء عن المحرمات الشرعية كما قال سيد الأوصياء أن يجدك الله في مواضع طاعته وأن يفتقدك من مواضع معصيته، التقوى التي هي الورع أن يكف الإنسان عن المحارم وأن يأتي بما يريده الله منه هي هذه التقوى، هذا المعنى من التقوى هو المعنى المعروف عند المسلمين لكن المعنى الحقيقي المعنى الأعمق للتقوى هي ولاية عليٍّ وآل علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قطعاً هذه المعاني العميقة للتقوى ما كان المسلمون يعرفونها، القلائل منهم أمثال سلمان أمثال عمار هؤلاء كانوا يعرفون هذه الحقائق.

﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ وانفقوا في سبيل الله هذا الانفاق للجهاد في سبيل الله لأن الآيات السابقة كانت تتحدث عن الجهاد تتحدث عن القتال الآية التسعون بعد المئة ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ الآية التي بعدها ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ إلى آخر الآية، الآية التي بعدها ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ الآية التي بعدها ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ هذه الآيات كلها تتحدث عن قتال عن دفاع عن جهاد والقتال والدفاع والجهاد يحتاج إلى الانفاق لذلك الآية هنا تتحدث عن الانفاق في سبيل الله عن الانفاق للجهاد ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ التهلكة هو المصير المجهول للإنسان، المصير الذي قد يودي به إلى الهلاك، التهلكة هو المصير المجهول المصير الذي لا يأمن الإنسان فيه عاقبة أمرِه ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أنفقوا أموالكم مؤازرةً لرسول الله مؤازرة للجهاد مؤازرةً للدفاع عن الإسلام أنفقوا هذه الأموال في سبيل الله ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ يعني أنكم لو لم تنفقوا فإنكم ستلقون بأيديكم بأنفسكم إلى التهلكة، الهلاك هنا في عدم الانفاق قد يتصور البعض أنه

لو أنفق أمواله في سبيل الله فإن ذلك قد يقودهُ إلى الخسارة قد يقوده إلى الهلاك ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ وإن كان طبعاً عندنا في بعض الروايات في وجهٍ من الوجوه في هذه الآية أن الإنسان إذا أنفق فلا ينفق كل ما عنده وإنما فليكن من المقتصدين من المدبرين وإلا إذا أنفق كل ما عنده في سبيل الله حينئذٍ من الذي سينفق عليه، أن ينفق في سبيل الله أن يكون عنده الاستعداد أن يضحي بكل ما يملك ولكن في ضمن دائرة المنطق وفي ضمن دائرة المعقول وفي ضمن دائرة التدبير في بعض الروايات إن الله يحب المحسنين إن الله يحب المقتصدين، المقتصدين في الإنفاق ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ يعني أنكم لو لم تنفقوا في سبيل الله فإنكم تلقون بأيديكم إلى التهلكة.

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا﴾ أحسنوا في الإنفاق الإحسان في الإنفاق كما قلت قد يكون في بعض الأحيان في الاقتصاد في الإنفاق وفي تدبير الأمور وفي بعض الأحيان قد يكون الإحسان في الإنفاق أن الإنسان يضحي بكل ما عنده الإحسان في الإنفاق أن الإنسان ينفق من أفضل ما عنده، الإحسان في الإنفاق أن الإنسان ينفق ويعطي ما تكون له الحاجة والضرورة بنحوٍ أكثر، الإحسان في الإنفاق له صور عديدة قد يكون الإحسان في الاقتصاد في بعض الأحيان قد يكون الإحسان في التضحية بكل شيء في بعض الأحيان قد يكون الإحسان في الإنفاق أن الإنسان ينفق من افضل ما يحب ويعطي أحسن ما عنده وقد يكون كذلك الإحسان في الإنفاق هو من جهة بذل الأموال وإعطاء ما فيه الضرورة ما فيه الحاجة ما فيه الرغبة الشديدة الملحة ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

ثم الآيات تنتقل من حالة القتال والجهاد والإنفاق في هذا الطريق إلى الحج ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ هذه هي الآية السادسة والتسعون بعد المئة ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ الحج واجبٌ على الإنسان مرة في عمره وكذلك العمرة واجبة على الإنسان مرة في عمره يجب على الإنسان المسلم أن يعتمر مرة في العمر العمرة الواجبة ويجب على الإنسان كذلك أن يحج الحجة الواجبة حجة

الإسلام، بالنسبة للذين حكمهم حج التمتع فإنهم يأتون بالعمرة مع الحج كما هو المعروف لأكثر المسلمين الذين يكون حجهم حج التمتع وهم البعيدون عن مكة البعيدون عن الحرم البعيدون عن المسجد الحرام، طبعاً عندنا في الروايات إن من تمام الحج وتمام الحج كمال الحج لقاء الإمام الروايات تقول – تمام الحج وكمال الحج لقاء الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه – طبعاً هذه الروايات ناظرة الى زمان أئمتنا حينما كان الشيعة يستطيعون أن يلتقوا بأئمتهم فالروايات تتحدث عن هذا المعنى أن من حكم الحج ومن منافع الحج ومن أسرار الحج هي لقي الإمام وتجديد العهد وتجديد الميثاق وتجديد اللقاء به صلوات الله وسلامه عليه على أي حالٍ نحن والآية وما فيها من تفاصيل وأحكام.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أتموا الحج والعمرة لله بكل مناسكها بكل شروطها أتموا الحج بكل مناسكهِ بكل أجزائه، وأتموا العمرة بكل مناسكها بكل أجزائها ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ لله أخلصوا في نيتكم في إتيانكم لحجكم ولعمرتكم ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ المراد هنا من الإحصار أو من الحصار إما أن يصاب الإنسان بمرض والمرض يعتقل الإنسان بحيث لا يستطيع أن يُتم حجه طبعاً الكلام هنا عن الذي أحرم من الميقات ودخل إلى الحرم وذهب إلى مكة وبعد ذلك أصابه ما اصابه من مرض وهذا المرض اعتقله بحيث لا يستطيع أن يُكمل المناسك بقدرته البدنية أو أن يكون هناك عدو قد منعهُ هناك مانع منعهُ هناك شيء منعه بحيث لا يستطيع أن يواصل الإتيان بأفعال الحج ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ في الحالة الطبيعية ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ في الحالة الطبيعية أن الإنسان بكامل صحتهِ ولا توجد هناك مشاكل لا توجد هناك معوقات تحول فيما بينه وبين الإتيان بالمناسك الكاملة للعمرة وللحج فالآية تقول أتموا مناسككم ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ لكن إذا كان هناك مانع كالمرض أو العدو ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ ما تتمكنون أن تقدموا من الهدي هذا الهدي أن ترسلوه لكي يُذبح في موضعهِ أين يُذبح؟

يُذبح في منى ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ ثم الآية تقول ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ إلى المكان الذي يذبح فيه الهدي إلى منى، الآية تتحدث عن حالتين: الحالة الأولى أن الإنسان قادر على الإتيان بكل المناسك ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ الحالة الثانية إذا وقع الإنسان في حالة حصار المرض أو حصار العدو بحيث لا يستطيع أن يُتم المناسك فعليه أن يُرسل الهدي والمراد من الهدي الذبيحة شاة أن يُرسل شاة أو بقرة أي شيء لكن الآية تقول ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ يعني ما استطاع أن يُرسله من

الهدي ولا يحق له أن يحلق رأسه حتى يبلغ الهدي إلى محله في زماننا هذا موجود الآن أجهزة الاتصال لكن مثلاً في الأزمنة القديمة هم يتفقون الجماعة الذين يأخذون هذا الهدي يقولون مثلاً نحن في الساعة الكذائية في الوقت الكذائي نصل إلى ذلك المكان فوفقاً لِما اتفق صاحب الهدي مع أولئك الذين يأخذون الهدي فيوصلونه إلى منى بحسب الميعاد الذي صار فيما بينهم يستطيع بعد الميعاد أن يحلق رأسه ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ أما الذي لا يستطيع أن يترك الشعر على رأسهِ هو يريد أن يحلق رأسه قبل أن يصل الهدي إلى محله إما لمرض هناك مرض في رأسه بحيث لا يستطيع أن يترك الشعر في رأسه لابد أن يحلق شعر رأسه أو به اذىً الأذى كما في الروايات هذا خصوصاً في الأزمنة القديمة يعني العرب في الأزمنة القديمة مثلاً في زمان النبي صلى الله عليه وآله مرَّ على أحدهم على أحد الأنصار لَمَّا كان في حجة الوداع النبي صلى الله عليه وآله وهو كعب بن عجرة فرأى أن الهوام القُمَّل يتناثر من رأسهِ فقال تؤذيك هوامك؟ قال بلى يا رسول الله فالنبي صلى الله عليه وآله أجاز له أن يحلق رأسه بسبب هذا الأذى الأجواء الحارة والأتربة وقلة الماء وعوامل أخرى وشظف العيش عوامل أخرى عديدة قد ينتشر القُمَّل والحشرات بعض أنواع الديدان في الشعر فتسبب له الأذى فالآية هنا تتحدث عن هذا وعن غيرهِ ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ فيجوز له أن يحلق رأسه حتى قبل أن يصل الهدي إلى محله لكن عليه أن يدفع فدية هذه الفدية في مقابل حلق شعر الرأس قبل أن يصل الهدي إلى محله ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ .

بحسب الروايات يعني من حلق شعر رأسه قبل أن يصل الهدي إلى محله لمرضٍ أو لأذىً لأي سببٍ من الأسباب فعليه أن يدفع فدية هذه الفدية إما صيام وفي الروايات هذا الصيام صيام ثلاثة أيام أو صدقة وفي الروايات أن الصدقة هذه إطعام ستة مساكين أو نُسُك والنسك في الروايات شاة يعني أن يذبح شاة ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ وحلق رأسه ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾ ثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ إطعام ستة مساكين ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ يعني أن يذبح شاة ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ إذا أمنتم يعين فُكَّ عنكم الحصار كان هذا الحصار من المرض أو من العدو ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ باعتبار أن الإنسان أولاً للذين يحجون حج التمتع أولاً في البداية هو يعتمر ثم يتحلل يتمتع متعة الحج ماهي؟ أن الإنسان بعد العمرة يتحلل من إحرامهِ وبعد ذلك بعد ذلك بفترة يحرم للحج ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ

الهَدي﴾ فعليه أيضاً أن يقدم الهدي ﴿فَمَن لَّم يَجِد﴾ بالنسبة لهذا الذي ما وجد هدياً ﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبعَةٍ إِذَا رَجَعتُم تِلكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ هناك صيام على جزئين الجزء الأول أن يصوم ثلاثة أيام في الحج بحسب الروايات هو مخير إما أن يصوم ثلاثة أيام قبل العيد يعني يصوم اليوم السابع واليوم الثامن وهو يوم التروية واليوم التاسع وهو يوم عرفة إما أن يصوم هذه الأيام الثلاثة أو يصوم بعد أيام التشريق ثلاثة أيام ﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبعَةٍ إِذَا رَجَعتُم﴾ وسبعة أيام يصومها عند أهلهِ ﴿تِلكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّم يَكُن أَهلُهُ حَاضِرِي المَسجِدِ الحَرَامِ﴾ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُن أَهلُهُ: يعني ليس من سكان مكة ولذلك الآية هنا تتحدث عن حج التمتع وهذه هي الآية التي شرعت بشكل واضح لحج التمتع لأن الحج عندنا هناك حج القران وحج الإفراد وحج التمتع هذه الآية تتحدث عن حج التمتع التفاصيل هذه مذكورة في الرسائل العملية أو في كتب مناسك الحج وربما الذين وفقوا لحج بيت الله الحرام يعرفون هذه التفاصيل بشكلٍ عملي ثم تقول الآية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ التقوى مطلوبة في كل الأحوال.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ اتقوا الله في كل هذه الأجزاء في كل هذه التفاصيل بشكل سريع أمر على الآية ﴿وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمرَةَ لِلَّهِ﴾ بكل مناسكهما ﴿فَإِن أُحصِرتُم﴾ بسبب المرض أو بسبب عدو ﴿فَمَا استَيسَرَ مِنَ الهَدي﴾ قدموا الهدي ﴿وَلَا تَحلِقُوا رُؤُوسَكُم حَتَّى يَبلُغَ الهَدي مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَو بِهِ أَذًى مِّن رَّأسِهِ﴾ يحق له يجوز له أن يحلق حتى وإن لم يكن قد بلغ الهدي محله لكن عليه أن يدفع فدية ﴿فَفِديَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾ ثلاثة أيام ﴿أَو صَدَقَةٍ﴾ إطعام ستة مساكين ﴿أَو نُسُكٍ﴾ شاة ﴿فَإِذَا أَمِنتُم﴾ إذا أرتفع الحصار لا توجد هناك مشكلة ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالعُمرَةِ إِلَى الحَجِّ﴾ اعتمر ثم حل الإحرام تمتع ثم أحرم إلى الحج فعليه أن يقدم الهدي ﴿فَمَا استَيسَرَ مِنَ الهَدي فَمَن لَّم يَجِد﴾ إذا لم يكن عنده المال الذي يشتري به الهدي ﴿فَمَن لَّم يَجِد فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ﴾ إما ثلاثة أيام قبل العيد السابع والثامن والتاسع وأما ثلاثة أيام بعد أيام التشريق.

أيام التشريق هي اليوم الحادي عشر الثاني عشر الثالث عشر من ايام ذي الحجة باعتبار اليوم العاشر هو يوم العيد الأيام الثلاثة التي تأتي بعد يوم العيد هي هذه التي تسمى بأيام التشريق ﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ

﴿وَسَبعَةٍ إِذَا رَجَعتُم﴾ إلى موطنكم ﴿تِلكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّم يَكُن أَهلُهُ حَاضِرِي المَسجِدِ الحَرَامِ وَاتَّقُوا اللّه﴾ التقوى مطلوبة في جميع الأحوال ﴿وَاعلَمُوا أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ الآية التي بعدها ﴿الحَجُّ أَشهُرٌ مَّعلُومَاتٌ﴾ ما المراد من الآية هنا ﴿الحَجُّ أَشهُرٌ مَّعلُومَاتٌ﴾ اشهر الحج في فقه أهل البيت هي ثلاثة شوال وذو القعدة وذو الحجة طبعاً ذو الحجة ليس بكاملهِ لأن الحج تنتهي مناسكهُ بانتهاء أيام التشريق يعني البعض من شهر ذي الحجة هذه هي الأشهر المعلومات ﴿الحَجُّ أَشهُرٌ مَّعلُومَاتٌ﴾ الأشهر المعلومات شوال، ذو القعدة، ذو الحجة، يعني إلى ما بعد أيام التشريق إلى نهاية أيام التشريق من ذي الحجة ما المراد أشهرٌ معلومات يعني الإنسان بإمكانهِ أن يُحرم من أول شوال لكن عليه أن يبقى محرماً حتى يأتي وقت عرفة الموقف وسائر التفاصيل الأخرى.

﴿الحَجُّ أَشهُرٌ مَّعلُومَاتٌ﴾ يعني في هذه الأشهر يستطيع الإنسان أن يأتي بمناسك الحج ولكن بعض المناسك موقتة بيوم وهو مثلاً الوقفة في عرفة لابد أن تكون في اليوم التاسع من ذي الحجة وبعد ذلك المناسك التي تأتي بعد عرفة ﴿الحَجُّ أَشهُرٌ مَّعلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ﴾ فرض فيهن الحج يعني فرض فيهن الحج على نفسهِ أوجب الحج على نفسه هذا الإيجاب إما هو بالإيجاب الشرعي أو لا هو يريد أن يحج حجاً مندوباً لكنه قرر على نفسهِ أن يأتي بالحج المندوب ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ﴾ من فرض فيهن الحج من قرر على نفسه من اتخذ قراراً أن يأتي بالحج سواء كان هذا الحج حجاً واجباً أو حجاً مندوباً ﴿الحَجُّ أَشهُرٌ مَّعلُومَاتٌ﴾ مناسك الحج فقط في هذه الأشهر في شوال في ذي القعدة في ذي الحجة يعني يستطيع الإنسان في شهر شوال أن يحرم من الميقات ويبقى في مكة ويبقى في إحرامه حتى تأتي أيام الحج أيام عرفة وما بعدها ﴿الحَجُّ أَشهُرٌ مَّعلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ﴾ الرفث مرَّ علينا في الآية السابعة والثمانون بعد المئة ﴿أُحِلَّ لَكُم لَيلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُم﴾ والرفث في هذه الآية المقاربة مقاربة النساء فهو نفس الكلام هنا ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ﴾ يعني في حال الإحرام ﴿فَلاَ رَفَثَ﴾ هذه من الممنوعات على المحرِم ﴿فَلاَ رَفَثَ﴾ فلا مقاربة للنساء ﴿وَلاَ فُسُوقَ﴾ الفسوق هو السباب الكذب الكلام الفاحش ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ﴾ يعني لا كذب ولا سباب ﴿وَلاَ جِدَالَ﴾ الجدال أيضاً

من الممنوعات ما المقصود من الجدال وهو أن يدخل الإنسان في جدالٍ كما تقول الروايات فيقول لا والله بلى والله ويستعمل هذه التعبيرات في مجادلاتهِ مع آخرين هذا من الممنوعات في الحج ما يسمى بتروكات الإحرام تروكات الإحرام هي هذه هناك مجموعة معروفة في الكتب الفقهية تسمى بتروكات الإحرام لمن أحرم ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ﴾ فلا مقاربة للنساء ﴿وَلاَ فُسُوقَ﴾ لا سباب ولا كذب ﴿وَلاَ جِدَالَ﴾ لا أن يدخل في جدلٍ في القول فيُكثر من القول بلى والله، لا والله.

﴿وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أنتم في مقام العبادة أنتم في مقام الطاعة فما تفعلوا من خيرٍ فإنهُ لكم ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ وتزودوا يعني في هذه البقاع المقدسة في هذه الأوقات المقدسة في هذه العبادة التي لها خصوصية تزودوا من زمانكم من مكانكم من الأجواء التي تعيشونها وتجنبوا الرفث والفسوق والجدال ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ وكما قلت أن التقوى في معناها الحقيقي هي ولاية عليٍّ وآل علي ولكن لهذه الولاية مظاهر الحج من مظاهر هذه الولاية الصلاة من مظاهر هذه الولاية ذكر الله هي من مظاهر هذه الولاية فالولاية هي ذكر الله الأكبر فهذا الذكر اللساني هو الذكر الأصغر ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ هذا التكرار التقوى أتقونِ المتقون كل ذلك يشير على نفس الحقيقة ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ يا اصحاب العقول لماذا الخطاب لأصحاب العقول؟ ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ لأن الذين لا يرجعون إلى عقلٍ سليم إلى عقل حكيم فإنهم سيجدون أن الكمال وأن الحياة في هذه الدنيا الفانية، أما اصحاب العقول هم الذين يستطيعون أن يُدركوا قيمة هذه الدنيا وقيمة ما فيها ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ .

الآية التي بعدها ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الجناح هو الإثم ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية هنا تتحدث أنهُ إذا ما أتممتم مناسككم فليس عليكم من جناح أن تتاجروا أن تبيعوا أن تعملوا بالتجارة ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً﴾ تبتغوا أن تطلبوا فضلاً من ربكم والكلام هنا عن التجارة، الروايات هكذا شرحت هذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إذا ما أتممتم مناسككم بشكلها الصحيح وإذا ما أتممتم العمرة والحج لله فليس عليكم جناح، الآيات ماذا قالت؟

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ إذا ما أتممتم الحج والعمرة لله ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ ﴾ فإذا أفضتم الإفاضة هو الخروج يعني إذا خرجتم من عرفات، عرفات متى يكون فيها الموقف في اليوم التاسع من ذي الحجة، ويبقى الموقف في عرفات إلى نهاية اليوم إلى الغروب.

﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّن عَرَفَاتٍ ﴾ يعني بعد الغروب إذا خرجتم من عرفات ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ الإفاضة أين تكون؟ من عرفات الى المشعر الحرام، المشعر الحرام هو الذي دائماً تسميه الناس بالمزدلفة حيث يزدلف الناس لماذا سميت بالمزدلفة؟ يزدلف الناس إلى ذلك المكان يتجهون إليه.

﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّن عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾ فهناك إفاضة الإفاضة من عرفات بعد الغروب إلى أين تكون هذه الإفاضة؟ الاتجاه إلى المزدلفة إلى المشعر الحرام، الآية هنا تقول ﴿ وَاذْكُرُوهُ ﴾ أذكروا الله في هذه البقاع، أذكروا الله عند المشعر الحرام، اذكروه كما هداكم اذكروا نعمة الهداية، الحمد لله الذي هدانا لهذا، الحمد لله الذي هدانا لهذا، الهداية منه سبحانه وتعالى وما كنا نهتدي لولا أن هدانا الله لأن الهداية منه وإليه جلت قدرتهُ وتعالى شأنه العزيز.

﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّن عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾ من دون هدايتهِ فنحن إلى أين نتجه؟ نتجه إلى الضلال الهداية والفضل والكرامة هي منه سبحانه وتعالى، الآية التي بعد هذه الآية هي هذه الآية قالت ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ ﴾ لكن الآية التي بعدها كأنها تشرح شيئاً يتعلق بالإفاضة ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ هي الإفاضة إنما تكون من عرفات والآية السابقة قالت ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّن عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ الآية التي بعدها ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الآية هنا تريد أن تشير إلى قضية أبتلي بها جمعٌ من الناس هذه القضية أن قريش وأحلاف قريش مجموعة من القبائل طبعاً الحج مناسك الحج في الجاهلية كانت قريبة من هذه المناسك لأنه أساساً هذه المناسك هي من الديانة الإبراهيمية من الديانة الحنيفية هذه المناسك هي المناسك التي جاء بها إبراهيم عليه السلام، فمناسك إبراهيم بقيت عند العرب والديانة الحنيفية ضاع الكثير منها والناس اتجهت لعبادة الأصنام لكن بقي أيضاً شيء في أيدي الناس في أيدي العرب من الديانة الإبراهيمية الكثير من مناسك وشؤونات الحج كانت موجودة، أولاً هناك من العرب من الأحناف على الديانة الحنيفية وكان يؤدون المناسك وفقاً لديانتهم الحنيفية والذين يعبدون الأصنام أيضاً كانوا يؤدون الحج

بمناسك قريبة من مناسك الحج الإبراهيمي فقريش ومجموعة من القبائل التي تحالفها ما كانوا يفيضون من عرفات كبقية الحجاج كانوا يفيضون من المشعر الحرام يقولون نحن أهل الحرم ولنا خصوصية فلا نذهب إلى عرفات نحن اهل الحرم ونحن أولى بالحرم نحن أولى بالبيت ونحن قريبون من البيت فالإفاضة إفاضتهم تكون من المشعر الحرام وهذا شيءٌ هم ابتدعوه لذلك الآية هنا ماذا تقول؟ تقول:

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِن حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ مُراد من الناس بشكل عام طبعاً في الروايات من حيث أفاض الناس المقصود من الناس هنا من حيث أفاض إبراهيم وإسماعيل وإسحاق في بعض روايات أهل البيت ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِن حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ الروايات قالت الناس هنا المراد منها إبراهيم وإسماعيل وإسحاق يعني أفيضوا من حيث أفاض إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وهي إفاضتهم من عرفات وفي روايات أخرى لَمَّا جاء هذا السائل يسأل أمير المؤمنين ما الناس يا أمير المؤمنين؟ أمير المؤمنين ألتفت إلى الإمام الحسين عليه السلام قال أجبهُ يا بني قال الناس نحن ثم قرأ هذه الآية ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِن حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ قال الناس هنا رسول الله هو الذي عَلَّمَ الناس الإفاضة، فهو أفاض بهم من عرفات، الناس هنا رسول الله ونحن ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِن حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ يعني من عرفات ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ أيضاً هنا ذكرٌ مغفرةٌ عند عرفات عند الإفاضة عند المشعر الحرام هناك ذكرٌ متواصل مرَّ علينا قبل قليل ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ ومن أوضح مصاديق التزود هو الذكر والذكر على كل حالٍ فهو حسن ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِن حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ .

الآية التي بعدها وهي الآية المئتان ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ مناسك جمع منسك ومناسك الحج معروفة والتي مرت، والتي مرت الإشارة إليها في الآيات التي تناولتها في هذه الحلقة من هذا البرنامج ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ لماذا جاء هنا ذكر الآباء؟ جاء هنا ذكرُ الآباء لأن قريشاً ولأن العرب وخصوصاً مشايخهم زعمائهم كبارهم كانوا إذا ما أتموا مناسك الحج جلسوا يتفاخرون بآبائهم كل واحد يقول كان أبي كذا وكذا كان جدي كذا وكذا، القرآن هنا يخاطب الحجاج يقول لا تفعلوا كهؤلاء فإذا قضيتم مناسككم لا تنشغلوا بذكر أهاليكم بذكر آبائكم فاذكروا الله أنتم بحاجة إلى أن تتزودوا

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقوَى ﴾ . ﴿ فَإِذَا قَضَيتُم مَّنَاسِكَكُم فَاذكُرُوا اللّهَ كَذِكرِكُم آبَاءكُم أَو أَشَدَّ ذِكرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلاَقٍ ﴾ هؤلاء الذين هم ليس من أولي الألباب أنا قبل قليل قلت لماذا الخطاب في القرآن دائماً يا أولي الألباب ﴿ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلبَابِ ﴾ كما في الآية السابعة والتسعين بعد المئة لأن أولي الألباب هم الذين يتبصرون بعواقب الأمور هم الذين يعرفون قيمة الحياة وقيمة الدنيا وقيمة العمر أولوا الألباب هم الذين يعرفون كيف يصرفون هذا العمر في أي مجال في أي باب، أليس الأحاديث عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ماذا تقول الأحاديث تقول بأن عمر الإنسان هو رأس ماله في هذه الحياة عمر الإنسان رأس ماله ألا يجب على التاجر أن يحافظ على رأس ماله؟ وفي نفس الوقت أيضاً النبي أخبرنا بان هذه الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر فيها آخرون إذاً نحن في سوق وعندنا رأس مال ورأس المال أعمارنا فكيف نصرف رأس المال هذا؟ لذلك الخطاب دائماً في القرآن مع أولي الألباب.

أولوا الألباب هم الذين يعرفون كيف يصرفون هذا العمر أعمرانا تذهب سدى أوقاتنا تذهب سُدىً ووالله ما من وقتٍ يُصرف فينتفع منه الإنسان إلا إذا كان في فناء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لذلك الروايات تحدثنا إن الإنسان إذا جلس في مجلس لم يُذكر فيه ذكرٌ لله سبحانه وتعالى ولم يذكر فيه ذكرٌ للنبي وآل النبي فإن هذا المجلس يكون وبالاً عليه يوم القيامة ما أجمل بالإنسان أن تبيَّضَ لحيتهُ وأن يبيَّضَ رأسهُ في خدمة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد هنيئاً لأولئك الذين قضوا حياتهم في خدمة الحسين هناك شريحة كبيرة من شيعة أهل البيت يتشرفون بهذا الوسام بهذا العنوان خُدام الحسين هؤلاء قضوا شطراً كبيراً من حياتهم يقضون شطراً كبيراً من أوقاتهم في خدمة الحسين هنيئاً لهم، هذه هي الأوقات الثمينة التي تبقى لهم، هذا هو الرصيد النافع، أيُّ شيءٍ في خدمة أهل البيت، أيُّ شيءٍ في خدمة الحسينِ وآل الحسين هو هذا الرصيد النافع، نحن هنا نتحدث عن عرفات في رواياتنا الشريفة في كامل الزيارات وفي غيرهِ:

إن الله ينظر إلى زوار الحسين في يوم عرفة قبل أن ينظر إلى الواقفين عند عرفات – في يوم عرفة في اليوم التاسع حيث يقف الحجاج عند جبل عرفات الروايات تقول – **إن الله ينظر إلى زوار الحسين** – باعتبار هناك زيارة مخصوصة في يوم عرفة لسيد الشهداء – **إن الله ينظر إلى زوار الحسين في يوم عرفة قبل أن ينظر إلى الواقفين هناك حين يسألون الإمام ما السر في ذلك؟ قال: إن هؤلاء ما فيهم ولد زنا** – الذين في كربلاء ما فيهم ولد زنا، لا يبغضك يا علي الا ابن زنا، الإمام يريد أن يشير إلى هذا المعنى ﴿ فَإِذَا قَضَيتُم مَّنَاسِكَكُم فَاذكُرُوا اللّهَ كَذِكرِكُم آبَاءكُم أَو أَشَدَّ ذِكرًا ﴾ أشد، أشد ذكراً إما هو المراد أشد ذكراً يعني أن الإنسان ينشغل بوقتٍ أطول يعني الإشارة إلى كمية الذكر إلى كثرة الذكر أو أن المراد أشد ذكراً أن

المراد يعني العيش أن الإنسان يعيش مع ذكر الله بدرجةٍ أشد وأقوى من أولئك الذين يعيشون مع ذكر آبائهم وأهاليهم، الشدة هنا في الذكر أما المراد لكمية الذكر يعني هي المساحة الوقتية التي يقضيها الإنسان في الذكر أو المراد للحالة النفسية التي يعيشها الإنسان وقطعاً الاثنان مطلوبان ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ يريد فقط أن ينال في الدنيا أن ينال الراحة أن ينال الصحة أن ينال السمعة الطيبة أن ينال البيوت الفارهة أن ينال السيارات الفاخرة أن ينال الأموال وينال وينال ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ يعني هذه الحالة النفسية له ليس بالضرورة أن يدعو الله بهذه الأمور قطعاً هناك من الناس من يدعو الله بهذه الأمور لكن المقصود أن هناك من الناس من فكرتهُ في الحياة رسالتهُ في الحياة هي هذه أن ينال أكبر قدرٍ ممكن من هذه الدنيا.

﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ خلاق يعني نصيب حظ، كما هو في الأحاديث – **إن الدنيا حرامٌ على أهل الآخرة وإن الآخرة حرامٌ على أهل الدنيا وكلاهما حرامٌ على أهل الله** – ﴿آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ من خلاق يعني من نصيب من حظ، أصلاً هو لا يفكر في هذا الأمر ولو فكر فيه فبشكلٍ عرضي، هو يستيقظ من اول النهار إلى أن ينام وكذلك حتى ورأسه على الوسادة فكرهُ فيما يستطيع أن يجمعهُ من شؤون هذه الدنيا وكل مشاكلهِ وكل خصوماتهِ وكل نزاعاتهِ إن كان داخل البيت أو خارج البيت إن كان في محل العمل أو حتى في المسجد حديثهُ ليل نهار في هذه القضية كذلك الذي هناك حادثة يقولون هناك شخص يقضي بقال يقضي نهارهُ وليله في أي وقت؟ هو يمسك بورقة وقلم ويحسب يحسب ماذا؟ يحسب ما باعهُ وما اشتراه وما ربحه وما له من دَين وما عليه يحسب أمواله دائماً يحسب ثلاثة وأربعة سبعة، سبعة وتسعة ستة عشر، ستة عشر واثنين ثمان عشر يروح تسعة تسعة، ودائماً يحسب بهذه الطريقة يقولون عند الممات لَمَّا جاءت ساعة الاحتضار وبدأوا يلقنونه كان الملقن يلقنه قل لا إله إلا الله ماذا كان يجيب؟ يجيب سبعة وتسعة ستة عشر يروح من عندهن خمسة أحد عشر، أحد عشر وثلاثة أربعة عشر، يحسب، الملقن يقول له قل لا إله إلا الله قل مُحَمَّدٌ رسول الله قل عليٌّ ولي الله جواب هذا التلقين ستة وسبعة ثلاثة عشر، ثلاثة عشر وثمانية واحد وعشرين، واحد وعشرين وستة سبعة وعشرين فقضى حياتهُ إلى أن مات مع هذه الأرقام.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ وهؤلاء الذين لا يملكون عقولاً أصحاب العقول أولى الألباب الذين يعرفون قيمة الدنيا يتعاملون مع الدنيا بحدود قيمتها ينتفعون منها يتمتعون فيها لا ضير في

ذلك فليتمتع الإنسان في هذه الدنيا لكن ان يكون تفكيره منصباً من أوله إلى آخره لأجل تحصيل هذه الدنيا فليجمع الأموال الطائلة لا ضير في ذلك هو يستطيع أن يجمع الأموال الطائلة وينتفع من هذه الأموال الطائلة في خدمة دينه في خدمة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد هو يستطيع أن يمتلك العقارات الضخمة والكبيرة لا إشكال في ذلك ليس الإشكال في المقدار الذي يمتلكه الإنسان الإشكال في التفكير الإشكال في الرؤيا الإشكال في المفهوم لذلك الكلام مع أولي الألباب لا مع أولي الجيوب لأن أرباب العقول يستطيعون أن يملكُ الشيء الكثير من الدنيا لكنهم يعرفون كيف يتعاملون بالنحو الفكري كيف تكون نواياهم.

﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَاقٍ * وَمِنهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ هذه مجموعة ثانية وهي المجموعة الممدوحة هناك عندنا مجموعتان المجموعة الأولى ماذا يقولون؟ ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَاقٍ ﴾ هذه مجموعة خاسرة المجموعة الثانية وهي المجموعة الرابحة ﴿ وَمِنهُم ﴾ من الناس ﴿ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ما هي هذه الحسنة في الدنيا؟ وما هي هذه الحسنة في الآخرة؟ المعنى الأعمق لهذه الحسنة هي ولايةُ عليٍّ لأنها هي الحسنة التي لا تضرُ معها سيئة.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ ونفس هذه الحسنة تبقى معنا لأن الإنسان يمكن أن يسلب منه الإيمان عند موته أو يمكن أن يسلب منه الإيمان في مقطعٍ من مقاطع حياته ولذلك نحن نطلب من الله سبحانه وتعالى إيماناً لا أجل له دون لقاءك كما نقرأُ ذلك في دعاء أبي حمزة الثمالي الدعاء الذي يقرأ في مثل هذه الليالي في مثل هذه الأيام نسأل الله إيماناً: **اللهم إني أسألك إيماناً لا أجل له دون لقاءك**. يعني يبقى هذا الإيمان ثابتاً في القلب مع الإنسان حتى يموت وبعد أن يموت هو هذا الدعاء المعروف بدعاء العديلة لماذا يسمى بدعاء العديلة؟ ما المراد من العديلة؟ الآن هذا الدعاء معروف حينما يكون الإنسان في حال الاحتضار يُقرأ عنده دعاء العديلة هناك عندنا في الأدعية المروية عن المعصومين: **اللهم إني أعوذ بك من العديلة عند الموت**. أعوذ بك من العديلة عند الموت أن الإنسان عند الموت يعدل عن دينه إلى دينٍ آخر – **اللهم إني أعوذ بك من العديلة عند الموت** – نلجأ إلى الله أن يحمينا أن يعيدنا من العديلة وهو أن تصيبنا العديلة ما هي العديلة؟ أن الإنسان يعدل من دينه إلى دينٍ آخر فهذا الدعاء هو تلقين تثبيت يسمى بدعاء العديلة يعني لدفع العديلة دعاء العديلة يُقرأ لأي شيءٍ؟ لدفع ضرر العديلة وهي الحالة التي قد يبتلى بها الإنسان عند الاحتضار فيعدل عن دينه ولذلك نحن نقرأ في دعاء أبي

حمزة الثمالي: **اللهم إني أسألك إيماناً لا أجل له دون لقاءك.** لأنه هناك من الإنسان من يكون إيمانه أيمان مستودعاً الإيمانُ إيمانان: إيمانٌ مستقر، وإيمانٌ مستودع، الإيمان المستقر هو الإيمان الذي يبقى مع الإنسان إلى أن يحشر في يوم القيامة أما الإيمان المستودع قد يسلب من الإنسان في فترةٍ من حياته أو عند الموت وهذا موضوع فيه تفاصيل لست الآن أن بصدده لكن الآية تشير إلى هذا المعنى تشير إلى أن هؤلاء يدعون بأي شيءٍ؟ يدعون بهذه الحسنة تبقى معهم في الدنيا وتبقى معهم في الآخرة.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ هي نفس هذه الحسنة غير معرفة بالألف واللام ومنكرة ومنونة ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ نفس هذه الحسنة ﴿ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُم نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾ أولئك لهم نصيبٌ مما كسبوا نصيبٌ مما عملوا مما كسبوه من عمل الطاعات فلهم نصيبٌ من طاعتهم متى؟ في يوم القيامة لا كأولئك ﴿ وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلاَقٍ ﴾ ليس له من نصيب خلاق يعني نصيب من هم أولئك الذين ليس لهم نصيب في الآخرة ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلاَقٍ ﴾ كل همه الدنيا ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا ﴾ هؤلاء لهم في الآخرة نصيب الآية تقول ﴿ وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلاَقٍ ﴾ ليس له من خلاق، خلاق نصيب.

﴿ وَمِنهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُم نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾ هؤلاء ينالون نصيبهم في الآخرة نصيبهم من أين أتى؟ أتى من هذه الحسنة والحسنة هي الولاية ﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ الآية التي بعد هذه الآيات ﴿ وَاذكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعدُودَاتٍ ﴾ لازال الحديثُ عن الحج وعن مناسك الحج.

﴿ وَاذكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَومَينِ فَلاَ إِثمَ عَلَيهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثمَ عَلَيهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعلَمُوا أَنَّكُم إِلَيهِ تُحشَرُونَ ﴾ الحديث هنا عن أيام التشريق أيام التشريق التي تبدأ من بعد يوم العيد يوم العيد له مناسك خاصة معروفة فبعد يوم العيد تأتي أيام التشريق ولها أيضاً شرائطها الشرعية المعروفة أنا لا أريد أن أدخل في تفاصيل مناسك وبالتالي قد يأخذنا الكلام إلى تفاصيل كثيرة وندخل في جزئيات وهذه التفاصيل موجودة في الكتب الفقهية والذين ذهبوا إلى الحج يعرفونها ﴿ وَاذكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعدُودَاتٍ ﴾ هذه

الأيام المعدودات هي أيام التشريق وهو اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شهر ذي الحجة الأيام الثلاثة التي تأتي بنحوٍ مباشر بعد يوم العيد ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ في كل المناسك هناك ذكرٌ لله هناك أمرٌ توصيةٌ نصيحةٌ إرشادٌ للإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى كل ذلك يقع تحت هذه القاعدة: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ . ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ الأيام المعدودات هي هذه الأيام التي أشرتُ إليها ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ يمكن لبعض الحجاج في شروطٍ معينه أن يقضوا يومين من أيام التشريق وبعد ذلك ينفروا يعني يرجعوا إلى مكة وبعد ذلك يمكن أن يسافروا فقد انتهى حجهم ضمن شروط معينة يمكن للإنسان أن يتعجل في يومين وضمن شروط أخرى لابد أن يبقى إلى اليوم الثالث ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ وفقاً للأحكام الشرعية قطعاً ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ﴾ تأخر إلى اليوم الثالث أيضاً ضمن شروط معينة ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ كل هذا الكلام وكل هذه التفاصيل لمن اتقى لمن تلبس بالتقوى أيام التشريق أيامٌ لذكر الله ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ فإذا كان البعض يتعجل أمره في يومين فلا إثم عليه وإذا كان البعضُ يبقى إلى اليوم الثالث كل ذلك حسنٌ ولكن لمن اتقى لصاحب التقوى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ .

هذا التأكيد الدائم على التقوى هذا التأكيد الدائم على المتقين هذا الفعل الذي يأتي كثيراً في القرآن الكريم اتقوا الله التقوى كما قلت في حقيقتها هي ولاية عليٍّ لأن التقوى يعني المانع الحصن حصن الهداية في عالم الدنيا ولايةُ عليٍّ وحصن النجاة في عالم الآخرة ولاية عليٍّ كما في الحديث القدسي: **ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي**. هي هذه التقوى، التقوى هي حصن التقوى درع الله الحصينة كما في كلمات سيد الأوصياء – **التقوى هي درع الله الحصينة** – وفي حديث الإمام الرضا في الحديث القدسي – **ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي** – هذا التأكيد والتركيز على التقوى هو تركيز على هذه الحقيقة نعم المظهر الخارجي للتقوى هو الكف والورع عن محارم الله والإتيان بما أوجبه الله علينا هذا هو مظهرٌ لحقيقة الولاية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ سواء جئتم إلى الحج سواء أفضتم من عرفات سواء بقيتم يومين من أيام التشريق أو بقيتم ثلاثة سواء ذكرتم الله أم لم تذكروا الله سواء فعلتم ما فعلتم أم لم تفعلوا النهايةُ إنكم تحشرون إلى الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ

﴿تُحشَرُونَ﴾ ولربما هذه الالتفاتة الجميلة هنا في هذا الاستعمال هناك تلويح كما أن الناس في الحج يجتمعون من كل مكان من كل البلدان فإن الناس في يوم القيامة يحشرون من كل القبور من كل مكان فلربما هناك تلويح للربط بين معنى الحج ومعنى الحشر في يوم القيامة ﴿وَاعلَمُوا أَنَّكُم إِلَيهِ تُحشَرُونَ﴾ .

الآية التي بعدها ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا﴾ هذا صنف ثالث تقدم الكلام عن صنفين هذا الصنف الثالث ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا﴾ كلامه مزوق جميل وربما لا يتكلم الا بالكلام الشرعي وبالصيغ الشرعية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَيُشهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلبِهِ﴾ وهذا أكثر وأنكى في المعنى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَيُشهِدُ اللَّهَ﴾ وهو أيضاً يشهد الله على ما في قلبه ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ﴾ كيف يشهد الله على ما في قلبه؟ يتكلم ويدعي ويقول، ويقول إن أشهد الله على هذا الأمر بأني أعتقد كذا وأقول كذا وأنوي كذا ولكنه في الحقيقة هو من ألد الأعداء ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ﴾ يعني هو ألد الناس في الخصومة ألد يعني أشد والخصام هو الخصومة يعني هو أشد الناس في الخصومة في العداء ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا﴾ أقواله جميلة مظهرة جميل ﴿وَيُشهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلبِهِ﴾ ولتأكيد هذه المعاني يقول بأني أشهد الله على هذا المعنى الذي يدعيه وهو في الحقيقة شيءٌ آخر ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ﴾ وهو أشد الناس خصومةً وعداوتاً.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرضِ لِيُفسِدَ فِيهَا﴾ إذا ما وصلت الأمور بيده تولى صارت له الولاية على أمرٍ من الأمور ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرضِ لِيُفسِدَ فِيهَا وَيُهلِكَ الحَرثَ وَالنَّسلَ﴾ الحرث هو النبات والنسل المراد من النسل الأطفال الذراري ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرضِ لِيُفسِدَ فِيهَا وَيُهلِكَ الحَرثَ وَالنَّسلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ الحديث هنا عن الفساد وأصل الفساد هو الفساد العقائد أصل الفساد هو الفساد الفكري الفساد الفكري هو يقود الإنسان إلى الفساد في الأرض وإلى الإفساد في الأرض الفساد العقلي والفساد الفكري هو الذي يودي بالإنسان إلى أن يهلك الحرث والنسل الفساد في أصله هو الفساد العقائدي لأن الإنسان تحركه القناعات والقناعات في أصلها في جذورها هي معتقدات أفكار الإنسان عبارة عن مجموعة قناعات وعواطف ما هي حقيقة الإنسان ما الفارق بين الإنسان العاقل والمجنون؟ هل أن العاقل يملك أصابع في

يده أكثر من المجنون؟ أو هل أن العاقل يملك عيون عددها أكثر من عيون المجنون يملك ألسنة أكثر العاقل والمجنون من الجهة المادية نفس الشيء الفارق أن العاقل قناعاته عواطفه منسقة منظمة بنحوٍ من الأنحاء المجنون منظومة قناعاته ومنظومة عواطفه قد ضربت قد اختلت إذاً الإنسان في حقيقته هو عبارة عن مجموعة قناعات وعواطف لا أكثر من ذلك هذه القناعات وهذه العواطف إذا لم تكن منتظمة بشكلٍ سليم وبشكلٍ صحيح ستكون فاسدة ولذلك هذا التركيز على ولاية عليٍّ ولايةُ عليّ هي المحور الذي تنتظم به القناعات والعواطف على أساس ولاية علي نحب ونبغض فحينئذٍ ستنتظم العواطف على أساس ولاية علي سنقيم المسير والطريق الذي نسير فيه فحينئذٍ تنتظم القناعات هذا التركيز والتأكيد في روايات أهل البيت وفي القرآن الكريم على ولاية عليٍّ لأنها المحور لأنها المركز كما أن علياً هو المحور يدور معه الحق حيثما دار ولايته في القلوب هي المحور تدور حولها القناعات وتدور حولها العواطف فتكون سبباً لانتظام القناعات والعواطف الإنسان هو مجموعة قناعات مجموعة عواطف إذا اختلت فسد هذا الإنسان وإذا تولى هذا الشخص ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا﴾ مظهره جميل ألفاظه جميلة خطاباته حسنة ﴿وَيُشهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلبِهِ﴾ لتأكيد أنه على الصواب وهو في الحقيقة ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ﴾ ألد الأعداء ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ إذا ما وصل إلى السلطة.

السلطة ليس فقط الحكومة التي هي على رأس البلدان قد يكون للإنسان سلطة على أسرته سلطة في دائرة صغيرة سلطة في مكان صغير سلطة على دكان ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ وكلٌ بحسبه ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرضِ لِيُفسِدَ فِيهَا﴾ هذا الإفساد من أين ناشيء؟ ناشيء من هذه النية السوداء في قلبه ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ﴾ فقط يعجبك قوله لكن الحقيقة أن قوله أن نيته في داخله نية سوداء ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرضِ لِيُفسِدَ فِيهَا وَيُهلِكَ الحَرثَ وَالنَّسلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ الآية تتحدث عن حالاته وهذا الشخص لماذا خصص له هذا المجال من الآيات؟ لأن هؤلاء هم القادة الحديث هنا عن القادة الحديث هنا عن الزعماء كما قال صلى الله عليه وآله: **صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت الأمة وإذا فسدا فسدت الأمة**. هذان الصنفان هما العلماء والأمراء الحديث هنا عن القادة عن الزعماء عن الكبار.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَيُشهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى﴾ إذا وصل إلى القيادة ﴿سَعَى فِي الأَرضِ لِيُفسِدَ فِيهَا وَيُهلِكَ الحَرثَ وَالنَّسلَ﴾ لا يعبئ بشيء هو يريد أن يحقق

مصالحه ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ الحرث النباتات وطبعاً أريد من الحرث يعني هي أسباب المعيشة وأسباب وجود الإنسان لأن الإنسان من أين يتقوم في حياته؟ يتقوم بالطعام والشراب طعام الانسان من أين يأتي؟ إما من الحيوان وإما من النبات وحتى الحيوانات بأي شيءٍ تتقوم؟ تتقوم بالنبات فحياة الإنسان متقومه بالنبات لذلك جاء ذكر الحرث والنسل هم الأطفال الأجيال الموجودة الآن التي هي عماد المجتمع في العصور القادمة فالذي يهلك النباتات ويهلك الأطفال ماذا يريد؟ يريد أن يهلك كل من على الأرض فالآية هنا تريد أن تشير إلى هذه القضية إلى أن هؤلاء القادة يكونوا سبباً لتدمير حياة الناس.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ إذا وصل إلى السلطة وإلى الولاية ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ لأجل مصالحه الشخصية ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ* وَإِذَا قِيلَ لَهُ﴾ إذا جاءه أحد كي ينصحه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ اتق الله في هذا الذي بيدك اتق الله فيما أنت مسلطٌ عليه اتق الله في ولاية الناس ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ هذا التعبير ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ الأثمُ لا توجد فيه عزة لكن الإنسان يخيل لنفسه أنه له عزة له كرامة فكيف يقال له اتق الله؟ مع العلم هو يعلمُ من نفسه ما يعلم هو فقط في الظاهر في القول قوله جميل كما مر علينا ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هو يكذب على الناس فيقول أشهد الله على ما في قلبي ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ لكن في الحياة العملية إذا تولى ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ فإذا ما انتقده منتقد أو نصحه ناصح ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ الإثم ليست فيه عزة لكن هو يخيل إليه بما أنه هو قائد هو حاكم فهو عزيز وله كرامة ولا يحق لأحدٍ أن ينتقده أو أن ينصحه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ ورد على ناصحه أو رد على منتقده بأنك ليس أهلاً لأن تنتقدني أو لأن تنصحني وأنا في غاية الكمال وما أقوم به من أمر ومن فعل فإن لي فيه مقاصد حكيمة كذا وكذا كما هو حال الكثير من السياسيين الذين يرقعون سيئاتهم وهذا واقع نحن نعيشه في حياتنا اليومية هم يرتكبون المفاسد فإذا ما سئلُ في المؤتمرات الصحفية مثلاً أو في الفضائيات يبدأون يرقعون.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ الأشخاص الذين هم بهذه الأوصاف ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ غايته جهنم هؤلاء أين تكون غايتهم؟ هؤلاء لا يكفيهم لا يجازيهم شيء إلا جهنم ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ

﴿ المِهَادُ ﴾ المهاد هو المكان الذي ينام فيه الإنسان المهاد في أصله هو المكان الذي يوضع فيه الطفل كي ينام ويستقر ﴿ وَلَبِئْسَ المِهَادُ ﴾ يعني ولبئس المكان الذي سيكون مكاناً لراحتهم واستقرارهم أين هو هذا المكان مكان الراحة؟ مكان الراحة سيكون في جهنم يعني هذي النوادي والصالات والقصور والأماكن الفارهة ستتحول إلى مهادٍ محترمٍ أين يكون هذا المهاد؟ في جهنم.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ المِهَادُ ﴾ ولبئس ذلك المكان الذي سيكون مكاناً لنومه ولراحته أين؟ يتقلب في جهنم الآية التي بعدها ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ ﴾ هذا نحوٌ آخر من الناس هذا نحوٌ آخر من أنحاء القيادة الآيات السابقة يعني الآية التي مرت علينا ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلاَقٍ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ هذا بنحوٍ عام لكل الناس قد يدخل فيه القائد والمقود بنحوٍ عام أما هنا ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ ﴾ إلى الآيات التي بعدها هذا الحديث عن القيادات الضالة القيادات التي لا تعمل بالحق وهناك قيادات أخرى.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ﴾ يشري يبيع ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ ﴾ هذه الآية واضحة الدلالة في روايات أهل البيت في كتب التفسير هذه الآية تتحدث عن سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه ليلة مبيته في فراش النبي صلى الله عليه وآله في الليلة التي هاجر فيها رسول الله باتجاه المدينة ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ﴾ من يبيع نفسه هناك من الناس من إذا تولى ﴿ سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ ﴾ ولكن هناك من الناس ﴿ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ لا يوجد في فكره ولا في ذهنه ولا في نيته إلا مرضات الله ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ ﴾ ذلك هو عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه.

هنا نقطتان نقطة معاوية أرسل على سمرة بن جندب وطلب منه أن يضع الحديث أن يفتري حديثاً على رسول الله بأن هذه الآية في عبد الرحمن بن ملجم وقال أعطيك مئة ألف رفض مئتين ثلاث مئة لَمَّا وصل

قال أعطيك أربعة مئة ألف درهم فوضع حديثاً بأن هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن ملجم لعنة الله عليه وهذه الحادثة تكشف لنا عن الصحابة وعن الحديث كيف يوضع وتكشف لنا عن أن الدراهم والدنانير كانت هي الأساس للكثير من الأحاديث وتكشف لنا أيضاً عن عداءهم لعليّ وتكشف لنا أيضاً عن مظلومية سيد الأوصياء وتكشف لنا أيضاً عن تحريف القرآن وكيف حرفوا معانيه وكيف حرفوا مضامينه، والنقطة الثانية التي أريد أن أشير إليها سيد الأوصياء لم يبت مرة واحدة في فراش النبي سيد الأوصياء سنين في كل ليلة كان يبيت في فراش النبي حينما كان النبي في بيت أبي طالب كان عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه في كل ليلة يبيت في فراش النبي وكان النبي ينامُ في فراش علي في أيام شعب أبي طالب سنوات حوصر النبي والهاشميون والمسلمون حوصروا في شعب أبي طالب كان النبي في كل ليلة ينام في فراش عليٍّ وعليٌّ ينام في فراش النبي عليٌّ لم يبت ليلة واحدة لكن هذه الحادثة مهمة جداً وهي حادثة الهجرة وإلا طيلة سنين كان سيد الأوصياء يبيت وينام في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله فداءً له.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ طبعاً هذه الآية ذكرت صنفاً من القادة وهو عليٌّ فيتضح لنا أن المراد من الصنف الذي ذكر قبله أي نوعٍ من أنواع القيادات هم أي نوعٍ من أنحاء القيادات هؤلاء الذين وصفتهم الآيات ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ أولئك الذين عادوا عليّاً هذه القيادات الضالة التي عادة عليّاً هذا وصفها في الآيات السابقة أما القيادة العلوية فهذا وصفها ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ الآية التي بعدها:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ هنا أذهبُ إلى روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الآية هي الآية الثامنةُ بعد المئتين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أذهبُ مستقيماً إلى كلمات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الروايةُ في تفسير العياشي، **عن أبي بصيرٍ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ **قال: أتدري ما السلم؟ قال: قلتُ أنت أعلم، قال: ولايةُ عليٍّ والأئمة الأوصياء من بعده قال: وخطوات الشيطان والله ولايةُ فلانٍ وفلان.**

نقرأ الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادخُلُوا فِي السِّلمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ الرواية في تفسير العياشي، **عن أبي بصيرٍ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادخُلُوا فِي السِّلمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ﴾ **قال: أتدري ما السلم؟ قال: قلتُ أنت أعلم، قال: ولايةُ عليٍّ والأئمة الأوصياء من بعده قال: وخطوات الشيطان والله ولايةُ فلانٍ وفلان.**

الرواية، **عن جابرٍ الجعفي عن أبي جعفرٍ عليه السلام في قول الله** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادخُلُوا فِي السِّلمِ كَآفَّةً﴾ **قال: السلم هم آل مُحَمَّد أمر الله بالدخول فيه** – السلم هم آل مُحَمَّد، هذا عنوانٌ لآل مُحَمَّد – **السلم هم آل مُحَمَّد أمر الله بالدخول فيه، وأما خطوات الشيطان التي نهت الآية عن أن نتبعها فتلك هي ولاية فلانٍ وفلان.** وهذا المعنى جاء في مجموعةٍ وفيرة في مجموعةٍ عديدة من الأحاديث والروايات عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأنتم تلاحظون أن هذه الآية جاءت بعد الآية السابقة التي تحدثت عن سيد الأوصياء الآية السابقة ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشرِي نَفسَهُ ابتِغَاء مَرضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ﴾ ذلك هو عليٌّ ليلة المبيت في فراش النبي الأعظم مباشرةً الآية التي بعدها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادخُلُوا فِي السِّلمِ كَآفَّةً﴾ والسلم ولاية عليٍّ يا أيها الذين امنوا أدخلوا في ولاية هذه القيادة في ولاية هذا الإمام لأنه الآيات السابقة كانت تعمل مقارنة بين نحوين من القيادة، بين قيادة: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرضِ لِيُفسِدَ فِيهَا﴾، وبيت قيادة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشرِي نَفسَهُ ابتِغَاء مَرضَاتِ اللّهِ﴾ فأين تكونون مع أية قيادة؟ هنا القرآن يأمر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادخُلُوا فِي السِّلمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ خطوات الشيطان هي ولاية أعداء عليٍّ كما قالت الروايات الشريفة.

الآية التي بعدها ﴿فَإِن زَلَلتُم مِّن بَعدِ مَا جَاءتكُمُ البَيِّنَاتُ﴾ ونحن نشاهد في كل يوم وعبر الفضائيات الذين يزلون يميناً وشمالاً ﴿فَإِن زَلَلتُم مِّن بَعدِ مَا جَاءتكُمُ البَيِّنَاتُ﴾ البينات في ولاية علي والحياة ترينا وترينا وترينا وما عشت أراك الدهر عجبا ﴿فَإِن زَلَلتُم مِّن بَعدِ مَا جَاءتكُمُ البَيِّنَاتُ﴾ البينات في أي شيءٍ؟ في الولاية التي تقدم ذكرها ﴿فَإِن زَلَلتُم﴾ يعني ابتعدتم انحرفتم ذهبتم بعيداً عن هذه الولاية ﴿فَإِن زَلَلتُم مِّن بَعدِ مَا جَاءتكُمُ

﴿البَيِّنَاتُ فَاعلَمُوا أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ما المراد من هذا المعنى؟ إذا زللتم بعدما جاءتكم البينات لماذا جاء هذا التعبير؟ ﴿فَاعلَمُوا أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أن هذا الزلل لم يأتي هكذا جزافاً هذا الزلل جاءكم من عزيزٍ حكيم هذا الزلل هو عقوبةٌ لكم أنتم الذين ذهبتم وصنعتم هذا الزلل بأنفسكم بسبب ما قدمتم من عمل أو بسبب ما فكرتم فيه أو بسبب ما اجترحتم إن كان في الجانب الفكري في الجانب العلمي أو في الجانب العملي في الحياة ﴿فَإِن زَلَلتُم مِّن بَعدِ مَا جَاءتكُمُ البَيِّنَاتُ فَاعلَمُوا﴾ ليس العيب في البينات وليس العيب في الولاية وليس العيب في صاحب الولاية وإنما العيب فيكم وهذا العيب فيكم لم يكن الباري سبحانه وتعالى هو الذي أوجده فيكم أنتم الذين أوجدتم ذلك في أنفسكم الإنسان هو الذي يلعب بنفسه أو يسمح للشيطان أن يلعب به الله سبحانه وتعالى لا يلعب بالإنسان أهل البيت لا يلعبون بالإنسان الإنسان هو يلعب بنفسه والإنسان هو الذي يسمح للشيطان أن يلعب به وإلا الشيطان أيضاً لا يستطيع أن يلعب بالإنسان ما لم يعيطه الإنسان الضوء الأخضر الإنسان هو الذي يشعل الضوء الأخضر للشيطان فحينئذٍ الشيطان يعبث بالإنسان ثم يأتي الإنسان هو أيضاً فيعين الشيطان فيعبث معه بنفسه أيضاً فالشيطان يعبث من جانب والإنسان هو أيضاً يعبث بنفسه من جانبٍ آخر من هنا يأتي الزلل وهذا الزلل الذي جاءكم بعدما جاءتكم البينات هذا يكشفُ عن أن هذا الأمر إنما جاءكم بالأسباب التي أنتم سببتموها وتلكم الأسباب إنما تجري وفقاً لحكمة الله لذلك الآية تقول:

﴿فَإِن زَلَلتُم مِّن بَعدِ مَا جَاءتكُمُ البَيِّنَاتُ فَاعلَمُوا أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الله سبحانه وتعالى من لطفه أن جاءكم بالبينات وسهل لكم أمور الهداية لكنكم أنتم ضللتم فهذا الضلال ليس من الله ها الضلال منكم من أيديكم ﴿فَإِن زَلَلتُم مِّن بَعدِ مَا جَاءتكُمُ البَيِّنَاتُ فَاعلَمُوا أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * هَل يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ وَالمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمرُ وَإِلَى اللّهِ تُرجَعُ الأُمُورُ﴾ ماذا يريدون هؤلاء؟ بعد أن جاءتهم البينات وتكشفت لهم الحقائق فزلوا وضلوا فماذا يتوقعون أو هل ينتظرون أن الله يأتيهم في ظللٍ من الغمام؟ حتى يأمرهم بالإيمان وبالاعتقاد بولاية عليّ؟ ماذا يريدون ﴿هَل يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ﴾ ظلل جمعٌ لظلة والظلة هي التي تغطي الرؤوس كالسقف ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ﴾ الغمام هو الغيم؟ هو الغيم الرقيق الغيم الجميل الغيم الأبيض فماذا ينتظرون حتى تتضح لهم الحقائق أكثر من هذه البينات يريدون أن يأتي الله مع الملائكة في ظللٍ من الغمام؟ وتلك هي من مشاهد يوم القيامة ﴿هَل يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ

الغَمَامِ وَالمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمرُ وَإِلَى اللّهِ تُرجَعُ الأُمُورُ﴾ هذه رواية تتحدث عن مثل هذه الآية وعن غيرها رواية ينقلها السيد هاشم البحراني عن الشيخ الصدوق بسنده – **حدثنا علي بن الحسن بن فضال عن أبيه قال: سألت الرضا علي بن موسى عن قول الله عزَّ وجلَّ** ﴿هَل يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ وَالمَلآئِكَةُ﴾ **قال: يقول هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام وهكذا نزلت، وعن قول الله عزَّ وجلَّ** ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ **فقال: إن الله عزَّ وجلَّ لا يوصف بالمجيء والذهاب تعالى عن الانتقال وإنما يعني بذلك وجاء أمر ربك والملك صفاً صفاً.**

﴿هَل يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ﴾ الله لا يأتي من مكان الله في كل مكان إذاً المراد إلا أن يأتيهم ولي الله إلا أن يأتيهم أمر الله وأمر الله هو ولي الله هل ينظرون إلا أن يأتيهم ولي الله وإلا فإن الله لا يأتي من مكان ولا يذهب إلى مكان تلاحظون التعبير في الآية ﴿هَل يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ وَالمَلآئِكَةُ﴾ فهل أن الله يأتي من مكان وهل يأتي الباري في ظلل من الغمام؟ هل هو جسم حتى يأتي في ظلل من الغمام؟! إذاً هذا الذي يأتي هو جسم وآتٍ من جهة لذلك معنى الآية هل ينظرون إلا أن يأتيهم ولي الله وعندنا روايات هذه الآية مفسرة في إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه حين ينزل في النجف هذه بالذات الآية مفسرة عن نزول إمام زماننا الحجة بن الحسن في النجف والرواية تقول – **فينزلُ في قبابٍ من نور** – ينزل من السماء في قبابٍ من نور عندنا في الروايات الإمام يذهب إلى النجف على فرسه على جواده لكن هناك في الروايات أكثر من صورة وأكثر من جهة وهذا يعني أن هناك يعني عدة تصورات للأحداث مرة الإمام يأتي على فرسٍ على جواد ومرة أخرى يأتي بهذه الهيئة فينزل في قبابٍ من نور قباب من نور ظلل من الغمام ظلل هي الظلل هي مثل القباب كما تقول الرواية والغمام هو الأبيض، الأبيض الناصع فالرواية تقول: إنها في المهدي عليه السلام حين ينزل في النجف في قبابٍ من نور وهذا ترابط هو هذا استمرار القيادة، القيادة التي تشري نفسها ابتغاء مرضات الله والقيادة التي أمر الدخول في ولايتها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادخُلُوا فِي السِّلمِ﴾ ﴿فَإِن زَلَلتُم مِّن بَعدِ مَا جَاءتكُمُ البَيِّنَاتُ﴾ فماذا تريدون؟

تريدون أن يأتيكم الإمام صلوات الله عليه هل ينظرون إلا أن يأتيهم ولي الله ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ وَالمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمرُ وَإِلَى اللّهِ تُرجَعُ الأُمُورُ﴾ حينئذٍ الأمور تختلف حينئذٍ لا تقبل التوبة ولا ينفعُ نفسٌ إيمانه لم تكن

آمنة من قبل هناك شروط شديدة للتوبة في زمان الإمام أولئك الذين قامت عليهم الحجج في زمان الغيبة وعاندوا هذه الحجج وخالفوا أهل البيت وضللوا الناس وأبعدوا الناس عن أهل البيت ووقفوا في صف المعاندين لأهل البيت هؤلاء هل يمكن أن يوفقوا للتوبة قطعاً لا يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن أمنة من قبل هذا في زمان الإمام صلوات الله وسلامه عليه.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ ﴾ والملائكة تأتي معه ﴿ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ والروايات تحدثنا أن الإمام إذا ما جاء آلاف آلاف من الملائكة يأتون معه ﴿ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ آخر آية أقف عندها وأختم الحديث ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ نحن قد مر علينا الكثير من الآيات القرآنية التي تحدثت عن بني إسرائيل مرت علينا آيات كثيرة في سورة البقرة تحدثت عن قصص بني إسرائيل وعن الحادث والأحداث والتبدلات والتغيرات التي جرت على بني إسرائيل وفي بني إسرائيل الآية هنا تقول تخاطب هؤلاء ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ لأنه الآية السابقة ماذا قالت؟ تخاطب هؤلاء الذين كانوا على ولاية عليٍّ وانحرفوا عنها ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ البينات جاءتكم وأنتم زللتم سلوا بني إسرائيل تبصروا فيما ذكر الله لنا عن بني إسرائيل ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ جئناهم بالآيات البينات هذه الآيات البينات الروايات حدثتنا وأنا تحدثت عن هذا المعنى طويلاً في الحلقات السابقة هناك آياتٌ بينات نزلت على بني إسرائيل في ولاية مُحَمَّدٍ وآل محمَّد وكان الحديثُ طويلاً في وقائع كثيرة مر ذكرها.

﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ ﴾ وهذه هي النعمة العظمى أن الله سبحانه وتعالى يهدينا لولاية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد فأن نأتي ونبدلها بولاية أعداءهم ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ الآية واضحة وصريحة وسياق الآيات واضح وصريح لكن القلوب هي التي تعمى والبصائر هي التي تعمى ليس الأبصار العقول هي التي تعمى ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ هؤلاء الذين ينحرفون عن ولاية علي حدثتنا عنهم الروايات فقالت في الزمان القريب من ظهور إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه يصبح الرجل على أمرنا

ويمسي على غير أمرنا ويسمي الرجل على أمرنا ويصبح على غير أمرنا والأمر هنا الولاية ولاية أهل البيت يصبح الرجل على ولايتنا ويمسي على غيرها ويسمي الرجل على ولايتنا ويصبح على غيرها وهذا هو زمان التقلب هنيئاً لمن تمسك بولاية عليٍّ وآل عليّ.

وأنا أقول هنيئاً لخدمة الحسين لأن خدمة الحسين هي صمام الأمان صمام الأمان في حياة الإنسان هي خدمة الحسين وخدمة الحسين ليس بالضرورة أن تكون خدمة في موكبٍ أو في هيئةٍ أو في حسينية خدمة الحسين في زيارة الحسين خدمة الحسين في ذكر الحسين خدمة الحسين في الإنفاق في سبيل الحسين خدمة الحسين في الدمعة على الحسين خدمة الحسين في قراءة كتابٍ على الحسين خدمة الحسين في الاستماع إلى شريطٍ مسجل فيه ذكر الحسين خدمة الحسين المشاركة في المشي إلى زيارة الحسين خدمة الحسين المشاركة في مواكب العزاء خدمة الحسين عناوين واسعة لكن أولئك الذي وسمو بهذا الوسام أنا أقول لهم هذا صمام الأمان تمسكوا به هذا صمام الأمان الذي يربطكم بعليٍّ وآل علي تمسكوا بخدمة الحسين وإلا أنتم أنظروا أنظروا إلى هذه الحياة وأنظروا إلى كثير من الناس كيف تتقلب عواقبهم إذا أردتم النجاة والتمسك بعروة عليٍّ وآل علي فعليكم بخدمة الحسين كلنا أبواب النجاة وباب الحسين أوسع وكلنا سفن النجاة وسفينة الحسين أسرع فلنركب في هذه السفينة الأسرع ولتنطق العقول قبل القلوب يا حسين ولتنطق القلوب قبل الألسنة يا حسين ولتنطق الأرواح قبل الأجساد يا حسين ولتنطق الحقيقة والفطرة في داخلنا قبل العيون يا حسين وقت البرنامج انتهى لقاءنا يتجدد على هذه المودة على قناة المودة مودة الحسين وآل الحسين لقاءنا يتجدد أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة الرابعة والعشرون

تفسير سورة البقرة من الآية ٢١٢ الى الآية ٢١٩

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته صيامٌ مقبولٌ ودعاءٌ مستجابٌ لنا ولكم ولجميع محبي مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، هذه الحلقة الرابعة والعشرون من برنامج قرآننا في شهر ربيع القرآن الكريم، لازال الحديث متواصلاً في سورة البقرة وآخر آية انتهى الحديث عنها في الحلقة الماضية هي الآية الحادية بعد العاشرة بعد المئتين:

﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

نشرع اليوم في الآية الثانية بعد العاشرة بعد المئتين، اعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

الأجواء التي مرت علينا في الآيات السابقة كانت تتحدث عن أصناف الناس وعن الضلالة وعن الهدى وتحدثت عن مجموعتين من الناس ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾ وقلتُ هاتان المجموعتان الحديث فيهما عن الناس عموماً الرعية والراعي بشكلٍ عام.

ثم انتقلت الآيات لتتحدث عن نوعين من الرعاة عن نوعين من القادة النوع الأول ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ ﴾ إذا بلغ إلى الولاية ﴿ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾ والصنف الثاني من الرعاة من القيادة ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ وتلك هي ولاية عليٍّ وآل علي وقد تقدم الكلام في ذلك، ثم كان الحديثُ عن تفاصيل أخرى تتعلق بهداية الناس وبضلالهم إلى أن كانت الآية ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ لأجل الاعتبار بما جرى في بني إسرائيل وما مَنَّ الله

عليهم من نعمه العظيمة وما أظهر لهم من آياته البينة ولكنهم كفروا بذلك فشتتهم وكان الذي كان في تأريخهم ومر علينا في سورة البقرة آياتٌ كثيرة تتحدث عن بني إسرائيل وعن أحداثهم وحوادثهم.

الآية هنا على نفس ما تقدم من المعاني والمضامين ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ الذين كفروا زُينت لهم الحياة الدنيا وإنما زُينت لهم الحياة الدنيا بسبب المستوى الفكري وبسبب المستوى النفسي والمعنوي الذي يعيشونه لأنهم لا يرون أمامهم إلا هذه الحياة ولا يرون أمامهم إلا أن ينتفعوا منها تمام الانتفاع فهم يجدون في هذه الحياة الأموال ويجدون في هذه الحياة المناصب، المناصب الاجتماعية، المناصب السياسية، المناصب الدينية أي نوع من أنواع المناصب وهم أيضاً يجدون في هذه الحياة الملذات، الملذات في المطعمات في المشروبات في المساكن في النساء في الجنس في كل شيء فهم يجدون كل شيءٍ أمامهم محصوراً في هذه الأمور ولا يتعدون هذه الأمور إلى جهة أخرى بسبب هذا المستوى من التفكير وبسبب هذا المستوى من الاهتمام والانقطاع والتوجه إلى هذه المعاني أصبحت هذه الحياة مزينة في نظرهم وهنا هنا يأتي قانون سرعة الحساب، الله سبحانه وتعالى سرعة حسابهِ مبنية على قانون التوفيق والخذلان المؤمن بسبب العمل الصالح يأتيه الحساب على أساس التوفيق بسبب العمل الصالح إما أن يوفق لعملٍ صالح آخر وإما أن يوفق بمنعهِ عن عملٍ سيء.

أما الكافر والكافر هنا ليس فقط المنكر لوجود الله الكفر في القرآن ليس محصوراً بهذا المعنى الكافر أيضاً في القرآن يطلق على الذي يؤمن بوجود الله يعتقد بوجود الله لكنه لا يُرتِّبُ أيَّ أثرٍ عمليٍّ في حياتهِ أو في معتقداتهِ، يعتقد بوجود الله لكنه يبني حياتهُ على رغباتهِ الشخصية وعلى قناعاتهِ الشخصية ووفقاً لمصالحه الخاصة ووفقاً لِما يراه في هذه الحياة من مصالح من منافع من مضار فهو يرسم برنامجاً كاملاً لنفسه وكذلك يرسم برنامجاً لقناعاتهِ فهو يصنع قناعاتهِ بنفسهِ من خلال تجاربهِ ومن خلال ما يراه ويلتمسه في الحياة ويحكم عليه على أساس وجهة نظرهِ من دون أن يرجع إلى جهةٍ أعلم إلى جهةٍ أعلى وهي جهة الوحي فالكافر ليس فقط الذي ينكر وجود الله، الكافر من الكفر والكفر هو الستر الذي يستر الحقيقة كافر، حينما يستر الإنسان الوحي ما يأتي من الوحي فهو كافر حتى وأن كان يعتقد بوجود الله، الذي يستر عقيدة الإمامة ويستر الإمام الذي نصبهُ الله فهو كافر، من هنا يأتي التعبير في الروايات في النصوص المعصومية وحتى في الكتاب الكريم وفقاً للروايات التي فسرت الكتاب الكريم التعبير عن منكري الإمامة بالكفار لأن الكفر هو الستر الذي يستر الفطرة فيكفر بالتوحيد فهو كافر، الذي يستر النبوة إذ يُطلق هذا العنوان أيضاً على أهل الكتاب في الكتاب الكريم لأنهم يسترون النبوة مع أنهم يؤمنون بالله ويؤمنون بالنبوات السابقة، الذي يستر الإمامة أيضاً مع أنه يؤمن بالله ويؤمن بالنبوات السابقة ويؤمن بنبوة الخاتمة لكنه يستر الإمامة

المتفرعة عن النبوة الخاتمة فهو كافر، الكفر عنوان وسيع في القرآن الكريم وأنا لا اريد الآن الدخول في هذا المطلب لكن لأن الآية تتحدث بنحو مجمل عن هذا المعنى ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فهؤلاء الذين تتحدث عنهم الآية ليسوا محصورين بأولئك الذين ينكرون وجود الله سبحانه وتعالى الكفر على درجات، الكفر على مراتب.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ هذا الأمر يزين لهم إما بسبب وبطبيعة المستوى الفكري المستوى النفسي الاهتمام الحياتي اليومي فتتزين الحياة الدنيا خصوصاً إذا بلغوا إلى مقاصدهم يعني إذا كانت أهدافهم هو الحصول على المساكن الفارهة والنساء الجميلة والأموال الطائلة والمطعمات والمشروبات اللذيذة ويحصلون على سائر ما يريدون فإنهم سيرون هذه الحياة حياةً جميلة خصوصاً إذا لم يُصابوا بمرض لم تقع عليهم بلية وجاءت الظروف الزمانية والمكانية مناسبة لأمزجتهم ولأذواقهم وهذا يكون الحياة الدنيا حياةً متقلبة متغيرة قد تكون رخاءً في وقت من الأوقات في مكانٍ من الأمكنة وقد تكون بلاءً في وقتٍ آخر وفي مكان آخر ولا فرق في ذلك بين أن يكون الذي في ذلك المكان من أهل الإيمان أم من غيرهم هذه الدنيا هي أمنا ونحن أبنائها إن كنا من أهل الإيمان أم كنا من غير أهل الإيمان هذه الدنيا أمنا ونحن أبنائها نحن أبناء هذه الدنيا، وهذه الدنيا متقلبة في مكانها وفي زمانها في أحداثها وفي أحوالها في أهوالها وفي أفراحها فهي عامرةٌ في جانبٍ من الوقت وخرابٌ في جانبٍ آخر وهي رخاءٌ ونعمةٌ في جانبٍ من المكان وبلاءٌ وشدةٌ وضراءٌ في مكانٍ آخر في جانب من الدنيا تسير الأمور على ما يرغب الناس وفي جانبٍ آخر تسير الأمور بنحوٍ معاكس لِما يريده الناس ولِما يبتغيه، هذه الحياة عرسٌ بجانب مأتم، قانون الدنيا هو هذا، هناك أعراس وبجانبها مآتم، في نفس غرف المستشفى هناك ولادات وهناك وفيات في نفس المستشفى، في هذه الغرفة ربما يوجد سريران لإمرأتين تتمخضان واحدة تنجب توأمين أو أكثر والأخرى تموت هي والذي في بطنها في نفس الوقت، في غرفةٍ واحدة على سريرين متجاورين امرأة تنجب توائم وأخرى تموت هي والذي في بطنها هي هذه الحياة، هذه صورة الحياة أفراحٌ في جانب أحزانٌ في جانب لقاءٌ ووصالٌ ومسرةٌ في جانب، هجرةٌ وغربةٌ وابتعادٌ وافتراقٌ في جانب آخر، زواجٌ في هذا البيت وطلاق في بيتٍ آخر، إنسان يشفى من مرضهِ وينهض بنشاطٍ وسرور وآخر يُصاب بمرضٍ عُضال وهذا المرض العُضال ميؤوسٌ منه فهو يحسب ساعاتهِ ويحسب أيامه هذه هي الحياة متقلبةٌ الدنيا والأيام والأمور قُلَّبٌ حُوُّلَ وهذا في الحياة الاجتماعية وفي الحياة السياسية ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ ولكننا لا نعتبر هذا في كل لحظةٍ يمر علينا هذا ليس في كل شهر الحياة هكذا في كل لحظة في كل ثانية لكننا لا نعتبر بذلك.

الذين كفروا لأن الزاوية التي ينظرون إليها زاوية ضيقة فحينما تأتي الظروف مع أمزجتهم ومع مرامهم فيرون الحياة جميلة حلوةً قد تزينت وكأنها عروس تميس فيما بينهم ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ هم مرتاحون وهذا يدفعهم إلى أي شيء؟ ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يرون أن الذين آمنوا في ضعفٍ في هزالٍ في انتقاص في تبلبلٍ من الأحوال وهذا غالباً ما يكون، غالباً ما يكون أهل الحق وأهل الهدى في أحوال متبلبلة في أحوال متزلزلة في هذه الحياة لا أقول في كل زمانٍ وفي كل مكان لكن هذا الغالب وحتى الواقع الذي نعيشهُ الآن هو هكذا يقول بينما أولئك الذين يبتعدون شديد الابتعاد عن دائرة الهدى نجد أن الراحة والطمأنينة الدنيوية ليس الطمأنينة الحقيقية الراحة الدنيوية والطمأنينة الدنيوية تتوفر لهم.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ وبسبب هذه الزينة التي يرونها ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قطعاً هذا زُيِّنَ الفعل هنا مبني للمجهول من هو الفاعل؟ الفاعل هو الله سبحانه وتعالى هو الذي زيَّنَ لهم الدنيا هذا التزيين من الله إما بسبب القوانين والسنن الكونية أن الإنسان حين ينظر إلى زاوية معينة وهذه الزاوية المعينة لا يصدر منها إلا ما يناسب مزاجه القانون الدنيوي القانون الحياتي يقتضي أن يرى هذا الشيء جميلاً حسناً في نظره وإما أن يكون المراد في قانون سرعة الحساب جهة الخذلان لأن الخارج من دائرة الهدى ومن دائرة الإيمان يطبق عليه قانون الخذلان، الخذلان ما المراد منه؟ فهو يبتعد عن الهدى يُخذل أن يبتعد أكثر حتى ولو كان يتمتع بالحياة الدنيوية الخذلان أن يبتعد عن الهدى أكثر أو أن يُمنع من أن يقترب للهدى مثل ما التوفيق، التوفيق العمل الصالح إما أن يقود إلى العمل الصالح والرأي الصالح إما أن يقود إلى الرأي الصالح أو أن يمنعه من أن يذهب إلى الرأي الطالح أو إلى العمل الطالح، الرأي الفاسد والعمل الفاسد في قانون الخذلان إما أن يقودهُ إلى رأيٍ فاسد آخر أو إلى عملٍ فاسد آخر أو أن يمنعه عن الوصول إلى رأيٍ صالح أو إلى عمل صالح، هذا هو قانون التوفيق والخذلان القانون الذي ينفذه يجريه الملائكة في هذا العالم بأمرٍ من الله، وهذا هو قانون سرعة الحساب إن الله سريع الحساب هي هذه السرعة في الحساب مجرد أن يصدر العمل يأتي الجزاء معه إذا كان عمل صالح فإنه سيقود الإنسان إلى عملٍ صالح، قد يكون العمل الصالح الآتي ليس في هذ اللحظة لكن الإنسان أخذ صكاً بذلك بسبب هذا العمل الصالح فإن النتيجة تقودهُ إلى عملٍ صالح أو على الأقل أن تمنعه عن عمل طالح ولا أقول على الأقل فلربما في بعض الأحيان المنع عن العمل الطالح أفضل من التوفيق لعملٍ صالح لأن المنع عن العمل الطالح قد يكون هذا العمل الطالح كبيراً جداً وأثارهُ مدمرة فيكون أكبر من ذلك العمل الصالح الذي قد تكون أثارهُ ومنافعه أقل مما يترتب على لو أن الإنسان لم يمنع عن ذلك العمل الطالح الكبير ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الحقيقة هو هذا المطلب مطلب

واسع وأنا لا أريد ان أخذ شطراً كبيراً من الوقت أحاول أن أفسر أو أن أبين قدراً أكبر من آيات الكتاب الكريم.

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الحَيَاةُ الدُّنيَا وَيَسخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوا فَوقَهُم يَومَ القِيَامَةِ ﴾ الذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ونحن قلنا التقوى، المتقون، اتقوا، أتقوا، أتقوا الله كل ذلك في عميق معناه ولاية عليٍّ، التقوى في ظاهرها التي هي عبارة عن أفعال يؤتى بها، وعن أفعال لا يؤتى بها هذه مظهر لحقيقةٍ في جوهرها هي ولاية عليٍّ ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوا فَوقَهُم يَومَ القِيَامَةِ ﴾ لأن هؤلاء الذين كفروا وتزينت لهم الحياة الدنيا في يوم القيامة لن يكونوا فوق سيكونون أسفل ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوا فَوقَهُم يَومَ القِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيرِ حِسَابٍ ﴾ الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يرزق إن كان ذلك في الدنيا أو كان ذلك في الآخرة فإنه يرزق من يشاء بغير حساب، يرزق من يشاء بغير حساب لأي أمرٍ؟ أولاً: لأن الله سبحانه وتعالى هو القدرة والقوة المستطيلة التي لا توجد قوة أخرى يمكن أن تعترض عليها أو أن تؤثر عليها، وثانياً: إن الفيض الإلهي لا حدود له لذلك هو يرزق بغير حساب عطائهُ لا حدود له خزائنه لا حدود لها فيضهُ وجودهُ لا حدود له ولا توجد قوة أخرى يمكن أن تؤثر عليه، فهو يرزق من يشاء بغير حساب ويمنع من يشاء بغير حساب ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الحَيَاةُ الدُّنيَا وَيَسخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوا فَوقَهُم يَومَ القِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيرِ حِسَابٍ ﴾ هذه الآية جاءت لتبين لنا هذه الحقائق المجملة التي أشرت إليها وإنما جاءت في سياق الاعتبار باعتبار أن الآية التي قبلها أمرتنا أن نعتبر من حال بني إسرائيل ﴿ سَل بَنِي إِسرَائِيلَ كَم آتَينَاهُم مِّن آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّل نِعمَةَ اللَّهِ مِن بَعدِ مَا جَاءتهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ هذه الآية تحثنا على أن نعتبر أن نتفكر في حال بني إسرائيل أما هذه الآية تحثنا على أن نعتبر بحال الناس عموماً بحال الدنيا عموماً بأبناء الدنيا عموماً لذلك الآية التي تأتي بعدها تحدثنا عن هذه الدنيا وعن أبنائها وكيف كانت:

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحكُمَ بَينَ النَّاسِ فِيمَا اختَلَفُوا فِيهِ وَمَا اختَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعدِ مَا جَاءتهُمُ البَيِّنَاتُ بَغيًا بَينَهُم فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اختَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذنِهِ وَاللَّهُ يَهدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ ﴾ الآية طويلة نوعاً ما بشكل موجز أبين معنى الآية، الآية تتحدث عن تأريخ أبناء الدنيا، الآية تقول بأن أبناء الدنيا كانوا أُمَّة واحدة قطعاً أبناء الدنيا كان عددهم أقل مما هو عليه الناس اليوم الآية هنا بحسب الروايات تتحدث عن الفترة الزمانية ما بين أبينا آدم

وما بين والد البشرية الثاني النبي نوح عليه السلام، والد البشرية الأول هو آدم ووالد البشرية الثاني كما يسمى هكذا هو نوحٌ النبي الآية هنا تتحدث عن هذه الفترة الزمانية، الناس في هذه الفترة قطعاً كان عددهم أقل بكثير مما هو عليه الناس الان في يومنا هذا.

الآية تقول ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ بحسب الروايات كانوا في حالةٍ في درجةٍ في رتبةٍ من الضلال، قطعاً الحياة كانت بسيطة وحينما تكون الحياة بسيطة هذا يؤدي إلى أن حاجات الإنسان ستكون بسيطة حينما تكون الحياة بسيطة وحاجات الإنسان بسيطة ستكون أهداف الإنسان ومطامح الإنسان أيضاً بسيطة هذا شيء طبيعي لأن الإنسان إنما يحدد أهدافه وفقاً للمعطيات الموجودة حوله، يعني مثلاً الإنسان الذي يعيش في قرية صغيرة والمعلومات التي يمتلكها عن الحياة وعن مفردات الحياة معلومات محدودة قطعاً الطموح الذي سيكون عنده بحسب الآليات الموجودة بحسب المفردات الموجودة في الحياة المفردات الموجودة في هذ القرية يعني أكثر الناس قدرةً في هذه القرية يملك أغناماً يملك أبقاراً أو يملك قطعة أرض فيزرع فيها الحنطة والشعير مثلاً، طموح هذا الذي يعيش في هذه القرية لا يتجاوز هذ المفردات خصوصاً إن لم يكن هناك تعليم لكن حينما يعيش الإنسان في مدينة صغيرة سيكون طموحهُ أكثر وهكذا في مدينة كبيرة وهكذا في الدول الصناعية الكبرى وهكذا إذا كان يعمل في وسط اقتصادي ضخم كأن يعمل مثلاً في البورصة وهكذا في كل مجال، المفردات الموجودة في الحياة هي التي تتحكم في تحديد الأهداف الحياتية للإنسان فعدد الناس كان قليلاً بالقياس إلى عدد الناس في يومنا هذا والحياة كانت بسيطة ومفردات الحياة معدودة فقطعاً سيكون المستوى الفكري للناس محدوداً أيضاً لكن هذا لا يعني أنه لا يوجد هناك اختلاف ما دامت للناس حاجات معينة قد يختلفون على المراعي، قد يختلفون على المزارع، قد يختلفون على المياه والتأريخ القديم يحدثنا إن أكثر الاختلافات كانت على المياه على قضية السقي يعني إذا أردنا أن ننقب في التاريخ القديم في الأمم القديمة نجد إن من أكثر المشاكل التي كانت موجودة بينهم بخصوص السقي، هناك اختلافات وحتى لو كانت اختلافات فكرية فستكون قطعاً في نحوٍ بسيط لذلك الآية حينما تقول كان الناس أُمَّةً واحدة بهذا اللحاظ الآية قطعاً ما نفت الاختلاف لو نستمر مع الآية ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ لأي شيءٍ؟

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ ليحكم هذا الكتاب الذي أنزل على النبيين لأي شيءٍ؟ ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ يعني كان هناك اختلاف لكن الآية قالت ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ بالقياس مثلاً إلى الناس في زمان نزول القرآن، الناس في زمان نزول القرآن كثر عددهم وصارت دول وأمم وشعوب

وقبائل والحياة تعقدت وحاجات الناس صارت أكثر فبالقياس إلى الزمان الذي نزل فيه القرآن بالقياس إلى الزمان الذي تتحدث فيه هذه الآية كان الناس في تلكم الفترة كأنهم أُمَّة واحدة لأن مشاكل الحياة كانت محدودة الاختلافات كانت محدودة ومع ذلك لَمَّا وصلت إلى حدٍ يسبب المفسدة في حياة الناس الله سبحانه وتعالى بعث النبيين وأنزل عليهم الكتاب لأي شيءٍ؟ ﴿لِيَحكُمَ بَينَ النَّاسِ فِيمَا اختَلَفُوا فِيهِ﴾ فإذاً كان هناك اختلاف والله بعث النبيين لرفع هذا الاختلاف، ثم الآية تتحدث عن نوع ثاني من الاختلاف ﴿وَمَا اختَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ وبعد ذلك حدث اختلاف آخر في الكتاب، أين وقع هذا الاختلاف؟ وقع عند الذين حملوا هذا الكتاب، وهذا الاختلاف موجود في كل الأمم يعني بعد رسول الله أين وقع الاختلاف؟ وقع الاختلاف في الكتاب.

فهناك الجهة الشرعية المسئولة عن الكتاب وهناك جهات أخرى انحرفت عن الجهة الشرعية فالاختلاف وقع في الكتاب، النبي ترك الثقلين كتاب الله وعترتي، فهناك جهة العترة الجهة الشرعية وهناك جهات ضالة ابتعدت عن العترة فوقع الاختلاف أيضاً في الكتاب وهكذا وطبعاً إذا وقع الاختلاف، الاختلاف سيبدأ يتوالد وستبدأ الانشطارات الاختلافية بالضبط إذا وقع الاختلاف وبدأ يتوالد الانشطارات في الواقع المختلف وبين المختلفين تصبح مثل الانشطارات الأميبية وهذا هو الذي تعاني منه الأُمَّة أصلاً حتى في المجموعات الخاصة في المجاميع التي تتفق في كثير من أمورها نجد أن الاختلافات أيضاً يعني الاختلافات في نفس كل مذهب وحتى المذهب لو فيه أكثر من مدرسة نجد أن الاختلافات في كل مدرسة وحتى كل مدرسة لو كان فيها عدة اتجاهات نجد أن الاختلافات في كل اتجاه، هناك توالد انشطار أميبي طبعاً العلة في ذلك ما هي؟ العلة في ذلك هو عدم التسليم للجهة الشرعية حينما لا يكون هناك تسليم حينما لا تكون الجهة الشرعية هي المرجع الوحيد لأي مجموعةٍ لأي جهةٍ لأي أُمَّةٍ لأي مذهبٍ لأي طائفةٍ لأي حزبٍ حينما لا تكون الجهة الشرعية هي المرجع الوحيد والذي تدين به أي جهة من الجهات لتلكم المرجعية بالتسليم والانقياد والخضوع قطعاً سيقع الاختلاف وهذا الاختلاف سيقود إلى إختلافٍ أكبر.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحكُمَ بَينَ النَّاسِ فِيمَا اختَلَفُوا فِيهِ﴾ كان هناك اختلافات جاء الأنبياء بالكتاب لرفع الاختلافات ولكن بعد ذلك وقع الاختلاف في نفس الكتاب ﴿وَمَا اختَلَفَ فِيهِ﴾ في الكتاب ﴿إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ نفس الذين حملوا هذا الكتاب ﴿مِن بَعدِ مَا جَاءتهُمُ البَيِّنَاتُ﴾ فاختلفوا فيه الذين يحملوه وليس عامة الناس يعني أهل العلم يعني

الكبار يعني الخواص ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعدِ مَا جَاءتهُمُ البَيِّنَاتُ بَغيًا بَينَهُم﴾ بغياً يعني تجاوزاً اعتداءً، بغياً بينهم تجاوزاً على الحق، الباغي هو الخارج على إمامه بغياً بينهم تجاوزاً على الحق ﴿فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الذين تمسكوا بالجهة الشرعية هداهم ﴿فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ هداهم إلى الحق لاحظ آخر الآية ﴿وَاللّهُ يَهدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾ وأنا قلت في الحلقات الماضية قاعدة قرآنية في روايات أهل البيت حيثما جاء صراطٌ مستقيم فهناك عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه أعتقد الصورة صارت واضحة ﴿فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ الاختلاف أين كان؟ في الحق والحقُّ عليٌّ يدور مع عليٍّ حيثما دار ﴿وَاللّهُ يَهدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾ .

أمر مروراً سريعاً على بعضٍ من الروايات على بعضٍ من الأحاديث، مثلاً هذه الرواية في تفسير العياشي، **عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله** ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ **قال: كان هذا قبل نوح، أُمَّةً واحد فبدا لله فأرسل الرسل قبل نوح، قلتُ: أعلى هدى كانوا ام على ضلال؟ قال: بل كانوا ضُلاَّلاً** – لكن كيف وصفهم الإمام – **كانوا لا مؤمنين ولا كافرين ولا مشركين** – يعني المرحلة الأولى للحياة الإنسانية المرتبطة بالعالم الطبيعي – **قلتُ: أعلى هدى كانوا ام على ضلال؟** – لنشخص الوقت – **قال: كان هذا قبل نوح، أُمَّةً واحد فبدا لله فأرسل الرسل قبل نوح، قلتُ: أعلى هدى كانوا ام على ضلال؟ قال: بل كانوا ضُلاَّلاً** – لكن كيف الإمام يصفهم – **كانوا لا مؤمنين ولا كافرين ولا مشركين** – يعني حياتهم أقرب إلى الجانب الطبيعي حياتهم أقرب إلى الجانب الغرائزي يمكن أن نعبر عنها بالحياة الغرائزية أقرب إلى الجانب الغرائزي أنهم مشدودون إلى حاجاتهم اليومية مشدودن إلى نحوٍ من العلائق فيما بينهم لتكوين مجتمعات صغيرة هنا وهناك حيات غرائزية أقرب وأشبه للطبيعة الحيوانية على سبيل المثال أأتي بهذا الكلام وإلا هنا هذا الكلام لا يفهم منه ما يعتقد به البعض من قضية التطور في خلقة الإنسان يعني النظرية الدارونية هذا موضوع آخر خارج عن هذا البحث الحديث هنا عن الحالة النفسية عن الحالة الاجتماعية.

الحالة النفسية والحالة الاجتماعية مرت بتطور هائل، النظرية الدارونية تتحدث عن التطور الجسماني عن التطور البدني التطور الجسماني والتطور البدني نحن نرفضه لأننا نعتقد أن أول مخلوق نزل كاملاً وهو آدم أبونا آدم عليه السلام، لكن التطور النفسي التطور العقلي التطور الفكري الإنسان مر بمراحل هائلة وكبيرة جداً في هذه القضية والرواية تتحدث عن هذا الأفق عن هذا المستوى – **بل كانوا ضُلاَّلاً كانوا لا مؤمنين**

ولا كافرين ولا مشركين – حالة أقرب إلى الحالة الطبيعية الحالة الغرائزية للحياة من دون أن يكون هناك عمق فكري من دون أن تكون هناك أهداف عظيمة وكبيرة السبب ما هو؟ السبب إن مفردات الحياة مفردات محدودة يعني الإنسان لا يفكر أن يُنشئ قصوراً الإنسان يمكن أن يستفيد من بعض الأشجار في مثلاً بناء سقيفة محدودة أو قد ينتفع من الكهوف الموجودة في الجبال كي يسكن فيها، أهداف الإنسان كانت محدودة كذلك في صناعة الثياب والملابس كذلك في قضية الطعام والشراب يعني الإنسان في بداياته ما كان يأكل الطعام المطبوخ إلا بنحوٍ محدود كان يميل إلى أن يأكل الطعام الطبيعي يتناول الفاكهة مباشرةً من الشجرة يتناول الحشائش والأعشاب والخُضَر بشكل مباشر من الطبيعة من التراب من الأرض وحتى اللحوم يأكلها من دون أن تُطبخ لا يعني أنه لم يكن هناك من طبخ ولم يكن هناك من استعمال للنار في تنضيج الطعام كان موجوداً لكن بنحوٍ ضعيف وبنحوٍ محدود.

هناك رواية فيها تفصيل أكثر، **عن مسعدة عن ابي عبد الله عليه السلام في قول الله** ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ **فقال: كان ذلك قبل نوح فقيل: فعلى هُدىً كانوا؟ قال: بل كانوا ضُلاَّلاً وذلك أنه لَمَّا انقرض آدم عليه السلام وصالح ذريته** – حتى التعبير: انقرض آدم عليه السلام وصالح ذريته، يعني كأن الثقافة والمستوى الثقافي الذي كان في زمان آدم انحسر شيئاً فشيئاً السبب ما هو في ذلك؟ أن ذراري آدم بسبب تعاملهم مع الحياة اليومية انشدوا لمفردات الحياة اليومية فانغمسوا في الجانب الطبيعي في الجانب الغرائزي في المطعم في المشرب في الملبس في الجنس هذا أبعدهم عن الاهتمام في الجانب المعنوي أو في الجانب الفكري أدى ذلك إلى انقراض ذلك المستوى الثقافي خصوصاً لَمَّا بدأ الصراع بين قابيل وهابيل وهذا الصراع انتقل إلى ذراريهم بعد ذلك – **وذلك أنه لَمَّا انقرض آدم عليه السلام وصالح ذريته بقي شيث** – وهو وصيُ آدم – **بقي شيث وصيهُ لا يقدر على إظهار دين الله الذي كان عليه آدم وصالح ذريته** – لأسباب، الناس غير متوجهة لهذا المعنى والصراع الموجود فيما بين قابيل وهابيل هابيل قتل لكن هناك خط، خط هابيل وخط قابيل – **وذلك أن قابيل توعده بالقتل** – توعد شيث بالقتل – **كما قتل آخاه هابيل فسار فيهم بالتقية والكتمان** – لأن أساس الخلاف بين هابيل وقابيل ليس كما يُذكر في كتب المخالفين على قضية زواج ونساء، أساس الخلاف هو الوصية لأن آدم أوصى إلى هابيل فقابيل احتج على أبيه واحتج على أخيه لماذا كانت الوصية في هابيل، آدم قال له إن الله أراد ذلك الله هو الذي نصَّ على هابيل فدخلا في حالة مباهلة فتباهلا بتقديم النذور أيهما يُقبل نذره هو الذي أرادهُ الله فقدما النذور فالله سبحانه وتعالى قَبِلَ النذر من هابيل فازداد حنقاً وغيظاً وحسداً وحقداً وكمداً على هابيل فقتل هابيل.

المشكلة هنا كانت المشكلة في الوصية المشكلة في الإمامة هذه هي الحقيقة وليس القضية المشكلة في قضية نساء كما حرفها المخالفون الصراع بدأ من هناك في قضية الوصية من هو الذي يحمل الرسالة، وذلك أن قابيل توعدهُ بالقتل توعد شيث الذي هو يمثل الخط الهابيلي – **كما قتل آخاه هابيل فسار فيهم بالتقية والكتمان فازدادوا كل يومٍ ضلالة حتى لم يبقى على الأرض معهم إلا من سلف** – يعني إلا الذين كانوا من البداية على الحقيقة على الحق ولحق الوصية بجزيرةٍ في البحر يعبد الله ما وجد فائدةً من بقائهِ فاعتزلهم – **ولحق الوصي بجزيرة في البحر يعبد الله** – وهذه غيبة، هناك غيبات للأنبياء غيبات للأوصياء هذه غيبة من غيبات الأوصياء.

لذلك الشيخ الصدوق في كتابهِ كمال الدين كمال الدين وتمام النعمة، يقول: كنت في مكة وكنت مغموماً ومهموماً فرأيت في المنام الإمام الحجة عليه السلام هذا الكلام يذكره في مقدمة الكتاب فرأيت الإمام الحجة في المنام في عالم الرؤيا قلت يا ابن رسول الله أنا مغموم شكوت له ذلك، قال: أكتب كتاباً في الغيبة، قلت يا ابن رسول الله قد كتبت في الغيبة، الشيخ الصدوق عنده كتاب أكثر من كتاب في الغيبة وعنده كتاب معروف بكتاب غيبة الصدوق كتاب الغيبة للشيخ الصدوق، قال: لا، أكتب كتاباً آخر وأذكر فيه غيبات الأنبياء فكتب كتاب كمال الدين، كمال الدين وتمام النعمة جعل فيه باباً واسعاً للحديث عن غيبات الأنبياء والمقارنة بين غيبات الأنبياء وبين غيبة إمام زماننا، بين غيبات الأوصياء وما جرى في أممهم السالفة كما قال صلى الله عليه وآله: يجري في هذه الأُمَّة ما جرى في الأمم الماضية حذو القذة بالقذة وحذو النعل بالنعل ذراعاً بذراع وباعاً بباع ولو أنهم دخلوا جحر ضب لدخلتم فيه، هذه أيضاً مصداق من مصاديق غيبات الأنبياء والأوصياء.

وذلك أن قابيل توعده بالقتل كما قتل آخاه هابيل فسار فيهم بالتقية والكتمان فازدادوا كل يومٍ ضلالة حتى لم يبقى على الأرض معهم إلا من سلف ولحق الوصي بجزيرة في البحر يعبد الله، فبدا لله تبارك وتعالى أن يبعث الرسل، ولو سُئِل هؤلاء الجهال لقالوا قد فُرِغ من الأمر وكذبوا إنما شيءٌ يحكم به الله في كل عام – ولو سئل هؤلاء الجهال يعني المخالفين باعتبار هنا الإمام تحدث عن البداء – **فبدا لله تبارك وتعالى أن يبعث الرسل ولو سُئِل هؤلاء الجُهال** – يعني المخالفين الذين لا يعتقدون بعقيدة البداء – **لقالوا قد فُرِغ من الأمر** – أن الله سبحانه وتعالى فرغ من الأمر – **وكذبوا** – وذلك هو قول اليهود ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مغلولة يعني أن الله قد فرغ من الأمر وليس هناك من تغييرٍ وليس هناك من بداء – **ولو سُئِل هؤلاء الجُهال لقالوا قد فُرِغ من الأمر أو قد فَرَغَ الله من الأمر وكذبوا إنما شيءٌ يحكم به الله في كل عام** – في كل ليلة قدر تتغير الأمور والتقديرات وذلك هو البداء

– **ثم قال** – الإمام قرأ هذه الآية ﴿فِيهَا يُفرَقُ كُلُّ أَمرٍ حَكِيمٍ﴾ **فيحكم الله تبارك وتعالى ما يكون في تلك السنة من شدةٍ أو رخاء أو مطرٍ أو غير ذلك، قلتُ: أفَضُلاًّ كانوا قبل النبيين أم على هدى؟ قال: لم يكونوا على هدىً، كانوا على فطرة الله التي فطرهم عليها** – كما قلت قبل قليل حياة غرائزية أقرب إلى الطبيعة الغرائزية – **قال: لم يكونوا على هدىً، كانوا على فطرة الله التي فطرهم عليها** – لا تبديل لخلق الله حياة غرائزية – **ولم يكونوا ليهتدوا حتى يهديهم الله أما تسمع يقول إبراهيم** ﴿لَئِن لَّم يَهدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ القَومِ الضَّالِّينَ﴾ **من القوم الضالين أي ناسياً للميثاق** – أيُّ ميثاق أُخِذَ على إبراهيم هو ميثاق ولاية محمَّدٍ وعليٍّ وآلهما والروايات صريحة في ذلك الحقيقة هي هذه المطالب بحاجة إلى توسعة أكثر لكنني يعني أكتفي بما أستطيع أن أختصره وأن أبينه بنحوٍ موجز وإلا هذه الرواية فيها مطالب كثيرة تحتاج إلى شرحٍ وإلى بيان.

إذاً نعود إلى الآية فنقرأها ليتضح لنا المعنى أكثر ويتجلى أكثر ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحكُمَ بَينَ النَّاسِ فِيمَا اختَلَفُوا فِيهِ وَمَا اختَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعدِ مَا جَاءتهُمُ البَيِّنَاتُ بَغيًا بَينَهُم فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اختَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذنِهِ وَاللَّهُ يَهدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾ الآيات تستمر، الحديث عن هداية وعن صراطٍ مستقيم ﴿أَم حَسِبتُم أَن تَدخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم﴾ أنتم الذين تريدون الثبات على الصراط المستقيم هل تعتقدون أنكم تدخلون الجنة هكذا من دون امتحانٍ واختبار؟ لابد أن تجري سنة الامتحان لابد أن يجري قانون الاختبار نحن نقرأ بنحوٍ واضح في سورة العنكبوت وهي من السور التي يستحب قراءتها في شهر رمضان خصوصاً في ليالي القدر نقرأ في أول السورة ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُترَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُم لَا يُفتَنُونَ * وَلَقَد فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبلِهِم فَلَيَعلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾ هذا قانون الفتنة، قانون الامتحان لابد منه ﴿أَم حَسِبتُم أَن تَدخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوا﴾ خلوا يعني مضوا ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم﴾ ماذا جرى عليهم؟ ﴿مَّستَهُمُ البَأسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصرُ اللَّهِ﴾ لابد من الامتحان ﴿أَم حَسِبتُم أَن تَدخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم﴾ ما الذي جرى عليهم؟ ﴿مَّستَهُمُ البَأسَاءُ

﴿وَالضَّرَّاء﴾ البأساء الآلام والأحزان التي يلقاها الإنسان فيما حوله، البأساء الآلام والأحزان التي قد يلقاها الأنسان في أهله في عيالهِ في أرحامهِ في أولادهِ أو في أموالهِ، البأساء هو ما يكون حوله، البأساء ما يلقاه الإنسان من خوفٍ من السلاطين، المشاكل التي تأتي بسبب الأوضاع السياسية بسبب الأوضاع الاقتصادية بسبب الأوضاع الاجتماعية والحروب تدخل في ذلك، اما الضراء ما يصيب الإنسان جسدياً شخصياً بنحوٍ مباشر مثل الأمراض مثل الجراحات مثل التعذيب مثل القتل ما يلقاه الإنسان بشكلٍ شخصي يعني الضرر يكون مباشر عليهِ بشكلٍ مادي أما البأساء تتحدث عن الألم النفسي الذي يلقاه الإنسان من الأضرار المحيطة به أضرار عائلية مشاكل عائلية مالية سياسية اقتصادية أمنية اجتماعية.

﴿أَم حَسِبتُم أَن تَدخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم مَّسَّتهُمُ البَأسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلزِلُوا﴾ زُلزلوا، الزلزلة أصل هذه الكلمة مأخوذة من زلَّ وزلَّ: يعني انحرف مالَ، فلأن الزلزلة هي هزة قوية شديدة فركبت الكلمة تركيباً فهي زلَّ وزلَّ فصارت زلزلة يعني أن الخض والانحراف والميل يكون شديداً ﴿أَم حَسِبتُم أَن تَدخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم مَّسَّتهُمُ البَأسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلزِلُوا﴾ فُتِنوا إلى الحد الذي يصيب الناس اليأس ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ يعني هذا اللسان العام هذا لا يعني أن الرسول يائسٌ، قطعاً الرسول لا يصل إلى هذه الحالة ولا يمكن أن يتطرق اليأسُ إلى قلبهِ إن كان من الرسل السابقين أو كان الحديث عن نبينا والحديث هنا في الآية عن نبينا الأعظم لأن الخطاب للمسلمين.

﴿أَم حَسِبتُم أَن تَدخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم مَّسَّتهُمُ البَأسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصرُ اللّهِ﴾ بسبب تراكم البلاء بسبب شدة الامتحانات بسبب شدة ما يلقونه أهل الله قبل قليل أنا قلت وأنا أتحدثُ عن الدنيا إن أهل الحق على طول الخط دائماً هم في مآزق دنيوية دائماً هم في مشاكل يدخلون إلى مشاكل يخرجون منها يدخلون في مشاكل أخرى دائماً هم في معاناة لا يعلمون من أي جهةٍ تأتي المعاناة تأتيهم المعاناة من شرق الأرض ومن غربها البلاءات متواصلة معهم وهذه قضية واضحة لمن أراد أن يقرأ تأريخ أهل الحق فيصيبهم اليأس بذلك ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ الرسول هنا إنما يقول، يقول بقول أصحابه ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصرُ اللّهِ﴾ القرآن يجيب ﴿أَلا إِنَّ نَصرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾ قريب في المنظور الإلهي لا في المنظور البشري ظهور الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه النصر القريب المقصود هنا هو ظهور الإمام الحجة النصر الذي نالهُ المسلمون هذا

نصر جزئي النصر الحقيقي حين يبسط العدل على كل الأرض هذا هو النصر الحقيقي النصر الحقيقي لرسول الله حينما ترتفع راية التوحيد في كل مكان لا في أماكن معينة في بيوت في المدينة لأن أهل المدينة لم يكن كلهم من الموحدين ولا أهل مكة ولا الجزيرة العربية ولا حتى الصحابة الذين صحبوا النبي كان فيهم الكثير من المنافقين، النصر الحقيقي هو متى ترتفع راية التوحيد في كل بقعةٍ من بقاع الأرض وهذا لا يكون إلا في زمان إمامنا صلوات الله عليه النصر القريب هو نصر الحجة بن الحسن وإلا نصر النبي مثلاً في فتح مكة أو في غير ذلك من المواقع التي انتصر فيها رسول الله صلى الله عليه وآله هذه مقدمات لذلك النصر الأعظم حتى سورة النصر ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ صحيح المفسرون يفسرونها في فتح مكة لكننا لو دققنا النظر فيها فإن دلالتها على فتح مكة دلالة في وجه من الوجوه الدلالة الحقيقية لهذه السورة هي في فتح الإمام الحجة عليه السلام ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ الناس كل الناس في زمان رسول الله هل دخل كل الناس في دين الله؟

الآية واضحة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ﴾ الناس، الناس هنا كل الناس ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ فما كان قد تحقق في زمان رسول الله كان تحقق جزئي ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ الله يقول ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ وقريبٌ إن شاء الله، ويرونه بعيداً وَنَرَاهُ قَرِيبًا، هذه الرؤية الإلهية وليس الرؤية البشرية المحدودة هذه ليست رؤيتي ليس رؤية الإنسان المحدودة هذه الرؤيا الإلهية.

﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ كيف يكون نصر الله قريباً؟ لأن الله سبحانه وتعالى قد هيأ المقدمات لهذا النصر والأمور متجهة باتجاه هذا النصر القانون الإلهي حتى لو لم يتمكن البشر من تحقيق المقدمات المقدمات الإلهية الله يهيئها وقد هيئها لو لم يبقى من عمر هذه الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم لأي أمرٍ؟ حتى يأتي إمامنا صلوات الله وسلامه عليه فيصلح الله له أمرهُ في يومٍ وليلة في ليلة في بعض الروايات فالنصر قريب لأن المقدمات قد هُيئت فهذا هو النصر القريب مثل ما أن الإنسان مثلاً يخطط لأمرٍ ما القريبون منه لا يرون أن هذا الأمر سيتحقق لكنه هو عالِم سيتحقق لماذا؟ لأنه قد أعد تمام المقدمات لهذا الأمر وهو يعلم إن هذه المقدمات حين تُعد لابد أن توصل إلى النتيجة المطلوبة لكن القريبين منه لا يشعرون بذلك لأنهم لا يرون شيئاً موجوداً على أرض الواقع لأن طبيعة الإنسان يتعامل في دائرة المحسوسات فلذلك هذه الرؤية

الرؤية الإلهية ﴿أَلَا إِنَّ نَصرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ فهو آتٍ صلوات الله وسلامه عليه ونصرهُ آتٍ وهو قادمٌ ونصرهُ قادم لكن القضية قضية وقت وقضية الوقت هي هذه التي تشغل الإنسان لأن الإنسان هلوع جزوع عجول.

﴿أَم حَسِبتُم أَن تَدخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم مَّسَّتهُمُ البَأسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ ونصر الله قريبٌ إن شاء الله ﴿يَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُل مَا أَنفَقتُم مِّن خَيرٍ﴾ من هم الذين يسألون؟ الذين كانوا مع النبي صحابة النبي المجتمع الذي يحيط بالنبي ﴿يَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ ماذا ينفقون قطعاً السؤال هنا إذا أردنا أن ننظر إليه من جهة لفظية كما يقال من حاق اللفظ إذا أردنا أن ننظر إلى هذا السؤال من لحاظ حاق اللفظ يعني من نفس اللفظ بما هو لفظ ﴿يَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ سيكون الجواب ينفقون أموالاً لكن هم لا يسألون عن هذه القضية لأن هذه المسألة واضحة بالبديهة لهم ﴿يَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ يعني يسألونك كيف ينفقون أين ينفقون هذا المقصود أما السؤال بحدود حاق اللفظ ماذا أنفق؟ تنفق مالاً تنفق شيئاً مما أنت تملكهُ لكن هم لا يسألون عن هذه القضية لبداهة هذه القضية فالسؤال هنا عن كيفية الإنفاق وعن الجهات التي ينفقون لها أو فيها أو بها ﴿يَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُل مَا أَنفَقتُم مِّن خَيرٍ﴾ من أي خير؟ يعني إن كان هذا الخير دراهم ودنانير، كان هذا الخير لباس وطعام، كان هذا الخير ثياب ومساكن، من خيرٍ بشكلٍ عام.

﴿يَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُل مَا أَنفَقتُم مِّن خَيرٍ فَلِلوَالِدَينِ وَالأَقرَبِينَ﴾ الأقربين الذين هم من جهة الوالدين يعني أرحام الأب وأرحام الأم ﴿فَلِلوَالِدَينِ وَالأَقرَبِينَ وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابنِ السَّبِيلِ﴾ طبعاً هذا في أفق وهذا واضح، اليتامى واضح الذين فقدوا آبائهم في لغة العرب لا يقال لمن فقد أمه يتيم ولو قيل ذلك فإن ذلك على نحو المجاز اليتيم هو الذي فقد أباه، نعم بالنسبة للحيوانات الحيوانات إذا فقد الحيوان الصغير أمه يقال له يتيم لأن نظام الحياة في الحيوانات أن الأم هي التي تتكفل بمعيشة صغيرها في الإنسان أن الأب هو الذي يتكفل بمعيشة صغيرهِ بمعيشة أولادهِ لذلك في الإنسان فاقد الأب يقال له يتيم وفي الحيوانات فاقد الأم لأنه في النظام الحيواني الأب يترك الصغير الأم هي التي تبتلي بتربيتهِ وبرعايتهِ في النظام الإنساني بالعكس الوالد، طبعاً هذا الشيء الطبيعي أما هناك من الآباء المهملين الذين يتركون هذه المسؤولية على زوجاتهم هذه قضية أخرى نحن نتحدث عن القانون الطبيعي العام.

﴿يَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ مَا أَنفَقتُم مِّن خَيرٍ فَلِلوَالِدَينِ وَالأَقرَبِينَ وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ﴾ المساكين الذين أصابتهم المسكنة المذلة بسبب الحاجة والعوز ﴿وَابنِ السَّبِيلِ﴾ الذي أنقطع به الطريق في أفق آخر.

﴿قُلِ مَا أَنفَقتُم مِّن خَيرٍ فَلِلوَالِدَينِ﴾ الوالدان الحقيقيان مُحَمَّدٌ وعلي والخير هنا ﴿مَا أَنفَقتُم مِّن خَيرٍ﴾ من كل ما تستطيعون من خيرٍ من علم من خيرٍ من جهادٍ في سبيل الله من خيرٍ من أمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر من خيرٍ من مال ينفق في سبيل الله من خيرٍ من صلةٍ لأرحامهم من زيارةٍ لهم من قريبٍ أو من بعيد من إحياء أمرهم ﴿يَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ مَا أَنفَقتُم مِّن خَيرٍ فَلِلوَالِدَينِ﴾ أنا وأنت يا علي أبوا هذه الأُمَّة الأبوان الحقيقيان هما ﴿وَالأَقرَبِينَ﴾ أئمتنا المعصومون أقرباء هذين الوالدين ﴿وَاليَتَامَى﴾ هم شيعة أهل البيت والروايات تقول: **أشدُ من يُتم اليتيم الذي فقد والدهُ ذلك اليتيم الذي انقطع عنه إمامه وغاب عنه إمامه.** يتيم يعني منقطع ﴿وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ﴾ المساكين الذين أصابتهم المسكنة بسبب غيبة إمامهم ﴿وَابنِ السَّبِيلِ﴾ ابن السبيل هذا المنقطع المتحير الذي لا يدري أيذهب إلى أهل الحق أو يذهب إلى أهل الباطل، ابن السبيل الذي ينفقُ ويتعبُ عليه لأجل أن يؤتى به إلى طريق الحق هذا منقطع في الطريق واقف في منتصف الطريق لا يملك دليلاً، لا على الحق ولا على الباطل ومثل هذا كثيرٌ في الناس.

﴿يَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ مَا أَنفَقتُم مِّن خَيرٍ فَلِلوَالِدَينِ وَالأَقرَبِينَ وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفعَلُوا مِن خَيرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ الآية التي بعدها ﴿كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرهٌ لَّكُم وَعَسَى أَن تَكرَهُوا شَيئًا وَهُوَ خَيرٌ لَّكُم وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُم﴾ هذه طبيعة البشر هذه الطبيعة البشرية الإنسان ربما يحب أشياء وفيها ضرره ويكره أشياء وفيها منافعه الإنسان في بعض الأحيان يتوقع أن نجاته من هذا الباب من هذا الطريق لكن هذا الطريق يقوده إلى الهلاك وفي بعض الأحيان يتوقع أن هلاكه من هذا الطريق وبالتالي هذا الطريق يقوده إلى النجاة هذه الطبيعة البشرية ومرد ذلك إلى أي شيءٍ؟ إلى جهل الإنسان فإن الإنسان أولاً يجهل الغيب لا يعلم عواقب الأمور هذا أولاً وثانياً الإنسان هلوع وجزوع وعجول لا يتبصر في الأمور بحكمة وثالثاً الإنسان لا يعتبر التجارب التي تمر به لا يعتبر بها ولا يعتبر أيضاً بتجارب الآخرين فهو لا يعلم الغيب ولا يتصرف بحكمة ولا يعتبر من تجاربه ومن تجارب الآخرين وهو مع كل ذلك هو قليل العلم معلوماته قليلة مهما أوتي من العلم وعقله محدود النظر هو بحاجة إلى جهة نظرها بعيد عقلها واسع علمها واسع عالمه

بالغيب تقوده إلى الصلاح وهذه هي الحاجة الفطرية والطبيعية للإنسان أنه يحتاج إلى الجهة المعصومة الكاملة ﴿كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرهٌ لَّكُم وَعَسَى أَن تَكرَهُوا شَيئًا وَهُوَ خَيرٌ لَّكُم وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُم﴾ لماذا؟ ﴿وَاللَّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لَا تَعلَمُونَ﴾ مشكلتكم هي هذه أنكم لا تعلمون لا تعلمون الغيب لا تملكون الحكمة الكاملة فلا تعلمون الحكمة الكاملة وكذلك لا تفكرون في التجارب وفي العبر وفي المواضع وعلمكم محدود الجهة التي تملك العلم الكامل الله سبحانه وتعالى ومن يمت إليه بصلة النبي الأعظم ومن كان في مقام النبي الأعظم الإمام المعصوم ﴿كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتَالُ﴾ المسلمون ما كانوا يحبون أن يقاتلوا كانوا يحبون أن يعيشوا بسلام بهدوء لكن الله فرض عليهم الجهاد ﴿كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرهٌ لَّكُم﴾ نفوسهم ما كانت ميالة إلى هذا الأمر حينما نقرأ في مجريات واقعة بدر الواقعة الكبرى التي رسمت خطاً فاصلاً بين الحق والباطل بين الإسلام وغير الإسلام نجد أن المسلمين ما كانوا على رغبةٍ أبداً في القتال وكانوا يحبون أن ينالوا الغنيمة كانوا يحبون أن يدركوا القافلة التي جاء بها أبو سفيان من الشام.

﴿كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرهٌ لَّكُم﴾ قطعاً الآية هنا لا تتحدث عن واقعة بدر بشكلٍ خاص وإنما تتحدث عن واقعة بدرٍ في السياق بنحوٍ عام حينما شرع القتال ﴿كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرهٌ لَّكُم وَعَسَى أَن تَكرَهُوا شَيئًا وَهُوَ خَيرٌ لَّكُم وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُم وَاللَّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لَا تَعلَمُونَ﴾ إذاً النجاة أين تكون؟ النجاة تكون في التسليم للجهة العالمة التسليم لأمر الله، الله سبحانه وتعالى وضع لنا باباً عالماً كاملاً جعل لنا مدينةً للحكمة وجعل لها باباً أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها أنا مدينة الحكمة وعليٌّ بابها فمن أراد المدينة ومن أراد الحكمة ومن أراد العلم فليأتي المدينة من بابها هذه الجهة الوحيدة التي نستطيع أن نسلم لها هذه الجهة الوحيدة التي نستطيع أن نؤمن بها وأن نأمن لها أن نؤمن بها أن نعتقد بها وأن نأمن لها أن نأمن لها أن نعتقد أن الأمان فيها وأن السلام فيها ﴿كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرهٌ لَّكُم وَعَسَى أَن تَكرَهُوا شَيئًا وَهُوَ خَيرٌ لَّكُم وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُم وَاللَّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لَا تَعلَمُونَ﴾ الإنسان لو يفكر في هذه الحقيقة وكيف أنه لا يدرك الأمور فلربما يحبُ شيئاً وضرره في ذلك الشيء ولربما يكره شيئاً ومنافعه في ذلك الشيء المفروض الإنسان إذا عرف هذه الحقيقة أن يبحث عن الجهة التي تعرفُ منافع الناس ومضار الناس وهذه الجهة لابد أن يكون علمها كاملاً ولا يمكن أن تكون هناك جهة يكون علمها كاملاً إلا أن تكون تلك الجهة معصومة ولا يمكن أن يشخص الإنسان المعصوم من غيره إلا أن يكون التشخيص من الله سبحانه وتعالى والطريق

الأمين الوحيد لأن نأخذ التشخيص الإلهي هو النبي الأعظم لذا علينا أن نبحث عما قاله وعما وصى به النبي الأعظم لذلك وصى النبيُ الأعظم بالكتاب وبالعترة ووصية النبي بالكتاب والعترة دليلٌ على عصمة العترة لأن هذا الكتاب معصوم هل أحد يقول بأن القرآن ليس معصوماً؟ إذا كان القرآن معصوم إذاً لابد أن يكون المعادل له أيضاً معصوماً الثقلين يعني المتساويين فلما كان الكتاب معصوماً إذاً لابد أن تكون الجهة الأخرى جهة معصومة أيضاً.

﴿يَسأَلُونَكَ﴾ أيضاً هذا السؤال من صحابة النبي السؤال السابق ﴿يَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ السؤال الثاني ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُل قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفرٌ بِهِ وَالمَسجِدِ الحَرَامِ وَإِخرَاجُ أَهلِهِ مِنهُ أَكبَرُ عِندَ اللّهِ وَالفِتنَةُ أَكبَرُ مِنَ القَتلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُم حَتَّى يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُم إِنِ استَطَاعُوا وَمَن يَرتَدِد مِنكُم عَن دِينِهِ فَيَمُت وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَت أَعمَالُهُم فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الآيات بدأت تطول سورة البقرة هي أطول سور القرآن الكريم الآيات الأخيرة من سورة البقرة هي من أطول الآيات في الكتاب الكريم وأطول آية في القرآن الكريم ستأتينا في أواخر الآيات من آيات سورة البقرة صفحة كاملة من القرآن الكريم هي بمثابة آية من آيات سورة البقرة تأتينا في البرامج القادمة إن شاء الله تعالى هذه الآية التي تلوتها على مسامعكم هذه الآية متعلقة بحادثة معروفة حدثة لعبد الله بن جحش، عبد الله بن جحش هذا هو اخو زينب بنت جحش التي تزوجها النبيُ الأعظم صلى الله عليه وآله وهي ابنةُ عمته وعبد الله بن جحش هو ابن عمة النبي صلى الله عليه وآله، النبي أمر عبد الله بن جحش مع مجموعة من المسلمين أن خرجوا في سرية هناك تفاصيل في التأريخ أنا ما أريد أن أدخل فيها خرج عبد الله بن جحش في سريه والتقى بمجموعة من قريش معهم أموال فدخلوا في نزاع في قتال فقتلوا بعض أفراد هذه المجموعة من قريش وغنموا منهم الأموال وجاءوا بأسرى أيضاً يعني عبد الله بن جحش مع المسلمين الذين كانوا معه وهم خرجوا لمراقبة الطريق فاصطدموا بمجموعة من قريش فقتلوا بعضاً منهم هذا الكلام قبل واقعة بدر فقتلوا مجموعة منهم وغنموا أموالاً وأسروا أفراداً منهم ورجعوا إلى المدينة كان ذلك بالضبط في اليوم الأول من شهر رجب ربما لم يكونوا ملتفتين إلى أن هذا اليوم هو اليوم الأول من شهر رجب وشهر رجب أحد الأشهر الحرم وكانت العرب تحرم القتال فيه والمسلون أيضاً يحرمون القتال فيه.

فعبدالله بن جحش مع هذه المجموعة من المسلمين إذاً انتهكت حرمة الشهر انتهكت القانون فقتلوا أفراداً من قريش وغنموا أموالهم وأسروا بعضاً منهم ورجعوا إلى المدينة مع الأسرى والأموال التي اغتنموها النبي طبعاً لامهم قال أنا ما أمرتكم أن تقتلوا أحداً أو أن تسلبوا مالاً لكن حدث الذي حدث وربما كان عبد الله بن

جحش ومن معه غير ملتفتين إلى هذا اليوم والناس ما كانت تلتفت إلى الحساب الدقيق ما كان موجود متابعه للأيام ما كان موجود مثلاً متابعه رسمية ما كان موجود التقويم ما كان موجود الناس كانت تحسب بطريقة أخرى وبطرق مختلفة حسابات بدائية كانت للأيام وللأشهر على أي حال فوقعت هذه الواقعة في الأول من شهر رجب فضجت قريش وأحلاف قريش وقالوا إن مُحَمَّداً لا يلتزم لا بعروف لا بآداب عامة لا بأحكام وبدأ المسلمون يلوم بعضهم بعضاً فجاءوا يسألون رسول الله ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ هل من قتالٍ في الشهر الحرام؟ هؤلاء يسألون من صحابة النبي مر علينا قبل قليل ﴿يَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ هذا السؤال سؤال ثاني ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ يسألون النبي فماذا كان الجواب؟ ﴿قُل قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ القتال في الشهر الحرام جرمٌ كبير ﴿قُل قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ كبير يعني من الكبائر ﴿قُل قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ هذا من أكبر الكبائر ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ﴾ وهذا صدٌ عن سبيل الله يعني هذا حرب، حرب لسبيل الله الحرب الصد المنع ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفرٌ بِهِ﴾ كفرُ به كفرٌ بسبيل الله أو كفرٌ بالله ﴿وَالمَسجِدِ الحَرَامِ﴾ يعني صَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفرٌ بِهِ وكفرٌ بسبيل الله وصدٌ عن المسجد الحرام هذا ومنعٌ للناس عن المسجد الحرام كيف يكون المنع عن المسجد الحرام؟ باعتبار أن هذه المشاكل إذا ما وقعت ستسبب إلى إحداث مشاكل كبيرة فيما بين قريش وبين المسلمين وسيمنع المسلمون حينئذٍ من الوصول إلى المسجد الحرام.

﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ يا رسول الله هل يحل القتال في الشهر الحرام؟ ﴿قُل قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ قل إن القتال إن القتال في هذا الشهر من الكبائر جرمٌ كبير ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ﴾ ومنعٌ لسبيل الله ﴿وَكُفرٌ بِهِ﴾ كفرٌ بالله أو كفرٌ بسبيل الله ﴿وَالمَسجِدِ الحَرَامِ﴾ وكذلك صدٌ عن المسجد الحرام ثم تقول الآية الله يقول ﴿وَإِخرَاجُ أَهلِهِ مِنهُ أَكبَرُ عِندَ اللّهِ﴾ لكنكم أيها المشركون أما أخرجتم رسول الله وأخرجتم المسلمين فمنهم من هاجر إلى الحبشة ومنهم من هاجر إلى المدينة هدمتم بيوتهم نهبتم أموالهم وهذا كله في المسجد الحرام وفعلتم ذلك في كل وقت إن كان في الأشهر الحرم وفي غيرها ما فعلتموه أكبر من هذا الأمر الذي فعله عبد الله بن جحش هو صحيح إن القتال في الأشهر الحرم في الشهر الحرام أمرٌ كبير وصدٌ عن سبيل الله لكن ما فعلتموه أنتم أكبر من هذا ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُل قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أمرٌ كبير

هذا القتال ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ﴾ وصدٌ عن المسجد الحرام ولكن ﴿وَإِخرَاجُ أَهلِهِ مِنهُ﴾ من المسجد الحرام ﴿أَكبَرُ عِندَ اللّهِ وَالفِتنَةُ أَكبَرُ مِنَ القَتلِ﴾ وما تقومون به من تعذيب المسلمين الفتنة والامتحان ما تقومون به من تعذيب المسلمين ما تقومون به من الإجراءات الشديدة التي اتخذتموها بحق المسلمين فإنها أكبر من القتل إذا الآن أشخاص قتلوا منكم فما فعلتموه من الفتنة من التعذيب بالمسلمين كان أكبر من القتل ﴿وَالفِتنَةُ أَكبَرُ مِنَ القَتلِ﴾ ثم تقول الآية ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُم﴾ هؤلاء لن يتركوكم هذي القضية الآن يثيرونها قضية الشهر الحرام هذي قضية يريدون إثارتها لتشويه سمعتكم صحيح هي من الأمر الخطأ لا يحق لكم أن تقاتلوا في الشهر الحرام وهذا أمر مرفوض لكن القضية بالنسبة لهم ليست بهذا الاتجاه وإنما هي باتجاه آخر الآية تبين الحقيقة بشكلٍ آخر وتقول بأنهم سوف يقاتلونكم ويقاتلونكم ولن يتركوكم.

﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُم حَتَّىَ يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُم إِنِ استَطَاعُوا﴾ هؤلاء يريدون أن يروكم عن دينكم إن استطاعوا ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُم حَتَّىَ يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُم إِنِ استَطَاعُوا وَمَن يَرتَدِد مِنكُم عَن دِينِهِ﴾ وإذا استجاب أحد أو فشل في الامتحان ﴿وَمَن يَرتَدِد مِنكُم عَن دِينِهِ فَيَمُت وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَت أَعمَالُهُم فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ﴾ هؤلاء لن يجنوا شيئاً لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿وَأُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أعتقد أن معنى الآية صار واضحاً أمر عليها تلاوةً لأجل التذكير بكل الآية وهي الآية السابعة بعد العاشرة بعد المئتين:

﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُل قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالمَسجِدِ الحَرَامِ وَإِخرَاجُ أَهلِهِ مِنهُ أَكبَرُ عِندَ اللّهِ وَالفِتنَةُ أَكبَرُ مِنَ القَتلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُم حَتَّىَ يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُم إِنِ استَطَاعُوا وَمَن يَرتَدِد مِنكُم عَن دِينِهِ فَيَمُت وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَت أَعمَالُهُم فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ حَبِطَت أَعمَالُهُم: بطلت أعمالهم ﴿وَأُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أُولَئِكَ يَرجُونَ رَحمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هنا الآية تبين لنا الخط العام للصلاح بعد ما تحدث الآية عن هذه الواقعة وعن ما فعله عبد الله بن جحش، عبد الله بن جحش أستشهد بعد ذلك في أحد وهو من شهداء احد رضوان الله تعالى عليه الآية هنا تتحدث عن الجو العام للصلاح

وللإصلاح ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أمنوا ثم هاجروا ثم جاهدوا لأنه قبل قليل مر علينا ﴿كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرهٌ لَّكُم﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرجُونَ رَحمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وإن الله سبحانه وتعالى عند حسن ظن عبده المؤمن فهؤلاء يرجون رحمته فإذا رجوا رحمته فإن الله سيكون عند حسن ظنهم فإن رحمته ستتنزل عليهم إن كان ذلك في الدنيا أو كان ذلك في قبورهم أو كان ذلك في مواقف يوم القيامة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهذي هي الأوصاف الأكمل للإنسان المؤمن في زمان رسول الله وفي أي زمان.

الذين أمنوا في زماننا مثلاً والذين هاجروا الهجرة هجرتان في زماننا هجرةٌ من الذنوب وهجرةٌ إلى أهل البيت الذين أمنوا الذين أمنوا بأهل البيت الذين أمنوا بمحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وهاجروا هاجروا الهجرتين الهجرة الأولى هجرة الذنوب هجرة المعاصي الهجرة من كل ما يبعد عن الله والهجرة الثانية هي الهجرةُ إلى إمام زماننا الهجرة إلى أهل البيت فلنشد الرحال نتوجه نهاجر إلى إمام زماننا لنهاجر إلى مُحَمَّدٍ وآل محمَّد الهجرة إلى مُحَمَّد وآل مُحَمَّد هي هجرةٌ لا عن طريق الطائرات ولا عن طريق أن نعبر الحدود ولا عن طريق أن نقطع المسافات هذه هي هجرة العقول والقلوب هجرة المشاعر والأحاسيس والعواطف أن نوجه عقولنا وقلوبنا ومشاعرنا وأحاسيسنا وعواطفنا أن نوجه حياتنا بكلها باتجاه مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد فلنهاجر نهاجر إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ومن هاجر إلى مُحَمَّدٍ وآل محمَّد فإنه قطعاً محتاجٌ إلى الجهاد في سبيل الله وسبيلُ الله كما مر علينا في روايات أهل البيت سبيلُ الله عليٌّ وآلُ علي هذا التعبير الصريح ورد في الروايات سبيلُ الله عليٌّ وآلُ علي إذاً لنهاجر في هذا الطريق في هذا السبيل ولنجاهد في هذا الطريق من أراد النجاة هذه وصفةُ النجاة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآن الكثير من الناس يجلسون أمام شاشات التلفاز بحثاً عن دواءٍ لأي شيءٍ؟ عن دواءٍ يزيل التجاعيد من الجلد يتسمرون أمام التلفاز ينتظرون علاجاً أو دواءً للصلع مثلاً خصوصاً النساء اللاتي يردنا أن يطول شعرهن أو أن يكون بشكلٍ أجمل يتسمر الناس أمام شاشات التلفاز لأي شيءٍ؟ هذا طبعاً في الحالات الحسنة أما هناك حالات سيئة أخرى أنا لا أريد الحديث عنها هناك من يتسمر أمام التلفاز بحثاً عن المعاصي وحباً في المعاصي لكن أنا لا أتحدث عن هؤلاء أتحدث عن كثيرٍ من الناس يتسمرون أمام التلفاز لأجل أن ينالون وصفةً للتنحيف مثلاً وما في ذلك من ضرر ما في ذلك من عيب بالعكس هذي أشياء حسنة أن الإنسان يحب الجمال والتجمل إن الله جميل ويحب الجمال ليس في ذلك من عيبٍ ولا من ضرر

لكنني في حال مقايسة الأمور هناك أمور فاضلة وهناك أمور أفضل وهناك الأفضل هناك ما هو مفضول فاضل أفضل والأفضل الأمور مختلفة هذه وصفة هذه وصفة كاملة هذه وصفة كاملة لأي شيءٍ؟ للنجاة من أراد أن ينجو مثلما الإنسان يتعلم مثلاً في مؤسسات في معاهد الدفاع المدني كيف ينجو هو من الحرائق كيف ينجو في حال وقوع الزلازل كيف يساعد الآخرين على النجاة مثلما الإنسان يتعلم طريقة التنفس الاصطناعي وأمثال هذه الأمور هذه وصفة، وصفة قرآنية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أمنوا بعليٍّ وآل علي وهاجروا هاجروا إلى عليٍّ وآل علي بهجرة القلوب والعقول والمشاعر والأحاسيس والعواطف ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جاهدوا في سبيل عليٍّ وآل علي ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ وستنزل رحمة الله على قومٍ هاجروا إلى عليٍّ وآل علي قطعاً الرحمة تنزل عليهم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

ثم تقول الآية التي بعد ذلك ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثمُهُمَا أَكبَرُ مِن نَّفعِهِمَا وَيَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ العَفوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ﴾ هذه الآية هي التاسعة بعد العاشرة بعد المئتين من سورة البقرة هنا أيضاً هنا سؤالان سؤال الأول ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ﴾ السؤال الثاني ﴿وَيَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ تلاحظون هنا مجموعة من الأسئلة السؤال الأول مر علينا ﴿يَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ السؤال الثاني ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ السؤال الثالث هذا ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ﴾ السؤال الرابع ﴿وَيَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ هذه أربعة أسئلة هذه الأسئلة موجهة من صحابة النبي إلى النبي صلى الله عليه وآله ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ﴾ الميسر هو القمار وهذا المعنى واضح اعتقد لديكم وإنما قيل للقمار الميسر لأن الإنسان يحصل فيه على الأموال بيسرٍ وسهولة العرب سمة القمار بالميسر لأن الناس يحصلون فيه على الأموال بيسرٍ وسهولة قطعاً ليس كل الناس وإنما هناك من الناس من يحّصل وإلا هناك أيضاً من الناس من يخسر كل شيءٍ بيسرٍ وسهولة الميسر مثلما الإنسان يربح على أمول بيسرٍ وسهولة يخسر كل شيءٍ بيسرٍ وسهولة الميسر هنا عنوان عام لكل أنواع القمار لكل المقامرات والعرب كانت عندها أشكال مختلفة من القمار أنا لا أريد الدخول في هذا الموضوع لكن العرب كان عندهم أشكال مختلفة من القمار كان عندهم قمار الرهان فيه يكون بالدنانير بالذهب والدراهم وكان عندهم قمار يكون

فيه الرهان بالطعام باللحوم مثلاً يذبحون جملاً أو ناقة ويتقامرون بلحمها ويقسمون لحم هذا البعير المذبوح أو لحم الناقة المذبوحة إلى أقسام وأسهم هناك أنحاء مختلفة من اللعب القماري عند العرب فالميسر هو القمار بشكلٍ عام، الخمر واضح معناه وإنما سمي خمراً لأي شيءٍ؟ لأنه يغطي العقل، الخمر في لغة العرب التغطية ولذا يقال لغطاء وجه المرأة خمار المرأة حين تغطي وجهها بقطعة قماشٍ ماذا يسمى هذا؟ يسمى بالخمار وكل ما يغطي شيئاً يقال له خمار وقيل لهذا الشراب المسكر بأنه خمر لأنه ماذا يصنع؟ لأنه يخمر العقل يغطي العقل يخمر الحالة الطبيعية الفكرية المتزنة للإنسان فسمي خمر في لغة العرب.

﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ﴾ الإثم هنا إما المراد من الإثم يعني الضرر المترتب في الحياة الدنيوية أو الضرر المترتب في الحياة الدنيوية وما يترتب عليه من ضررٍ في الحياة الأخروية يعني الجرم ﴿قُل فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ لكن بقرينة منافع للناس إذاً المراد من الإثم المضار، المضار الصحية والنفسية والمضار الاجتماعية الحقيقة من يراجع ما يكتب الآن في الغرب من تقارير وبحوث ودراسات علمية والكثير منها موجود على الإنترنت من خلال متابعاتي لا لأنني أعتقد الإسلام وأن الإسلام يحرم الخمر أقول هذا الكلام بغض النظر عن الإسلام وبغض النظر عن تحريم الخمر أقرأوا ما يكتب الغربيون عن أضرار الخمر أكثر شيء من خلال تتبعي وجدته يسبب أضراراً للناس هو الخمر لا بقولي أنا ولا بأقوال إسلامية بأقوال التقارير والدراسات التي كتبتها مؤسسات ومعاهد علمية رصينة معروفة وهذه الأبحاث موجودة على الإنترنت باللغتين العربية والإنكليزية دراسات واسعة جداً مثلاً على سبيل المثال هناك دراسات وإحصاءات وجداول موجودة عن مئات آلاف الحوادث التي تقع سنوياً بسبب ماذا؟ بسبب شرب الخمر حوادث السير حوادث مئات آلف من الحوادث وفي بعض الحوادث يؤدي ذلك إلى عشرات من القتلى مثلاً في الطرق السريعة والطرق السريعة عادةً خصوصاً مثلاً في الولايات المتحدة الأمريكية أو حتى في دول أخرى السرعة مفتوحة في بعض الطرق غير محددة مثلاً أو حتى إذا كانت السرعة محددة لكن محددة في أفق عالي مثلاً ويحدث اصطدام أو سيارة تنقلب بسبب سُكر صاحبها فهذا يؤدي إلى أن تصطدم عشرات السيارات في أحد الحوادث خمس مئة سيارة اصطدم بعضها بالبعض الآخر في أحد الطرق الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية حادث سير وقع والسبب سكران، سكران اصطدم بسيارة وسيارات سريعة وواحدة تضرب الأخرى إلى خمس مئة سيارة هناك مئات آلاف الحوادث في العالم تحدث تؤدي إلى دمار اقتصادي أضرار اقتصادية هائلة وأضرار إما أن الناس يموتون أو يعوقون طبعاً أما هناك أضرار أخرى غير أضرار حوادث السيارات أضرار الحرائق حرائق في البيوت حرائق في الملاهي حرائق في البارات حرائق في المراقص وبعض

الأحيان حتى حرائق في الغابات والمتنزهات العامة حينما يكونون سكارى في مثل هذه الأماكن ويسببون الحريق والاشتعال وهناك أيضاً عشرات آلاف الحوادث من هذا القبيل وطبعاً حوادث مثل هذه تؤدي إلى كوارث كبيرة جداً وطبعاً هناك حوادث أخرى أيضاً حوادث شخصية من قبيل أنه يأتي سكران فقد يقتل زوجته فقد يقتل أولاده هناك الكثير من الجرائم حتى من جرائم الشوارع جرائم كثيرة تقع بسبب الخمر وطبعاً هناك حوادث كثيرة أيضاً تتعلق بالجانب الصحي ومن أخطر الأمراض التي تصيب الإنسان من أهم أسبابها التدخين والخمرة، والخمرة في بعض الأحيان تكون أكثر خطراً من التدخين وهذي مسائل يعرفها المختصون والتقارير العلمية موجودة وأنا هنا لا أريد الحديث عن هذا الموضوع لكن لأن الآية ماذا قالت؟

﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ إثمٌ كبير يعني في الخمر وفي الميسر يعني الخمر فيه إثمٌ كبير والميسر فيه إثمٌ كبير وفي الاثنين أيضاً منافع للناس منافع للناس المنافع التي يراها الناس أنها منافع لهم مثلاً قد يرى الناس المتعة في لعب القمار فهذا في نظر الناس منفعة قد يرى الناس هؤلاء الذين يغلبون في القمار يرون أن القمار وسيلة من وسائل التكسب هذا في نظر الناس قد يرون ويرون بعض المنافع الناس يرونها لذلك الآية هنا أخذت المنظور الاجتماعي السطحي للناس وإلا نحن إذا ذهبنا إلى الآيات القرآنية الأخرى نجد أن الآيات القرآنية التي تحدثت عن الخمر تحدثت في عدة آفاق.

على سبيل المثال مثلاً إذا نذهب إلى سورة النحل فماذا نجد؟ في الآية السابعة والستين الآيات في سياق تعدادي على النعم الإلهية ما أسبغه الله على عباده من النعم مثلاً ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ الآية التي بعدها ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ الآية التي بعدها ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ الآيات كما قلت في سياق آياتٍ تتحدث عن جزيل النعم الإلهية التي أسبغها على العباد الآية السابعة والستين ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ ثمرات النخيل التمور والأعناب واضح ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ سكراً يعني تتخذون منه شراباً مسكراً الآيات هنا تعدد المنافع التي ينتفع الناس منها لأن الناس تتصور أن هذا الشراب المسكر هو من الأشياء النافعة لهم والعرب كانت تقول يعني من يريد أن يكون شجاعاً مثلاً فليشرب الخمر العرب كانت تعتبر شرب الخمر يعين الإنسان على أن يكون كريماً وشجاعاً هكذا كانوا يقولون يعني أن الخمر يقوي القلب يعطيه الشجاعة ويعطي الإنسان القدرة على الكرم وأشياء أخرى يقولون عنها وحتى الشعراء يقولون يعني بأن الخمر يؤدي إلى أن يفتح القابلية أو الذهنية الشعرية عند الإنسان ومثل

هذه الأمور يقولون هذا بحسب تصور الناس الآن العلم الحديث أثبت الأشياء خلاف ذلك مطلقاً والقرآن بينها بعد ذلك لنا لكن الناس كانت تقول هذا الكلام في هذا الأفق جاءت الآية ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعنَابِ﴾ والخمور كانت في الغالب تصنع إما من التمر أو من العنب وفي أغلب الأحيان كان العرب يصنعونها من العنب ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنهُ سَكَرًا﴾ سكراً يعني شراباً مسكراً ﴿وَرِزقًا حَسَنًا﴾ ورزقاً حسنا يعني تستطعمون التمور والأعناب وتنتفعون منها في طعامك في شرابكم وفي تجارتكم إذاً الآية هنا تتحدث عن أي شيءٍ؟ تتحدث عن الخمر لكن من دون أن تصفه بالحسن أو بالسيء وإنما تتحدث عن حياة الناس وكيف يتصرفون بما حولهم من نعم الله ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنهُ سَكَرًا وَرِزقًا حَسَنًا﴾ أن الله من عليكم بثمرات النخيل بثمرات الأعناب فأنتم إما تنتفعون منها رزقاً حسنا أو تتخذونها شراباً سكراً هنا حينما نعود إلى سورة البقرة الآية التي نحن بصددها الآية هنا تتحدث عن منافع وأضرار:

﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ والحديث عن الإثم هنا بالوجه الظاهري العام الإثم، الإثم الدنيوي هو قطعاً في النظرة الدينية العميقة الإثم الدنيوي يقود إلى إثمٍ أخروي قطعاً الآية في الأفق الأعمق هي دالة على الإثم الأخروي لكن بقرينة ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ هو أصلاً ليس فيه من منافع لا في الخمر ولا في الميسر وإنما الناس تتصور أن فيه منافع ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثمُهُمَا أَكبَرُ مِن نَّفعِهِمَا﴾ إذاً الآية التي كانت في سورة النحل الآية السابعة والستون تحدثت قالت ﴿تَتَّخِذُونَ مِنهُ سَكَرًا﴾ فقط وصفت بأن هذا الشراب المسكر تستخرجونه من ثمرات النخيل والأعناب تحدثت فقط عن حالة اجتماعية موجودة في واقع المجتمع هنا الآية في سورة البقرة تتحدث عن أضرار ومنافع عن أضرار دنيوية ومنافع دنيوية وهذه الأضرار الدنيوية عبر عنها بالإثم وبذلك يوحي هذا الكلام إلى الإثم الأخروي وهذا أيضاً نجده في روايات أهل البيت أنهم يفهمون ويفسرون لنا الإثم المذكور هنا يفسرونه بالإثم الأخروي إضافة إلى الإثم الدنيوي ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثمُهُمَا أَكبَرُ مِن نَّفعِهِمَا﴾ طبعاً هذه الآية البعض يفهم أنها تبيح الخمر الآية لا تبيح الخمر الآية فيها دلالة على

التحريم طبعاً أيضاً إذا جمعناها مع آيات أخرى كما جاء في روايات أهل البيت الآية هنا تتحدث عن إثم كبير ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ﴾ إذا كان فيهما إثمٌ كبير كيف لا يحرم الخمر والميسر من خلال هذه الآية ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ﴾ هذه كبير تشابه الكلام الذي مر علينا قبل قليل في الآية ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُل قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ كبير الموجودة هنا في هذه الآية هي الموجودة في الآية ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ﴾ الآن هذه الآية ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُل قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ قتالٌ فيه كبير لا يختلف المفسرون في أن كبير الموجودة في هذه الآية دالة على حرمة القتال فنفس الشيء كبير الموجود في هذه الآية نفس كبير الموجود في آية الشهر الحرام ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثمُهُمَا أَكبَرُ مِن نَّفعِهِمَا﴾ الإثم أكبر من النفع حتى بحكم العقل لو رجعنا إلى حكم العقل وقايسنا هذه المقايسة العقل سيحرم الشرع هو حرم ﴿قُل فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ﴾ ولكن لو لم نذهب إلى الشرع وذهبنا إلى العقل فإذا كان هناك آثام أكثر من المنافع ألا يحكم العقل وتحكم الحكمة بالتحريم حينئذٍ؟

﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثمُهُمَا أَكبَرُ مِن نَّفعِهِمَا﴾ إذا نذهب إلى سورة النساء الآية الثالثة والأربعون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُم سُكَارَى حَتَّى تَعلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ الآية صريحة الآية هنا حرمت شرب الخمر أثناء العبادة وليس فقط أثناء العبادة أثناء كل أمرٍ يحتاجُ الإنسان فيه أن يعلم ما يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُم سُكَارَى﴾ لماذا؟ ﴿حَتَّى تَعلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ لهذه العلة كل موطن كل مورد يحتاج فيه الإنسان أن يعلم ما يقول لا يجوز له شرب الخمر بحسب هذه الآية ونحن مع هذه الآية لأنه كان كثير من الصحابة يشربون الخمر وكان هناك مجموعة من الصحابة سكارى ويصلون لذلك نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُم سُكَارَى حَتَّى تَعلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ نحن الآن مع الآيات القرآنية التي تحدثت عن الخمر لماذا الآيات القرآنية تحدثت في عدة آفاق؟ لأن هذه القضية كانت قضية كبيرة عند الناس الصحابة إلى زمان هجرتهم إلى المدينة المنورة وهم يشربون الخمر يشربون الخمر ويدخلون إلى المساجد يصلون القضية كانت مهمة عند العرب فلذلك القرآن تعرض إليها في عدة اتجاهات وصورها بعدة تصورات مرةً تحدث عنها بأنكم تتخذون من ثمرات النخيل ومن الأعناب تتخذون سكراً قال

﴿ وَرِزقًا حَسَنًا ﴾ يعني قال بأنكم تستعملون التمور والأعناب استعمالين قال ﴿ وَرِزقًا حَسَنًا ﴾ هو هذا التعبير ورزقاً حسنا يوحي بأن سكراً ليس رزقاً حسناً وإلا لماذا قال تتخذون منها سكراً حسناً ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنهُ سَكَرًا وَرِزقًا حَسَنًا ﴾ لماذا الآية جاءت هكذا؟ الآن إذا نذهب إلى سورة النحل إلى الآية السابعة والستين ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنهُ سَكَرًا وَرِزقًا حَسَنًا ﴾ الآية قالت ﴿ سَكَرًا وَرِزقًا حَسَنًا ﴾ يعني أن سكراً ليس رزقاً حسناً لو كان السكر رزقٌ حسن لَما احتاجت الآية أن تقسم أن المواطن التي كان ينتفع منها الناس من التمور ومن الأعناب في شيئين ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنهُ سَكَرًا وَرِزقًا حَسَنًا ﴾ يعني أن الرزق الحسن شيء والسكر هذا ليس برزقٍ حسن وإذا رجعنا إلى آية سورة البقرة لوجدنا ﴿ فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ ثم تأكيد ﴿ وَإِثمُهُمَا أَكبَرُ مِن نَّفعِهِمَا ﴾ .

ثم جاء هنا منع صريح أنه في الصلوات في العبادات في الموطن الذي تحتاجون فيه أن تعلموا ما تقولون لا تقربوا ذلك الأمر وأنتم سكارى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنتُم سُكَارَى حَتَّى تَعلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ إذا ذهبنا إلى سورة المائدة في الآية التسعين وفي الآية الحادية والتسعين المعنى يكون أجلا أكثر وضوحاً:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمرُ وَالمَيسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزلاَمُ رِجسٌ مِّن عَمَلِ الشَّيطَانِ فَاجتَنِبُوهُ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ ﴾ الخمر هنا رجس من عمل الشيطان فهل يحل للمسلم أن يتوجه إلى عمل الشيطان؟ أنا استغرب من الذين يقولون أن هذه الآية لا دلالة فيها على الحرمة هل يحل للمسلم أن يتعامل مع الشيطان مع رجسٍ من عمل الشيطان؟ لو كانت الآية فقط قالت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمرُ وَالمَيسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزلاَمُ رِجسٌ مِّن عَمَلِ الشَّيطَانِ ﴾ لكفى بذلك دليلاً واضحاً على الحرمة لو كان فقط الآية إلى هنا ووقفت الآن أي واحد إذا يسمع الآية بهذا الشكل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمرُ وَالمَيسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزلاَمُ رِجسٌ مِّن عَمَلِ الشَّيطَانِ ﴾ ألا يدل ذلك على الحرمة؟! أنا استغرب حقيقة من المفسرين حين يقولون بأن الآية لا تدل على الحرمة القطعية كيف لا تدل على الحرمة القطعية؟! لو كانت عند هذا الحد تقف فهي دالة على الحرمة القطعية لأن الآيات القرآنية نهت نهياً قاطعاً عن التعامل مع الشيطان إذا نرجع إلى آيات الكتاب في طريقة التعامل مع الشيطان هناك نهيٌ قاطع لتبرئ من الشيطان في جميع الحالات في النية وفي القول وفي الفعل في كل أمرٍ

في كل شأنٍ من الشؤون الحرمة هنا حرمة قطعية واضحة.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمرُ وَالمَيسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزلاَمُ رِجسٌ مِّن عَمَلِ الشَّيطَانِ فَاجتَنِبُوهُ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ ﴾ ثم الآية التي بعدها ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيطَانُ أَن يُوقِعَ بَينَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغضَاء فِي الخَمرِ وَالمَيسِرِ ﴾ فهل نطيع الشيطان في ذلك؟ ﴿ إِنَّمَا ﴾ للحصر الآية هنا تقول ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيطَانُ أَن يُوقِعَ بَينَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغضَاء ﴾ فهل يحل لنا أن نتعامل مع الشيطان وأن نيسر له غاياته أن يوقع فيما بيننا العداوة والبغضاء قطعاً هذه أدلة على التحريم، والتحريم المؤكد ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيطَانُ أَن يُوقِعَ بَينَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغضَاء فِي الخَمرِ وَالمَيسِرِ وَيَصُدَّكُم عَن ذِكرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَل أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ آيات صريحة واضحة هذا بيان واضح على التحريم.

وهناك آيات أصرح وأوضح إذا نذهب إلى سورة الأعراف في الآية الثالثة والثلاثين من سورة الأعراف ﴿ قُل إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ حرم تحريم ليس اجتنبوه كما يريد البعض أن يقول بأن اجتنبوه لا دلالة فيها على الحرمة القطعية ﴿ قُل إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثمَ وَالبَغيَ بِغَيرِ الحَقِّ وَأَن تُشرِكُوا بِاللّهِ مَا لَم يُنَزِّل بِهِ سُلطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعلَمُونَ ﴾ هذي الأشياء الكبيرة ﴿ حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثمَ وَالبَغيَ بِغَيرِ الحَقِّ وَأَن تُشرِكُوا بِاللّهِ مَا لَم يُنَزِّل بِهِ سُلطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعلَمُونَ ﴾ الافتراء على الله الشرك بالله سبحانه وتعالى كلها جاءت في هذه الآية الإثم هنا المراد من الإثم هو الخمر ﴿ قُل إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثمَ ﴾ الإثم هو الخمر أولاً بدلالة الآية التي جاءت في سورة البقرة ﴿ يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ ﴾ الآية تحدثت عن إثمٍ كبير هنا الحديث عن إثم عن الإثم وليس عن الإثم الكبير فقطعاً المراد هنا بالإثم هو الخمر بدلالة هذه الآية هذا واحد واثنين بدلالة الروايات، الروايات وهي الأصل المنقولة عن النبي عن المعصومين صلوات الله عليهم فسروا الإثم بالخمر وكذلك لغة العرب الإثم في لغة العرب لمن كان له خبرة ودراية بالأدب العربي وبلغة العرب الإثم هو الخمر وشاعرهم شاعر العرب يقول:

شربتُ الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثمُ تفعلُ بالعقولِ

شربت الإثم يعني شربت الخمر حتى ضل عقلي الخمر هو الذي يفعل الضلالة في العقل.

الآية صريحة ﴿قُل إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثمَ وَالبَغيَ﴾ أيضاً هناك عندنا في سورة الأنعام الحديث عن الأكل والشرب الآيات مثلاً الآية التاسعة بعد العاشرة بعد المئة ﴿وَمَا لَكُم أَلَّا تَأكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسمُ اللّهِ عَلَيهِ وَقَد فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيكُم إِلَّا مَا اضطُرِرتُم إِلَيهِ﴾ الآية التي بعدها ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثمِ وَبَاطِنَهُ﴾ الآية التي بعدها ﴿وَلَا تَأكُلُوا مِمَّا لَم يُذكَرِ اسمُ اللّهِ عَلَيهِ﴾ يعني الآية بصدد الأكل وبصدد الشرب وتعيين المحرم والمحلل من ذلك الآية العشرون بعد المئة وهي في سياق الآية التي قبلها ﴿وَمَا لَكُم أَلَّا تَأكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسمُ اللّهِ عَلَيهِ وَقَد فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيكُم﴾ والآية التي بعدها ﴿وَلَا تَأكُلُوا مِمَّا لَم يُذكَرِ اسمُ اللّهِ عَلَيهِ﴾ وما بين هاتين الآيتين ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثمِ وَبَاطِنَهُ﴾ الحديث هنا عن شرب الخمر الحديث بين أكلين بين آيتين تتحدثان عن الأكل أما ما هو ظاهرُ الإثم ما هو باطنه يعني هذه أنواع الخمور المسكرات أنحاء أشكال مختلفة وفي عصرنا هذا المسكرات أشكال وألوان وفي كل يوم يظهر لنا نوع من أنواع المسكرات، لكن هذه الآية وهي الآية الثالثة والثلاثون من سورة الأنعام واضحة صريحة ﴿قُل إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثمَ وَالبَغيَ﴾ .

شربتُ الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثمُ تفعلُ بالعقولِ

عندنا رواية جميلة ينقلها عليُّ بن يقطين، عليُّ بن يقطين من شيعة أهل البيت إلا أنه يخفي تشيعه أبوه كان من زعماء الدولة العباسية من مؤسسي الدولة العباسية في مجلس المهدي العباسي المهدي بن المنصور في مجلس المهدي العباسي كان الإمام الكاظم جالس وعلي بن يقطين أيضاً جالس المهدي يسأل الإمام الكاظم قال: يا أبا الحسن الناس تعرف بأنه في القرآن ورد نهي عن الخمرة لكن لا نعرف تحريم الخمرة في القرآن فهل حرمة الخمرة في القرآن؟ الإمام قال: نعم حرمت الخمرة في القرآن قال: أين؟ فذكر له هذه الآية ﴿قُل إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثمَ وَالبَغيَ﴾ إلى آخر الآية، وقارن بين هذه الآية وبين الآية الموجودة في سورة البقرة ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثمُهُمَا أَكبَرُ مِن نَّفعِهِمَا﴾ قال هذه الآيات الدالة على حرمة الخمر في القرآن فماذا قال المهدي؟ قال إنها فتوى هاشمية يعني هذا الفكر وهذا الاستنتاج وهذا الاستدلال هذا استدلال هاشمي يعني يخرج من بيت النبوة لكنه استعمل هاشمية يريد أن يشرك نفسه باعتبار أن العباسيين من بني هاشم وشعار العباسيين كان دائماً التأكيد على

فضل بني هاشم قال إنها فتوى هاشمية، علي بن يقطين ماذا قال له؟ قال له: صدقت يا أمير المؤمنين الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم يعني من بني هاشم بقي هذا العلم فيكم بقي العلم الحق فعلي بن يقطين يقول: فإن المهدي ما تحمل رأساً قال لي: صدقت يا رافضي يقول: هو ما كان يظهر هذه القضية لكن يقول ما تحمل قال: صدقت يا رافضي.

﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثمُهُمَآ أَكبَرُ مِن نَّفعِهِمَا﴾ السؤال الآخر ﴿وَيَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ مر علينا قبل قليل ﴿يَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ في الآية الخامسة بعد العاشرة بعد المئتين ﴿قُل مَا أَنفَقتُم مِّن خَيرٍ فَلِلوَالِدَينِ﴾ السؤال كان هناك عن الجهات التي ينفقون فيها أو ينفقون إليها هنا يسألون عن المقدار كم ينفقون؟ ﴿وَيَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ العَفوَ﴾ بحسب روايات أهل البيت العفو يعني الحد الوسط يسألونك ﴿وَيَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ كم ينفقون من أموالهم، بأي مستوى بأي حد؟ ﴿قُلِ العَفوَ﴾ أنفقوا الحد الوسط أنه لا تبسط يدك كل البسط لا تقبض يدك ولا تبسطها كل البسط الإنسان إذا ما قبض يده حينما نعود إلى سورة الإسراء وهي تحدثنا عن ميزان الإنفاق فماذا تقول لنا هذه السورة؟ ﴿وَآتِ ذَا القُربَى حَقَّهُ وَالمِسكِينَ وَابنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّر تَبذِيرًا﴾ وهو نفس الكلام الموجود هنا ﴿وَيَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ العَفوَ﴾ ﴿وَآتِ ذَا القُربَى حَقَّهُ وَالمِسكِينَ وَابنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّر تَبذِيرًا * إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ ﴿وَلَا تَجعَل يَدَكَ مَغلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ لا تكن بخيلاً إلى هذا الحد ﴿وَلَا تَجعَل يَدَكَ مَغلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبسُطهَا كُلَّ البَسطِ﴾ تكون مبذراً ﴿فَتَقعُدَ مَلُومًا مَّحسُورًا﴾ فتعطي كلما عندك ﴿وَلَا تَجعَل يَدَكَ مَغلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبسُطهَا كُلَّ البَسطِ فَتَقعُدَ مَلُومًا مَّحسُورًا﴾ .

﴿وَيَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ كم هو المقدار الذي ينفقون به ﴿قُلِ العَفوَ﴾ هذا هو المنطق هذا هو المنطق السليم هذا هو التوازن هذا هو التبير هذي هي الحكمة هذا هو منطق الأنبياء هذا هو منطق محمَّدٍ وآل مُحَمَّد قطعاً في بعض الحالات الإنسان يحتاج إلى التضحية بك شيء ولكن تلك لها خصوصيات في بعض المواطن في بعض المواقف يحتاج الإنسان أن يضحي بكل شيء الحديث هنا عن الجو العام عن الجو الأسري عن الجو الاجتماعي في ظروفه الطبيعية في حالاته الرتيبة الروتينية أما هناك حالات يجب على الإنسان ليس يستحسن أو يستحب أن يعطي كل ما عنده يجبُ عليه أن ينفق كل ما عنده أن ينفق دمه ونفسه وماله

وكل ما عنده ﴿وَيَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ العَفوَ﴾ الحد الوسط ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾ الله سبحانه وتعالى يبين لكم هذه الآيات لأي شيءٍ؟ للحكمة التي سبحانه وتعالى خزنها في هذه الآيات هناك حكمة هناك مصالح هناك منافع هناك مضار تدفع عنكم إذا ما أخذتم وعملتم بكتاب الله إذا ما عملتم بآيات الله.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ﴾ هذه الآيات كيف ننتفعُ منها؟ كما يقول إمامنا السجاد يقول: آيات القرآن آياتُ الكتاب خزائن فمن أراد أن ينتفع من القرآن أن يفتح هذه الخزائن، أئمتنا هكذا وصفوا لنا القرآن قالوا هذا القرآن آياته خزائن من أراد أن ينتفع من القرآن عليه أن يفتح هذه الخزائن وهذه الخزائن فيها وفيها وفيها وقد أخذنا شيئاً في هذه الحلقة من خزائن قرآن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد بمفاتيح أخذناها من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد بإرشادٍ أخذناه من كلمات مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ألقاكم على مودة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وألقاكم ونحن نفتح خزائن محَمَّدٍ وآل مُحَمَّد علنا تصل أيدينا إلى شيءٍ من جواهرهم ومن دررهم ومن يواقيتهم، علنا نتطيبُ بطيبٍ من طيب خزائنهم المعطرة صلوات لله عليهم أجمعين، أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة الخامسة والعشرون

تفسير سورة البقرة من الآية ٢٢٠ الى الآية ٢٣٤

السلام عليكم جميعاً ايها المؤمنون ورحمة الله وبركاته وهذه الحلقة الخامسة والعشرون من برنامج قرآننا والحديث متواصلٌ في بيان معاني سورة البقرة حيث كانت آخر آيةٍ تكلمتُ فيها، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثمُهُمَا أَكبَرُ مِن نَّفعِهِمَا وَيَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ العَفوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ﴾ .

هذه كانت الآية الأخيرة التي تحدثت عنها وحولها في الحلقة الماضية من هذا البرنامج، الآية التي بعدها وهي الآية العشرون بعد المئتين الآية تبدأ في الدنيا والآخرة وهنا في الدنيا والآخرة متعلقة بالآية التي قبلها، الآية التي قبلها ﴿يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ﴾ الكلام مستمر ﴿لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ * فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ﴾ فالآية السابقة تأمرنا بالتفكر بالتدبر بأحوال هذه الحياة بأحوال الدنيا وما يجري على الإنسان من أمورٍ قد تحزنه في بعض الأحيان قد تفرحه في أحيانٍ أخرى، ما يجري على الإنسان من خيرٍ عميم أو من بلاءٍ قد يحيط به من جميع الجهات فالمنافع والمضارُ محيطةٌ بالإنسان والعالم الذي يعلم بحقيقة ما ينفع الإنسان وما يضر الإنسان هو الله سبحانه وتعالى وما شرع من أحكامٍ فمردها إلى حكمته وإلى علمه جلت قدرته وتعالى شأنه العزيز.

﴿كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ * فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ﴾ فالآية هنا تحثنا على التدبر في أحوال الدنيا وعلى التدبر في أحوال الآخرة وما يؤل إليه أمر الإنسان بعد موته حيث أن الأمر الذي سيثبت وإن الأمر الذي سيدوم ويتواصل هو ما يكون في عالم الآخرة أما ما يكون في عالم الدنيا فهو أمرُ منقطع أمرٌ زائل لا ثبات له وسؤالٌ آخر من صحابة النبي سؤالٌ آخر من المجتمع الذي كان يعيش فيه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ﴿وَيَسأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى﴾ مرت علينا أسئلة في الآيات السابقة مثلاً سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿يَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ وسألوا النبي صلى الله عليه وآله ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرَامِ

قِتَالٍ فِيهِ﴾ وسألوا النبي صلى الله عليه وآله ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ﴾ وسألوا النبي كذلك ﴿وَيَسأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ وهنا سؤالٌ آخر ﴿وَيَسأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى﴾ كيف يتصرفون مع اليتامى ﴿وَيَسأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى قُل إِصلاَحٌ لَّهُم خَيرٌ﴾ قطعاً السؤال هنا لَمَّا يسألون عن اليتامى ليس سؤالاً أن نتعامل مع اليتيم برحمة ورأفة أو أن نتعامل مع اليتيم بقسوة وغلظة طبعاً ليس هذا هو المراد وإنما المراد عن كيفية التعامل مع أموال اليتيم وإلا هذه القضية لا تحتاج إلى سؤال يعني هل نتعامل مع اليتيم برأفة ورحمة أم بقسوةٍ وغلظة؟ هذي قضية واضحة لا تحتاج إلى سؤال السؤال عن ذلك اليتيم الذي ورث مالاً وهو صغير ويحتاج إلى رعاية إلى رعايته الشخصية وإلى رعاية أمواله السؤال عن هذه القضية كيف يتعامل مع الذي يتولى رعاية الأيتام مع أموال الأيتام.

﴿وَيَسأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى قُل إِصلاَحٌ لَّهُم خَيرٌ﴾ أن تتصرفوا مع هؤلاء اليتامى أن تتصرفوا مع أموالهم بما يصلح شأنهم الآن وبما يحافظ على مستقبلهم المادي والاقتصادي ﴿قُل إِصلاَحٌ لَّهُم﴾ يعني أن يكون التصرف على أساس ما يصلح وضعهم المادي على أساس ما نحافظ به على أموالهم وننميها إذا استطعنا أن ننمي هذه الأموال ﴿وَيَسأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى قُل إِصلاَحٌ لَّهُم خَيرٌ﴾ وهذا الخير أن نسعى في إصلاح أمورهم ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُم فَإِخوَانُكُم﴾ طبعاً هذه الآية جاءت بياناً لحالةٍ ولحكمٍ بعد أن خاف الناس بعد نزول هذه الآية التي جاءت في سورة النساء الآية العاشرة حين نزلت خاف الكثير ممن كانوا يتابعون أمور اليتامى أو ممن كانوا يرعون اليتامى في بيوتهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأكُلُونَ أَموَالَ اليَتَامَى ظُلمًا إِنَّمَا يَأكُلُونَ فِي بُطُونِهِم نَارًا وَسَيَصلَونَ سَعِيرًا﴾ لَمَّا نزلت هذه الآية هناك جمعٌ غفير ماذا صنعوا؟ عزلوا اليتامى أخرجوا اليتامى من بيوتهم قالوا لا نريد أن نأكل ناراً في بطوننا هؤلاء اليتامى الذين نحن نرعاهم في بيوتنا عندهم أموال وحينما ننفق عليهم من أموالهم يختلط طعامنا بطعامهم وتختلط أموالنا بأموالهم فقطعاً سيكون هناك قسم من طعامهم مخلوطاً بطعامنا وسنأكله فإنا لا نريد أن نأكل ناراً في بطوننا والبعض الآخر وقع في حالة حرجية إذا أنه حينما ينفق على اليتيم بدأ ينفق من ماله الخاص من مال اليتيم الخاص ولو بقي جزء من طعامه يحاول أن يحافظ عليه وفي بعض الأحيان يفسد هذا الطعام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأكُلُونَ أَموَالَ اليَتَامَى ظُلمًا إِنَّمَا يَأكُلُونَ فِي بُطُونِهِم نَارًا وَسَيَصلَونَ سَعِيرًا﴾ حينما نزلت هذه الآية،

الآية العاشرة من سورة النساء سببت حرجاً نوعاً من الحرج لذلك القرآن هنا يبين في هذه الآية ﴿وَيَسأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى قُل إِصلاَحٌ لَّهُم خَيرٌ﴾ التكليف مع اليتامى مع أموال اليتامى السعي إلى إصلاح أوضاعهم ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُم فَإِخوَانُكُم﴾ لا بأس بأن تختلط أمولكم بأموالهم في قضية الطعام والشراب أنتم تعاملوا معهم على أساس الإخوانية فهم إخوانكم والإخوان حينما يتعاملون يتعاملون على قدم المساواة لا بأس أن تختلط أموال اليتامى مع أموالكم في حدود قضية الطعام والشراب حتى لو كان اليتيم صغيراً كما يقول إمامنا الصادق فإن الصغير يوشك أن يكون كبيراً فيأكل كما يأكل الكبير أما مثلاً في قضية الملابس في قضية الكسوة الروايات تنهى في قضية الكسوة لأن كل إنسان يلبس الثياب المناسبة لجسمه لعمره لشأنه المادي قد يكون اليتيم قد ورث أموالاً كثيرة والذي يرعاه لا يملك أموالاً كثيرة فالذي لا يملك أموالاً كثيرة حينما يشتري لنفسه أو لأولاده لباساً يشتري لباساً بحسب أمواله أما هذا اليتيم الذي عنده أموال كثيرة فحينما يشترى له ثياب فلابد أن يشترى له ثيابٌ مناسبة لشأنه فلذلك الروايات تقول المخالطة في قضية الطعام والشراب لا في قضية الملابس أو الشؤون الأخرى.

﴿وَيَسأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى قُل إِصلاَحٌ لَّهُم خَيرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُم فَإِخوَانُكُم﴾ لا بأس خالطوهم في قضية الطعام والشراب ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُم فَإِخوَانُكُم﴾ قطعاً المخالطة العادلة المخالطة الصحيحة المخالطة التي مردها إلى الخير مردها إلى الإصلاح ﴿وَيَسأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى﴾ التعامل يكون بهذا العنوان ﴿قُل إِصلاَحٌ لَّهُم خَيرٌ﴾ حتى المخالطة تكون مبنية على أساس الإصلاح ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُم فَإِخوَانُكُم وَاللّهُ يَعلَمُ المُفسِدَ مِنَ المُصلِحِ﴾ هنا مفسد ومصلح باعتبار أن الآية طالبت بالإصلاح فالذي يريد أن يلتزم بما جاء في الآية سيكون مصلحاً المقابل للمصلح ما هو؟ المفسد.

﴿وَيَسأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى قُل إِصلاَحٌ لَّهُم خَيرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُم فَإِخوَانُكُم وَاللّهُ يَعلَمُ المُفسِدَ مِنَ المُصلِحِ وَلَو شَاء اللّهُ لأَعنَتَكُم﴾ الله سبحانه وتعالى لا يريد في أحكامه أن يتعبكم أن يؤذيكم لو أراد الله أن يتعبكم لأتعبكم لفرض عليكم قوانين حادة وشديدة في قضية التعامل مع أموال اليتيم لكن الله سبحانه وتعالى يريد أن سهل الأمر عليكم لذلك لأن هذه القضية قضية يومية قضية الطعام والشراب فأجاز لكم أن تخالطوا اليتيم في أمواله ﴿وَلَو شَاء اللّهُ لأَعنَتَكُم﴾ من العنت وهو الأذى والتعب الشديد ﴿وَلَو شَاء اللّهُ لأَعنَتَكُم إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ﴾ هذه الآيات، الآيات السابقة هذه الآيات والآيات التي ستأتينا لاحقة بعد ذلك كله في مجال تشريع جملة من الأحكام الشرعية الآية التي بعدها ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ هذه الآية تتحدث عن المشركين عن المشركات في الأفق في الحد الوثني لأن القرآن يستعمل مصطلح المشركين ومصطلح المشركات في بعض الأحيان في أهل الكتاب في بعض الأحيان يطلق القرآن لفظ المشركين ولفظ الشرك ولفظ المشركات ويراد من ذلك أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ولكن هذه الآية لا تتحدث عن اليهود والنصارى المشركون والمشركات الذين ذكروا في هذه الآية هم الوثنيون هم عباد الأوثان قريش والذين يماثلون قريش في عبادتها لأن أهل الكتاب يجوز الزواج من أهل الكتاب على تفاصيل شرعية معروفة في قضية الزواج الدائم الزواج المنقطع وهذي مسائل خارجة عن بحثنا هنا لكن بالجملة يجوز الزواج من اليهود والنصارى أما هذه الآية تحرم بشكلٍ قطعي الزواج من الوثنين ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾ المشركات الوثنيات ﴿حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ يعني حتى يسلمن حتى يدخلن الإسلام ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ .

ومذكور عندنا في التأريخ ومذكور عندنا فيما جاء من الأخبار عن أحوال الصحابة كيف أن البعض منهم أراد أن يتزوج جاريةً فأعابه البعض الآخر، موجودة حوادث في هذا الخصوص حادثة منقولة مثلاً عن مرثد ابن أبي مرثد الغنوي أرسله النبي إلى مكة كي يعمل على إخراج بعض المسلمين من مكة وكان رجلاً قوياً شجاعاً وكانت له علاقة بامرأة في أيام الجاهلية تسمى عناق فدعته إلى نفسها فأبى فقالت له تزوجني فقال لابد أن أرجع إلى رسول الله فأسأله عن ذلك حوادث من هذا القبيل مذكورة في كتب السير في كتب التأريخ تتحدث عن قضية زواج بعض المسلمين من جواري أو رغبة بعض المسلمين في الزواج من مشركات فجاءت هذه الآية لتبين الحكم في هذه القضايا ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ المشركات الوثنيات ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ يعني ولو أعجبتكم المشركة ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ يعني خيرٌ من حرٍ مشرك لأن العرب كانت تتأبى من قضية الزواج من الجواري،

وكذلك تتأبى من قضية تزويج العبيد من بناتهم ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ لماذا؟ الآية تبين ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ لذلك عندنا في الروايات أن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه تزوج امرأة ثم طلقها فلما سألوا الإمام، الإمام قطعاً كان عالماً بحالها لكن الإمام أراد أن يبين حكماً شرعياً بنحوٍ عملي قال وجدتها تبغض عليّاً فإني ما أحببت أن أترك قطعةً من جهنم في بيتي.

الآية هنا تقول ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ المغفرة مأخوذة من الغفر والغفر هو التغطية الله سبحانه وتعالى يغفر ذنوبنا يغطيها يغطي عيوبنا يغطي أخطاءنا يستر علينا فإذاً السبب في التحريم هو هذا السبب الإجمالي تبينه الآية هؤلاء المشركون والمشركات الآية هنا تمنع من التناكح والتزاوج معهم لأي شيءٍ؟ ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الله يدعوا إلى الجنة والمغفرة ويبين آياته للناس هذه الآيات يبينها على لسان الأنبياء على لسان الرسل والأوصياء والأولياء ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ سؤالٌ آخر ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ المحيض هو الحيض العادة الشهرية للنساء.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ السؤال هنا عن المحيض والجواب ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ المراد من الأذى هنا الأذى في بعدين في البعد الجسدي وفي البعد النفسي يعني المرأة في هذه الفترة وهذه قضية أثبتها الطب وأثبتها العلم المعاصر وأثبتتها التجارب المرأة في هذه الفترة من الشهر وهي فترة العادة الشهرية فترة المحيض تتعرض لحالة من التغير، التغير الجسمي في كيميائية البدن وكذلك التغير المزاجي هناك تغير في كيميائية البدن في طبيعة الهرمونات وتغير كذلك في الطبيعة النفسية في المزاج النفسي ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ يعني تكون المرأة في هذا المقطع الزماني في حالة خاصة هناك خصوصية لها جسدية ونفسية ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ المراد طبعاً من الاعتزال هنا الأحكام الشرعية ليس المراد الاعتزال بالمعنى الذي كانت عليه بعض الديانات السابقة الديانات السابقة كانوا يعتزلون المرأة في بعض الديانات سواء كانت الديانات السماوية أو الديانات الوثنية في بعض الديانات كانوا أصلاً يخرجون النساء في هذه الفترة خارج البيوت بل

حتى خارج القرية خارج المدينة ينصب للنساء خيام خارج القرية خارج المدينة وتخرج النساء إلى تلكم الخيام حتى تنتهي الفترة وفي الديانة اليهودية هذا الأمر موجود يعني هناك يكون اعتزال كامل للنساء على أي حال نحن الآن لسنا بصدد الدخول في هذه التفاصيل لكن الآية تقول ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ المراد من الاعتزال هنا الاعتزال بحسب الرؤية الإسلامية أما استعمال هذا المصطلح ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ لأن هذا كان شائعاً هذا الاستعمال يعني كان هناك من العرب من يعتزل النساء بالمرة ليس كل العرب وإلا يعني كان هناك من العرب من لا يعبأ بهذا الأمر لكن كان هناك من العرب من يعتزل النساء بالمرة في هذه الفترة وأيضاً من اليهود وأيضاً من شعوب وحضارات أخرى.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ الاعتزال بحسب الشروط الشرعية يعني ما يحرم في هذا الوقت وما يجوز التفصيلات المذكورة في الرسائل العملية ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ المقاربة هنا المقاربة الجنسية الكاملة ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ حتى يطهرن يعني حتى تتم عملية انقطاع الطمث أو انقطاع الحيض ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ فإذا تطهرن يعني بعد عملية الاغتسال يعني هنا مرحلتان ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ عملية انقطاع الحيض ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ الفعل هنا مشدد يطهرن يعني يطهرن من الحيض يطهرن من جريان الدم ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ يعني بعد عملية الغسل بعد عملية غسل الحيض ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ وأعتقد أن الكلمات واضحة في الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ التوابون هم العائدون الراجعون إلى الله التوابون هم الذين إذا ما وقعوا في الخطأ في المعصية في الذنب تابوا واستغفروا الروايات تقول عندنا بأن العبد إذا وقع في المعصية الملائكة يمهلونه إلى سبع ساعات عدة ساعات ينتظرون الملائكة التي تكتب السيئات تكتب الذنوب والمعاصي يمهلونه إلى عدة ساعات هل يستغفر ويتوب ويندم على الذي فعله؟ إذا استغفر وندم وتاب على ما فعل فإنهم لن يكتبوا ذلك معصيةً في سجله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ يحب العبد الذي إذا ما أخطأ إذا ما وقع في معصية إذا ما غلبه هواه أن يستغفر أن يتوب أن يعود إلى الله هذا قانون عام في هذه القضية وفي غيرها.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ الآية هنا تشعر ماذا؟ ربما الإنسان في بعض الأحيان تدفعه الشهوة إلى أن يرتكب

ما يخالف الحكم الشرعي في هذه القضية أو في غيرها فالآية هنا تريد أن تشير إلى هذا الموضوع إلى التوبة والمغفرة وإلى التطهر ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ المتطهرين الذين يبالغون في التطهر وهذا المصطلح في القرآن الكريم أطلق على الذين استعملوا الماء في التطهر لأنه العرب ما كانوا يستعملون الماء في التطهر لقلة الماء والثقافة العامة التي كانت موجودة لا يستعمل الماء في التطهر قد يستعملون الأحجار أو شيء آخر فلذلك القرآن مدح المتطهرين مدحهم وهم الذين يبالغون في التطهر المبالغة في التطهر هو استعمال الماء طبعاً بحسب المواصفات والشروط الشرعية المذكورة في مضانها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ الآية التي بعدها ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ طبعاً هذه أنى اختلف فيها المفسرون هذه أنى الزمانية أنى المكانية ونحن لا نريد أن ندخل في هذه التفاصيل الكلام بالجملة ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ الحرث في لغة العرب هو الأرض المزروعة الأرض التي تحرث فتزرع مراد نساؤكم حرثٌ لكم هذا تعبير مجازي عبارة مجازية فهنا يشبه المرأة بالحقل الذي يزرع والإشارة هنا والتعبير هنا إشارة إلى قضية التناسل والتوالد وإلى حمل المرأة بالولد وما يتعلق بهذه القضية بقضية الحمل.

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ والآية تشير إلى العملية الجنسية التي تؤدي إلى التناسل التي تؤدي إلى التوالد ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ قدموا لأنفسكم في أي شيءٍ؟ قدموا لأنفسكم من صالح العمل من صالح القول من صالح التصرف الآن القرآن يبين هذه الأحكام أحكام عائلية أحكام اجتماعية أحكام العلاقات الأسرية الخاصة في داخل الغرفة الزوجية الخاصة القرآن بين لنا مثلاً في الآيات السابقة بين لنا أحكام الخمر والميسر بين لنا أحكام الإنفاق بين لنا أحكام التعامل مع اليتامى قضية الزواج من المشركين والمشركات الآن الحديث عن الحالة الخاصة للنساء في قضية المحيض وما يترتب على ذلك من أحكام في داخل عش الزوجية ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ قدموا لأنفسكم ما فيه الخير ما فيه الصلاح ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ هذا التقديم لأي شيءٍ؟ بمثابة مقدمة قاعدة للوصل إلى حالة التقوى وهذا لا يتم إلا بالالتزام بالأحكام الشرعية هذي قوانين الله سبحانه وتعالى أنزلها للعباد أولاً لتنظيم حياة المجتمع بشكل عام ولتنظيم حياة الأسرة بشكلٍ خاص ولتنظيم الحياة الشخصية لكلٍ منا بشكلٍ أخص الأحكام الشرعية منها ما هو ناظر إلى البعد العام لحياة الأمة ومنها ما

هو ناظر للأسرة ومنها ما هو ناظر للأفراد للأشخاص ﴿وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعلَمُوا أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ﴾ أنكم ملاقوه وهو سائلكم ﴿وَاعلَمُوا أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ المُؤمِنِينَ﴾ بشر الذين يلتزمن بأحكامه بشر الذين يتصرفون في ضمن الموازين وضمن القواعد وضمن الأحكام التي يريد الله سبحانه وتعالى منا أن نلتزم بها ﴿وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعلَمُوا أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ المُؤمِنِينَ﴾ الآية التي بعدها ولا زلنا في هذه الآيات التي تشرع لنا أحكام الحياة ﴿وَلاَ تَجعَلُوا اللّهَ عُرضَةً لِّأَيمَانِكُم أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصلِحُوا بَينَ النَّاسِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وَلاَ تَجعَلُوا اللّهَ عُرضَةً لِّأَيمَانِكُم: العرضة هو الهدف الذي يرمى بالسهام حينما نضع هدفاً ونوجه إليه السهام هذا يقال له هدف يقال له كذلك غرض يقال له عرضة فهو عرضة للسهام مكشوف وأي شيء منكشف يكون عرضة للتلاعب به يقال له عرضة.

﴿وَلاَ تَجعَلُوا اللّهَ عُرضَةً لِّأَيمَانِكُم﴾ هذا هو عدم احترام لله سبحانه وتعالى ولأسمه الشريف فلا تجعلوا الله عرضةً لأيمانكم تسارعون تبادرون لليمين وللقسم في الأشياء المفيدة وفي الأشياء غير المفيدة في الأشياء الكبيرة وفي الأشياء الصغيرة يبقى هذا التردد القسمي على اللسان في كل قضيةٍ وهذي من العادات التي تعلمنها في مجتمعاتنا وهي منتشرة بشكل واسع من العادات السيئة الآية هنا عن أي شيءٍ تتحدث؟ الآية تتحدث تقول في بعض الاحيان الإنسان بسبب علاقاته الاجتماعية وبسبب سعيه مثلاً للصلح بين الناس فقد يصطدم ببعض الحالات التي تؤذيه أو تسبب له المشاكل فحينما يطلب منه أن تعال يا فلان وتدخل في الأمر الفلاني وأصلح بين هؤلاء المتخاصمين رأساً يقول والله فإني لا أفعل هذا الآية تتحدث عن هذه القضية ﴿وَلاَ تَجعَلُوا اللّهَ عُرضَةً لِّأَيمَانِكُم﴾ في أي باب؟ ﴿أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصلِحُوا بَينَ النَّاسِ﴾ يعني إذا كنتم قادرين على الإصلاح بين الناس فلا تبادروا وتقولوا والله إني لا أفعل ذلك بسبب ما لقيه الإنسان من مشاكل في أمورٍ أخرى في محاولات أو قضايا أخرى سابقة ﴿وَلاَ تَجعَلُوا اللّهَ عُرضَةً لِّأَيمَانِكُم﴾ مباشرةً مجرد أن يطلب منكم تحلفون بالله ﴿وَلاَ تَجعَلُوا اللّهَ عُرضَةً لِّأَيمَانِكُم أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصلِحُوا بَينَ النَّاسِ﴾ أن تبروا يعني أن تنشروا الخير أن تعملوا الخير ﴿أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾ والتقوى مطلوبةٌ في جميع الأحوال التقوى مطلوبة من الإنسان حينما يتعامل الإنسان مع الله والتقوى مطلوبة حينما يتعامل الإنسان مع نفسه والتقوى مطلوبة حينما يتعامل الإنسان مع أسرته ومع الناس القريبين منه ومطلوبة حينما يتعامل مع الناس البعيدين وحتى حينما يتعامل مع الحيوانات مع الأشجار مع الجمادات مع البيئة التقوى مطلوبة من الإنسان في جميع

الأحوال وهذا ليس اقتراحاً من عندي من أراد أن ينظر في آيات الكتاب الكريم يجد أن التقوى مطلوبة من الإنسان في جميع أحواله حتى مع الحيوانات والجمادات.

﴿وَلَا تَجعَلُوا اللَّهَ عُرضَةً لِّأَيمَانِكُم أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصلِحُوا بَينَ النَّاسِ﴾ تبروا تنشروا الخير تتقوى وهي التقوى المطلوبة في كل حالٍ من الأحوال ﴿وَتُصلِحُوا بَينَ النَّاسِ﴾ كيف نصلح بين الناس؟ برفع خصوماتهم فالآية تقول لا تقسموا بشكلٍ سريع فتقولون والله إني لن أفعل هذا الأمر والله إني لن أصلح بين فلانٍ وفلان ﴿وَلَا تَجعَلُوا اللَّهَ عُرضَةً لِّأَيمَانِكُم أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصلِحُوا بَينَ النَّاسِ﴾ يعني أن تحلفوا بأنني لن أصلح بين فلان وفلان ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية التي بعدها ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغوِ فِي أَيمَانِكُم وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَت قُلُوبُكُم وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغوِ فِيَ أَيمَانِكُم: اللغو واضح اللغو الشيء الزائد الذي ليس له معنىً حقيقي الكلام حينما يكون ليس له معنىً حقيقي يقال له لغو حتى لو كان له معنىً في قواميس اللغة أنا ممكن أتكلم بكلام له مداليل لغوية في كتب اللغة لكنني لا أقصده وإنما هكذا يخرج الكلام من دون قصدٍ ومن دون عنايةٍ ورعاية الآية هنا تتحدث عن هذا الموضوع هناك الكثير من الناس معتاد في أي قضية لا والله ما كان كذا والله كان كذا هذا هو الذي تسمية الآية الغو في الأيمان ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ﴾ هو هذا مذموم لكن هل يترتب عليه إثم؟

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغوِ فِي أَيمَانِكُم وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم﴾ بأي شيءٍ ﴿بِمَا كَسَبَت قُلُوبُكُم﴾ إذا حلفتم يمين وهذا اليمين عقدتم عليه النية في القلب وخالفتم اليمين حينئذٍ الله يؤاخذكم بهذا اليمين ﴿بِمَا كَسَبَت قُلُوبُكُم﴾ يعني بما عقدة عليه القلوب من النية ومن التصور ومن الفكرة ومن العقيدة ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغوِ فِي أَيمَانِكُم﴾ كأن تقول ما كان كذا كان كذا والله إن الأمر كذا وتتردد هذه الألفاظ هكذا من دون انتباه لأن الإنسان اعتاد على أن يتلفظ وهو لا يقصد شيئاً ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغوِ فِي أَيمَانِكُم﴾ هو في الروايات هكذا أن يقول نعم والله بلا والله كلا والله ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغوِ فِي أَيمَانِكُم وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَت قُلُوبُكُم﴾ تكسب القلوب أي تنعقد النية في القلب أحلف يميناً وأنا مستحضرٌ للنية الكاملة بأني متوجه لِما أقول وقد عقدة العزيمة والنية على أن ألتزم بهذا اليمين ثم أخالفه هنا تأتي المؤاخذة.

﴿ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ ومسألة اليمين ومسألة حلف اليمين هذه مبينة في الأحكام الشرعية قضية كفارة حلف اليمين وتفاصيلها موجودة الآية التي بعدها ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآؤُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ والآية التي بعدها على نفس السياق ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ هاتان الآيتان تتحدثان عن موضوع يسمى في كتب الفقه بالإلاء، هنا عندنا مجموعة من العناوين مجموعة من المصطلحات في الكتب الفقهية تدور حول قضية العلاقة الزوجية مثلاً النكاح الدائم النكاح المنقطع الصداق هذه مصطلحات تدور حول العلاقة الزوجية التمكين مثلاً المضاجعة مصطلحات موجودة في الكتب الفقهية وأيضاً عندنا مثلاً الطلاق مثلاً الطلاق الرجعي الطلاق البائن العدة وأيضاً عندنا مثلاً المباراة وعندنا الخلع وعندنا الظهار وعندنا اللعان وعندنا الإيلاء هذه مصطلحات ولها تفصيلاتها في الكتب الفقهية أحد هذه الأبواب المرتبطة بأحكام العلاقات الزوجية هو باب الإيلاء والآيتان هنا تتحدثان عن هذا الموضوع.

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ الإيلاء ما هو؟ الإيلاء هو القسم الإيلاء في لغة العرب هو القسم والإلية يعني اليمين وآلا يعني اقسم يميناً آلا إليةً يعني أقسم قسماً والإيلاء هو القسم ما هو المقصود من الإيلاء؟ مثلاً أن الرجل بسبب مشكلة فيما بينه وبين زوجته الزوج يحلف بالله أنه لن يقارب زوجته مقاربةً جنسية قد يقول مثلاً والله لن أقاربها إلى الأبد حتى أموت مثلاً يقول هكذا لن أقاربها حتى أموت ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ إلى أربعة أشهر يمكن للزوج أن يفي بهذا اليمين لكن ما بعد أربعة أشهر لا يحق له أن يستمر في يمينه هناك أحكام فقهية الزوجة إذا وافقت على ذلك أن الزوج يستمر في يمينه هذا أمر راجع لها لأن هذه القضية من حقوقها من حقوق الزوجة أما إذا أرادت أن تطالب بحقها فيحق لها أن ترفع أمرها إلى الحاكم الشرعي الحاكم الشرعي حينئذٍ يرسل على زوجها فإما أن يتنازل عن هذا اليمين ويرجع إلى زوجته وتكون علاقته مع زوجته بشكل اعتيادي إما أن يكون هكذا وإما أن يطلق زوجته إذا كانت الزوجة تريد ذلك إذا أرادت الزوجة حلاً فحينئذٍ يخيره الحاكم إما أن يرجع إلى زوجته بشكل اعتيادي وإما أن يطلق زوجته طبعاً هذه مسائل فيها تفصيلات ونحن لسنا هنا بصدد الدخول في هذه التفاصيل وإنما نحن نبين معاني الآيات بشكل مجمل بشكل عام حتى المشاهد حينما يقرأ القرآن يفهم أن هذه الآيات حول أي شيءٍ تدور حينما يقرأ القاريء.

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ تربص انتظار ترقب يعني حينما يقسم الزوج فيقول والله إني لا

أقارب زوجتي أبداً يحق له أن يستمر في كلامه إلى مدة أربعة أشهر أما بعد الأربعة أشهر إذا كانت الزوجة موافقة على هذا الوضع هذي قضية راجعة لها فهذا من حقوقها أما إذا لم تكن موافقة وتريد أن تطالب بحقها فيجوز لها إما أن تتفاهم مع زوجها فيعود إلى وضعه الطبيعي وإما أن ترفع أمرها إلى الحاكم الشرعي وحينئذٍ الحاكم الشرعي يرسل على زوجها فيخيره بين أمرين إما أن يرجع إلى الحالة السابقة مع زوجته وإما أن يطلق ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِم﴾ يعني يقسمون هذا القسم الذي أشرتُ إليه قبل قليل بأنهم لا يقتربون من نسائهم ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِم تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ هذا لهم إذا حلفوا عندهم مجال لأربعة أشهر ﴿فَإِن فَآؤُوا﴾ يعني إن رجعوا عن هذا القسم الذي اقسموا به ﴿فَإِن فَآؤُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فإن الله يغفر لهم ما كان منهم.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ إما أن يعودوا وإما أن يعزموا على الطلاق يعزموا يعني قطعوا في نيتهم على الطلاق ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية التي بعدها ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوَءٍ﴾ قروء جمعٌ لقرء، القرء وقع في كتب المفسرين في كتب الفقهاء هناك من فسره بالحيض وهناك من فسره بالطهر حتى في رواياتنا لكننا نحمل الروايات التي جاءت تفسر القرء بالحيض على أنها موافقة للمخالفين فنطرحها نطرح هذه الروايات، الروايات التي تتناسب مع ذوق أهل البيت الروايات التي فسرت القرء بالطهر وعندنا روايات عن أمير المؤمنين وعن الأئمة المعصومين بينت العلة في تسمية الطهر بالقرء القرء في لغة العرب هو الجمع ولذلك يقال لمن يجمع الحروف والكلمات فيتلفظها معاً في ورقةٍ أو في كتاب يقال لذلك قراءة ويقال للذي يجمع الكلمات البعض مع البعض الآخر يقال له قارئ فهو جامعٌ للكلمات مادة قرأ في لغة العرب تعني جمع، الرواية عن أمير المؤمنين إنما قيل له القرء لأنه فيه إشارة إلى أن الدم يجمع فيخرج من بدن المرأة يكون الدم مجموعاً فيخرج الدم بمجموعه يعني انتهاء فترة الحيض يكون الدم قد جمع باعتبار عملية الحيض ما هي؟ عملية الحيض عملية العادة الشهرية هي عملية تعقيم للرحم عملية تعقيم للجهاز التناسلي التوالدي عند المرأة هي عملية تعقيم عملية تنظيف تطهير للرحم وكذلك عملية إعداد لنزول البويضة من المبيض عبر قناة فالوب هكذا يقول المختصون العملية هي هكذا عملية إعداد واستعداد للتخصيب والإخصاب فكيف تكون العملية؟ أن هذا الدم وهذه الأوساخ تجتمع فتخرج فلذلك القرء كما يقول أمير المؤمنين القرء إنما هو يكون بعدما أجتمع الدم وخرج بمجموعه فقيل للطهر هو قرء ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوَءٍ﴾ الحديث هنا عن عدة الطلاق يتربصن يعني يترقبن ينتظرن إذا

طلقت المرأة تتربص بنفسها ثلاثة قروء والروايات تبين بأن هذه المدة لأجل أن تستبرء المرأة وتعرف هل أن في رحمها شيء أم ليس في رحمها شيء ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ﴾ يعني ثلاثة أطهار يعني تحيض المرأة ثم تدخل إلى الطهر فتحيض فتدخل إلى الطهر فتحيض فتدخل إلى الطهر ثلاثة قروء لا يشترط مثلاً قد يقال دائماً بأن عدة المرأة مثلاً ثلاثة أشهر هذا على النحو العام باعتبار أن المرأة في الغالب تحيض في الشهر مرة لكن لو فرضنا أن بعض النساء يمكن أن تحيض في الشهر مرتين فالحساب ليس على الأشهر في العدة الحساب إنما على القروء يعني على الأطهار يعني المرأة تحيض فتطهر فتحيض فتطهر فتحيض فتطهر فالقضية ليس حساب على الأشهر يعني ثلاثة أشهر أكثر من ثلاثة أشهر أقل من ثلاثة أشهر القضية حساب العدة عدة المطلقة لا تحسب بالأشهر ولو شاع هذا الكلام على الألسنة لكن هذا باعتبار الحالة العامة للنساء باعتبار في الغالب في كل شهرٍ تحيض مرة لكن الحكم الشرعي ما قال ثلاثة أشهر قال ثلاثة قروء ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ﴾ يعني ثلاث حيضات متبوعة بثلاث أطهار.

﴿وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ﴾ خلال هذه الفترة ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ في هذه الفترة في فترة العدة في فترة القروء الثلاثة إذا ما عرفنا أن في أرحامهن المرأة عرفت أن في رحمها هناك جنين فلا يحل لها أن تكتم ذلك عن زوجها الأول الذي طلقها فلربما يكون هذا الأمر سبباً لأن تجتمع الأسرة من جديد ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ بعولتهن يعني أزواجهن ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاَحًا﴾ يعني إذا كان هناك في أرحامهن أجنة هناك أولاد في أرحامهن فبعولتهن أحق بردهن طبعاً أحق بردهن لا على نحو الوجوب وإنما بحسب التوافق والتراضي أما إذا كانت المرأة لا تريد أن ترجع إلى زوجها فهي لا تجبر على ذلك يعني هذا إذا خرجت من العدة قطعاً وتفاصيل موجودة في هذه المسائل هناك تفاصيل كثيرة باعتبار ان العلاقات الزوجية فيها الكثير من التفريعات وفيها الكثير من المسائل الفقهية والتفصيلات.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاَحًا﴾ أرادوا إصلاحاً: يعني أرادوا إصلاحاً لحياتهم الزوجية أرادوا إصلاحاً للعلاقة فيما بينهم وبين نساءهم أرادو إصلاحاً في البناء الأسري ﴿وَلَهُنَّ﴾ للنساء ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ لهن للنساء وذلك في حال الطلاق أوفي حال الزواج هذا حكم ثابت المرأة لها

من الحقوق كما أن للرجل له من الحقوق هناك حقوق وواجبات على الزوج وحقوق وواجبات على الزوجة أيضاً ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ ولكن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ يعني إذا طلقتم النساء فسلموا للنساء حقوقهن وبالمعروف وهذه كلمة المعروف تتكرر دائماً في العلاقات الأسرية في العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم دائماً تتكرر هذه الكلمة يعني إذا أردنا أن نبحث في الآيات القرآنية التي تشرع للأحكام للمجتمع للعلاقات بين المؤمنين للعلاقات بين الناس للعلاقات الأسرية نجد أن هذه الكلمة تتردد دائماً المعروف هو أساس القرآن الذي وضعه ميزاناً وقانوناً للعلاقات الإنسانية وإلا العلاقات الإنسانية إذا لم تكن مبينة على المعروف، المعروف ما هو؟ المعروف هو الخير المعروف يعني أن تكون الحالة النفسية عند الناس في التعامل حتى فيما لو حدث الطلاق لا على أساس العداوة لا على أساس الحقد لا على أساس الحسد والتباغض والتنافر ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ لو طلق الزوج زوجته فعليه أن يعطيها حقوقها من دون مشاكل من دون إيذاء لا إيذاء لها ولا إيذاء لأسرتها.

﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ هذه الدرجة ليست درجة ذاتية في مقامات القرب عند الله هذه درجة قانونية هذه الدرجة هنا درجة قانونية هذي لا تتحدث عن أن الزوج يكون أقرب عند الله من الزوجة أن الرجل أقرب عند الله من المرأة يكون الرجل أقرب عند الله من المرأة ويمكن أن تكون المرأة أقرب عند الله من الرجل أو من الزوجة من الرجل مطلقاً أو من الزوج مسألة القرب من الله لا علاقة لها لا بالذكورة ولا بالأنوثة لا علاقة لها في الرجال أو في النساء لذلك هذه الدرجة مقصود درجة قانونية في القانون هناك للرجال على النساء درجة في أي مجال؟ في مجال الزوجية في باب العلاقات الزوجية وإلا مثلاً الأم لها درجة على أبناءها الذكور أليس يجب على الأبناء أن يطيعوا أمهم؟ هناك مواطن تكون فيها الأم أعلى درجة من الأبناء الذكور هناك مواطن مثلاً الآن إذا الإنسان مات وترك بنتاً وأباً وأرحام آخرين البنت هنا بنت الميت يكون حقها في الميراث أكثر من والد الميت هذا أبو الميت هو رجل لكن بنت الميت لها الحق في الميراث بنسبةٍ أكبر بكثير من حق والد الميت فهنا للبنت للمرأة درجة على الرجل هذه قوانين لا تؤخذ على وجه الإطلاق.

اللطيفة أنه دائماً يقولون بأنه للذكر مثل حض الأنثيين يتصور بأنه دائماً الذكر يأخذ ضعف الأنثى في الميراث أبداً هذه حالة وحالات أخرى كثيرة تأخذ فيها المرأة أكثر من الرجل هذه تنظيم وليست قضية أفضلية وقرب إلى الله الأفضلية بين الناس في قضية القرب والبعد من الله سبحانه وتعالى أما هذه أحكام شرعية أحكام قانونية أحكام لتقنين الحياة لتنظيم العلائق علائق اجتماعية بشرية أو علائق اقتصادية

ولذلك ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ ليس المراد من هذه الدرجة هي درجة التفاضل في القرب أو البعد عن الله سبحانه وتعالى التفاضل الذاتي هو هذا الذي يكون سبباً للقرب وللبعد للقرب من الله وللبعد عن الله أما هذه الدرجة هذي درجة قانونية في باب الأسرة في باب العلاقة الزوجية هناك للرجال نحو من الولاية نحو من الدرجة أعلى من النساء وليس دائماً طبعاً إذا كان هذا الرجل هذا الزوج قد اتصف بالمواصفات الشرعية الصحيحة وقد أحسن الرعاية والولاية أما إذا لم يكن يحسن الرعاية والولاية فقطعاً لن تكون له هذه الدرجة على النساء وإنما كل شيءٍ بحسبة الأمور توزن بموازينها وتحفظ الأمور كل أمر يحفظ في نصابه.

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وتستمر الآيات في بيان أحكام الطلاق ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ الحديث هنا عن عدد الطلقات ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ هذي الطلقة الأولى والطلقة الثانية ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ يعني يا من طلقتم النساء التطليقة الأولى أو التطليقة الثانية أنتم إما أن ترجعوا لنسائكم بعد أن طلقتم النساء وتمسكوا بهن بمعروف تلاحظون المعروف هنا يتكرر أنا قلت في الكتاب الكريم الآيات القرآنية التي جاءت تتحدث عن العلائق الاجتماعية سواءً داخل الأسرة أو خارج الأسرة والآيات التي تتحدث عن أحكام الأسرة في العلاقات الزوجية وفي غيرها تتردد هذه الكلمة كلمة المعروف ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ أنت إذا طلقت زوجتك أردت أن ترجعها إذا كنت فعلاً راغباً بها محباً لها وبسبب مشاكل أنت طلقتها فتريد أن ترجعها فإذا أردت أن ترجعها أن ترجعها بالمعروف لا أن ترجعها لأجل إيذائها.

﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ وإذا كنت معرضاً عنها فسرحها أتركها تنتهي العدة ثم تذهب تتزوج تذهب لحالها ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ هو واضح نحن عندنا بأن الطلقة البائنة هي الطلقة الثالثة متى تبين الزوجة عن زوجها يعني بحيث لا يستطيع أن يرجع إليها لا ضمن العدة ولا حتى بعقدٍ بعد انتهاء العدة بعد الطلقة الثالثة، القرآن أيضاً تحدث هنا عن الطلقة الأولى، الطلقة الثانية، الطلقة الثالثة هنا في هذه الآية ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ إما أن تمسكوا بهن بمعروف وهذا الإمساك قد يكون أثناء العدة أن يرجع إلى زوجته أو حتى بعد انتهاء العدة فيجدد العقد عليها ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ أو أنكم تتركون ما طلقتم من النساء يذهبن لحالهن وتسريح بإحسان يعني تترك المرأة لحالها

وتسلم حقوقها تسلم لها الحقوق هذه هو الإحسان التسريح بإحسان.

﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ﴾ إن كان المقصود الصداق أو حتى غير الصداق مما ثبتت ملكيته للأزواج مما ثبتت ملكيته للنساء الصداق قطعاً هو ملك للزوجة إن كان بالنحو المؤجل أو بالنحو المعجل ما هو من صداق المرأة من أثاث البيت أو من أي شأنٍ آخر إن كان من المعجل أو من المؤجل فهو هذا ملكٌ للمرأة وهناك النفقة وترتيبات شرعية أخرى معروفة ولكن قد يكون في بعض الأحيان أن الزوج قد آتى زوجته شيئاً وملكته وانتقلت الملكية إلى الزوجة وصارت الملكية الفعلية إلى الزوجة وانتقلت الولاية على هذا الامر إلى الزوجة فلا يحل للزوج أن يأخذ هذا الشيء منها ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ الحديث هنا عن المخالعة عن الخلع تسمى مخالعة خلع طلاق خلعي سمي ما شئت العبارات متقاربة نفس المعنى.

﴿ إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ من هم اللذان يخافان يعني الزوج والزوجة يخافان أن لا يقيما حدود الله مقصود كيف يخافان يعني هم يعتقدان بأنهما لن يستطيعا أن يستمرا في حياتهم الزوجية والزوجة هنا قد تعبت من زوجها في التشريع وفي الأحكام الشرعية الطلاق بيد من اخذ بالساق يعني بيد الزوج هذي قاعدة فقهية معروفة الطلاق بيد من أخذ بالساق يعني بيد الزوج وفي بعض الأحيان الزوج قد يكون مؤذياً لزوجته أو تحدث نفره، نفره غريزية نفره طبيعية بين الزوج والزوجة هو ينفر منها هي تنفر منه والزوجة لا تتحمل ذلك والزوجة تريد أن تفك نفسها فتبدل إما تبذل الصداق أو تبذل شيئاً من المال في سبيل أن يطلقها تتنازل عن حقوقها المالية مثلاً تبذل هذا الأمر فتكون هناك المخالعة الطلاق الخَلعي الطلاق الخَلعي أو الخلعي يقال طلاقٌ خَلعي وطلاقٌ خُلعي تحدث المخالعة حينئذٍ لذلك الآية تشير إلى هذه الحالة.

﴿ إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ ألا يقيما حدود الله يعني في حياتهما الزوجية بحيث لا تجري حياتهما بالنسق الطبيعي بالنسق الاعتيادي بالنسق المريح كما يريد الله سبحانه وتعالى أن تجري حياتهما وفقاً لحدوده وآدابه وأحاكمه ﴿ إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ لا إثم في ذلك ماذا ﴿ فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ افتدت يعني دفعت مالاً كأنه فدية قدمت مالاً فافتدت نفسها بهذا المال كي تختلع كي تطلق ﴿ فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ ثم تقول الآية ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ يعني هذي الأحكام الشريعة التي بينت هذي هي حدود الله ﴿ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ يعني لا تخرجوا عن هذه الحدود يعني الله حدد

لكم مساحات مجالات تتحركون في ضمن هذه الحدود ﴿فَلاَ تَعتَدُوهَا﴾ لا تتجاوزوا عليها ﴿تِلكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ﴾ من يتعدى يخرج عن هذه الحدود ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ هؤلاء هم الظالمون لأنفسهم والإنسان دائماً في حالة ظلمٍ لنفسه.

الروايات تحدثنا عن ثلاثة أنواعٍ من الظلم، ظلمٌ لله وهو الشرك، وظلمٌ للعباد وهو التقصير في حقوقهم والاعتداء على حقوقهم، وظلمٌ للنفس وهي المعاصي المخالفة للأحكام الشريعة، فالآية هنا تتحدث في هذا الجو في جو الطلاق تحدثت عن أن الطلقة الأولى والطلقة الثانية إما أن الزوج يرجع بزوجته ويمسك بزوجته بالمعروف بالخير وإما أن يسرح زوجته يطلق سراحها وبالإحسان أن يعطيها حقوقها ولا يحل للزوج أن يمنع زوجته من حقوقها هناك لها حقوق واجبة صداقها المعجل والمؤجل وأمور أخرى بينتها الشريعة وإذا عرفا من أنفسهما أنهما لا يستطيعان الاستمرار في الحياة والزوجة نفرت من زوجها فهناك تشريع إذا عاند الزوج وهو لا يريد أن يطلق هناك باب، باب المخالعة أن الزوجة تقدم شيئاً للزوج كأن يكون الصداق أو غير ذلك شيئاً من المال في سبيل أن يطلقها أقرأ الآية ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمسَاكٌ بِمَعرُوفٍ أَو تَسرِيحٌ بِإِحسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُم أَن تَأخُذُوا مِمَّا آتَيتُمُوهُنَّ شَيئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِن خِفتُم أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيهِمَا﴾ لا إثم في ذلك إذا وصلت القضية إلى الطلاق الخلعي ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيهِمَا فِيمَا افتَدَت بِهِ﴾ يعني فيما افتدت الزوجة به نفسه ﴿تِلكَ حُدُودُ اللّهِ﴾ هذي قوانين الله وضعها ﴿تِلكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ .

الآية التي بعدها تتحدث عن الطلقة الثالثة لأنه الآية السابقة ماذا قالت؟ قالت ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمسَاكٌ بِمَعرُوفٍ أَو تَسرِيحٌ بِإِحسَانٍ﴾ الآية الثلاثون بعد المئتين تتحدث عن الطلقة الثالثة ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ يعني بعد الطلقتين ﴿فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوجًا غَيرَهُ﴾ الطلقة الثالثة والتي لا يحل للزوج أن يرجع زوجته التي طلقها وإنما لابد من أن تتزوج زوجاً آخر ثم يطلقها هذا الزوج الآخر فحينئذٍ يحل له أن يعقد على زوجته التي طلقها سابقاً ثلاثاً ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الطلقة الثالثة ﴿فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوجًا غَيرَهُ﴾ نكاح كامل يعني زواج كامل وزواج بالعقد الدائم كما هو مبين في الكتب الفقهية والشرعية لأنه طلقها من زواجٍ دائم فلابد أن تتزوج زواجاً دائماً ﴿فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوجًا غَيرَهُ فأن طلقها﴾ يعني طلقها الزوج

الثاني ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيهِمَا﴾ يعني على الزوجة وعلى زوجها الثاني ﴿أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ﴾ يتراجعا بالعقد وليس يعني بالرجعة أثناء العدة يتراجعا يعني بالعقد يعني أن يرجع أحدهما إلى الآخر بعقدٍ شرعيٍ جديد ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الطلقة الثالثة ﴿فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعدُ حَتَّىَ تَنكِحَ زَوجًا غَيرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الزوج الثاني ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيهِمَا﴾ على الزوج الأول والزوجة ﴿أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ﴾ إذا كانا يتصوران بأنهما يمكن أن يعودا إلى وئامٍ في الحياة إلى سلامةٍ في العلاقة فليتراجعا ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ﴾ لا إثم في ذلك ﴿وَتِلكَ حُدُودُ اللّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَومٍ يَعلَمُونَ﴾ هذه الآيات والتي قبلها والتي بعدها هي في بيان الأحكام الشرعية التي تنظم العلاقات الأسرية تنظم العلاقات الاجتماعية ولازالت الآياتُ متواصلةً في هذا الشأن وفي هذا الخصوص.

الآية التي بعدها ﴿وَإِذَا طَلَّقتُمُ النِّسَاء فَبَلَغنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمسِكُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ أَو سَرِّحُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ﴾ نلاحظ كلمة المعروف تتردد ﴿وَلاَ تُمسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعتَدُوا وَمَن يَفعَل ذَلِكَ فَقَد ظَلَمَ نَفسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوَا آيَاتِ اللّهِ هُزُوًا وَاذكُرُوا نِعمَتَ اللّهِ عَلَيكُم وَمَا أَنزَلَ عَلَيكُم مِّنَ الكِتَابِ وَالحِكمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعلَمُوا أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾ أيضاً لازالت الآيات تتحدث عن أحكام الطلاق ﴿وَإِذَا طَلَّقتُمُ النِّسَاء فَبَلَغنَ أَجَلَهُنَّ﴾ بلغن اجلهن يعني قاربن على نهاية العدة أو انتهت العدة ﴿وَإِذَا طَلَّقتُمُ النِّسَاء فَبَلَغنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يعني العدة قريب أن تنتهي أو انتهت ﴿فَأَمسِكُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ﴾ إما أن تعودوا إلى زوجاتكم ولكن بمعروف أن تعودوا وأنتم عندكم محبة وميل لزوجاتكم ﴿أَو سَرِّحُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ وَلاَ تُمسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعتَدُوا﴾ الآية هنا تشير إلى هذه القضية أنه هناك بعض الأزواج قريب أن تنتهي العدة يرجع بزوجته وهو لا يميل إليها لأجل الإضرار بها فقط لأجل أن لا يدفع لها حقوقها المالية فالآيات هنا تقول يعني إذا بلغت المرأة إلى نهاية العدة سواء في نهايات العدة أو جاوزت العدة خرجت من العدة ما هو الموقف الشرعي هنا أو الموقف الإنساني هنا؟ إما أن ترجعوا إلى زوجاتكم ولكن بمعروف وإما أن تسرحوا زوجاتكم من دون أذىً.

﴿وَلاَ تُمسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ لأجل الإضرار بهن إضرار مثلاً بالحالة النفسية للزوجة أو الإضرار بالحقوق المادية للزوجة ﴿وَإِذَا طَلَّقتُمُ النِّسَاء فَبَلَغنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمسِكُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ أَو سَرِّحُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ﴾ المعروف يبقى

موجوداً على طول الخط وإن كان هذا في الواقع الاجتماعي وفي الواقع العملي غير موجود لا وجود للمعروف في مثل هذه القضايا في حياتنا الاجتماعية لكن القرآن هو يقول هكذا ونحن مع القرآن.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ﴾

يعني لا تفعلوا أفعالاً لأجل الإيذاء لأجل إيذاء هذه الزوجة أو لأجل إيذاء عائلتها وزوجها ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾ من يفعل منكم بهذه النية وبهذه الطريقة ﴿ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ وقبل قليل مر علينا ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ وأنا قلت المراد من الظلم أن الإنسان يظلم نفسه الإنسان يظلم نفسه بالمعصية الآية هنا تشرح نفس الكلام السابق الذي أشرتُ إليه والذي كان مجملاً في الآيات المتقدمة ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ ماذا يفعل؟ يفعل أنه يحاول الإضرار بالزوجة التي طلقها كأن يرجعها لأجل أن يؤذيها أو لأجل أن يمنعها أن يحرمها حقوقها المالية.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ﴾

يعني لتعتدوا على حقوقهم ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ ثم تقول الآيات أن الإنسان الذي يفعل ذلك إن الإنسان الذي يظلم نفسه إنما هو يستهزئُ بآيات الله، آيات الله التي قرأنها ونقرأها الآن ونقرأها بعد ذلك الآيات التي بينت الأحكام الشرعية ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللّهِ هُزُوًا ﴾ لا تستهزئوا بآيات الله هذه آيات الله وهذه تعاليمه وأحكامه وآدابه الله هو الذي يقول ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ ويقول أيضاً ﴿ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ﴾ فإنكم إذا خالفتم هذه البيانات إنما تتخذون آيات الله هزوا ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ واذكروا نعمة الله نعمة الهدايا أعظم نعمةٍ هي نعمة الهدايا أعظم نعمةٍ هي نعمة القرآن أعظم نعمةٍ هي نعمة رسول الله أعظم نعمةٍ هي نعمة أهل البيت ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ ﴾ الله أنعم عليكم بهذه النعمة كيف نشكر هذه النعمة؟ نشكر هذه النعمة أن نلتزم بما جاء في هذه النعمة حينما نريد أن نشكر نعمة القرآن أن نلتزم بما جاء في القرآن حين نريد أن نشكر نعمة رسول الله أن نلتزم بتعاليم وأحكام وآداب رسول الله بقدر ما نتمكن وإلا فنحن لا

نستطيع أن نلتزم بها بكلها التزاماً حقيقياً ولكن بقدر ما نتمكن.

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ هي هذه النعم هذه مصاديق من النعم ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ الكتاب والحكمة من أين جاءت؟ تأتينا من طريق مُحَمَّدٍ وآل محمَّد وإلا الكتاب من دون الرجوع إلى محمَّدٍ وآل مُحَمَّد نحن لا نستطيع أن ننتفع منه الانتفاع الحقيقي من الكتاب ومن الحكمة المتأتية إلينا من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد هي هذه النعمة الكبيرة ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ فإذا كانت هذه النعمة العظيمة أنزلها الله عليكم ألا يجب عليكم أن تشكروها؟ شكر هذه النعمة بالالتزام بالأحكام بالآداب.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ التقوى مطلوبة في كل حال وأنا قلت في الحلقات الماضية هي في بعدها الحقيقي ولاية عليٍّ فهي ولاية عليٍّ المطلوبة منا في كل الأحوال في اليقضة وفي المنام عند الجوع وعند الشبع عند التعب وعند الراحة عند المرض وعند الصحة لذلك الروايات ماذا تقول؟ تقول الإسلام بني على أي شيءٍ؟ بني الإسلام على الصلاة والزكاة والصيام والحج والولاية وما نودي بشيءٍ مثلما نودي بالولاية والأئمة يشرحون هذا المعنى يقولون الإنسان يمكن أن يعفى من الصلاة تتغير الصلاة ممكن الانسان يصلي فقط بحركةٍ من عينيه الصيام يمكن أن يعفى الإنسان من الصيام الحج يجب على الإنسان مرة في العمر بشروط معينة بشرط الاستطاعة ولو لم تكن هناك استطاعة فلا يجب الحج والزكاة أيضاً وسائر الأمور الأخرى لكن الولاية هل توجد حالة من الحالات أن الإنسان يمكن أن يعفى منها؟ الولاية مع الإنسان في يقضته في منامه في جوعه في شبعه في تعبه في راحته في كل حالٍ من أحواله في فقره وفي غناه في مرضه وفي صحته في شبابه وفي شيخوخته الولاية مصاحبة للإنسان في كل حال ولذلك التقوى نلاحظ أن القرآن يطالبنا بها في كل حال لأن التقوى في حقيقتها هي ولاية عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه.

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الآية التي بعدها ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ المعروف يذهب ويعود يروح ويجيء المعروف هو أساس العلاقات، العلاقات الأسرية العلاقات الزوجية العلاقات بين الأرحام العلاقات بين الناس في المجتمع العلاقات بين الأصدقاء العلاقات بين الرفاق في العمل في كل جانب من جوانب الحياة المعروف القرآن يطالبنا بالمعروف والمعروف إنما يكون مبيناً على النية الحسنة أن تكون نية الإنسان نية حسنة اتجاه الآخرين.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ العضل هو المنع يعني إذا طلقت النساء وأتمت المرأة العدة القرآن هنا ينهى عن عضل النساء من الذي يعضل المرأة عادةً؟ الذي يعضل المرأة إما أن الزوج يقوم ببعض الأعمال التي تؤدي إلى منع الزوجة من الزواج يقوم بإثارة مشاكل يقوم بصناعة مقالب يدخل حياة هذه المرأة التي طلقها في دوامة من المشاكل بحيث لا تستطيع أن تتزوج أو أن ولي أمرها المتولي لأمرها من أرحامها يمنعها من الزواج ويمنعها من الرجوع لزوجها الذي طلقها وهذه الحالة موجودة كثيراً في المجتمع يعني يحدث نزاع بين الزوج وبين أهل الزوجة بعد ذلك الزوج يطلق زوجته بسبب هذا النزاع وبعد أن تنتهي العدة يندم الزوج وتندم الزوجة ويريدان أن يتراجعا لكن أهل الزوجة أولياء الزوجة يمنعون من هذا الزواج بسبب النزاعات الموجدة بين الزوج وأهل الزوجة الآية القرآنية تتحدث عن مثل هذه الحالات.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ تمت العدة ﴿ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ لا تمنعوهن ﴿ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ الذين طلقوهن ﴿ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ هذه الآية تخاطب، تخاطب من؟ تخاطب أرحام الزوجة أولياء الزوجة ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ طبعاً الحالة الأولى التي أشرت إليها بأنه المنع قد يكون للأزواج أن الأزواج لا يصنعون المقالب إذا كان المراد من أزواجهن يعني الأزواج الجدد إذا كان هنا المقصود ﴿ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ يعني الأزواج الجدد فهناك نهي للزوج السابق أن يقوم بأمور تمنع طليقته من أن تتزوج زواجاً جديداً وهذا موجود في المجتمع أيضاً وإن كان الآية أظهر في المعنى الثاني وهو أن الآية تخاطب أرحام الزوجة أن يمنعوا مثلاً هذه الزوجة أن تعود إلى زوجها السابق الذي طلقها بسبب المشاكل العائلية الموجودة بين مثلاً عائلة الزوج وعائلة الزوجة أو بين الزوج وبين أصهاره.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ العضل هو المنع ﴿ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ السابقين ﴿ إِذَا تَرَاضَوا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ ﴾ من الذي يوعظ بهذه الأحكام ؟ يوعظ الموعظة هي بيان الأمور التي يعود فيها على الإنسان المصلحة المنفعة الموعظة هي بيان عواقب الأمور للناس ﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ هذي الأحكام وهذه البينات وهذه الدلائل وهذه الحكم التي تبينها الآيات القرآنية هذه موعظة لمن هذا البيان لمن؟ ﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾

ثم تقول الآيات ﴿ذِلِكُم أَزكَى لَكُم وَأَطهَرُ﴾ إذا عملتم بتعاليم الله فذلك أزكى لكم وأطهر أزكى لنفوسكم أزكى لأعمالكم أزكى لعوائلكم أزكى لحياتكم واطهر الالتزام بالأحكام الشرعية الالتزام بالتعاليم الإلهية يقود الإنسان إلى أي حياة؟ إلى حياة طاهرة إلى حياة نظيفة إلى حياة بعيدة عن القذر والأوساخ بعيدة عن القذر المادي وبعيدة عن القذر المعنوي الإنسان المؤمن إذا كان يعيش في جو هذا الجو مفعم بالأحكام الشرعية مقصودي مفعم بالاحكام الشرعية مفعم بتطبيق الأحكام الشرعية مفعم بعدم مخالفة الأحكام الشرعية الإنسان يحس الطمأنينة والطهارة والنقاء تتسرب إلى جميع أجزاء حياته الإنسان يعيش السلامة الحقيقية إذا كان الإنسان من نيته أن لا يخالف الأحكام الشرعية.

﴿ذَلِكُم يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُم يُؤمِنُ بِاللّهِ وَاليَومِ الآخِرِ ذِلِكُم أَزكَى لَكُم وَأَطهَرُ وَاللّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لاَ تَعلَمُونَ﴾ أرجعوا أموركم إلى الله هو الذي يعلم هو الذي يعلم بمصالحكم هو الذي يعلم بمآلكم هو الذي يعلم بما ينفعكم هو الذي يعلم بما يضركم كما مر علينا في الآيات القرآنية السابقة ﴿كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرهٌ لَّكُم وَعَسَى أَن تَكرَهُوا شَيئًا وَهُوَ خَيرٌ لَّكُم وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُم وَاللّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لاَ تَعلَمُونَ﴾ هذه الآية وهي الآية السادسة بعد العاشرة بعد المئتين من سورة البقرة هذه الآية الحقيقة تحتاج إلى وقفة طويلة هذه الآية يجب على المؤمنين أن يتدبروا بها كثيراً لأن هذه الآية تمثل واقع الحياة وتمثل طبيعة العلاقة مع الأحكام الشرعية الأحكام الشرعية الموجودة أمامنا ربما البعض منا لا تأتي الأحكام متناسبة مع مزاجه مع ذوقه مع تربيته مع بيئته التي عاش فيها لكن هذه الآية تكشف عن هذه الحقيقة ﴿كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرهٌ لَّكُم﴾ والقتال هنا مجرد مصداق ربما يكون أي أمر آخر نرفع كلمة القتال ونضع تلك الكلمة ﴿كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرهٌ لَّكُم وَعَسَى أَن تَكرَهُوا شَيئًا وَهُوَ خَيرٌ لَّكُم وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُم وَاللّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لاَ تَعلَمُونَ﴾ نفس الكلام هنا في هذه الآيات ﴿ذَلِكُم يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُم يُؤمِنُ بِاللّهِ وَاليَومِ الآخِرِ﴾ الذي يؤمن بالله واليوم الآخر هو المسلم الذي يسلم للإرادة الإلهية ﴿ذَلِكُم يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُم يُؤمِنُ بِاللّهِ وَاليَومِ الآخِرِ ذِلِكُم أَزكَى لَكُم وَأَطهَرُ وَاللّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لاَ تَعلَمُونَ﴾ الله يعلم أين تكون الطهارة وأين يكون النقاء إنما تكون الطهارة ويكون النقاء والسلامة في أجواء تطبيق الأحكام الشرعية في ظل عدم مخالفة الأحكام الشرعية ولازلت الآيات تترى في بيان الأحكام الشرعية التي تنظم العلائق الأسرية والاجتماعية.

﴿ وَالوَالِدَاتُ يُرضِعنَ أَولَادَهُنَّ حَولَينِ كَامِلَينِ ﴾ هذه فترة الإرضاع ﴿ وَالوَالِدَاتُ يُرضِعنَ أَولَادَهُنَّ حَولَينِ كَامِلَينِ لِمَن أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ لِمَن أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ: الحديث هنا عن الوالد والوالدة وربما حدثت مشاكل بين الوالد والوالدة هذه الآية التي بين أيدينا تنظم العلاقة بين الزوج والزوجة وقضية الأولاد الرضع وقضية الرضاعة ﴿ وَالوَالِدَاتُ يُرضِعنَ أَولَادَهُنَّ حَولَينِ كَامِلَينِ ﴾ هذه مدة الرضاعة الواجبة في الفقه الشرعي سنتان أكثر من سنتين الأحكام الشرعية تمنع من استمرار الرضاعة أكثر من سنتين الحد الأقصى للرضاع سنتان الآيات القرآنية بينت ذلك والروايات والنصوص الواردة عن النبي والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿ وَالوَالِدَاتُ يُرضِعنَ أَولَادَهُنَّ حَولَينِ كَامِلَينِ ﴾ هذي فترة الرضاعة ﴿ لِمَن أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ من الذي لمن أراد أن يتم الرضاعة؟

إذا كان الوالد يريد من زوجته التي ولدت له الولد فأراد منها أن تتم الرضاعة لولده حولين كاملين وصار اتفاق بين الوالد والوالدة على أن الوالدة ترضع الوليد حولين كاملين ﴿ وَالوَالِدَاتُ يُرضِعنَ أَولَادَهُنَّ حَولَينِ كَامِلَينِ لِمَن أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى المَولُودِ لَهُ ﴾ على المولود له يعني الوالد والد الولد ﴿ وَعَلَى المَولُودِ لَهُ رِزقُهُنَّ وَكِسوَتُهُنَّ بِالمَعرُوفِ ﴾ أيضاً المعروف هنا المعروف هو أساس العلاقات الأسرية والاجتماعية الحديث هنا عن الوالدة وعن الوالد سواء كانت العلاقات حسنة فيما بينهما أو العلاقات سيئة مدة الرضاع مدة سنتين مدة حولين كاملين فإذا كان الوالد يريد من هذه الوالدة أن ترضع الوليد لمدة حولين كاملين هذه الوالدة ترضع أما لو نفرض رفضت الوالدة فيجب على الوالد أن يهيأ المرضعة التي ترضع هذا الوليد ولو صار الاتفاق أن الوالدة ترضع الوليد فعلى الوالد أن يلتزم بماذا؟ برزقهن وكسوتهن بالمعروف.

﴿ وَالوَالِدَاتُ يُرضِعنَ أَولَادَهُنَّ حَولَينِ كَامِلَينِ لِمَن أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى المَولُودِ لَهُ رِزقُهُنَّ وَكِسوَتُهُنَّ بِالمَعرُوفِ ﴾ قطعاً الآية هنا تأتي بهذا المثال، المثال أقرب لأسرة فيما بينها مشكلة فيما بين الزوج والزوجة وإلا إذا ما كانت هناك مشكلة والحياة الزوجية مستمرة قطعاً إن نفقة الزوجة ستبقى متعلقة في ذمة الزوج لكن الكلام هنا عن حدوث مشكلة وعن حدوث طلاق عن حدوث طلاق فالوالدة ترضع الوليد في هذه الفترة لمدة حولين كاملين فعلى الوالد أن يتكفل بالرزق وبالكسوة ﴿ وَالوَالِدَاتُ يُرضِعنَ أَولَادَهُنَّ حَولَينِ كَامِلَينِ لِمَن أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى المَولُودِ لَهُ رِزقُهُنَّ وَكِسوَتُهُنَّ بِالمَعرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفسٌ إِلَّا وُسعَهَا ﴾ يعني أن ينفق على هذه

الوالدة التي ترضع حولين كاملين بحسب إمكانيته ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فلا أن يقتر عليها ولا أن يطالب بأن ينفق عليها أكثر من قدرته أكثر من إمكانيته وأنما ينفق بحسب طاقته ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلا بقدر طاقتها الوسع هو الطاقة ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾ هذا إذا كانت العلاقات الزوجية مستقيمة إذا كانت العلاقات الزوجية مستقيمة الآيات بحسب الروايات ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾ تتحدث عن قضيتين الشيء المتعارف أن المرأة في فترة الرضاع إذا ما كانت ترضع وليداها في هذه الفترة إذا ما انعقدت النطفة إذا ما حملت في الغالب في الغالب والكثير من النساء ينقطع الحليب عندها الآية تتحدث عن هذه القضية ليس كل النساء ينقطع الحليب عندها إذا ما انعقدت النطفة في رحمها أثناء فترة الرضاعة لكن هناك الكثير من النساء حالهن هكذا فالآية هنا تتحدث عن هذه القضية مثلاً أن الزوجة تمنع زوجها بأي سبب؟

بسبب أنها تخاف على رضيعها لو انقطعت لو أن النطفة انعقدت وانقطع الحليب فتخاف على رضيعها من الهلاك من المرض أو القضية بالعكس أن الزوج لا يريد أن يقترب من زوجته لأجل أن لا ينقطع الحليب فيؤثر ذلك على حياة الرضيع فالآيات هنا تتحدث عن هذا الموضوع ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ يعني أنه لا يعتدى على حقوق الزوجة على حقوق الزوجة الجنسية بسبب هذا الموضوع وكذلك لا يعتدى على حق الزوج الجنسي بسبب هذا الموضوع ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ هذا في الجانب الاقتصادي أن الزوج ينفق على زوجته بقدر ما يتمكن ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ الحديث هنا عن عدم الاعتداء على الحق الجنسي للزوجة ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ بسبب الولد فلو انقطع الحليب فيجب على الوالد أن يهيأ مرضعة له ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾ وكذلك لا يوجد هناك اعتداء لا يصح أن يعتدى على الحق الجنسي للزوج.

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ أيضاً وعلى الوارث مثل ذلك في أي قضيةٍ؟ وان لا يكون الوارث سبباً للاعتداء على حقوق الطفل وعلى حقوق الزوجة الوارث يعني الوارث الذي يرث والد الطفل لو مات والد الطفل لو أن والد الطفل مات ووارثة موجود فعلى الوارث أن لا يضار لا بحق الطفل ولا بحق أم الطفل فيجب على الوارث أن ينفق على أم الطفل في قضية الرزق والكسوة بالمعروف وكذلك أن يحافظ على حق هذا الطفل في البقاء ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ يعني ويجب على الوارث أن لا يكون سبباً للإضرار لا

بالطفل ولا بأم الطفل.

﴿ وَالوَالِدَاتُ يُرضِعنَ أَولَادَهُنَّ حَولَينِ كَامِلَينِ لِمَن أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى المَولُودِ لَهُ رِزقُهُنَّ وَكِسوَتُهُنَّ بِالمَعرُوفِ ﴾ هذا الأمر سواء كانت العلاقة مستقيمة وطيبة بين الزوج والزوجة أو سواء كان قد حدث الفراق بين الزوج والزوجة ﴿ وَعَلَى المَولُودِ لَهُ رِزقُهُنَّ وَكِسوَتُهُنَّ بِالمَعرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفسٌ إِلاَّ وُسعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾ في حقوقها الجنسية ﴿ وَلاَ مَولُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ﴾ في حقوقه الجنسية أيضاً ﴿ وَعَلَى الوَارِثِ مِثلُ ذَلِكَ ﴾ وعلى الوارث أيضاً أن لا يكون سبباً للإضرار هذا وارث والد الطفل إذا توفي والد الطفل فوارثه يجب عليه أن يلتزم بالحقوق المترتبة عليه شرعاً ولا يكون سبباً للإضرار بالوالدة أو بولديها ﴿ فَإِن أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ ﴾ الفصال هنا هو الفطام ﴿ فَإِن أَرَادَا فِصَالاً ﴾ يعني إذا كان الوالد والوالدة اتفقا فيما بينهما أن يفطم الطفل أرادا فصالاً فطاماً ﴿ فَإِن أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيهِمَا ﴾ الفطام يعني الفطام عن ثدي الأم.

﴿ وَإِن أَرَدتُم أَن تَستَرضِعُوا أَولَادَكُم فَلاَ جُنَاحَ عَلَيكُم إِذَا سَلَّمتُم مَّآ آتَيتُم بِالمَعرُوفِ ﴾ دائماً المعروف يتكرر فإذا أراد الوالد والوالدة أن ينقطع رضاع الوليد من أمه لا جناح في ذلك إذا كان ذلك بالاتفاق وأن يجد مرضعة لهذا الطفل الفصال هو الفطام ولربما جاء هذا في الكتاب الكريم مثلاً في الآية الرابعة بعد العاشرة من سورة لقمان ﴿ وَوَصَّينَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيهِ حَملَتهُ أُمُّهُ وَهنًا عَلَى وَهنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَينِ ﴾ فصاله يعني فطامه في عامين يعني مدة الإرضاع لمدة عامين فالمراد من الفصال هو الفطام كلمة الفصال تعني الفطام ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَينِ ﴾ هذا في الآية الرابعة بعد العاشرة من سورة لقمان وفي الآية الخامسة بعد العاشرة من سورة الأحقاف ﴿ وَوَصَّينَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيهِ إِحسَانًا حَملَتهُ أُمُّهُ كُرهًا وَوَضَعَتهُ كُرهًا وَحَملُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهرًا ﴾ حمله وفصاله يعني وفطامه فكلمة الفصال في القرآن الكريم تعني الفطام كما في هذه السورة كما في سورة لقمان كما في سور الأحقاف ﴿ فَإِن أَرَادَا فِصَالاً ﴾ يعني إن أرادا فطاماً ﴿ عَن تَرَاضٍ ﴾ فطام لهذا الوليد الرضيع ﴿ عَن تَرَاضٍ مِّنهُمَا ﴾ بين الوالد والوالدة ﴿ وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيهِمَا وَإِن أَرَدتُم أَن تَستَرضِعُوا أَولَادَكُم ﴾ أن تبحثوا عن مرضعة ترضع أولادكم غير الوالدة باعتبار حدث فصال ﴿ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيكُم إِذَا

سَلَّمتُم مَّآ آتَيتُم بِالمَعرُوفِ﴾ يعني إذا سلمتم ما أتيتم بالمعروف إذا أعطيتم للمرضعة حقها وبالمعروف ﴿وَاتَّقُوا اللّهَ﴾ المطالبة بالتقوى في كل مكان ﴿وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعلَمُوا أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تلاحظون أن التقوى موجودة في كل حالةٍ من الحالات على طول الخط هناك مطالبة بالتقوى ﴿وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعلَمُوا أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .

أمر على الآية مروراً سريعاً حتى تتضح الصورة أكثر ﴿وَالوَالِدَاتُ يُرضِعنَ أَولاَدَهُنَّ حَولَينِ كَامِلَينِ لِمَن أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ يعني إذا كان الوالد يريد من والدة الطفل أن تتم الرضاعة لمدة حولين وبالاتفاق فمدة الرضاعة هي مدة سنتين كاملتين ﴿وَالوَالِدَاتُ يُرضِعنَ أَولاَدَهُنَّ حَولَينِ كَامِلَينِ لِمَن أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى المَولُودِ لَهُ﴾ والد الطفل ﴿رِزقُهُنَّ وَكِسوَتُهُنَّ بِالمَعرُوفِ﴾ سواء كانت هذه والدة الطفل في حبالة الزوجية أو طلقها بعد أن ولدت الطفل فيجب عليه أن يرزق الوالدة وأن يكسوها بالمعروف ﴿لاَ تُكَلَّفُ نَفسٌ إِلاَّ وُسعَهَا﴾ إنفاقه في الرزق وفي الكسوة بحسب ما يتمكن بحسب قدرته بحكم الإنصاف فلا يكون بخيلاً مقتراً ولا أن ينفق أكثر من طاقته هذا أمرٌ راجع إليه إذا أراد أن ينفق أكثر من طاقته لكن المطلوب شرعاً الحد الشرعي ﴿لاَ تُكَلَّفُ نَفسٌ إِلاَّ وُسعَهَا﴾ ثم تقول الآية ﴿لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ الوالدة لن تضار ويصل إليها الضرر بسبب وليدها ﴿لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَولُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾ وقلت بحسب الروايات الحديث هنا عن الحقوق الجنسية للوالد وللوالدة فلا أن تتأثر الحقوق الجنسية للوالد والوالدة بسبب الوليد إذا هم رضيا بذلك هذي قضية راجعة إليهم لأن هذي حقوق الإنسان إذا يرضى أو يتنازل عن حقه هذي قضية راجعة إليه لكن لو لم يرد الإنسان أن يتنازل عن حقه لو لم ترد الزوجة أن تتنازل عن حقها الجنسي أو لم يرد الزوج أن يتنازل عن حقه الجنسي فقضية وجود الوليد ليس صحيحاً أنها تضر بالحق الجنسي للوالد أو للوالدة لذلك لابد أن يوجد هناك حل وهو الإرضاء عن طريق مرضعة لو انقطع الحليب.

﴿لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَولُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الوَارِثِ مِثلُ ذَلِكَ﴾ على وارث الوالد إذا مات فإن المسؤولية في الإنفاق وفي رعاية الطفل الوليد وفي رعاية والدة الوليد في قضية الإرضاع أو في إيجاد مرضعة له هذه الأمور تترتب مسؤوليتها على وارث الوالد والد الوليد ﴿وَعَلَى الوَارِثِ مِثلُ ذَلِكَ فَإِن أَرَادَا فِصَالاً﴾ إذا أراد الوالد

والوالدة فصالاً يعني فطاماً للطفل لا يتصور فصالاً يعني طلاقاً فيما بينهما ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً﴾ لأن هذه القضية شاملة سواء كانت والدة الوليد في حبالة الزوج أو طلقها بعد أن ولدة الوليد ولكن بقيت ترضعه ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ ليس هناك أي مسؤولية أي إثم ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ ابحثوا عن مرضعة لكن بشرط ﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ إِذَا سَلَّمتُم مَّآ آتَيتُم بِالمعْرُوفِ: إذا سلمتم المرضعة حقوقها وسلمتم الزوجة حقوقها إذا كان ذلك بالمعروف بالتراضي وبحسن الخلق وبإعطاء كل ذي حقٍ حقه.

﴿وَاتَّقُوا اللّهَ﴾ ومع ذلك لابد من التقوى، التقوى التي قلتُ مراراً هي في حقيقتها ولايةُ عليٍّ ولايةُ عليٍّ الحاضرةُ معنا في كل زمانٍ ومكان ﴿وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ آخر آيةٍ في هذه الحلقة من هذا البرنامج وأتم الحديث الآيات لازلت متواصلة وكلها في بيان الأحكام الفقهية والشرعية التي تنظم وتقنن الحياة الأسرية والحياة الاجتماعية مرت علينا الآيات السابقة وهي تقنن وتشرع العلاقة الزوجية وكذلك مسألة إرضاع الأطفال الآن الآية تنتقل إلى حكمٍ آخر وهو حكم الزوجة بعد وفاة زوجها ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنكُم: يعني من الرجال يعني والرجال الذين يتوفون الأزواج الذكور ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ﴾ يتركون أزواجا يعني نساءً كلمة زوج تطلق على الرجل وعلى المرأة تقول هذه زوجتي وهذا زوجي الكلام صحيح وهذه زوجي أبلغ وأفصح وإن كان الشائع نحن نستعمل الزوجة الآن لكن الزوج أبلغ وأفصح في كلام العرب أن تقول هذه زوجي وليس هذه زوجتي ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ من الرجال ﴿وَيَذَرُونَ﴾ يتركون ﴿أَزْوَاجًا﴾ نساءً ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ يتربصن يعني ينتظرن يترقبن ﴿بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ هذه عدة الوفاة معروفة أربعة أشهر وعشرة أيام ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يعني إذا تمت هذه العدة أربعة أشهر وعشرة أيام ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يبقى المعروف هو أساس ونظام العلاقات الأسرية والعلاقات الاجتماعية إذا أردن لأسرنا ولعلاقاتنا الاجتماعية أن تنجح إذا أردنا النجاح والتوفيق في العلاقات الأسرية في العلاقات الاجتماعية في الصداقات في الجوار في الصحبة في الرفقة في العمل في كل مكان أن نجعل من المعروف

أساساً لهذه العلاقات.

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ إذ تمت العدة ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ لا جناح عليكم ليس هناك من مسؤولية ليس هناك من إثم لا يجب عليك لا يجب عليكم ولا يجوز لكم كذلك أن تكونون سبباً لإيذاء هؤلاء النسوة ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ ﴾ ولكن ﴿ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ هذه هي الآية الرابعة والثلاثون بعد المئتين من آيات سورة البقرة وهي آخر آية نتحدث ونتكلم عنها في هذه الحلقة من برنامج قرآننا تتمة الحديث في الآيات الباقية إن شاء الله تأتينا في الحلقات القادمة.

نحن إن شاء الله نأمل أن نتم الحديث والكلام في سورة البقرة المباركة أنا قلت سابقاً بأن سورة البقرة وبأن سورة آل عمران هاتان السورتان بمثابة جناحية يطير بهما الإنسان في أجواء القرآن من تعلم سورة البقرة ومن تعلم سورة آل عمران يستطيع أن يمسك بيديه على القواعد المهمة والقوانين المهمة في تفسير الكتاب في تفسير القرآن الكريم بالحد الذي نعقله وبالحد الذي نتمكن من معرفته وإلا فحقائق القرآن موكولةٌ لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أسألكم الدعاء جميعاً ولقاءنا يتجدد على قناة المودة مودة الزهراء وآل الزهراء وفي أمان الله.

الحلقة السادسة والعشرون

تفسير سورة البقرة من الآية ٢٣٥ الى الآية ٢٥١

السلام عليكم جميعاً أحباب عليٍّ وآل علي ورحمة الله وبركاته، صياماً مقبولاً ودعاءً مستجاباً وأياماً سعيدة فهذا اليومُ يوم ميلاد إمامنا وسيدنا سيد شباب أهل الجنة سبط رسول الله الأعظم إمامنا أبي مُحَمَّدٍ الحسن الزاكي المجتبى صلوات الله وسلامه عليه وهذه الحلقةُ السادسةُ والعشرون من برنامج قرآننا والكلام فيها متواصلٌ في سورة البقرة، في الحلقة الماضية كان الكلامُ في بيان جملةٍ من الأحكام الشرعية التي تتعلقُ بالحياة الأسرية والحياة الاجتماعية ولازالت الآيات تترا في هذا المضمون، وفي هذا الخصوص، آخر آيةٍ وقفنا عندها الآية الرابعة والثلاثون بعد المئتين ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ الحديث في هذه الآية عن عدة الوفاة التي بينتها الآية بشكلٍ واضح ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ والتربص هو الترقب والانتظار ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يعني إذا تمت عدة الوفاة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فلا يحق لأحدٍ أن يمنع هذه المرأة من الزواج مثلاً ما زال أمرها مبنياً على المعروف فلا يحق لأحدٍ أن يمنعها من ذلك.

تم الكلام في هذه الآية وأشرع اليوم في آياتٍ جديدة من آيات سورة البقرة، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لازلت الآيات في بيان أحكام الأسرة والمجتمع.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ الجناح هو الإثم الجناح هو المسؤولية ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ هذه الآية متصلة مع الآيات السابقة الآيات السابقة تحدثت عن نوعين من النساء النوع الأول نساء كنَّ متزوجات وطلقن بعد ذلك فهن في عدة الطلاق ونساء كنَّ متزوجات فمات

أزواجهن فهن في عدة الوفاة فهنا نوعان من العدة عدة الطلاق وعدة الوفاة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ اللاتي تقدم ذكرهن سواء المطلقات وهنَّ في عدة الطلاق أو سواء اللاتي مات أزواجهن وهن في عدة الوفاة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ عرضتم من التعريض والتعريض هو أن الإنسان يقول كلاماً وهو يريد شيئاً آخر وراء هذا الكلام التعريض هو أن يكون الكلام ليس صريحاً وإنما يقول كلاماً والمقابل الذي يسمع الكلام يفهم شيئاً آخر يعني هو يريد أن يحاول أن يفهم السامع شيئاً لكنه هذا الشيء الذي يريد من السامع أن يفهمه لا يذكره في الألفاظ وإنما يذكر ألفاظاً تحوم حول المعنى لذلك سمي تعريض التعريض مأخوذ يعني من العرض، العرض وهو الجانب العرض أو العَرض يعني مسألة جانبية مسألة عرضية.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ الحديث هنا عن الرجال الذين يرغبون في خطبة النساء اللاتي هنَّ في عدة الطلاق أو في عدة الوفاة الآية تقول لو عرضتم لهؤلاء النسوة التعريض طبعاً بالكلام مثلاً أن يتكلم الرجل مع المرأة كلاماً ومن خلال هذا الكلام المرأة تفهم أن هذا الرجل يريد الزواج بها فإذا كان هذا الرجل فعلاً يريد الزواج بهذه المرأة وهو عازم على هذا الأمر ويعرض لها في الكلام كأن يقول كلاماً كأن يقول كلاماً والمرأة تفهم من هذا الكلام بأن الرجل يريد أن يخطبها بعد أن تنتهي العدة الآية تقول لا جناح في ذلك لا إثم في ذلك لا ملامة في ذلك ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ كأن مثلاً يقول الرجل للمرأة بأنني قد اشتريتُ بيتاً وإني الآن أسكن لوحدي وقد جمعتُ مالاً وأفكر مثلاً في أن أنشأ أسرةً ينقل هذا الكلام للمرأة المرأة من خلال هذا الكلام تفهم بأنه يريد الزواج منها أو الزواج بها هذا يسمى تعريض.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ أكننتم الشيء المكنون هو الشيء المخفي ﴿أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ يعني أخفيتم في أنفسكم أخفيتم في أنفسكم نية الزواج أو الرغبة في تلك المرأة بالنتيجة هذه قضية غريزية يعني إذا كان الرجل راغب في المرأة أو المرأة راغبة في الرجل هذه الرغبة مسألة غريزية يعني مسألة إنسانية خلقية موجودة في التكوين البشري للإنسان فهذه الرغبة الداخلية وهذا التفكير الداخلي لا جناح فيه مادام الرجل يريد أن يتزوج فعلاً من المرأة أو مادامت المرأة تريد أن تتزوج فعلاً من الرجل ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ يعني أن كلمتم النساء بكلامٍ فأفهمتم

النساء بأنكم تريدون الزواج منهن ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ ما كان في أنفسكم من رغبةٍ غريزية باتجاه المرأة ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ وهذي قضية طبيعية إذا كان هناك للرجل رغبة في المرأة أو كان هناك للمرأة رغبة في الرجل قطعاً هذه الرغبة وهذا الميل سيدفع بالرجل أن يتذكر المرأة وسيدفع بالمرأة أن تتذكر الرجل يعني فيما بين الإنسان ونفسه في عالم التصور أو في عالم الخيال وهذي قضية طبيعية لأن منشأها منشأ غريزي لا يستطيع الإنسان أن مثلاً يقطع الميل، يمكن للإنسان أن يقاوم الميل يقاوم الرغبة لكن لا يستطيع الإنسان أن يرفع الميل أساس الميل من جذوره فهذه قضية مودعة في كينونة الإنسان.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ تواعدوهن سراً: يعني المرأة في عدة الطلاق أو في عدة الوفاة ويواعدها الرجل سراً وإن كان ينوي الزواج بها فإن الآية هنا تنهى عن المواعدة السرية ﴿وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ في بعض الروايات المنقولة عن أهل البيت جاء في معنى هذه الفقرة ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ يعني لا تواعدوهن على فعل الفاحشة على إقامة العلاقات غير الشرعية ﴿وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ القول المعروف هو أن الإنسان يُعرض للمرأة يبين للمرأة إما بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر قد يكون من طريقه أو من طريق وساطةٍ معينة أنه يريد الزواج بها بعد أن تنتهي العدة فهو يستعجل في ذلك خوفاً من أن يتقدم غيره لخطبتها وهو راغبٌ في الزواج بها القول المعروف هو هذا وهو الاتفاق على الخطبة في أيام العدة ولكن بعد أن تنتهي العدة.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ بالنتيجة الآية تريد أن تنظم العلاقة بين هذا الرجل الراغب في هذه المرأة وبين هذه المرأة التي هي إما أن تكون في عدة الطلاق أو في عدة الوفاة فالآية هكذا تبين أن الرجل لو بين للمرأة بأنه يريدها حين تنتهي عدتها بكلامٍ هذا الكلام بنحو التعريض بكلامٍ قد يكون ربما قريب من المباشرة أو مباشر فلا بأس في ذلك إذا كان فعلاً هو يريد الزواج بها وإن الأمر يترتب بالشكل الصحيح وبالشكل الشرعي بعد انتهاء العدة فلا بأس في ذلك ثم الآية تتحدث عن الجانب الطبيعي الطبعي أو الغريزي ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ ولكن بشرط ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا

﴿قَولاً مَّعرُوفًا وَلاَ تعزِمُوا عُقدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ وَلاَ تَعزِمُوا عُقدَةَ النِّكَاحِ: العزم هو الإيجاب، العزم هو الإصرار، العزم هو النية على الإقدام ﴿وَلاَ تَعزِمُوا عُقدَةَ النِّكَاحِ﴾ العقدة هنا تشير إلى العقد، العقدة هي الشدة التي تكون بين خيطين أو بين طرفي الخيط فكأن الزواج بمثابة عقدة وهو العقد عقد الزواج ﴿وَلاَ تَعزِمُوا عُقدَةَ النِّكَاحِ﴾ أي لا توجبوا عقد النكاح ولا تأتوا بعقد النكاح فإنه لا يصح إلا أن تنتهي العدة ﴿حَتَّى يَبلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ الكتاب هنا إشارة إلى وقت العدة يعني حتى تنتهي عدة الطلاق أو حتى تنتهي عدة الوفاة ﴿وَلاَ تَعزِمُوا عُقدَةَ النِّكَاحِ﴾ يعني لا تأتوا بالعقد النكاحي بالعقد الشرعي للنكاح فإنه لا يصح حتى تنتهي العدة.

﴿وَلاَ تَعزِمُوا عُقدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَعلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُم فَاحذَرُوهُ﴾ الآية هنا كأنها تحذر، تحذر من أي شيء؟ لربما يتمادى الإنسان في أبعاد هذه العلاقة فيما بين الرجل والمرأة في حدودها أللاشرعية صحيح إن الآية تحدثت عن أنه يجوز للرجل أن يُعرض للمرأة في قضية خطبتها بعد انتهاء العدة وكذلك أن الآية أجازت وجوزت وهي قضية طبعية غريزية أن الرجل سيذكر هذه المرأة لرغبته فيها فيما بينه وبين نفسه صحيح هذا الكلام تقدم ومر هذا الكلام لكن الآية تريد أن تنبه أن التمادي في هذه القضية سيوقع الإنسان ربما في الفتنة سيوقع الإنسان ربما في المخالفة الشرعية فليكن الإنسان حذراً في هذه القضية ﴿وَاعلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَعلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُم فَاحذَرُوهُ وَاعلَمُوا أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ دائماً الآيات تذكر بالمغفرة دائماً الآيات تذكر بأن الله سبحانه وتعالى غفورٌ حليم غفورٌ رحيم هذه الآيات وهذه العناوين وهذه المعاني في كتاب الله تأكد علينا على قضية رجوع العبد إلى باريه مهما فعل لأن الانسان مهما فعل ومهما اجترح من السيئات فباب التوبة مفتوح الروايات تقول بأن الإنسان إذا أرتكب الذنب الله سبحانه وتعالى أمر الملائكة لعدة ساعاتٍ بعد الذنب ألا يكتبوا شيئاً وإنما ينتظرون بهذا الإنسان هل يتوب هل يستغفر إذا استغفر فإنه لا تكتب الملائكة عليه شيئاً.

﴿وَاعلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَعلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُم فَاحذَرُوهُ وَاعلَمُوا أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ * لاَّ جُنَاحَ عَلَيكُم إِن طَلَّقتُمُ النِّسَاء مَا لَم تَمَسُّوهُنَّ أَو تَفرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ لو أن الإنسان عقد على امرأة ولم يحدث هناك المقاربة الجنسية بين الرجل والمرأة بعد العقد وأيضاً لم يكن هناك من مهر، المهر هو مستحب ليس واجباً يستطيع الإنسان أن يتزوج من دون مهر لكن المهر هو الصداق من الأمور المستحبة المؤكدة في شريعتنا ﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيكُم إِن

﴿طَلَّقتُمُ النِّسَاء مَا لَم تَمَسُّوهُنَّ﴾ يعني المماسة الجنسية ﴿أَو تَفرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أو تتفقوا على مهر على صداق فهنا يطلق الرجل زوجته من دون أن يمسها جنسياً وفي نفس الوقت ما كان قد فرض لها مهراً ما اتفقوا على مهر ليس لها مهر فما هو حقها هنا إذا طُلقت.

﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيكُم إِن طَلَّقتُمُ النِّسَاء مَا لَم تَمَسُّوهُنَّ أَو تَفرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ الآية تبين ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ متعوهن يعني أعطوهن المتاع، المتاع أي أعطوهن شيئاً من مال هذه المرأة بالنتيجة لها حق، حق الارتباط بهذا الرجل كانت هناك حبالة كانت هذه المرأة في الحبالة الزوجية لهذا الرجل صحيح هو لم يمسها جنسياً وصحيح أنه ليس هناك من صداق مفروض بشكلٍ واضح ومتفق عليه فهو طلقها هنا حينما طلقها بحسب الروايات العديد من الروايات يظهر من خلال الروايات أن المرأة تستحق المتاع ما المراد من المتاع؟ مقدار من المال بحسب العرف وبحسب الحالة الاقتصادية لذلك الزوج ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ﴾ الموسع قدره يعني الذي يمتلك مالاً صاحب قدرة إمكانية متمكن مالياً ﴿عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى المُقتِرِ قَدرُهُ﴾ وأيضاً على صاحب الحالة المالية الضيقة لذلك في بعض الروايات يسألون الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه قال الذي لا يجد شيئاً فليمتع المرأة ولو بخمار الخمار يعني هذه المقنعة التي تتقنع بها المرأة قال فليمتعها ولو بخمار إذا لم يكن عنده شيء ولو بخمار بثوب بأي شيء ﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيكُم إِن طَلَّقتُمُ النِّسَاء مَا لَم تَمَسُّوهُنَّ أَو تَفرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى المُقتِرِ قَدرُهُ مَتَاعًا بِالمَعرُوفِ﴾ يعني أن يكون العطاء عطاءً مناسباً، مناسباً من جهتين من جهة القدرة الاقتصادية للرجل ومناسباً للمرأة بما يناسب حالها بما يناسب وضعها الاجتماعي بما يناسب وضعها الاقتصادي أن يعطيها شيئاً تنتفع منه هذه المرأة، هناك من العلماء من ذهب إلى استحباب هذا الأمر وهناك من العلماء من ذهب إلى وجوب هذا الأمر ويبدو من خلال أكثر الروايات أن الروايات تشير إلى وجوبه وإن كان القرائن الموجودة في الآية تشير إلى الاستحباب على ما يبدو ﴿مَتَاعًا بِالمَعرُوفِ حَقًّا عَلَى المُحسِنِينَ﴾ في الغالب حينما يأتي التعبير بالإحسان والتعبير بالمحسنين فالإشارة إلى شيءٍ مستحب لكن ليس هذا شيئاً قطعياً فالإحسان قد يكون واجباً وقد يكون مستحباً أيضاً.

﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيكُم إِن طَلَّقتُمُ النِّسَاء مَا لَم تَمَسُّوهُنَّ أَو تَفرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى المُقتِرِ قَدرُهُ مَتَاعًا بِالمَعرُوفِ﴾ نلاحظ تكرر لفظة المعروف لأن العلاقات الإنسانية إذا لم تكن مبنية على النقاء

مبنية على الصفاء على سلامة الطوية على صفاء النية ستكون هذه العلاقات ملوثة، البناء الأسري والبناء الاجتماعي سيكون ملوثاً، لذلك نجد في الآيات القرآنية التي تتناول الأحكام الأسرية الأحكام الاجتماعية في الروابط روابط بين العوائل الروابط بين الأقرباء خصوصاً الروابط الزوجية داخل الأسرة تتردد هذه الكلمة دائماً وهي كلمة المعروف فكأن القرآن يريد أن يجعلها أساساً يريد أن يجعل من المعروف والمعروف هو الخير المعروف هو سلامة النية صفاء الطوية ﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيكُم إِن طَلَّقتُمُ النِّسَاء مَا لَم تَمَسُّوهُنَّ أَو تَفرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى المُقتِرِ قَدرُهُ مَتَاعًا بِالمَعرُوفِ حَقًّا عَلَى المُحسِنِينَ﴾ الخلاصة الآية تتحدث عن هذه الحالة هو أن الرجل تزوج امرأة ما حدثت مقاربة جنسية ولم يكن هناك اتفاق على مهر فطلقها يجوز له أن يطلقها ولكن من حقوقها أن يمتعها بشيءٍ من المال يتناسب مع حالته الاقتصادية وهذا المال يعني يحقق لها منفعة في حياتها.

الآية التي بعدها ﴿وَإِن طَلَّقتُمُوهُنَّ﴾ يعني طلقتم النساء ﴿مِن قَبلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَد فَرَضتُم لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ هذي حالة أخرى طلقت قبل المماسة الجنسية ولكن كان هناك اتفاق على صداق على مهر سواء المرأة استلمت هذا المهر أم لم تستلمه لحد الآن بالنتيجة هناك اتفاق على مهر ﴿وَإِن طَلَّقتُمُوهُنَّ مِن قَبلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَد فَرَضتُم لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ الفريضة هو المهر ﴿فَنِصفُ مَا فَرَضتُم﴾ فالمرأة هنا تستحق بالاستحقاق الشرعي نصف المهر عقد الزواج متحقق وطلقت المرأة قبل أن تكون مماسة جنسية في هذه الحالة تستحق المرأة نصف المهر ﴿وَإِن طَلَّقتُمُوهُنَّ مِن قَبلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَد فَرَضتُم لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصفُ مَا فَرَضتُم إِلاَّ أَن يَعفُونَ﴾ أن تعفوا المرأة تتنازل عن حقها ﴿أَو يَعفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقدَةُ النِّكَاحِ﴾ الذي بيده عقدة النكاح بحسب روايات كثيرة جداً المقصود هو وليُ أمر الزوجة ولي أمرها كأن يكون مثلاً أباها كأن يكون أخاها من له الولاية على الزوجة طبعاً لَمَّا أقول كأن يكون أباها كأن يكون أخاها الأخ ليس له من ولاية شرعية على الزوجة لكن هناك ولاية عرفية برضى الزوجة يعني الزوجة هي راضية المرأة راضية أن يتولى أمرها أخوها وإلا من الجهة الشرعية الذي له ولاية شرعية ثابتة على البنت هو الأب وإن على يعني الأب وبعد الأب يكون من؟ يكون الجد، الجد من جهة الأب وإلا حتى الجد من جهة الأم فلا ولاية له بحسب النصوص الشرعية لكن هناك ولاية يمكن أن تكون عرفية يقرها الشرع وهو أن المرأة تعتبر بأن أخاها وليها وتقبل بما يقرره أخوها فحينئذٍ تكون له الولاية فينطبق عليه هذا المعنى أنه بيده عقدة النكاح يعني هو المتولي لقضية زواج أخته مثلاً.

﴿إِلَّا أَن يَعفُونَ أَو يَعفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقدَةُ النِّكَاحِ﴾ وهو وليُّ أمر الزوجة وليُّ أمر البنت ﴿وَأَن تَعفُوا أَقرَبُ لِلتَّقوَى وَلَا تَنسَوُا الفَضلَ بَينَكُم﴾ الفضل يعني هو الإحسان والخير ﴿وَإِن طَلَّقتُمُوهُنَّ مِن قَبلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَد فَرَضتُم لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصفُ مَا فَرَضتُم﴾ تستحق المرأة نصف المهر ﴿إِلَّا أَن يَعفُونَ﴾ إلا أن هي تريد أن تتنازل عن حقها هذه مسألة راجعة لها حقها والأمر إليها ﴿إِلَّا أَن يَعفُونَ أَو يَعفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقدَةُ النِّكَاحِ﴾ قطعاً عفوه هنا برضى الزوجة برضى المطلقة برضى مثلاً أخته برضى بنته لأن هو الذي يتولى أمرها ﴿إِلَّا أَن يَعفُونَ أَو يَعفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعفُوا﴾ أن تكون التعاملات حتى لو اختلفتم في عدم بقاء عقد الزواج كما هو وحدث الأمر وآلا الأمر إلى الطلاق ﴿وَأَن تَعفُوا أَقرَبُ لِلتَّقوَى وَلَا تَنسَوُا الفَضلَ بَينَكُم﴾ وبالنتيجة يعني حتى لو حدث الطلاق فهذه العلاقات الاجتماعية التي قد تكون بين الأرحام التي قد تكون بين الجيران بين أبناء العشيرة الواحدة بين أبناء المدينة الواحدة بالنتيجة هذه العلاقات مستمرة كانت موجودة قبل عقد الزواج وستبقى مستمرة بعد عقد الزواج حتى لو انفصم هذا العقد ﴿وَلَا تَنسَوُا الفَضلَ بَينَكُم﴾ هناك تعامل فيما بينكم أحسن بعضكم إلى البعض الآخر هناك حقوق لبعضكم على البعض.

﴿وَأَن تَعفُوا أَقرَبُ لِلتَّقوَى وَلَا تَنسَوُا الفَضلَ بَينَكُم إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ: هذه التعبيرات القرآنية كلها تريد أن تشد أذهاننا إلى هذه الحقيقة وهو أن الله معنا في كل حالٍ من الأحوال هو أقربُ إلينا من حبل الوريد إن الله يحول بين المرء وقلبه هل هناك شيء أقرب إلى الإنسان من قلب الإنسان إلى الإنسان هل يوجد شيء أقرب إلي من قلبي إلي؟ إن الله يحولُ فيما بيني وبين قلبي الله يحول ما بين المرء وقلبه فهو محيطٌ بنا ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ * حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الوُسطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ الآية في الأفق الأول واضحة تطالبنا بالمحافظة على الصلوات لَمَّا تم الكلام في احكام الأسرية وفي تنظيم العلاقات إن كان في باب الزواج في باب الطلاق وفي سائر الأمور الأخرى التي مرت الآيات السابقة تتحدث عنها أنتقل الكلام هنا إلى الجانب العبادي إلى الجانب المعنوي مثلما أهتم القرآن في تنظيم الجانب الحياتي والجانب الغريزي والجانب الطبيعي في حياة الإنسان الجنبة الحيوانية الغريزية الجنبة الطبيعية مثلما أهتم الإنسان في الجانب الجنسي وفي جانب الطعام والشراب يأتي هنا اهتمام القرآن في الجانب المعنوي الإنسان له حاجات هناك حاجات مادية هناك حاجات اجتماعية وهناك حاجات معنوية من جملة هذه الحاجات والضرورات التي يحتاجها الإنسان في تكميل حياته هي الحاجات المعنوية.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الوُسطَى وَقُومُوا لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ الصلوات واضح المراد هنا من الحديث عن الصلوات الواجبة وأنتم تعرفونها أم الصلاة الوسطى المعروف في روايات أهل البيت هي صلاة الظهر طبعاً هناك روايات قالت بأن الصلاة الوسطى هي صلاة الصبح بأن الصلاة الوسطى هي صلاة المغرب لكن أكثر الروايات المنقولة عن أهل بيت العصمة تقول بأن الصلاة الوسطى هي صلاة الظهر وهي أولُ صلاةٍ صلاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي الصلاة الأولى التي صلاها رسول الله فخصصت بهذا الوصف لأهميتها ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الوُسطَى وَقُومُوا لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ قانتين يعني خاضعين يعني خاشعين، القنوت هو الخضوع وهو الخشوع وإنما سمي الدعاء بالقنوت لأن الدعاء هو مظهر من مظاهر الخشوع القنوت قيل له قنوت ونحن نقنت في الصلاة وهو دعاءٌ مستحب هذا القنوت قيل له قنوت لأنه عنوان الخضوع وعنوان الخشوع ﴿وَقُومُوا لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ قوموا لله خاضعين خاشعين.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الوُسطَى﴾ المحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى بشكلٍ خاص المحافظة أولاً على إتيان الصلاة في أوقاتها ألا تصلى خارج الوقت وهذه قضية مهمة جداً صحيح الوقت الأول هو وقت الفضيلة لكن بالنتيجة وقت الصلاة ممتد لابد للإنسان أن يأتي بصلاته في وقتها وأفضل الوقت هو أول الوقت المحافظة على الصلوات وعلى الصلاة الوسطى هي المحافظة على أوقات الصلوات هذا أولاً، وثانياً المحافظة على هذه الصلوات أن نأتي بها بشرائطها الشرائط الشرعية المعروفة إن كان من طهارة المكان وحلية المكان الذي نصلي فيه خصوصاً موضع السجود إن كان الملابس التي نلبسها من جهة طهارتها ومن جهة حليتها وإباحيتها أن تكون مباحة غير مغصوبة قضية معرفة الوقت بالشكل الصحيح قضية معرفة القبلة بالشكل الصحيح قضية معرفة أجزاء وأركان الصلاة الأحكام الشرعية المعروفة التي يعرفها المؤمنون ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ هي محافظة على الأوقات محافظة على أفعال الصلاة وعلى شرائط الصلاة وعلى واجبات الصلاة والمحافظة الثالثة وهو المحافظة على الحضور القلبي بقدر ما يتمكن الإنسان وهذه هي مشكلتنا، مشكلتنا في قضية الحضور القلبي وفي قضية التوجه للصلاة نحن دائماً في صراع في هذه القضية، والمسألة الرابعة في قضية المحافظة على الصلاة وهو أن تكون هناك مصداقية لهذه الصلاة، الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر لابد للمصلي أن يجعل الصلاة دائماً عنواناً وهويةً له بحيث تنعكس على حياته في أنه يتذكر بأنه يصلي والمصلي هناك عليه التزامات شرعية كثيرة وهذه مبينة في مضانها وفي الكتب الفقهية بشكل مختصر إذاً المحافظة على الصلوات أولاً، المحافظة على الوقت ثانياً، المحافظة على نفس أفعال الصلاة والإتيان بالشرائط الشرعية والإتيان بحسب ما جاء في الواجبات أو في

المستحبات على الأقل في الواجبات ثم المحافظة بقدر ما يتمكن الإنسان على قضية الحضور القلبي بقدر ما يتمكن حتى ولو بجزءٍ يسير، والمحافظة الرابعة وهو المحافظة على الآثار الحياتية للصلاة الإنسان المصلي عليه التزامات حينما يصلي الإنسان فكأنه قد دخل في معاهده في معاقدة فحينما يصلي يجب أن تكون هذه الصلاة تدفعه لأمور أخرى هناك التزامات شرعية أخرى تترتب على هذه الصلاة لا أريد أن أتحدث بالعنوان المطلق بأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وهو كلام نردده فقط لكن أقول المصلي على الأقل أن يلتزم بأدنى حد من الالتزامات الشرعية التي تعكس هويته كمصلي.

الصلاة هذه هوية فالذي تكون عنده هذه الهوية يعني مثلاً الذي يحمل هوية طبيب يحمل شهادة طبيب لا يصح أن يتصرف ويذهب فيعمل مثلاً في البناء فيكون بنّاءاً وهو يقول أنا طبيب لابد أن يبدو من أفعاله يبدو من أعماله أن يتصرف في دائرة الطب أن يعمل في الأمور الطبية المصلي كذلك هذه الصلاة هوية نوع من المعاقدة لابد أن تنعكس على أفعاله على تصرفاته على أقواله ولو بشكلٍ محدود بحيث يحافظ الإنسان على هويته ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الوُسطَى وَقُومُوا لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ وإنما خصصت الصلاة الوسطى بذلك لأهميتها وبحسب الروايات الصلاة الوسطى هي صلاة الظهر وفي الغالب بحسب التجربة الإنسانية أن الإنسان في هذا الوقت يكون متعباً، صلاة الظهر هي نوعاً ما أطول من صلاة الصبح وأطول من صلاة المغرب والإنسان يكون متعباً في هذا الوقت فلربما لا يعبأ بها لا يهتم بها من هنا جاء التأكيد طبعاً هذا شيء ظاهري وإلا إذا أردنا أن نذهب إلى العمق فصلاة الظهر هي رمزٌ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن هذه الصلوات ورد في الروايات، صلاة الظهر هي عنوانٌ لرسول الله وصلاة العصر عنوانٌ لأمير المؤمنين وصلاة المغرب عنوانٌ للزهراء وصلاة العشاء عنوانٌ للإمام الحسن وصلاة الفجر عنوانٌ للحسين صلوات الله وسلامه عليه، لا أريد الخوض في هذه القضية لكنني فقط أقرأ على مسامعكم هذه الرواية المروية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الوُسطَى وَقُومُوا لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ الرواية هنا تتحدث عن أفق آخر غير الأفق الذي تحدثت عنه قبل قليل ماذا قال إمامنا صلوات الله عليه؟

قال: الصلوات رسول الله – حافظوا على الصلوات – **الصلوات رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين سلام الله عليهم والوسطى أمير المؤمنين ﴿وَقُومُوا لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ طائعين للأئمة.**

طبعاً عندنا في عديد من الروايات عن الأئمة صلوات الله عليهم من أن المراد من الصلاة الوسطى هي صلاة العصر فتكون في وسط صلاتين نهاريتين وهي صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاتين في الليل وهما

صلاة المغرب ليليتين وصلاة العشاء فتكون صلاة العصر هي الوسط وفي صلاة العصر إشارة إلى ولاية سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الوُسطَى وَقُومُوا لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ **قال: الصلوات رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين سلام الله عليهم والوسطى أمير المؤمنين** ﴿وَقُومُوا لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ **طائعين للأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين** – على أي حالٍ أنا لا أريد أن أدخل في تفاصيل كثيرة في هذا المعنى خلاصة الكلام الآية في الأفق الأول تتحدث عن العبادة المعروفة عن عبادة الصلاة ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الوُسطَى وَقُومُوا لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ في الأفق الثاني الحديث عن الولاية العامة الولاية بمعناها الأعم وهي ولاية النبي وولاية عليٍّ وآل علي ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الوُسطَى﴾ كما قالت الرواية الصلوات محمَّدٌ وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين وأما الصلاة الوسطى فهي عليٌّ بنحوٍ أخص وهذا التخصيص لعليٍّ صلوات الله عليه هو تخصيص ولايته العلوية التي تتردد دائماً في كل آيات الكتاب الكريم.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الوُسطَى وَقُومُوا لِلّهِ قَانِتِينَ * فَإِن خِفتُم فَرِجَالاً أَو رُكبَانًا فَإِذَا أَمِنتُم فَاذكُرُوا اللّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ﴾ الآية هنا تتحدث عن صلاة الخوف أن الإنسان إذا كان في ظرفٍ يحيط به الخوف يهيمن عليه الخوف يمكن أن يتعرض للمخاطر ﴿فَإِن خِفتُم﴾ الآية السابقة أمرتنا بالحفاظ على الصلوات فهي تتحدث عن الوضع العام عن الظرف الطبيعي للإنسان ﴿فَإِن خِفتُم﴾ إذا كنتم في حالة خوف ﴿فَرِجَالاً أَو رُكبَانًا﴾ فإذا كنتم في حالة الخوف أدوا الصلاة سواء كنتم رجالاً يعني من دون أن تركبوا على الدواب على الخيول ﴿فَإِن خِفتُم فَرِجَالاً أَو رُكبَانًا﴾ ركبانا جمعٌ لراكب وهو الذي يركب على الدابة يركب على الحيوانات ﴿فَإِن خِفتُم فَرِجَالاً أَو رُكبَانًا﴾ في الروايات عندنا لو كان على ظهر الدابة وأحاط به الأعداء في ظرف حرج في ظرف يلزمه أن يخاف على نفسه من المضرة أو من الهلكة فإنه يكبر باتجاه القبلة إذا أمكن وبعد ذلك يكون اتجاهه حيث ما تتجه الدابة به ويوميء برأسه وهكذا تتم صلاته.

نحن عندنا في الروايات في واقعة صفين كان القتالُ مستمراً فما استطاع أمير المؤمنين وأصحاب أمير المؤمنين أن يصلوا صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء لكن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أمرهم بأن يهللوا ويسبحوا وهم على خيولهم من كان على ظهر الخيول فيهلل ويسبح وقت الصلاة ومن كان راجلاً على

قدميه يهلل ويسبح وهو راجل لأنه وقت المعركة وظروف المعركة ما كانت تسمح لهم أن يؤدوا الصلاة ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا﴾ طبعاً صلاة الخوف لها تفصيلات شرعية نحن الآن لسنا بصددها ولكن لو نفترض أن الإنسان ما استطاع أن يؤدي من هذه الصلاة إلا فقط التكبير والإيماء فحينئذٍ تجزيه هذه الصلاة والصلاة صحيحة ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ الله سبحانه وتعالى علمنا الأشياء الكثيرة التي لم نكن نحن نعلمها إن كان هذا المراد من التعليم، التعليم الفطري والغريزي أو المراد من هذا التعليم، التعليم بواسطة الآليات التي منحنا الله إياها أعطانا العقل أعطانا الذاكرة أعطانا الحافظة أعطانا الحواس وأعطانا وأعطانا أو المراد من التعليم هو التعليم الذي جاءنا من طريق الوحي عن طريق الأنبياء والملائكة والكتب والرسل كل ذلك هو من أنحاء التعليم التي علمنا الله بها ومن خلالها ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا﴾ أدوا صلاتكم صلاة الخوف سواء كنتم راجلين أو كنتم راكبين ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا﴾ بالقدر الذي تتمكنون أن تؤدوا به الصلاة، حتى في بعض الروايات أنه إذا كان الإنسان على ظهر الدابة وكبر وأومأ برأسه للصلاة فهو يومأ للركوع ويومأ للسجود اختصاراً حينما يومأ للركوع يقول ركعتُ لك ربي لأجل السرعة والاختصار وسجدت لك ربي يعني غير الألفاظ المعروفة المتعارفة في الصلاة الواجبة التي تصلى في الظرف الاعتيادي المقصود بأن الإنسان يصلي بالقدر الذي يستطيع أن يأديه من الصلاة.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم﴾ أي صلوا الصلاة كما علمنا الله سبحانه وتعالى ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم﴾ أي فصلوا الصلاة كما أمرنا بتفاصيله الشرعية المعروفة ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ هذه الآية نسخت يعني هذه الآية نحن الآن لا نعمل بها من الآيات التي نسخت أحكامها مضمون هذه الآية أنه كان التشريع في بادئ الأمر قبل أن يأتي تشريع عدة الوفاة التي مرت الإشارة إليها أربعة أشهر وعشرة أيام وقبل أن يأتي التشريع في قضية حصة الزوجة من الميراث إذا كان للزوج ولد فحصتها الثمن وإذا لم يكن له ولد فحصتها الربع التفصيل الشرعي المعروف في أحكام الميراث قبل نزول حكم الميراث وقبل نزول حكم عدة الوفاة كان الحكم الشرعي هكذا أنه إذا مات الزوج فإن الزوجة تبقى في بيت

زوجها وينفق عليها من مال زوجها إلى مدة سنة ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ يتركون زوجات ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم﴾ لابد أن تكون وصية من هؤلاء الأزواج لزوجاتهم ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ متاعاً يعني ما تتمتع فيه ما تنفقه من مالٍ ﴿إِلَى الْحَوْلِ﴾ إلى سنة كاملة ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ لا تخرج من بيتها من بيت زوجها ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ أما إذا أرادت المرأة أن تخرج ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ لا جناح على الورثة ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ يبقى هذه العنوان عنوان المعروف يتردد في كل آيات الأحكام.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم﴾ لابد أن يكتبوا وصيةً لأزواجهم بشيءٍ من المال وهذا المال تنفقه المرأة على نفسها لمدة سنة وبعد ذلك تخرج من بيت زوجها وكان هذا الحكم استمرار لأعراف كانت معروفة في الجاهلية، في الجاهلية كان هكذا يعملون مع المرأة أن المرأة تبقى إلى مدة سنة في بيت زوجها ثم تخرج وإلا بعد ذلك الأحكام تغيرت إلى قضية عدة الوفاة وقضية حصة المرأة في الميراث ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ من دون إخراج من البيت ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ إذا هي المرأة أرادت أن تخرج ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني على الورثة على ورثة الميت ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الآية التي بعدها ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ الآية هنا تتحدث عن حكمٍ مستحب بشكل عام المطلقات بشكل عام مر علينا قبل قليل أن المطلقة إذا لم يكن لها صداق يعني ما كان اتفاق بينها وبين الزوج على صداق فبحسب الروايات هناك إعطاء المتاع لها يكون واجباً إعطاء شيء من المال لها أما هنا الآية تتحدث بشكل عام عن المطلقات إعطاء المتاع للمطلقات سواء كانت هذه المطلقة لها صداق أن لم يكن لها صداق إن كان لها صداق فإعطاء المتاع لها يكون مستحباً لأنها ستأخذ صداقها وما يترتب على ذلك من أحكام شرعية أخرى أما التي ليست لها صداق فالذي يبدو من العديد من الروايات أن إعطاء المتاع لها أمر واجب فالآية هنا تتحدث بشكل عام ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾ متاع يعني أموال تعطى لها ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾ هذا مصطلح، مصطلح قرآني مصطلح فقهي المتاع هو إعطاء مقدار من المال للمطلقة غير الصداق المتاع هو إعطاء مقدار من المال للمرأة المطلقة وهو غير الصداق ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أيضاً قاعدة المعروف تبقى مستمرة

في إنشاء المجتمع وفي إنشاء الأسرة ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ذكر المعروف وذكر صفة التقوى ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ كل ذلك ربما قد يشير إلى استحبابه وإن قلت قبل قليل بأن المطلقة التي لم يفترض لها المهر ليس لها صداق فإن إعطاء المتاع لها أمر واجب كم يبدو من عديد من الروايات ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ يعني الإنسان المحسن والإنسان المتقي والإنسان الملتزم بأحكام الله سبحانه وتعالى ليس من الإنصاف أن يطلق المرأة فلا يعطيها شيئاً من المال خصوصاً إذا قضت معه حياة طويلة المرأة إذا قضت مع الرجل الحياة الطويلة وصرفت من وقتها ومن عمرها ومن صحتها ليس من الإنصاف أن هذه المرأة مثلاً بما أنها قد أخذت الصداق والصداق أنتهى فليس من الإنصاف أن لا يعطيها الرجل شيئاً من المال لذلك الآية مرةً وصفت ذلك بالإحسان ﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ وأخرى قالت هنا في الآية التي بين يدي ﴿مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ يعني وصفت الذين يعطون المتاع مرةً بالمحسنين وأخرى بالمتقين.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُم آيَاتِهِ لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ: الآية هنا تخاطبنا أن نتعقل المراد من التعقل يعني أن نحكم العقل أن نفكر أن نجعل الفكر دائماً وسيلة للتبصر فيما حولنا للتبصر في أمورنا في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إمامنا الرضا يقول: **ليست العبادةُ بكثرة الصلاة والصيام وإنما العبادةُ بكثرة التفكر في أمر الله.** العبادة الحقيقية هي هذه حينما نتدبر في القرآن ونتدبر في آيات القرآن نتدبر في كتاب الله هي هذه العبادة الحقيقية حينما ننظر في هذه الآيات وأن الله سبحانه وتعالى يراعي أدق التفاصيل يراعي الجانب المادي يراعي الجانب الأخلاقي يراعي الجانب المعنوي هذه الأحكام تتناول دقائق الأمور وفي بعض الأحيان تتناول الخفايا النفسية للإنسان الحالات النفسية للإنسان حتى الحالات الخفية جداً الأحكام الشرعية الآيات القرآنية تتناولها التدبر والتفكر في هذه المعاني يعني أن الله سبحانه وتعالى يراقبنا على كل صغيرة وكبيرة يعني أن الأمور محسوبة الأمور هكذا ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ هكذا لا يترك الإنسان سدى الإنسان يخيل إليه أنه متروك الإنسان يحب أن يكون متروكاً أو يخيل إليه أنه قد ترك الإنسان مراقب في كل حالاته.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الله يبين الأحكام يبين الآيات لكنه العاقل الحكيم عليه أن يتدبر

في هذه المعاني وحين نقول شهر رمضان شهر القرآن شهر القرآن ليس هو القلقة اللسانية صحيح التلاوة مهمة في شهر رمضان، تلاوة القرآن وختم القرآن هذه من الأمور المهمة والمستحبة ومن السنن الأكيدة من سنن الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم الأكيدة لكن الأهم هو التدبر في معاني القرآن الأهم يعني الإنسان لو يتدبر في جزء من أجزاء القرآن في سورة من سور القرآن من السور القصار أو الكبار يتدبر في معانيها ويطيل النظر فيها هذا أفضل من كثيرٍ من التلاوة التي هي مجرد لقلقة لسانية.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الآن السورة تنتقل إلى حادثة تريد منا هذه السورة أن نعتبر بذلك لأنه الآية السابقة طلبت منا أن نتعقل ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الآية بدأت ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ وهذا الخطاب في حقيقته للنبي متى أنا رأيت هذا المعنى أو أنت رأيت أو متى رأى الذين كانوا في زمان رسول الله هذه الحادثة الخطاب هنا للنبي وهذه الآيات التي تخاطب النبي ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ هذا خطاب لرؤيته الإحاطية صلى الله عليه وآله وسلم، على أي حالٍ أنا لا أريد أن أتشعب في هذا الموضوع نحن والقصة والحادثة التي أشارت إليها هذه الآية.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ المراد من الموت هنا الموت من الطاعون مدينةٌ في بلاد الشام من مدائن الشام مدينة كبيرة يقطنها الكثير من التجار والأغنياء وفيها فقراء وهذا شيءٌ طبيعي والفقراء يكونون في الغالب أكثر من الأغنياء مدينة من مدن الشام فيها الكثير من الفقراء وفيها الكثير من الأغنياء بين فترةٍ وأخرى يحل فيهم الطاعون فإذا ما حل الطاعون في هذه المدينة فر الأغنياء من المدينة وبقي الفقراء ولكن في سنةٍ من السنين أتفق الأغنياء والفقراء على الخروج وذلك إن الأغنياء حينما يخرجون من المدينة فلا يتأثرون بالطاعون إلا قليلاً أما الفقراء فكان يهلك منهم الكثير، في سنة من السنين أتفق الجميع على أن يهاجروا من المدينة ما إن بدأت علائم الطاعون خرج الجميع فراراً من الطاعون فر الأغنياء والفقراء قطعوا مسافات بعيدة فراراً من الطاعون وصلوا إلى مدينةٍ قد هلك أهلها في الروايات أن أهلها هلكوا من الطاعون قبل ذلك بزمانٍ بعيد فاستقروا في هذه المنطقة لَمَّا استقر بهم القرار الله سبحانه وتعالى أماتهم جميعاً من أولهم إلى آخرهم ماتوا وما دفنهم أحد لأنهم ماتوا جميعاً حتى بقيت عظامهم على طرق المارة قطعاً الهواء يذريها الحيوانات تدفعها مما دفع بالمارة الذين يمرون بهذه السكك أن يكنسوا هذه العظام والأجزاء المتبقية من أبدانهم يكنسوها ويضعوها على جانب حتى مر نبيٌ من الأنبياء من أنبياء بني

إسرائيل اسمه حزقيل وهذه القصة وقعت في احد مدائن بني إسرائيل فلما مر النبيُ حزقيل ورأى عظامهم بهذه الحالة بكى وطلب من الله سبحانه وتعالى أن يعيدهم إلى الحياة الله علمه أن يقول كذا وكذا فقالها النبيُ حزقيل فعاد الناس أحياءاً كلهم كل الذين ماتوا عادوا أحياءاً وعمّروا البلاد من جديد وعاشوا لفترةً طويلة هذه قصة هؤلاء الذين خرجوا فراراً من الطاعون ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحيَاهُم إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشكُرُونَ﴾ وهذه طبيعة الإنسان، الإنسانُ يميلُ إلى الكفران، الكفران هو عدم الشكر عندنا الشكر وعندنا الشكر أو الشكران وعندنا الكفر والكفران، الكفران هو عدم الشكر الإنسان ميال إلى عدم الشكر.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحيَاهُم إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشكُرُونَ﴾ هذه الآية جاءت هنا بعد الآية السابقة التي قالت ﴿لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ﴾ حين نقف على هذه الآية نتدبر فيها أولاً في هذه الآية إشارة واضحة صريحة إلى أن هذه الحياة الدنيوية لا قيمة لها وذلك أن الإنسان لا يملك فيها أجله الأجل ليس بيده هؤلاء خرجوا فراراً من الطاعون فأماتهم الله لأن القضية ليس بأيديهم إلى أين تفرون؟ تفرون من آجالكم؟ الله سبحانه وتعالى أماتهم وفي ذلك عبرة واضحة أن هذه الدنيا لا يستطيع الإنسان أن يتصرف فيها بحسب ما يريد هناك المشيئةُ الإلهية ولو أن الله سبحانه وتعالى ترك للإنسان أن يتصرف وتصرف فذلك لا يعني أن هذا لإنسان قد ترك سدى أيحسب الإنسان أنه قد ترك هكذا؟! يلعب ويعبث بما يريد؟! الله سبحانه وتعالى ما ترك الإنسان لو تركه كما يبدو للإنسان فذلك هو جزءٌ من البرنامج ذلك هو جزءٌ من المخطط الإلهي هذا الوجه الأول وهو وجه الاعتبار بهذه الحادثة بهذه القصة بهذه الواقعة، والوجه الثاني أيضاً ما يتعلق بعقيدة الرجعة وهي من عقائدنا المهمة في روايات أهل البيت هذا مصداق من مصاديق الرجعة أمة كاملة ماتت وأحياها الله ورجعت إلى الحياة ونبينا الأعظم يقول: ما جرى في الأمم الماضية يجري في هذه الأمة حذو القدة بالقدة وحذو النعل بالنعل ذراعاً بذراع وباعاً بباع حتى أنهم لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتم فيه، أيضاً في هذه القصة تنبيه وإشارة إلى هذه القضية إلى قضية الرجعة وإمكانية حدوث الرجعة كما حدثت لهذه الأمة وهذه أمة لا خصوصية لها مجرد أناس فروا من الطاعون أماتهم الله وأحياهم وعاشوا دهراً طويلاً كما تقول الروايات.

الآية التي بعدها ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لماذا جاءت الآية هنا؟ ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية تريد أن تقول أيها الناس أيها المؤمنون يا أتباع مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله حين تأمركم

الآيات بالجهاد وبالقتال إنما تأمركم أولاً أن القتال في سبيل الله لا في سبيل شيءٍ آخر ليس لمطمعٍ دنيوي ليس لتحصيل جاهٍ أو لمنصبٍ سياسي ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ القتال في سبيل الله فقط ومن جهةٍ أخرى القصة التي قبل هذه الآية تشعرنا بأن الموت والحياة لا يستطيع الإنسان أن يضمنهما هؤلاء حاول ضمان الحياة لكن الله أماتهم وحين أماتهم فهم لا يملكون القدرة على الرجوع إلى الحياة ولكن الله أحياهم الموت والحياة بيده سبحانه وتعالى بل كل شيءٌ بيده ومرد الأمور إليه إنا لله وإنا إليه راجعون في ذواتنا في أعمالنا في نوايانا في مستقبلنا في ماضينا إنا لله وإنا إليه راجعون.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ثم تأتي الآية ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الله سبحانه وتعالى يخاطب العباد كل شيءٍ هو منه ومع ذلك الله سبحانه وتعالى يخاطب العباد يقول أقرضوني يقرضونه من أي شيءٍ؟ يقرضونه من مالٍ هو ماله هذه هي الرأفة هذا هو الخلق الإلهي حين يقول نبينا صلى الله عليه وآله: تخلقوا بأخلاق الله، هذي هي أخلاق الله المال ماله والوجود وجوده ومع ذلك يطلب منا أن نقرضه ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ الله سبحانه وتعالى يطلب منا أن نقرضه من ماله ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وماذا يترتب على ذلك؟ ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ والله يقول ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ يعني لا حدود لها الله هو الذي يقول لست أنا الذي أقول حتى يمكن أن تحدد هذه الأضعاف ليس هذا بنك من البنوك يقول بأنه سيعطي فائدة مثلاً أو يعطي أرباحاً حتى يكون هذا البنك معروفة نسبة الفائدة فيه حتى لو ضاعفها القائل هو الله سبحانه وتعالى ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ يعني لا حدود لها ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ والأمر بيد الله ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الله يقبض ويبسط القبض هو جمع والبسط هو فتح الله سبحانه وتعالى هو يقدر الأرزاق فيقبضها عن بعض ويبسطها للبعض الله سبحانه وتعالى هو الذي يعطي الجزاء فيقبض الجزاء عن بعض ويبسطه للبعض وكل شيءٍ بيده هو القابض الباسط سبحانه وتعالى.

﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ القبض والبسط بيده وإليه نعود وكل شيءٍ عائدٌ إليه التدبر في هذه الآية أولاً الآية الله سبحانه وتعالى يطلب منا قرضاً، قرضاً من أين؟ من ماله ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ نحن عبيده والمال الذي بين أيدينا

هو ماله فهو يطلب من عبيده الذين يملكهم أن يقرضوه من ماله الذي أعطاه لعبيده وهو يملكه ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرضًا حَسَنًا﴾ ماذا أقول؟ لا يحق لي أن أصف هذا الخلق بالتواضع التواضع من صفات الإنسان لا يصح أن أصف لكن كيف نصف هذا الخلق؟ هذه أخلاق الله سبحانه وتعالى تخلقوا بأخلاق الله كيف أصفُ هذا المعنى؟ لا أجد وصفاً إلا الاعتراف بالعبودية في أبعد معانيها وإلا الاعتراف بالذلة بين يديه في أعمق معانيها والعبارات قاصرة سبحانه وتعالى من علو كبريائه من جبروت عظمته وهو يخاطبني ويخاطبك ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضعَافًا كَثِيرَةً﴾ ومع ذلك هو يطلب منا أن نقرضه ويضاعفها لنا وهو القابض الباسط وهو الذي إليه الرجعى ﴿وَاللَّهُ يَقبِضُ وَيَبسُطُ وَإِلَيهِ تُرجَعُونَ﴾ هو القابض الباسط وإليه الرجعى ويعطينا أضعافاً مضاعفة كثيرة ومع ذلك لأنه هو مستغنٍ هو لماذا يعطينا أضعافاً مضاعفة فهو ليس محتاجاً للقبض هو ليس محتاجاً أن نقرضه والدليل أنه سيضاعف ذلك أضعافاً كثيرة وهو القابض الباسط وإليه الرجعى والمال ماله والعبيد عبيده ومع ذلك يقول أقرضوني.

﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقبِضُ وَيَبسُطُ وَإِلَيهِ تُرجَعُونَ﴾ الآية هنا فيها إشارات من جملة الإشارات الموجودة في هذه الآية ما جاء مذكوراً في كلمات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مثلاً نحن في أجواء هذه الآية الكريمة الرواية عن إمامنا الصادق ينقلها العياشي في تفسيره إمامنا يقول صلوات الله عليه ماذا يقول؟ يقول: **لَمَّا نزلت هذه الآية** – أية آية؟ ﴿مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيرٌ مِّنهَا﴾ هذا قانون ﴿مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيرٌ مِّنهَا﴾ **قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: ربي زدني** – النبي طلب الزيادة – **ربي زدني فأنزل الله** ﴿مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشرُ أَمثَالِهَا﴾ **النبي هنا يطلب الزيادة لأمته إذاً، لَمَّا نزلت هذه الآية** ﴿مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيرٌ مِّنهَا﴾ **قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: ربي زدني فأنزل الله** ﴿مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشرُ أَمثَالِهَا﴾ **قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: ربي زدني فأنزل الله** ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضعَافًا كَثِيرَةً﴾ **والكثيرةُ عند الله لا تحصى** – فهذه الآية جاءت طلباً ووفاءً واستجابةً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله.

الآية الأولى نزلت ﴿مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيرٌ مِّنهَا﴾ فقال: يا ربي زدني ﴿من جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشرُ

أَمثَالِهَا ﴾ فقال: يا ربي زدني فنزلت هذه الآية ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقبِضُ وَيَبسُطُ وَإِلَيهِ تُرجَعُونَ ﴾ وهذا يشعرنا بمنزلة النبي صلى الله عليه وآله عند الله سبحانه وتعالى وإلا نحن لا نستحق أن تخاطبنا الآية بهذا الخطاب إكراماً لمحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله الله خاطبنا بهذا الخطاب هذا الخطاب نحن لا نستحقه أبداً لكن لأن الذي طلب هو مُحَمَّد صلى الله عليه وآله فلأجل مُحَمَّدٍ الله خاطبنا بهذا الخطاب وهذا يشعرنا بعظمة المقام المُحمَّدي ويشعرنا بعظمة الشفاعة المُحمَّدية شفاعة مُحَمَّد في الدنيا وفي الآخرة وهذا جزءٌ من شفاعته الدنيوية شفاعة مُحَمَّد مبسوطة ليس فقط في العالم الأخروي هذا جزءٌ من شفاعته أليس حين نزلت هذه الآية ﴿ مَن جَاء بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيرٌ مِّنهَا ﴾ فقال: يا ربي زدني هي هذه شفاعة؟! فجاءنا بآية أخرى ﴿ من جَاء بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشرُ أَمثَالِهَا ﴾ فقال: يا ربي زدني فجاءت هذه الآية ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضعَافًا كَثِيرَةً ﴾ هذا يشعرنا بعظمة المقام المُحمَّدي بعظمة مقام مُحَمَّدٍ وآل محمَّد.

الروايات تقول، هذه الرواية، **عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام** ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرضًا حَسَنًا ﴾ مراده ما معنى هذه الآية الرواية أيضاً في تفسير العياشي رحمة الله عليه إمامنا الكاظم يبين وجهاً دقيقاً في الآية ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرضًا حَسَنًا ﴾ إمامنا الكاظم، **قال: هي صلة الإمام** – العمل الذي تصفه الآية ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرضًا حَسَنًا ﴾ هي صلة الإمام، الصلة بالمال الصلةُ بأي شيءٍ آخر هي صلة الإمام هي صلة أهل البيت، أساساً الآية ما نزلت إلا بطلبٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله، النبي صلى الله عليه وآله طلب لنا هذه الآية ولذلك الله خاطبنا بهذا الخطاب حُباً بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله والوجه الأعمق في هذا القرض الإلهي نحن نقرض الله كيف؟ كما قال إمامنا الكاظم صلوات الله عليه نقرض الله بأي عمل؟ نقرضه بصلة الإمام، لأن هذا العمل لا يوجد أعلى منه إقراض الله من هذا الباب من هذه الجهة لو أعطينا دريهمات لفقير قد ينطبق معنى إقراض الله على هذا المعنى ولكن بنحوٍ مجازي المعنى الحقيقي لإقراض الله هي صلة الإمام هي صلة أهل البيت وصلة أهل البيت قد تكون بالأموال قد تكون بالألسنة قد تكون بالأيدي قد تكون بالقلوب بالمعارف بالعلوم بالجهاد بالسعي في إحياء أمرهم وبأي شيءٍ آخر. أما لو نريد أن نسأل الأئمة ما هو أفضل عمل نصل به الأئمة في زماننا هذا؟ هو إحياء أمرهم إحياء أمر أهل البيت هو أفضل عمل نصل به أهل البيت ﴿ مَّن ذَا الَّذِي

﴿يُقرِضُ اللّهَ قَرضاً حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضعَافًا كَثِيرَةً﴾ أفضلُ مصداق وأوضح مصداق على هذه الآية هو إحياء أمر أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الآية التي بعد هذه الآية ﴿أَلَم تَرَ إِلَى المَلإِ﴾ أيضاً الخطاب ألم ترَ فبالله عليك من الذي رأى ما رأى أنا أم أنتم أم أحد من القرون الماضية من البشر ﴿أَلَم تَرَ إِلَى المَلإِ مِن بَنِي إِسرَائِيلَ مِن بَعدِ مُوسَى إِذ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابعَث لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِل فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَل عَسَيتُم إِن كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَد أُخرِجنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيهِمُ القِتَالُ تَوَلَّوا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنهُم وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ هذه الآية هي أول آيةٍ من مجموعة آياتٍ تبدأ من الآية السادسة والأربعين بعد المئتين وتنتهي بالآية الحادية والخمسين بعد المئتين عبارة عن صفحتين من صفحات هذا المصحف الذي بين يدي، الآيات تتحدث عن قصة طالوت وجالوت بشكل مجمل أتناول القصة ثم أطبق معاني القصة على الآيات القصة حدثت بعد زمان موسى عليه السلام لذلك تقول ﴿أَلَم تَرَ إِلَى المَلإِ مِن بَنِي إِسرَائِيلَ مِن بَعدِ مُوسَى﴾ من بعد موسى حدثت هذه الواقعة من بعد موسى فعل بنو إسرائيل ما فعلوا وكان عندهم أنبياء والآن هذه الآيات تحدثنا عن نبيٍ لهم في بعض الروايات هذا النبي اسمه إرميا وفي بعض الروايات هذا النبي اسمه اشموئيل ولربما الاسمان لشخصٍ واحد وهذا موجود، هناك من الأنبياء من له أكثر من اسم قد يكون لقباً اسماً، نبينا صلى الله عليه وآله اسمه مُحَمَّد واسمه أحمد اسمه المصطفى ألقابه كثيرة على أيٍّ نبيٌ من أنبياء بني إسرائيل اسمه إرميا بعد وفاة موسى عليه السلام وبعد أن فعل الإسرائيليون ما فعلوا فتسلط عليهم ملكٌ مصرياً من ملوك الأقباط اسمه جالوت وكانت مملكتهُ واسعة وقوية وكان جباراً من الجبارين، قوتهُ هائلة عساكره ضخمه شردهم قتل رجالهم أودع أولادهم السجون استعبد نسائهم فعل فيهم ما فعل من الأفاعيل جرت عليهم الويلات وجرى عليهم العذابُ الشديد من قِبَل جالوت وأتباع جالوت فلجأوا إلى نبيٍ لهم.

القانون والسنة التي كانت في بني إسرائيل أن النبوة في بيت يعني في سبطٍ من الاسباط وأن الملك والزعامة في بيتٍ آخر فكانت النبوة كما تحدثنا الأخبار في سبط لاوي يعني في أولاد لاوي، لاوي أحد أولاد يعقوب كانت النبوة في سبط لاوي وكان الملك والحكم والزعامة زعامة بني إسرائيل كانت في سبط يوسف في أولاد يوسف فالمُلك والحكم في أولاد يوسف في هذا البيت والنبوة في بيت لاوي، فنبيهم ما كان له الزعامة عليهم لذلك طلبوا منه أن يطلب من الله أن ينصب لهم ملكاً يقاتلون معه علهم ينجون من ظلم جالوت النبي طلب من الله ذلك جاءهُ الوحي ماذا جاءهُ الوحي؟ إن الله سبحانه وتعالى اختار طالوت وطالوت لا

كان من بيت النبوة ولا كان من بيت الملك يعني طالوت ليس من سبط لاوي ولا من سبط يوسف وإنما هو من سبط بنيامين من أولاد بنيامين، بنيامين الذي هو شقيق ليوسف هؤلاء كلهم هم أولاد يعقوب وهؤلاء هم الأسباط وأولاد الأسباط وبيوتات بني إسرائيل فكان طالوت لا من بيت النبوة ولا من بيت الملك وكان فقيراً لا يملك مالاً وبنو إسرائيل اليهود عندهم أهم ميزان في قيمة الإنسان هي أمواله فرفضوا قالوا: كيف يكون له الملك، أنى يكون له الملك، لا هو من بيت الملك ولا عنده أموال ولا هو شخصية معروفة، نبيهم قال لهم إن الله سبحانه وتعالى زادهُ بسطةً في العلم وفي الجسم هو أعلم منكم وهو صاحب علم وهو أيضاً صاحب جسم كان جسيماً كان قوياً جداً وشجاعاً وأنتم تريدون ملكاً تقاتلون معه أنتم بحاجة إلى ملك قوي وشجاع لكنهم بقوا في حال تردد قال لهم وآية مُلكه ما هي آية ملكهِ؟

﴿أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تحمله الملائكة التابوت ما هو؟ التابوت هذا هو الصندوق الذي وضعت أم موسى موسى فيه لَمَّا ألقتهُ في اليّم وحملهُ اليّم إلى قصر فرعون أم موسى وضعت موسى في صغرهِ في تابوت في صندوق في بعض الروايات كان حجم هذا الصندوق ثلاث أذرع بذراعين بالنتيجة صندوق خشبي وضعت أم موسى فيه موسى وألقتهُ في اليم والقصة معروفة لديكم هذا التابوت كان موجوداً عند بني إسرائيل وكان هذا التابوت من مقدسات بني إسرائيل إذ أن في هذا التابوت ما تركهُ نبيهم موسى ماذا وضع النبي موسى في هذا الصندوق، وضع فيها درعهُ وشيء من ثيابهِ ووضع فيها الألواح والتوراة هناك آثار متبقيات من آل موسى وآل هارون الآية صريحة ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾ بقية يعني هي هذه الآثار من ثياب من كتب من شؤون أخرى مما تركهُ آل موسى وآل هارون فكان الإسرائيليون إذا تقدموا للقتال يحملون هذا التابوت يضعونهم أمامهم إذا وضعوه أمامهم نزلت عليهم السكينة فينتصرون لكن بني إسرائيل طغوا بعد ذلك بحيث أن الأطفال أخذوا يخرجون هذا التابوت ويلعبون به في الطرقات هكذا تقول الروايات الله غضب عليهم ورفع التابوت من عندهم وأصابتهم المذلة لماذا؟ لأنهم استهانوا بآثار آل موسى وآل هارون وهذا هو شأن الأُمَّة التي استهانت بآل مُحَمَّد فمن مذلةٍ إلى مذلة ومن مهانةٍ إلى مهانة ومن سوء توفيق إلى سوء توفيق.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ فآية مُلك طالوت أن الملائكة تأتي وتُعيد وتُرجع لبني إسرائيل التابوت الذي هو رمز عزهم وفي هذا التابوت بقيةٌ مما ترك آل موسى وآل هارون فيضعونهُ أمامهم فينتصرون هذه آية مُلكهِ لَمَّا عرفوا هذا صدقوا وقَبِلوا فخرج طالوت بالجيوش فلمَّا قطعوا مسافة وكان قد أصابهم التعب وأصابهم العطش قال لهم

طالوت إن الله سيمتحنكم سيختبركم بنهر وهم عطشى قال إذا شربتم منه فلستم مني المسموح لكم أن تشربوا غرفة والأفضل أن لا تشربوا، لذلك هذا الجيش الضخم سبعون ألف أو أكثر أو أقل في الروايات سبعون ألف كانوا الأكثرية شربوا من هذا النهر القليل جداً في الروايات تقول ثلاث مئة وثلاثة عشر أولئك الذين ما شربوا أو البعض منهم شرب غرفة هؤلاء الثلاث مئة والثلاثة عشر هم الذين ما شربوا وهؤلاء هم الذين دخلوا المعركة لأن البقية انهزموا، السكينة نزلت على هؤلاء الثلاث مئة والثلاثة عشر لَمَّا قدموا التابوت نزلت السكينة عليهم، جالوت جاء بقوة قاهرة ضخمة جداً هؤلاء الذين كانوا مع طالوت قالوا نحن كيف نعبر إلى جالوت ونحن عطشى، نشرب ونعبر فشربوا ثم انهزموا المجموعة التي نزلت عليها السكينة هي ثلاث مئة وثلاثة عشر وهم الذين ثبتوا مع طالوت لكن المعركة بأي شيءٍ انتهت؟

المعركة انتهت أن قتل داوود جالوت، داوود كان أيضاً موجود في جيش طالوت، نبيهم إرميا أخبرهم قبل أن يخرجوا للقتال قال إن الله أوحى لي بأن الذي يقتل جالوت واحد من أولاد آسي، آسي هو والد داوود قال واحد من أولاد آسي هو هذا الذي سيقتل، وهؤلاء يرجعون في نسبهم إلى لاوي فاجتمعت في داوود بعد ذلك النبوة والملك لأن سبط لاوي كانت فيه النبوة فقط وسبط يوسف كانت فيه المُلك على أي حال فنبيهم أخبرهم بأن آسي الذي هو والد داوود، أحد أولاده هو الذي سيقتل جالوت وعلامة ذلك أن يلبس درع موسى، درع موسى الموجود أين؟ موجود في هذا التابوت فالنبي أرسل على آسي قال جئني بأولادك كان عنده عشرة أولاد، فجاءه بالتسعة الكبار فلمَّا ألبسهم الدرع ما جاء بشكل مناسب عليهم إما أن يكون طويلاً، يكون قصيراً، قال عندك أحد قال عندي الولد الصغير وهو في الرعي يرعى الأغنام قال أرسل إليه فجيء به وهو داوود الروايات تقول داوود وهو في طريقه كان عنده مقلاع هذا المقلاع كان يضرب به الذئاب كان قوياً جداً في الروايات، الروايات تقول هكذا بأن داوود كان إذا يأتي السبع فيريد أن يصطاد أو يفترس إحدى الخراف الموجودة في القطيع الذي كان يرعاه داوود فإنه يركض خلفه ويفتح فكيه ويخرج هذا الخروف أو هذه النعجة ثم يقتل الأسد كان قوياً جداً في الطريق كما يقول داوود كما تحدثنا الروايات ثلاثة أحجار خاطبتهُ قالت خذنا معك يا داوود فإنك ستقتل بنا جالوت فأخذ هذه الأحجار ووضعها في المخلاة التي كانت معه مع المقلاع فلمَّا ألبسوه الدرع جاءت الدرع على وجه التمام والكمال.

على أي حال فخرج داوود مع طالوت فلمَّا بدأت المعركة داوود قال لهم أروني جالوت أين، قالوا ذلك الذي يركب على الفيل وكان على رأسه تاج وفي وسط التاج كانت هناك ياقوتة حمراء تتوهج الروايات تقول بأن داوود رمى بأحد الأحجار عن يمين جالوت ففر الناس من حوله وأصيب من أصيب فيها شيءٌ من الإعجاز هناك إعجاز في القضية، ورمى بالحجر الثاني على الجانب الأيسر فهلك من هلك ثم رمى جالوت بالحجرة الثالثة فرماه وسدد إلى الياقوتة فاخترقت التاج ووصلت إلى دماغه فقتل جالوت وانتهت المعركة

ولذلك الآية ماذا تقول؟ ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ بعد ذلك نُسي طالوت لأن الناس اجتمعت حول داوود ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني بقي طالوت لفترة وقضى بعد ذلك وانتقل الملك والحكم إلى داوود هذه تقريباً الخطوط العامة لقصة طالوت ولقصة بني إسرائيل الآن نقرأ الآيات ونطبق المعاني التي أشرت إليها.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الملإ يعني المجموعة الكبيرة المجموعة الكثيرة من الناس يقال لهم ملأ لماذا يقال لهم ملأ؟ لأن الناظر إليهم تُملأ عيونهُ بهم ألا يقال مثلاً نظرت إلى فلان فامتلأت عيناي به مثلاً لعظمتهِ لفضله لمثلاً لطوله لشجاعته لِما عندهُ من المناقب والكمالات هذا إذا كان للشخص الواحد أما إذا كان لأناس كثيرين فذلك يدل على كثرتهم المتكاثرة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني إلى أُمَّةٍ من أمم بني إسرائيل يقال لذلك ملأ لكثرتهم فإنهم يملأون العيون ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى﴾ هذه الأحداث ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ وهو إرميا ﴿ابْعَث لَنَا مَلِكًا﴾ لأن النبوة في بيت والمُلك في بيت ﴿ابْعَث لَنَا مَلِكًا﴾ بأمرٍ من الله ﴿ابْعَث لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لأي شيءٍ؟ لأنهم قد قُهِروا يريدون الانتصار من عدوهم والانتصار على عدوهم ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ نبيهم ويعرفهم قال لربما الله يكتب عليكم القتال فلا تقاتلون فلماذا تريدون أن تورطوا أنفسكم في هذه القضية.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَث لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ فلربما الله يكتب عليكم القتال فلا تقاتلوا فلِما تطلبون مني أن أطلب من الله أن ينصب لكم ملكاً ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ولِما لا نقاتل ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا﴾ فقد شردهم جالوت القبطي من ديارهم ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ وأبناءهم أودعوا في السجون ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ أبناءهم أودعوا في السجون ونسائهم استعبدت ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ الله استجاب لهم، استجاب لطلب نبيهِ ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ هذه الأعداد الكثيرة، لذلك الآيات ماذا قالت؟ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ﴾ لأنهم كانوا أمة كبيرة

لَمَّا كُتِب عليهم القتال تولوا متى تولوا حينما وصلوا إلى النهر ستأتي تفاصيل القصة فقد فرت الأكثرية منهم لم يبقى إلا العدد القليل ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيهِمُ القِتَالُ تَوَلَّوا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنهُم﴾ القليل هؤلاء ثلاث مئة وثلاثة عشر ﴿وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ أولئك الذين فروا كانوا ظالمين لأنهم هم اقترحوا على الله أن ينصب لهم ملكاً وأن يقاتلوا في سبيل الله فلمَّا نصب لهم ملكاً وأوجب عليهم القتال فروا من ساحة المعركة ﴿وَقَالَ لَهُم نَبِيُّهُم﴾ نبيهم إرميا ﴿إِنَّ اللّهَ قَد بَعَثَ لَكُم طَالُوتَ مَلِكًا﴾ الله قد انتخب لكم طالوت.

﴿قَالُوَا أَنَّى يَكُونُ لَهُ المُلكُ عَلَينَا﴾ وهو ليس من بيت الملك طالوت لا هو من بيت النبوة ولا من بيت الملك، من أحفاد بنيامين بن يعقوب ﴿وَقَالَ لَهُم نَبِيُّهُم إِنَّ اللّهَ قَد بَعَثَ لَكُم طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَا أَنَّى يَكُونُ لَهُ المُلكُ عَلَينَا وَنَحنُ أَحَقُّ بِالمُلكِ﴾ لأن بيت الملك في غير بيت بنيامين في بيت يوسف الذي يبدو أن المتكلمين هم من أولاد يوسف ﴿قَالُوَا أَنَّى يَكُونُ لَهُ المُلكُ عَلَينَا وَنَحنُ أَحَقُّ بِالمُلكِ﴾ لأن بيت الملوكية فينا ﴿وَقَالَ لَهُم نَبِيُّهُم إِنَّ اللّهَ قَد بَعَثَ لَكُم طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَا أَنَّى يَكُونُ لَهُ المُلكُ عَلَينَا وَنَحنُ أَحَقُّ بِالمُلكِ مِنهُ﴾ هذا من جهة نحن أهل الملك، هو ليس من بيت الملوكية والعيب الثاني ﴿وَلَم يُؤتَ سَعَةً مِّنَ المَالِ﴾ لأن الميزان عندهم الأموال ﴿وَلَم يُؤتَ سَعَةً مِّنَ المَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصطَفَاهُ عَلَيكُم﴾ الله هو الذي اختاره أنتم طلبتم مني أن أطلب من الله أن ينصب لكم ملكاً فنصبه ﴿قَالَ إِنَّ اللّهَ اصطَفَاهُ عَلَيكُم﴾ الله أختارهُ ﴿وَزَادَهُ بَسطَةً فِي العِلمِ وَالجِسمِ﴾ زادهُ بسطةً قبل قليل قرأنا في الآية الخامسة والأربعين بعد المئتين ﴿وَاللّهُ يَقبِضُ وَيَبسُطُ﴾ القبض والبسط بيدهِ لَمَّا أراد أن يبسط في العلم والجسم لطالوت بسطهُ ﴿وَزَادَهُ بَسطَةً﴾ بسطةً يعني زيادةً ﴿وَزَادَهُ بَسطَةً فِي العِلمِ وَالجِسمِ﴾ مد له في علمه وجسمه مد له في جسمهِ أي في قوتهِ علماً أن طالوت كان طويلاً كان طويل القامة في بعض الروايات إنما سمي بطالوت لطوله لطول قامتهِ.

﴿قَالَ إِنَّ اللّهَ اصطَفَاهُ عَلَيكُم وَزَادَهُ بَسطَةً فِي العِلمِ وَالجِسمِ وَاللّهُ يُؤتِي مُلكَهُ مَن يَشَاء﴾ الأمر إليه، الله مثل ما جعل الملك قبلاً في بيت يوسف الآن جعله في بيتٍ آخر ﴿وَاللّهُ يُؤتِي مُلكَهُ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

الأمر راجعٌ إلى الله ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ ما يقتنعون لابد من دليل برهان ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ هذا التابوت الذي بذهابهِ ذهبت عزتهم، لأن التابوت كان رمزاً لعزتهم فحين أساؤوا التعامل معه هذا رمز يربطهم أين؟ يربطهم بآل موسى بآل هارون ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني أن الله يُنزل السكينة عليكم بسبب هذا التابوت، ماذا في هذا التابوت؟ ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تأتيكم السكينة هذا من الجانب المعنوي أما من الجانب المادي ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾ هناك بقية مما تركهُ آل موسى وآل هارون كدرع موسى كثيابهِ كتوراتهِ وأشياء أخرى وكذلك أشياء من آل هارون.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ التابوت يعود ويعود أيضاً بطريقةٍ غيبية أن الملائكة تحملهُ يأتيكم محمولاً هكذا في الهواء تحمله الملائكة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إذا كنتم مؤمنين تبحثون عن الحق فهذه آية ودلالة وبرهان على أن طالوت هو الملك الذي نصبه الله عليكم ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ فصل يعني خرج من المكان الذي كانوا فيه ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ يعني ابتعد صار فيما بينه وبين المكان الذي كانوا يعيشون فيه فاصلة ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ ابتعد بجيشهِ بقواتهِ خارجاً ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ الآن جاء الامتحان أنتم طلبتم القتال في سبيل الله وطلبتم القيادة، الله أعطاكم قيادة إلهية طالوت وهيأ لكم الأمور الآن جاء وقت الامتحان ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ ونحن عندنا مرت علينا أحاديث في البرامج السابقة في الحلقات السابقة ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ هذا قانون القرآن ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ لأن طالوت لن يشرب من النهر فمن أراد أن يتبع طالوت فهو من طالوت أما الذي يخالف طالوت فهو ليس من طالوت ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ .

ولذلك الحديث في قضية براءة لَمَّا نزل جبرئيل فقال يا مُحَمَّد إما أن تُبَلِّغ وإما أن يبلغ رجلٌ منك المخالفون قالوا رجل منه يعني من عائلتهِ من ارحامهِ ليس المقصود بهذا الكلام، رجلٌ منك يعني هو الذي يتابعك أنت

منه وهو منك مثل ما موجود في هذا التعبير القرآني ﴿فَمَن شَرِبَ مِنهُ فَلَيسَ مِنّي﴾ ليس الحديث عن صلة أرحام الحديث عن متابعة وعن طاعة ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنهُ فَلَيسَ مِنّي وَمَن لَّم يَطعَمهُ فَإِنَّهُ مِنّي﴾ لأن طالوت هو نفسهُ لم يطعم النهر ما شرب من النهر ﴿فَمَن شَرِبَ مِنهُ فَلَيسَ مِنّي وَمَن لَّم يَطعَمهُ فَإِنَّهُ مِنّي إِلَّا مَنِ اغتَرَفَ غُرفَةً بِيَدِهِ﴾ فقط يُسمح للبعض أن يغترفوا غرفة، الآية تقول ما هي نتيجة الامتحان ﴿فَشَرِبُوا مِنهُ إِلَّا قَلِيلاً مِّنهُم﴾ الكل شربوا.

في بعض الأخبار أن الذين خرجوا مع طالوت سبعون ألف، سبعون ألف خرجوا مع طالوت وفي بعض الأخبار ثمانون ألف على رواية السبعين ألف سبعون ألف خرجوا مع طالوت الروايات تقول ستة وستين ألف شربوا كرعوا كروعاً في الماء وهؤلاء فروا، الأربعة ألاف الباقون على بعض الروايات ثلاث مئة وثلاثة عشر ما شربوا أصلاً ما طعموه كما قالت الآية ﴿وَمَن لَّم يَطعَمهُ فَإِنَّهُ مِنّي﴾ النسبة الباقية من الأربعة ألاف إذا أحنا الآن نحذف من أربعة ألاف 313 يعني يكون قريب ثلاثة ألاف وسبعمائة، قريب ثلاثة ألاف وسبعمائة هؤلاء شربوا غرفة وهذه أيضاً تسببت لهم في أزمة نفسية الآيات الآن تحدثنا، الستة وستون فروا من المعركة كما قالت الآيات الآية الأولى من آيات القصة ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيهِمُ القِتَالُ تَوَلَّوا﴾ فروا شردوا من المعركة ﴿إِلَّا قَلِيلاً مِّنهُم﴾ وهناك طبعاً من الروايات من تقول أن الذين لم يشربوا أو شربوا غرفة هم ثلاث مئة وثلاثة عشر يعني الثلاث مئة والثلاثة عشر قسم منهم لم يشربوا أصلاً والقسم الآخر شربوا غرفة ﴿فَشَرِبُوا مِنهُ إِلَّا قَلِيلاً مِّنهُم﴾ يعني الذين لم يشربوا أو شربوا غرفة مجموعهم ثلاث مئة وثلاثة عشر.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ لأن الذين لم يؤمنوا لم يعبروا النهر أصلاً قبل عبور النهر شربوا وفروا ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾ جاوز النهر طالوت ﴿هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ يعني الثلاث مئة والثلاثة عشر، الآلاف المؤلفة شربوا الماء وفروا هم لماذا أرادوا أن يشربوا الماء؟ قالوا نحن عطشى ونحن الآن متعبون نريد أن نشرب الماء حتى نستطيع أن نواجه جالوت بقواتهِ هذه الضخمة والفيلة الكبيرة التي جاء بها كيف نستطيع أن نواجه جالوت ونحن عطشى ونحن متعبون نريد أن نشرب نرتوي من الماء حتى نقاتل فلمَّا شربوا فروا وما عبروا النهر، من الذين عبروا النهر؟ طالوت وثلاث مئة وثلاثة عشر وهم الذين ما شربوا الماء أو بعضهم قد شرب غرفة باعتبار أنه أجاز لهم لأنه قال ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنهُ فَلَيسَ مِنّي وَمَن لَّم يَطعَمهُ فَإِنَّهُ

﴿مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنهُ﴾ الكل شربوا ﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُم﴾ هؤلاء الثلاث مئة والثلاثة عشر ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾ جاوز النهر عبرهُ ﴿هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَومَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ هؤلاء الذين شربوا غرفة، الذين شربوا غرفة وهم جزء من الثلاث مئة والثلاثة عشرة ﴿قَالُوا لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَومَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ مع أنهم فقط شربوا غرفة ما عصوا لكنهم ما سلموا بالأمر كاملاً، التسليم الكامل كما قال ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ هؤلاء المسَلِّمون الذين ما طَعِموا شيئاً من النهر ماذا قالوا؟

﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ إذاً هذه المجموعة ثلاث مئة وثلاثة عشر الذين اغترفوا غرفة هكذا قالوا ﴿قَالُوا لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَومَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ يعني نحن قلة ومتعبون وعطشى وألحظ هذه الجموع الهائلة الكثيرة التي جاءت مع جالوت نحن ضعفاء فقال لهم الذين لم يطعموا شيئاً من ماء النهر ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ﴾ هؤلاء لا يبحثون عن الدنيا جاءوا للقاء الله جاءوا للشهادة ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ والله مع الصابرين يعني نحن بحاجة إلى أن نصبر وحين نصبر فإن الله سبحانه وتعالى سينصر الفئة القليلة على الفئة الكثيرة لابد من الصبر وهم كانوا صابرين حينما عبروا النهر فلم يطعموا منه شيئاً هو هذا الصبر، الصبر هو الذي يقودنا إلى النصر ومن صبر ظفر هو هذا القانون أمير المؤمنين يقول من صبر ظفر إن لم يظفر بكل ما يريد ظفر ببعض حاجتهِ، الصبر يقودنا إلى شيءٍ مما نريد الصبر هو مفتاح المشاكل أي مشكلة أي مأزق في الحياة يمكن للإنسان أن يتجاوزهُ بالصبر.

﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ هؤلاء الصابرون لَمَّا برزوا خرجوا للقتال ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَينَا صَبْرًا﴾ الكلام كلهُ عن الصبر هم قد شخصوا القضية بأن الصبر هو الذي سيكون سبباً لنصرهم ولتفوقهم ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَينَا صَبْرًا وَثَبِّت أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَومِ الْكَافِرِينَ﴾ هؤلاء المخلصون ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَينَا صَبْرًا وَثَبِّت أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَومِ

الكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذنِ اللّهِ﴾ ليس بقوتهم هنا جاء النصر الإلهي ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ داوود هو الذي قتل جالوت ﴿وَآتَاهُ اللّهُ المُلكَ وَالحِكمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء﴾ .

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذنِ اللّهِ﴾ هذه نهاية المعركة ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ المُلكَ وَالحِكمَةَ﴾ الحكمة النبوة هنا آتاه الله الملك والحكمة، الحكمة هي النبوة ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء﴾ فآلَ أمرُ بني إسرائيل إلى النصر وآلَ أمرُ بني إسرائيل إلى أن استخلف الله فيهم داوود النبي على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام، القصة فيها وجوه اعتبار كثيرة وفيها معانٍ كثيرة ولا يسع المقام للحديث عن هذه القصة بكل تفاصيلها لكن هناك وجه عبرة في هذه القصة وهو قضية التقديس لآل موسى وآل هارون التي جاءت في الآية الثامنة والأربعين بعد المئتين ﴿وَقَالَ لَهُم نَبِيُّهُم إِنَّ آيَةَ مُلكِهِ أَن يَأتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُم وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحمِلُهُ المَلآئِكَةُ﴾ هذه الآثار المتبقية من آل موسى وآل هارون تتحدث الآية هنا عن التوسل بآثار الأنبياء، ليس التوسل على نحو الاستحباب التوسل على نحو الوجوب لأنهم لا ينتصرون إلا بتقديس هذا التابوت الروايات هكذا حدَّثت والآيات هنا جعلت رجوع التابوت إليهم الذي هو سبب عزتهم وانتصارهم آيةً لِمُلك طالوت، وقد حملهُ طالوت معهُ وبه انتصروا فالآية هنا تحدثنا عن التوسل بآثار الأنبياء وبنحو الوجوب لا بنحو الاستحباب هنا تخبرنا عن بني إسرائيل وكيف أن انتصارهم كان بالتوسل بآثار الأنبياء هذا الجهاد كان جهاداً واجباً وكان أحد أجزاء الجهاد الواجب أن يتوسلوا بالتابوت لذلك الآية الإلهية التي أثبتت لبني إسرائيل بأن طالوت هو ملك إلهي منصوب من قبل الله أن جاءهم بالتابوت والملائكة جاءت تحمل التابوت الملائكة هي أيضاً متوسلة بهذا التابوت، الملائكة جاءت بهذا التابوت وهذا التابوت كان جزءاً من برنامجٍ واجب ليس برنامج مستحب لأن هذا الجهاد كُتِب عليهم مرَّ علينا ﴿قَالَ هَل عَسَيتُم إِن كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا﴾ ثم تقول الآية ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيهِمُ القِتَالُ﴾ لَمَّا كُتِب: فُرِض يعني هذا القتال مع طالوت كان قتالاً واجباً كان جهاداً وكان جزء من هذا الجهاد التوسل بآثار آل موسى وآل هارون.

أليس هذه سيرة الأنبياء القصة محفوفة بين النبي إرميا الذي نصب لهم طالوت بوحيٍ من الله وطالوت منصوب من قِبَل الله وزادهُ الله بسطةً في العلم والجسم قطعاً في العلم الديني في العلم الإلهي وهناك نبيٌ في المعركة وهو داوود فعندنا النبي إرميا والنبي داوود موجود وطالوت منصوب من قبل الله وعندنا هنا تابوت جاءت به الملائكة تحمله بوجه الإعجاز، ماذا في هذا التابوت؟ بقايا من آثار آل موسى وآل هارون ووجب

عليهم أن يحملوه يقدموه أمام المعركة وكان سبباً لنزول السكينة عليهم فحين قدسوه نزلت السكينة، السكينة على من؟ على هؤلاء الذين عبروا النهر الثلاث مئة والثلاثة عشر لكن حين نذهب إلى سورة التوبة فنقرأ في هذه الآية في آية هجرة النبي ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ السكينة نزلت على مُحَمَّدٍ فقط بينما أبو بكر ما نزلت عليه السكينة لماذا؟ لأنهُ لم يكن متوسلاً على وجه الحقيقة بِمُحَمَّد صلى الله عليه وآله، السكينة الله أنزلها على مُحَمَّد والآيات القرآنية حتى في نفس سورة التوبة في الآية السادسة والعشرين لَمَّا فرَّ الصحابة من المعركة ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ فرَّ الصحابة من المعركة ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ في نفس سورة براءة السكينة نزلت على رسول الله وعلى المؤمنين لماذا؟

لأن هؤلاء المؤمنين كانوا متوسلين برسول الله كانوا مخلصين لرسول الله أما في قضية الغار فما كان أبو بكر متوسلاً برسول الله وما كان مخلصاً له لذلك ما نزلت السكينة عليه وحتى حينما نذهب إلى سورة الفتح فنجد بأن الآيات تتحدث عن نزول السكينة على رسول الله وعلى المؤمنين في الآية السادسة والعشرين ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ السكينة نزلت على رسول الله وعلى المؤمنين في أكثر من موطن في أكثر من موضع لكنها في الغار نزلت عليه فقط وما نزلت على أبي بكر في الوقت الذي نرى في سورة البقرة بأن السكينة نزلت على اليهود لماذا نزلت السكينة على اليهود وقد كانت غائبة عنهم؟ نزلت حينما تمسكوا بالملك المنصوب من قبل الله وهو طالوت حين نصب الله لهم ملكاً أنزل السكينة عليهم فحين تتسمك الأُمَّة بالإمام المنصوب من قبل الله، الله ينزل السكينة على الأُمَّة، حين تتوسل الأُمَّة بآثار أنبيائها وأوليائها وأوصيائها آل موسى وآل هارون تنزل السكينة على الأُمَّة وإذا نزلت السكينة على الأُمَّة نزل الإيمان على الأُمَّة وإذا نزل الإيمان نزل الإنتصار فكانت الكرامة وكانت العزة، التدبر في هذه الآيات هناك وجوه عديدة الحقيقة الوقت لا يكفي لأن أتناول بقية المطالب لكن هذا المطلب جداً مهم:

السكينة هنا نزلت على اليهود وفي هجرة النبي نزلت السكينة فقط على النبي وما نزلت على أبي بكر والآية واضحة في سورة التوبة وإنما نزلت السكينة على اليهود لماذا؟ لأنهم تمسكوا بأي شيءٍ؟ بالملك الذي نصبهُ الله حينما تمسكوا بالملك المنصوب من قبل الله نزلت عليهم السكينة حينما توسلوا بآثار آل موسى وآل هارون توسلوا بهذا التابوت وكان توسل على نحو الوجوب الشرعي لأنه كان جزء من برنامج الجهاد جزء من برنامج القتال وهذا توسل واجب، وابتغوا إليه الوسيلة هذا أمر هذا أمر للأُمَّة أن تجعل من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ

وسيلة لا كما يقول أولئك المشركون، المشركون الحقيقيون هم الذين ينكرون التوسل ليس المشركون الذين يتوسلون بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، المشركون الحقيقيون هم الذين يرفضون التوسل بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد إنما أشركوا لأي شيءٍ؟ لأنهم جعلوا من أنفسهم وسيلةً إلى الله وما قيمتهم وما قيمة أنفسهم الله سبحانه وتعالى وضع لنا وسيلةً نتوسل بها إليها وهم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد وهم رفضوا هذه الوسيلة فنصبوا من أنفسهم هم يتوسلون بأعمالهم بدعائهم، ما قيمتهم ما قيمة أعمالهم ومن هم حتى يكونون وسيلةً إلى الله، الوسيلة إلى الله مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، ومن رفض ذلك فهو الذي على حد الشرك والإشراك بالله ليس المشرك الذي يتوسل بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد المتوسل بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد هو الموحد الحقيقي وهو المؤمن الحقيقي وهو العارف الحقيقي وهو الولي الحقيقي أما أولئك الذين يرفضون التوسل بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد أولئك قد شذوا عن المسار الصحيح بأي شيءٍ يتوسلون؟

يتوسلون بأعمالهم، أعمالهم قبيحة مهما كانت حسنة فهي ملأى بالنواقص، بنواياهم نواياهم قبيحة مهما كانت نواياهم حسنة، لأن الحسن نسبي الحسن المطلق هو في مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، العقل ماذا يقول؟ نتوسل إلى الله بالحسن المطلق أو بالحسن النسبي، الوجدان الفطرة ماذا يقولان؟ أي إنسان فليُحَكِّم انصافه ووجدانه التوسل إلى الله بالحسن المطلق بالحسن العظيم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا الخلق العظيم يتناسب مع الذات العظيمة ﴿وَلَسَوفَ يُعطِيكَ رَبُّكَ فَتَرضَى﴾ هذا العطاء الذي لا حدود له الذي يتناسب مع الذات المُحمَّدية تلكم الذات التي نحن نتوسل بها فليتوسلوا هم بأعمالهم الناقصة وبذواتهم الجاهلة وبأفكارهم المحدودة نحن نتوسل بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد بالباب الوسيع الذي فتحهُ الله لنا هم الوسيلة العظمى وهذه سيرة الأمم السابقة وسيرة الأنبياء، أليس هذا توسل؟! من يتدبر في هذه القصة وفي هذه الآية هنا أمران نتدبر فيهما قضية نزول السكينة على اليهود وما نزلت السكينة على أبي بكر كما صرَّحت بذلك سورة براءة وقضية التوسل الواجب بآثار آل موسى وآل هارون وليس بموسى وهارون بآثارهم بقايا من ثيابهم بقايا من التوراة بقايا من أشياء كانوا يملكونها، كان التوسل بها واجباً لتحقيق الانتصار القضية واضحة ولكن ماذا نفعل لهذه القلوب العمياء ولهذه الضمائر لا أقول عمياء ضمائر نجسة، ماذا نفعل لهذه الضمائر النجسة وللقلوب العمياء وللبصائر المطموسة وللفِطَر المشوهة وإلا الحقائق واضحة إذا كان مردنا إلى القرآن فهذا هو القرآن. على أي حالٍ تتمة الحديث إن شاء الله تأتينا في الحلقة القادمة بحول الله تعالى وقوته صياماً مقبولاً ويوماً سعيداً ذاك هو ميلاد إمامنا الحسن السبط صلوات الله وسلامه عليه ألقاكم على مودة الحسن وآل الحسن عليهم أفضل الصلاة والسلام أسألكم الدعاء جميعاً في أمان الله.

الحلقة السابعة والعشرون

تفسير سورة البقرة من الآية ٢٥١ الى الآية ٢٦٠

السلام عليكم جميعاً أحباب عليٍّ وآل علي ورحمة الله وبركاته، صياماً مقبولاً ودعاءً مستجاباً إن شاء الله تعالى لكم ولنا ولجميع محبي فاطمة وآل فاطمة هذه الحلقة السابعة والعشرون من برنامج قرآننا وكلامنا متواصلٌ في سورة البقرة وكان آخر الحديث في الحلقة الماضية في قصة طالوت وجالوت، وصلنا إلى الآية الحادية والخمسين بعد المئتين ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الذين هزموا جالوت وجنوده هم طالوت وأصحابه ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ إلى هنا تم الكلام في الحلقة الماضية ولكن الآية الحادية والخمسين بعد المئتين لم يكن قد تم الكلام بخصوصها إذ بقي النصف الثاني من الآية. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ هذا هو النصف الثاني من الآية الحادية والخمسين بعد المئتين ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ الآية هنا في أفقٍ من أفاقها تتحدث عن قانونٍ من قوانين الحياة الأرضية وهو قانون التدافع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ الحياة على الأرض حياة تحكمها قوانين هذه القوانين جذورها منشأها من طبيعة العالم الأرضي العالم الأرضي عالم محدود وعالم ذو جهات مختلفة وفيه أناس كثيرون يعيشون إن كان نأخذ الإنسان بلحاظهِ الفردي أو بلحاظهِ الجماعي، دول، شعوب، أمم، قبائل، مجموعات، وللناس في هذه الأرض حاجات وضرورات والحاجات والضرورات منشأها من فكر الإنسان، فكر الإنسان أيضاً منشأهُ من قناعات هذه القناعات تنشأ بحكم العيش على هذا التراب وهناك عواطف ومشاعر تنشأ بحكم التعامل مع المخلوقات المحيطة بالإنسان ابتداءً بالأناسي ببني البشر وانتهاءً بالجمادات كل هذا يشكل عند الإنسان طموحات أهداف آمال وحركة الإنسان إنما تكون بحسب فكرهِ، الإنسان حينما يكون عنده فكر أن ينال حظاً كبيراً في الدنيا هذا الحظ قد يكون مالياً قد يكون اجتماعياً قد يكون دينياً قد يكون سياسياً قد يكون علمياً وهكذا فحينما تكون

عند الإنسان هذه الفكرة وقطعاً هذه الفكرة لها مقدمات وإلا كيف نشأت عند الإنسان بنشوء هذه الفكرة يبقى مدى تفاعل الإنسان مع هذه الفكرة فحينما يندفع الإنسان لتحقيق أهدافهِ سواء كان هذا الإنسان على المستوى الفردي أشخاص أو على مستوى الأمم والشعوب والدول سيقع هناك التنازع سيقع هناك التدافع سواء كان هذا الإنسان يريد أن يقع في حد التنازع أو لا. بعض الأحيان الظروف الموضوعية المحيطة بمتطلبات الإنسان والظروف الموضوعية المحيطة بمتطلبات الإنسان الآخر تؤدي هذه الظروف الموضوعية إلى التصارع إلى التنازع فهنا قوانين على هذه الحياة هذه القوانين تكون هذه المجموعة (أ) هي المتغلبة فتدفع المجموعة (ب) أو بالعكس الغلبة هنا للمجموعة (أ) أو الغلبة للمجموعة (ب) إنما تجري ضمن سنن، هناك سنن غيبية في بعض الأحيان قد تكون المجموعة (أ) تتغلب على المجموعة (ب) بسننٍ غيبية خارجة عن النظام الأرضي السنة الغيبية مثل هذه ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ هناك أذنٌ إلهية خاصة قانون خاص يتدخل في غلبة المجموعة (أ) رغم أنها لا تملك مؤهلات الغلبة والانتصار الأرضية لأن مؤهلات الغلبة والانتصار الأرضية أن يكون عند الإنسان سلاح، عُدة، أموال، مؤونة، قدرات بشرية، عدة وعدد، هناك أسباب بمجموعها بحسب القانون الأرضي الإنسان ينتصر أما هذا القانون ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ هذا ليس من القوانين الترابية، القانون الترابي كلما كان الجيش أكثر عدد أكثر تنظيم أكثر سلاح أقوى في العدة والعدد في المؤونة في الإمدادات في الموقع الاستراتيجي في البُعد اللوجستيكي للقوات وللعساكر في الخطة العسكرية في التنظيم في القيادة في أمور كثيرة أخرى في التكنولوجيا المعاصرة الآن في وسائل الإتصالات في قضية التشويش الإعلامي في قضية الحرب النفسية هناك عوامل عديدة هذه كلها تدخل ضمن القانون الترابي ضمن القانون الأرضي.

أما القانون الغيبي القانون الغيبي هو هذا ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الفئة القليلة بحسب القانون الترابي لن تستطيع الانتصار على الفئة الكثيرة ذات العُدة والعدد والإمكانات والقدرات، فالتدافع إذاً على الأرض مرةً تتفوق هذه المجموعة على تلك بحسب القانون الأرضي بحسب القانون الترابي ومرةً قد تكون بحسب القانون الغيبي ومرةً قد تكون القضية خليط بين القانون الترابي والقانون الغيبي وهذا ما حدث أيضاً في جانبٍ منه في قصة طالوت يعني أصحاب طالوت كانوا يعتقدون بالخلط بين القانون الأرضي وبين القانون الغيبي حين قالوا لَمَّا قالت المجموعة التي شربت غرفة من الماء ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ هؤلاء الذين شربوا غرفة الذين كرعوا كروعاً في الماء

فروا قبل عبور النهر، الذين شربوا غرفة لَمَّا جاوزوا النهر ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ يعني هناك صبر هناك شيء تقدمهُ هذه الفئة هذا منشأهُ مردهُ إلى القانون الأرضي، القانون الأرضي القانون الترابي يقول بأن الإنسان إذا صبر وكان عنده نية قاطعة وعزم إن كان على الهدى أو على الضلال في بعض الأحيان على الضلال إذا صبر وعزم وخطط يصل إلى مبتغاه وإن كان على الضلال، هذا من جزئيات القانون الأرضي أما أن فئة قليلة تغلب فئة كثيرة بأذن الله هذا ليس من قانونيات الجزء الأرضي هذا هنا يأتي القانون الغيبي.

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ولذلك ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ يحاولون الصبر ويطلبون المدد من الله وهذا هو خلط ممازجة موائمة بين القانون الأرضي وبين القانون الغيبي أن الإنسان يصبر يثبت أقدامه على الأرض يحاول يستمر في الجهاد ولكن يطلب المدد في نفس الوقت هذه ممازجة بين القانون الغيبي وبين القانون الأرضي ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الهزيمة كانت بقانون غيبي ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ هم بسبب ثباتهم بسبب صبرهم وبسبب تسليمهم لقائدهم طالوت ما شربوا شيئاً من الماء، الله سبحانه وتعالى عَطَّل القانون الأرضي وإلا كان المفروض أن جالوت يسحقهم سحقاً بالقدرة الإمكانية الموجودة عنده، كان مفروض أن يسحقهم سحقاً لكنهم قتلوه وهزموه تدخل هنا القانون الغيبي ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية.

فالتدافع الذي يقع في الأرض في بعض الأحيان يكون القانون الحاكم فيه هو القانون الأرضي هناك قوانين أرضية حاكمة والقانون الأرضي يكون حاكماً بسبب الملابسات والظروف الموضوعية المحيطة في طبيعة الصراع وبعض الأحيان يكون القانون النافذ قانون خليط مشترك بين القانون الأرضي والقانون الغيبي في بعض الأحيان لا يتفرد القانون الغيبي لخصوصية الظروف المحيطة بهذه القضية أو بتلك وهذا موضوع طويل عريض إنما نحن نمر عليه مروراً سريعاً ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ فهناك قانون التدافع في هذه الفترة يتغلب (أ) على (ب) في الفترة القادمة ربما (ب) يتغلب على (أ) وفي بعض المقاطع الزمانية يبقى (أ) المجموعة (أ) تبقى هي المتغلبة على طول الوقت وتبقى المجموعة (ب) هي المجموعة المنهزمة على طول الوقت وهذه هي سُنة الحياة تتحكم فيها الظروف الطبيعية على الأرض الظروف المادية والحالة النفسية

للناس أيضاً والقناعات والأفكار ونوع السعي والعمل والجد في ذلك والتخطيط والإدراك الواعي والاستفادة من التجارب وتوظيف الخبرات وعدم العمل بالقوانين الفاشلة القوانين الفاشلة مثل قوانين المحسوبية المنسوبية الوساطات الرشاوى هذه قوانين فاشلة حينما تكون الأمم فاشلة حينما يكون الإنسان فاشلاً الإنسان لو كان عنده مقدمات النجاح وأسباب النجاح والمجتمع يسير وفقاً لقوانين سليمة لن يفكر الإنسان في أن يستعمل أساليب الوساطة أو المحسوبية أو المنسوبية أو الرشاوى إنما يحتاج الإنسان إلى هذه حينما يكون الإنسان فاشلاً أو قد يكون ناجحاً في بعض الأحيان لكن الطبيعة الاجتماعية هي التي تفرز ظواهر سلبية ظواهر سيئة.

﴿ وَلَولاَ دَفعُ اللّهِ النَّاسَ بَعضَهُم بِبَعضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرضُ ﴾ يعني صلاح الأرض، مقصود لفسدت الأرض يعني لفسد المجتمع الأرضي، الأرض كيف تفسد؟ الفساد هو في المجتمع في الناس ﴿ وَلَولاَ دَفعُ اللّهِ النَّاسَ بَعضَهُم بِبَعضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضلٍ عَلَى العَالَمِينَ ﴾ الله سبحانه وتعالى ذو فضلٍ ذو خيرٍ ذو نعمةٍ الله سبحانه وتعالى جعل للعالمين جعل للبشر لكل الخلق للبشر ولغيرهم والحديث هنا عن الأرض، الله سبحانه وتعالى جعل لأهل الأرض كما أن أهل الأرض هم عالم من العوالم ﴿ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضلٍ عَلَى العَالَمِينَ ﴾ الله ذو فضل على كل العوالم بما أن الحديث عن الأرض والأرض عالمٌ من هذه العوالم ﴿ وَلَولاَ دَفعُ اللّهِ النَّاسَ بَعضَهُم بِبَعضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرضُ ﴾ يأتي هنا قانون عام قانون وجودي ﴿ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضلٍ عَلَى العَالَمِينَ ﴾ على كل العوالم في كل الوجود والأرض عالم من هذه العوالم، فإن الله ذو فضلٍ على الأرض يعني إن الله ذو فضلٍ على الناس الذين يعيشون في الأرض يعيشون على الأرض وضع لهم هذه السنن وضع لهم هذه القوانين ومنها قانون التدافع ولذلك هذا الموضوع الذي طُرِح في يعني فترة العقدين الأخيرين أو بالأحرى يعني من تقريباً من بداية التسعينات ربما سنة: 92، أول ما طُرح قضية موضوع الصراع بين الحضارات أنا لا أريد أن أناقش الموضوع في هذا البرنامج لكن في جانب منه يوجد فيه شيء من الصحة وهذه الآية تؤيده في البُعد النظري لا في التطبيقات السياسية هذه النظرية نظرية صِدام الحضارات وهو الأليق بالترجمة مشهورة بنظرية صراع الحضارات لكن إذا أردنا أن نترجم الترجمة الدقيقة، الترجمة الدقيقة هي صِدام الحضارات يعني إذا أردنا أن نترجم المصطلح clash of civilization يكون صِدام الحضارات أليق من الترجمة صراع الحضارات على أي حال، هذه النظرية التي تحدث عنها الناس كثيراً فيها بُعد نظري عميق وفيها جانب تطبيقي على الأوضاع السياسية، البُعد النظري العميق ربما يلتقي في جوانب عديدة منه

مع هذه الآية مع سنة التدافع الموجودة على وجه الأرض وهي من السنن الإلهية من السنن الكونية الحاكمة في الأرض لكن نحن نختلف ربما مع التطبيقات السياسية والموضوع خارج عن بحثنا لكن مجرد أردت أن أشير إشارة سريعة إلى هذا المطلب للمقاربة والمشابهة بين الموضوعين. ﴿وَلَولَا دَفعُ اللّهِ النَّاسَ بَعضَهُم بِبَعضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضلٍ عَلَى العَالَمِينَ * تِلكَ آيَاتُ اللّهِ نَتلُوهَا عَلَيكَ بِالحَقِّ﴾ تلك آيات الله التي كانت في قصة طالوت وجالوت أو الآيات التي قبلها أو كل الآيات ﴿تِلكَ آيَاتُ اللّهِ نَتلُوهَا عَلَيكَ بِالحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ المُرسَلِينَ﴾ الخطاب هنا لرسول الله ورسول الله ليس محتاجاً لأن تبين له هذه الحقيقة وإنما هذا الخطاب بنفس اللسان الذي تتردد فيه آيات الكتاب بلسان إياكِ أعني واسمعي يا جارة، هذا الخطاب خطاب للذين آمنوا بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بأن هذا الذي يأتيكم به مُحَمَّد هو آياتٌ من الله نزلت عليه بالحق وإنه رسولٌ من المرسلين ﴿تِلكَ آيَاتُ اللّهِ نَتلُوهَا عَلَيكَ بِالحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ المُرسَلِينَ﴾ لَمَّا وصل الكلام في الحديث عن المرسلين وكان الحديث عن قاعدة التدافع وقبلها كانت قصة طالوت وقصة النبي إرميا الذي نصب طالوت ملكاً على بني إسرائيل بأمرٍ من الله القصة كانت هكذا ثم الحديث عن انتصار طالوت وجندهِ على جالوت وجندهِ وأن داوود قد قتل جالوت وآتاه الله المُلك والحكمة والحديث عن قانون التدافع من قوانين الأرض ثم الانتقال إلى أن هذه المطالب كلها من آيات الله وإنك يا مُحَمَّد لَمِن المرسلين وصل الكلام للحديث عن المرسلين جاءت الآية التي بعدها ﴿تِلكَ الرُّسُلُ﴾ تلك الرسل الخطاب هنا من هم هؤلاء الرسل؟ مُحَمَّدٌ ومن سبقهُ، تلك الرسل لأن الخطاب في الآية السابقة كانت لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله.

﴿تِلكَ آيَاتُ اللّهِ نَتلُوهَا عَلَيكَ بِالحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ المُرسَلِينَ * تِلكَ الرُّسُلُ فَضَّلنَا بَعضَهُم عَلَى بَعضٍ مِّنهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعضَهُم دَرَجَاتٍ وَآتَينَا عِيسَى ابنَ مَريَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَّدنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ﴾ الآية تتحدث عن قانون آخر من قوانين هذه الحياة وهو قانون النبوات قانون الرسالات ﴿تِلكَ الرُّسُلُ فَضَّلنَا بَعضَهُم عَلَى بَعضٍ﴾ الآية هنا تتحدث عن أن الرسل لهم مراتب ولذلك نحن نقرأ في روايات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مثلاً أن عيسى كان عندهُ مثلاً حرفان من حروف الاسم الأعظم وكان موسى عنده أربعة حروف وكان إبراهيم عنده ثمانية حروف وهكذا هذه رموز في الروايات تشير إلى التفاضل إلى المنازل إلى المراتب التي كان عليها الأنبياء ﴿تِلكَ الرُّسُلُ فَضَّلنَا بَعضَهُم عَلَى بَعضٍ مِّنهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ﴾ من المفسرين وربما الكثير من

الناس حينما تواجههم الآية ﴿مِّنهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ﴾ يتبادر إلى الذهن موسى عليه السلام وهذا المعنى صحيح ولكن موسى كان كليماً لله لكن النبي صلى الله عليه وآله أيضاً كان كليماً لله سبحانه وتعالى وبدرجة أرقى وأعلى من موسى لذلك على هذا الأساس ذهب البعض من المفسرين إلى أن المقصود في هذه الآية هو النبي الأعظم ﴿تِلكَ الرُّسُلُ فَضَّلنَا بَعضَهُم عَلَى بَعضٍ مِّنهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعضَهُم دَرَجَاتٍ﴾ وهذه أيضاً في صفات النبي لأنه هو الأرفع درجةً على جميع الأنبياء نبوتهُ هي النبوة المهيمنة وعلى أي حال نحن والمعنى المشهور في الآية ﴿تِلكَ الرُّسُلُ فَضَّلنَا بَعضَهُم عَلَى بَعضٍ مِّنهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ﴾ المراد هنا موسى عليه السلام ﴿وَرَفَعَ بَعضَهُم دَرَجَاتٍ﴾ فلربما رفع بعضهم درجات هو النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لأن الآية ما ذكرت اسماً بعينهِ وما شخصت صفة لشخص فقط ذكرت بأن من الرسل من ارتفعت درجاتهم عالية وأعلى الرسل درجة ومرتبة هو نبينا الأعظم.

﴿وَآتَينَا عِيسَى ابنَ مَريَمَ البَيِّنَاتِ﴾ البينات الدلائل الواضحة ﴿وَأَيَّدنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ﴾ وروح القدس هي الروح الإلهية التي تدعم الأنبياء التي تمد الأنبياء تصاحب الأنبياء في رسالاتهم، تصاحب الأنبياء في نبواتهم، تصاحب الأنبياء في سيرتهم في العالم الدنيوي ﴿وَآتَينَا عِيسَى ابنَ مَريَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَّدنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ﴾ فالآية إذاً تتحدث عن شيئين: الشيء الأول بينت أن الرسل ليس في مرتبة واحدة وإنما هم مراتب مختلفة ومما يدل على اختلاف المراتب هو الآثار العملية الظاهرة في حياتهم ﴿مِّنهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعضَهُم دَرَجَاتٍ وَآتَينَا عِيسَى ابنَ مَريَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَّدنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ﴾ هذه نماذج أمثلة على الأثار الظاهرة والتي يراها الناس في حياة الأنبياء والتي تنمُّ أو تكشف عن مراتبهِ، ثم تستمر الآية لتتحدث عن أمم الأنبياء ﴿وَلَو شَاء اللّهُ مَا اقتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعدِهِم﴾ هذا أيضاً مصداق من مصاديق التدافع الذي مرَّ الكلام عنه قبل قليل ﴿وَلَو شَاء اللّهُ مَا اقتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعدِهِم﴾ من بعد الرسل الآية هنا تتحدث عن أمم الرسل التي اقتتلت من بعد الرسل وهذا جرى في أمم الأنبياء السابقة وفي هذه الأُمَّة التي بدأت تقتتل وتتنازع منذ لحظة شهادة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

﴿وَلَو شَاء اللّهُ مَا اقتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعدِهِم مِّن بَعدِ مَا جَاءتهُمُ البَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اختَلَفُوا فَمِنهُم مَّن آمَنَ وَمِنهُم مَّن كَفَرَ﴾ يعني بعد النبي بعد الرسول هناك من بقي مؤمناً وهناك من كفر وقد قالها النبي الأعظم: **يا علي لولاك يا**

علي لم يُعرف المؤمنون بعدي – وقالها في يوم الغدير – **اللهم والي من والاه وعادي من عاداه وأنصر من نصره وأخذل من خذله.** قطعاً الأنبياء لا يتركون الأمم من دون أن ينصبوا ميزاناً واحداً فاصلاً يُشخص بين من آمن وبين من كفر هذا قانون، الرسل اختلفوا في المراتب، أممهم ماذا جرى عليها:

﴿وَلَو شَاءَ اللَّهُ مَا اقتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعدِهِم﴾ من بعد الرسل ﴿مِّن بَعدِ مَا جَاءتهُمُ البَيِّنَاتُ﴾ يعني إن الرسل أقاموا البينات أقاموا الحجج على الناس وأهم حجة يقيمها الرسول أن يجعل لهم ميزاناً هذا الميزان يكون واضحاً بيِّناً يعرفون به المُحق من المُبطِل، فهل يمكن أن يكون القرآن هو الميزان؟ قطعاً لا، لأن القرآن له وجوه فيه محكم ومتشابه والمفسرون يختلفون في تفسيره والصحابة يختلفون في تفسيرهِ لابد إذاً من جهة واضحة أين هي هذه الجهة الواضحة؟

﴿وَلَو شَاءَ اللَّهُ مَا اقتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعدِهِم مِّن بَعدِ مَا جَاءتهُمُ البَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اختَلَفُوا﴾ طبيعة بشرية الناس يختلفون، يختلفون في فهم المقولة العلمية يختلفون في الصراع على المناصب الدنيوية يختلفون في تحصيل المنافع أو دفع المضار هذه مسألة طبيعية في حياة الناس لابد من ميزان على الأقل أن يميز بين الحق والباطل على الأقل في الجانب الديني، أين هو هذا الميزان الذي خلَّفهُ رسول الله صلى الله عليه وآله؟ هو واضح: الكتاب والعترة، قال لهم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً وأراد أن يكتب الكتاب في رزية يوم الخميس ولكن عمر قال الكلمة المعروفة إن مُحَمَّداً يهجر فطردهم رسول الله، طرد عمر والبقية الذين كانوا معه من بيتهِ يعني هذا الموقف الأخير لرسول الله أنه طرد الصحابة يعني هذا الوسام الأخير الذي منحهُ رسول الله للصحابة هو أن طردهم وأخرجهم من بيتهِ وهو في آخر لحظة من لحظات حياتهِ، فهنيئاً لأولئك الذين يتمسكون بأولئك الذين طردهم رسول الله، هذه القضية تحتاج إلى تمعُّن يعني لَمَّا نعلم بأن رسول الله طرد هذه المجموعة هل يصح حينئذٍ أن نتمسك بهذه المجموعة المطرودة وهذه روايات صحيحة موجودة في أوثق كتب القوم طردهم رسول الله، طردهم وهو مُغضِب وهو غاضب عليهم يعني انتقل رسول الله من هذه الدنيا وهو غيرُ راضٍ عنهم وهو غاضب عليهم لو كان راضياً عنهم هل يطردهم؟ سؤال: لو كان راضياً عنهم هذه الروايات موجودة في صحيح البخاري في صحيح مسلم وروايات عديدة وبأسانيد عديدة أيضاً منقولة إن النبي طردهم لَمَّا طردهم هذا الطرد ما معناه؟ النبي صلى الله عليه وآله في آخر لحظات حياتهِ أين كان؟ كان في حجر عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه فهل كان غاضباً على علي ويكون رأس النبي في حجر علي ولقد فاضت روح رسول الله بين منحر عليٍّ وصدر عليّ، الأمير هو يُحدِّث فأخذها فمسح بها وجهه، فاضت روحهُ آخر نَفَس خرج من رسول الله أمير المؤمنين أخذ هذا النَفَس ومسح به وجههِ يعني آخر نَفَس لرسول الله كان في حِجر عليٍّ بين صدرهِ ونحره كان رسول الله متكيء على عليّ وقبل بلحظات كان

الحسينُ على صدر جدهِ صلى الله عليه وآله، هؤلاء طُردوا أو أولئك طُرِدوا!

سؤال من عمق الوجدان الحسين على صدر رسول الله وعليٌّ كان يحتضن رسول الله في آخر لحظة وكان ذلك في بيت فاطمة، فاطمة موجودة عليٌّ موجود الحسن والحسين، هؤلاء طُرِدوا أو هؤلاء هم الذين أحبهم رسول الله؟! أحبهم لا من جهة العلاقة الأُسَرية، حُبُّ رسول الله لفاطمة ولآل فاطمة حُبٌّ إلهي رسول الله ذات إلهية لا تفعل شيئاً ليس بإلهي لا يَمُتُ إلى الله بصلة، رسول الله صلى الله عليه وآله القرآن بكل أعماقهِ وبكل أبعادهِ يتجلى في عالم الأرض والقرآن هو كتاب الله ما يريدهُ الله أودعهُ في قرآنه، أما أولئك فقد طردهم رسول الله طردهم وكان غاضباً عليهم وأنت تصور الأمر مهمة مثل هذه القضية أن النبي يريد أن يكتب كتاباً للأُمَّة لا تضل هذه الأُمَّة بعدهُ، ألم يطلب إيتوني بكتابٍ ودوات كي أكتب لكم كتاباً لا تضلوا من بعدي بسبب هذا الكتاب أيَّةُ مهمة أهم من هذه القضية فهؤلاء رفضوا بل أساءوا بل سبوا رسول الله حين قال عمر إن مُحَمَّداً يهجر هذا سُباب لرسول الله صلى الله عليه وآله، فطردهم النبي كم هي درجة الغضب عند النبي وهؤلاء يسبونهُ في الوقت الذي يريد أن يكتب هذا الكتاب للأُمَّة كي يعصمها من الضلال غضب النبي لا يكون إلا لله وهذا الشأن شأنٌ يريدهُ الله فقد غضب عليهم وطردهم لأنهم حالوا بين النبي وبين أن يُكمل المهمة الأخيرة فيا أيتها الأُمَّة مع أي مجموعةٍ تذهبون؟ مع مجموعة بهذا الحال بهذا الوصف والروايات الواصفة موجودة في البخاري وفي مسلم تتحدث عن رزية يوم الخميس أم تكونون مع ذلك الذي قضى رسول الله في حجرهِ، مع من تكونون؟ القضية واضحة الآية هنا تتحدث عن هذا الموضوع لكننا نقرأ القرآن فننشغل بالقلقلة بحروف الإدغام هل يكون المد هنا بحركتين، بأربعة، بستة وننشغل بهذه القضايا التي ركَّزها في أذهان الناس سلاطين الجور أرادوا أن يبعدوهم عن القرآن.

هذه المبالغة في قضية القراءات وفي قضية التجويد بحيث الإنسان ينشغل بها فيترك القرآن جانباً صحيح هناك بعض الأصول لقراءة القرآن وقد وردت في روايات أهل البيت أيضاً، هناك أصول لأجل أن يُقرأ القرآن ضمن ضوابط وضمن قواعد منطقية معقولة لا إلى هذا الحد من المغالاة هذه المغالاة في التجويد والذهاب وراء هذه القضية أكثر من اللازم وتُعقد المسابقات الدولية الكبيرة وتجد إن المساجد ليس فيها إلا التجويد ويُترك القرآن، الروايات التي تتحدث عن حَملة القرآن لا تتحدث عن المجَودين والكثير من المُجَودين يضبطون تجويدهم على نغمات المغنين وعلى المقامات التي يؤديها أصحاب المقامات الغنائية وهذه قضية معروفة حَملة القرآن ليس هؤلاء، حَمَلة القرآن أولئك الذين يعرفون معاني القرآن أولئك الذين يسعون إلى تطبيق القرآن في الحياة العقائدية أولاً وفي الحياة العملية ثانياً، حَمَلة القرآن هؤلاء، ليس هؤلاء الذين فقط يلقلقون، يقرأون القرآن فلا يجاوز تراقيهم كما قال النبي صلى الله عليه وآله أولئك يأتون من بعدهِ من بعد رسول الله قوم يتغنون بالقرآن يقرأون القرآن فلا يجوز تراقيهم وهذه القضية بدأت مباشرةً بعد

رحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ولا زالت إلى يومنا هذا تترا، هذا الاهتمام بهذه الجزئيات هذه قضية أوجدها أعداء أهل البيت حتى يبتعد الناس عن القرآن بدل أن نتبصر في الآيات القرآنية نبقى مشغولين الوقف هنا واجب لازم، الوقف أو لا، الوصل أو لا، القطع أو لا، هل هنا المد واجب غير واجب، المد هنا بحركتين بأربع حركات، ويبقى الإنسان مشغولاً بهذه الأمور، والمعاني المهمة الموجودة في القرآن تُترك، وهذا هو الذي الآن يجري في واقع الناس كما قالت الروايات فلم يبقى من القرآن إلا رسمه، هو هذا الرسم الذي ينشغلون بمدهِ وبالوقف هناك وبالوصل هناك وبالقطع هناك.

﴿تِلكَ الرُّسُلُ فَضَّلنَا بَعضَهُم عَلَى بَعضٍ مِّنهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعضَهُم دَرَجَاتٍ وَآتَينَا عِيسَى ابنَ مَريَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَّدنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ وَلَو شَاء اللّهُ مَا اقتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعدِهِم مِّن بَعدِ مَا جَاءتهُمُ البَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اختَلَفُوا فَمِنهُم مَّن آمَنَ وَمِنهُم مَّن كَفَرَ﴾ إذاً بعد الرسل الأمم انقسمت إلى مؤمنين إلى كافرين ﴿وَلَو شَاء اللّهُ مَا اقتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللّهَ يَفعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ لو أراد الله أن الأُمَّة تبقى على الهدى فهو قادرٌ على كل شيء ﴿وَلَكِنَّ اللّهَ يَفعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ هناك سنن الله لَمَّا خلق هذا الكون وضع فيه سُنن فالسنن هي التي تجري فيه ومن جملة هذه السُنن سُنة التدافع، التدافع قد يكون بين المؤمنين والكافرين بين الكافرين أنفسهم بين المؤمنين أنفسهم بين المؤمنين الصادقين وبين المنافقين وبين المُشككين هناك سنة التدافع والآية هنا الله سبحانه وتعالى يطبق لنا قانون التدافع على أمم الأنبياء ﴿وَلَو شَاء اللّهُ مَا اقتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعدِهِم مِّن بَعدِ مَا جَاءتهُمُ البَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اختَلَفُوا فَمِنهُم مَّن آمَنَ وَمِنهُم مَّن كَفَرَ وَلَو شَاء اللّهُ مَا اقتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللّهَ يَفعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أن القوانين والسنن الإلهية هي التي ستجري في الحياة وستجري على هذه الأُمَّة وعلى كل الأمم، هناك عندنا رواية بل أكثر من رواية ولكنني أحاول أن أختصر المقام. عندنا رواية يرويها الشيخ الكليني بسندهِ – **عن يونس ابن ضبيان عن أبي عبد الله قال: إن الله ليدفعُ بمن يصلي من شيعتنا عمن لا يصلي من شيعتنا** – هذا وجه ثاني أفق ثاني من أفق قانون التدافع ما تحدثت عنه كان وجه وأفق من أفاق قانون التدافع أو وجه من وجوه هذه الآية – **إن الله ليدفعُ بمن يصلي من شيعتنا عمن لا يصلي من شيعتنا ولو اجتمعوا على ترك الصلاة لهلكوا وإن الله ليدفعُ بمن يزكي من شيعتنا عمن لا يزكي من شيعتنا ولو اجتمعوا على ترك الزكاة لهلكوا وإن الله ليدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج ولو اجتمعوا على ترك الحج لهلكوا وهو قول الله عزَّ وجلَّ** ﴿وَلَولَا دَفعُ اللّهِ النَّاسَ بَعضَهُم بِبَعضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضلٍ عَلَى العَالَمِينَ﴾ **فوالله ما نزلت إلا فيكم ولا عنى**

بها غيركم – يعني في هذا الأفق في هذا المستوى، هذا المستوى وهذا الفهم الإمام يقول – **فوالله ما نزلت إلا فيكم** – الآية لها أكثر من وجه الآية في هذا الوجه – **فوالله ما نزلت إلا فيكم ولا عنى بها غيركم** – روايات عديدة في هذا المعنى.

رواية عن الأصبغ بن نباته – **قال: كنت واقفاً مع أمير المؤمنين** – والأصبغ بن نباته معروف من خواص الأمير – **كنت واقفاً مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم الجمل فجاء رجلٌ حتى وقف بين يديه** – الرواية جميلة جداً ومهمة جداً، الأصبغ يقول – **كنت واقفاً مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم الجمل فجاء رجلٌ حتى وقف بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين كَبَّرَ القوم وكَبّرنا** – يعني أصحاب الجمل، عائشة ومن معها وطلحة والزبير كبروا ونحن أيضاً كبرنا – **كَبَّرَ القوم وكَبّرنا وهَلّلَ القومُ وهَلَّلنا وصلى القوم وصلينا** – حينما صار وقت الصلاة هم صلوا ونحن صلينا أيضاً – **يا أمير المؤمنين كَبَّرَ القوم وكَبّرنا وهَلّلَ القومُ وهَلَّلنا وصلى القوم وصلينا فعلى ما نقاتلهم؟** – وهي هذه الفتنة – **فعلى ما نقاتلهم؟** – ماذا قال أمير المؤمنين؟ – **قال: على هذه الآية نحن نقاتلهم** – استناداً إلى هذه الآية، أي آية؟ – ﴿تِلكَ الرُّسُلُ فَضَّلنَا بَعضَهُم عَلَى بَعضٍ مِّنهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعضَهُم دَرَجَاتٍ وَآتَينَا عِيسَى ابنَ مَريَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَّدنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ وَلَو شَاء اللّهُ مَا اقتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعدِهِم﴾ الإمام يقول – **فنحن الذين من بعدهم** ﴿وَلَو شَاء اللّهُ﴾ – هذا قانون عام لكل الرسل وينطبق على كل الأمم فهو ينطبق على أُمَّة سيد المرسلين أيضاً ﴿وَلَو شَاء اللّهُ مَا اقتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعدِهِم﴾ الأمير يقول – **فنحن الذين من بعدهم** ﴿مِن بَعدِهِم مِّن بَعدِ مَا جَاءتهُمُ البَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اختَلَفُوا فَمِنهُم مَّن آمَنَ وَمِنهُم مَّن كَفَرَ وَلَو شَاء اللّهُ مَا اقتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللّهَ يَفعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ثم يقول الأمير – **فنحن الذين آمنا وهم الذين كفروا** – الآية واضحة وتنطبق بإنسيابية هل يشك أحد في أن الحق كان مع عليٍّ؟!

عليٌّ هو الآن يبين هذه القضية، القوم لا يقولون بأن الحق مع عائشة وإنما يقولون عائشة وطلحة والزبير اجتهدوا فأخطأوا في الاجتهاد يعني الأُمَّة متفقة على أن الحق مع عليّ، عليٌّ هو هذا الذي يقول – **فنحن الذين آمنا وهم الذين كفروا** – طبعاً هذا كفرٌ المراد منه هو كفرٌ بالبينات كفرٌ بالآيات كفرٌ بعلي كفرٌ بالإمامة هذا كفرٌ بالإمامة ﴿مِّن بَعدِ مَا جَاءتهُمُ البَيِّنَاتُ﴾ فقد أقيمت البينات والحُجج عليهم – **فنحن الذين آمنا وهم الذين كفروا** – الأصبغ بن نباته يقول – **فقال الرجل: كفر القوم ورب الكعبة** – الآية

صريحة واضحة وعليٌّ يبينها – **فقال الرجل: كفر القوم ورب الكعبة ثم حمل فقاتل حتى قُتِل رحمهُ الله** – أعتقد هذه الآية واضحة والشرح واضح لا تحتاج إلى تعليق هذه الآية نوردها ونكتب تحتها هذه الرواية ونكتب تحتها بدون تعليق والعاقل يفهم والحر تكفيه الإشارة لذلك أنتقل إلى الآية التي بعدها وهذا دليل واضح أن القرآن قرآنهم وهم يفهمونه ومن أراد أن يفهم القرآن فعليه أن يبحث عن عليٍّ فعند عليٍّ القرآن وعند عليٍّ حقيقة القرآن.

الآية التي بعدها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الآية هنا تتحدث عن الإنفاق، الإنفاق في جميع اتجاهاتهِ إن كان في الأفق الواجب أو كان في الأفق المستحب إن كان لإعانة أفراد أو كان لإعانة الأُمَّة، إن كان لمساعدة مشاريع شخصية أو كان لإحياء أمر أهل البيت وقطعاً الإنفاق الأسمى والإنفاق الأعلى هو لإحياء أمر أهل البيت، فإننا لا نجد في هذه الحياة شيئاً يستأهل أن ينفق عليه الإنسان غير أهل البيت، أهل البيت صلوات الله عليهم وإحياء أمرهم هو الأمر الأسمى الذي يستأهل أن الإنسان يقضي حياتهُ في خدمتهِ وينفق أمواله في خدمتهِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم﴾ لأن هذه الحياة أيام ومنتهية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ هذا اليوم ما هي خصائصهُ؟ لا تستطيعون لا تكتبون صكوكاً ولا تستطيعون أيضاً أن تحولوا حوالات مالية أو أن تستثمروا في البورصة أو في أي مكان آخر ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ ما فيه بيع ما فيه معاملات تكون البورصة قد أغلقت أبوابها بقيت فقط بورصة واحدة وهي بورصة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلوات الله عليهم، أليست هذه الدنيا سوق والبورصة سوق ربح فيها قومٌ وخسر فيها آخرون.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ ولا توجد فيه صداقة، صداقات ومحسوبيات ومنسوبيات ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ الخُلة الصداقة تُقرأ خُلَّة في لغة العرب وخِلّة، الخُلَّةُ والخِلَّة تعني الصداقة والصحبة كما يقال خليل الله، الخليل تؤخذ في لغة العرب من الخِلَّة ومن الخُلَّة واللفظان صحيحان في اللغة، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ لا توجد صداقات ولا توجد علاقات مع ناس لهم مناصب عالية ومراتب عالية حتى يتشفعون لا توجد وساطات ذلك يومٌ تُغَلَّقُ فيه المحال التجارية، تُغَلَّقُ فيه البنوك والبورصات وكل الشركات الاقتصادية ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ ولا أصدقاء لأن

كل واحد مشغول بنفسهِ ﴿وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون هم الظالمون في ذلك اليوم، الكافرون من هم؟ الذين مرت الإشارة إليهم قبل قليل ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ الذين اختلفوا بعد الرسل هؤلاء هم الكافرون الحقيقيون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ النفي هنا للشفاعة الشفاعة الدنيوية وإلا ستأتينا الآية التي بعدها، الآية التي بعدها تتحدث ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ إذاً هناك شفاعة، شفاعة بأذن الله مباشرةً بعد هذه الآية الحديث هنا عن شفاعة الشفاعة التي هي في أفق الشفاعة الدنيوية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ شفاعة من هذا المستوى من مستوى البورصة من مستوى الوساطات والرشاوى والمحسوبيات والمنسوبيات التي تعيشون فيها في الدنيا هناك شفاعة، شفاعة خاصة إلهية التي تأتي الآية بعدها ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ هذه شفاعة إلهية خاصة ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ من هؤلاء الذين يأذن لهم الله؟ إذا نرجع إلى سورة النبأ في الجزء الثلاثين من أجزاء الكتاب الكريم ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ الروح ذلك الخلق الأعظم تجلي الحقيقة المُحمَّدية ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ الملائكة لا يتكلمون هيبةً للمقام انتبهوا إلى هذه اللوحة ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ مليارات من الملائكة أعداد الملائكة أكثر من البشر أكثر من كل الكائنات ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا﴾ من الذي يتكلم؟

﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ أئمتنا يقولون، إمامنا الصادق يقول نحن الذي يأذن لنا الرحمن ونحن الذين نقول صواباً، هؤلاء الذين يتكلمون ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ هم الذين يأذن لهم الرحمن كما يقول صادق العترة نحن الذين يأذن لنا الرحمن ونحن الذين نقول صوابا، فإذاً الآية تتحدث عن شفاعة دنيوية هنا في هذا الأفق شفاعة حقيرة شفاعة لا قيمة لها في العالم الدنيوي بحقارة الدنيا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ ولا صداقات دنيوية ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون أولئك الذين كفروا بعد ما جاء الرسل كما مرت الآية ﴿فَمِنْهُم

مَّن آمَنَ وَمِنهُم مَّن كَفَرَ﴾ الآية التي بعدها ﴿اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ: الحيُّ الحقيقي في الوجود هو الله ونحن أموات، كل الوجود أموات حياة هذا الوجود بلطفٍ بفيضٍ بجودٍ من الله سبحانه وتعالى هو الحي الذي لا حي غيره ما فينا من حياةٍ فهو راجعٌ إليه وعائدٌ إليه ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعونَ﴾ ﴿اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ﴾ ما معنى الحي؟

لا نستطيع أن نتصور هذا المعنى لكننا نتحسس في واقع مكنون ضمائرنا بمعنى الحياة ونعلم بأن هذه الحياة هي نفخةٌ منه هي نفخةٌ إلهية نفخةٌ ربانية نفهم هذا المعنى من الحياة، أما ما المراد من أن الله هو الحي؟ الكلمات قاصرة والكلمات عاجزة والعقل محدود فأنى لهذا القدح أن يسع البحر إذا كان عندي قدح هل أستطيع أن أضع البحر في هذا القدح؟ هذه العقول وهذا المثال مثال ليس سليماً لكن ماذا نصنع الأمثلة قاصرة أيضاً، هذا الوجود البشري المحدود مثل هذا القدح فيه شيء من الحياة فما هو وجه الشبه بين هذا الماء الموجود في القدح وبين البحر ما عندنا من الحياة كهذا الماء المأخوذ من البحر، فلا يوجد وجه شبه أو مقارنة هو الحي الذي لا يموت هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم ﴿اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ القيوم بحسب صيغ الكلام العربي هي صيغة مبالغة، قيوم فيعول، الفيعول من صيغ المبالغة في كلام العرب، القيوم ماذا تعني؟ القيوم يعني هو القائم على الأشياء، القيوم القائم على الوجود، القائم على الوجود تعني أولاً: الحافظ للوجود، ثانياً: المدبر للوجود، ثالثاً: الرقيبُ على الوجود، رابعاً: الذي إليه منتهى أمر الوجود، فهو الحافظ فهو المدبر فهو الرقيب فهو الولي، هو هذا القيوم، القيوم في الحياة الدنيوية يعطي هذا المعنى فما بالك بالقيوم الذي هو من صفاتهِ سبحانه وتعالى القيوم في الحياة الدنيوية لو نقول عن إنسان هذا قيوم على الأمر الفلاني فيعني هو الحافظ له المدبر له الرقيب عليه والمتولي عليه.

﴿اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ القيوم على هذا الوجود الحافظ لهذا الوجود، والمدبر له والرقيب عليه والولي عليه ﴿اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ إذا كان هو الحافظ والمدبر والرقيب والولي فكيف تأخذهُ سِنةٌ أو يأخذه نوم، السِنة المقصود منها النعاس هنا كما في الروايات في اللغة قد تأتي السِنة بمعنى النعاس أو الإغفاءة في أول النوم لكن بحسب الروايات عن إمامنا الرضا صلوات الله وسلامه عليه قال السِنَة

النُعاس ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ لا يطرأ عليه النعاس ولا يطرأ عليه النوم، كل الكائنات يطرأ عليها النوم حتى الملائكة الملائكة تنام الروايات تحدثنا لكن الملائكة لها نومها الخاص بها الذي يختلف عن نوم البشر مثل ما الملائكة طعامها يختلف عن طعام البشر طعامنا معروف ماذا نأكل وماذا نشرب، طعام الملائكة في الروايات التسبيح والتنزيه والتقديس هذا هو طعامهم وشرابهم، كذلك لهم نوم، الملائكة تنام ولكن النوم الذي يناسبها الله سبحانه وتعالى الذات التي لا تنام ولذلك جاء هذا الوصف في القرآن وإلا كل المخلوقات تنام والنوم يناسبها بحسبها من أعلى درجات الملائكة من أعلى درجات الوجود القادسة إلى أسفل المراتب الخلقية كلها تنام، الله الذي لاتأخذه سِنَةٌ ولا نوم.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ قيوميته على أي شيء؟ ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كل شيءٍ عائدٌ إليه، السماوات والأرض باعتبار أنها أعظم شيءٍ يعرفهُ الإنسان وإلا له ما بعد السماوات والأرض أيضاً ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ الحديث هنا هذه الشفاعة الحديث فيها ليس عن شفاعة في يوم القيامة، الشفاعة على مراتب هناك شفاعة دينية وهناك شفاعة تكوينية الشفاعة الدينية هي في العالم الأرضي شفاعة الهداية والضلال، الإنسان إذا نالتهُ الشفاعة فإنه يزداد هدىً فوق هدىً وإيماناً فوق إيمان إذا نالتهُ الشفاعة في العالم الأرضي وهناك الشفاعة في العالم الأخروي شفاعة الجنان الدخول إلى الجنان أو الترقي في مراتب الجنان وهناك الشفاعة التكوينية والآية هنا تتحدث بالدرجة الأولى عن الشفاعة التكوينية لأن الحديث الآن عن الكون ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ الحديث عن شفاعة تكوينية، يعني عن جهاتٍ الله سبحانه وتعالى يجعل ولايتها نافذة على هذا التكوين وهذا المعنى واضح في القرآن الكريم مثلاً حينما نذهب إلى سورة يونس في الآية الثالثة ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ الكلام عن التكوين ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ حينما يكون الكلام عن التكوين وليس عن التشريع ويأتي ذكر الشفاعة أليس هذه شفاعة تكوينية، هنا في آية الكرسي ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الحديث عن تكوين ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ لو كانت الآية تقول إن الإنسان يُذنب يرتكب الذنوب كما قال صلى الله عليه وآله إنما الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي حديث عن ذنوب هذه الشفاعة الموجودة في هذا الحديث إنما الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي هذه شفاعة

دينية هذه الشفاعة الدينية وفي العالم الأخروي هذا الحديث يتحدث عن شفاعة دينية في العالم الأخروي للنجاة من النار وللفوز بالجنان أما حينما نقرأ في هذه الآية ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ شفاعة قطعاً بالدرجة الأولى المقصود منها الشفاعة في الجانب التكويني، أيضاً الجانب الديني الدنيوي والأخروي موجود في هذه الشفاعة لكن بالدرجة الأولى الحديث عن شفاعة تكوينية نفس الشيء في الآية الثالثة من سورة يونس ما جاءت الآية تعدد ذنوباً ثم تتبعها بالشفاعة ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ الحديث عن تدبير الأمر في الجانب التكويني ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ هذه شفاعة المراد منها شفاعة في الدرجة التكوينية في الأفق التكويني يعني هناك جهة المراد من الشفاعة أن لها ولاية ولايتها نافذة على التكوين أن الله قد أذِن لجهةٍ من الجهات لشفيعٍ من الشفعاء هو الذي له الولاية على التكوين.

نفس الشيء حينا نذهب إلى سورة السجدة التي هي الم السجدة لأننا في القرآن عندنا سورتان حم السجدة والم السجدة، حم السجدة التي تعرف بسورة فصلت، هذه الم السجدة، أيضاً في الآية الرابعة وحتى التي بعدها ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ أيضاً جاء هنا ذكر الشفاعة وذكر الولاية في هذه الآية ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ مرادي أن هذه الآية ذكرت الولي والشفيع، الولاية والشفاعة مع الحديث عن جنبة التكوين هنا قالت بأنهُ ليس من ولي ولا من شفيع من دون الله لكننا نجمع القرآن، القرآن يفسر بعضهُ بعضاً حينما نعود إلى هذه الآية إلى آية الكرسي فماذا تقول الآية؟ ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ هناك شفعاء ولكن بأذنهِ يعني هذه الآية هنا قالت ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ مع هذه الآية وآيات أخرى أن الشفاعة قائمة لكن حديثي هنا عن الشفاعة التكوينية، فهنا جاء ذكر الشفاعة في هذه الآية من سورة السجدة في الجنبة التكوينية وكذلك هنا في سورة البقرة ومرَّ علينا في سورة يونس قبل قليل إذاً المراد من هذه الشفاعة هناك شفعاء لهم ولاية تكوينية لهم التصرف في التكوين.

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ إذاً هناك جهة لها شفاعة تكوينية لها شفاعة دينية دنيوية وهي شفاعة الهدى ولها شفاعة دينية أخروية وهي شفاعة الجنان من هي هذه الجهة؟ الروايات تقول عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ماذا يقول الأئمة في كلماتهم وفي أحاديثهم؟ الأئمة يقولون نحن الشافعون في هذه الآية والروايات عديدةٌ عن أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم وهم يحدثونا عن شفاعتهم المطلقة والروايات كثيرة التي تحدثنا عن حاجة الأنبياء إلى شفاعة النبي وآل النبي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه السائل يسأله ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ إمامنا يقول: **نحن أولئك الشافعون**. الشافعون الذين ذكروا في آية الكرسي هم مُحَمَّدٌ وآل محمَّد رواية ينقلها علي بن إبراهيم القمي في تفسيره عن إمامنا الصادق ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ قال: **نحن أولئك الشافعون**.

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِم: يعني ما هو متقدمٌ ما هو سيكون في المستقبل ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ ما هو كان في الماضي ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ حينما تقول هذه القضية وضعتها بين يديك أي وضعتها أمامك ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ إن كان ذلك في الجانب المكاني فهو من أمامهم وإن كان ذلك في الجانب الزماني فهم ما يكون في المستقبل ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ يعني هناك من يكونُ علمه علماً إلهياً ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ نفس المجموعة التي أعطاها الشفاعة التكوينية والشفاعة الدينية أعطاها هذا العلم لو نتبصر في الآية ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ إذاً هناك مجموعة تشفع بإذنه هذه المجموعة ستكون قريبة منه وحينما تشفع لابد أن تكون شفاعتها مستندة إلى العلم حتى تكون شفاعتها موافقة لما يريده الله فالآية تبين هذا المعنى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ نفس الجهة التي شاء الله أن تكون لها الشفاعة وأذن الله أن تكون لها

الشفاعة شاء الله أن يكون لها العلم إذاً فابحثوا عن هذه الجهة أين تكون هذه الجهة قالها الصادق: **نحن أولئك الشافعون** ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ كما قال الرضا: نعاسٌ ﴿وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ الشفاعة لهم ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ أعطاهم العلم هو علمهم.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ الروايات تقول السماء الأولى بالنسبة للسماء الثانية كالحلقة في فلات والثانية للثالثة وهكذا إلى السابعة والسماوات كلها هذه بالنسبة إلى الكرسي كالحلقة في الفلات فإن الكرسي الوعاء الأكبر الوعاء الأعظم ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ﴾ لا يؤوده يعني لا يتعبه لا يجهده ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ لا يؤوده حفظهما الضمير هنا يعود على الكرسي هناك من فسرها بأن الضمير يعود على الله سبحانه وتعالى لكن الضمير يعود على الأقرب وحتى لو قلنا بأن الضمير يعود على الله فالمعنى واضح أيضاً فإن الله سبحانه وتعالى لا يتطرق إليه التعب لا يتطرق إليه الجهد ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفظُهُمَا: يعني أن الكرسي لن يكون فيه شيء من النقص أو شيء من العجز لحفظ السماوات والأرض. ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ الكلام يعود على الله سبحانه وتعالى وإن كانت الضمائر تعود على الله ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ إن حفظ الكرسي وحفظ السماوات وحفظ الأرض وإن حفظ الوجود لا يتعب الله سبحانه وتعالى كما أنه لا تأخذه سنة ولا نوم فإن السنة والنوم من صفات المخلوقين التعب والمشقة من صفات المخلوقين ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ وهنا جاءت الصفة العلي العظيم إشارة إلى علوه وإلى عظمته فوق كل شيء – **اللهم إني أسألك من علوك بأعلاه وكل علوك عالٍ اللهم إني أسألك بعلوك كله، اللهم إني أسألك من عظمتك بأعظمها وكل عظمتك عظيمة اللهم إني أسألك بعظمتك كلها** – وهذي هي مجالي أسماء الباري سبحانه وتعالى أعظم العظمة أعلى العلو أين تجلى؟ تجلى فيهم صلوات الله عليهم ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ هذه قاعدة ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قاعدة لكن هذه القاعدة يجب أن تفهم في محلها الحديث هنا في هذه القاعدة ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ يعني أن الدين منشأه في الوجدان في الضمير في القلب في الروح وإنما يدخل الدين إلى

القلوب طوعاً بسبب القناعات نحن لا نستطيع أن ندخل الدين بالإجبار وبالقسر.

لابد أن نميز بين أمرين الحديث في هذه الآية عن الهداية وعن اعتناق الدين البعض يخلط بين هذا الأمر وبين أن تكون هناك دولة إسلامية عندها قوانين تتعلق بقضية إقامة الحدود أو بقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذي قضية ثانية لا علاقة لها بهذه الآية حينما مثلاً الدولة الإسلامية تشرع قوانين وهذه القوانين لا تعجب البعض من رعيتها فيقولون لا إكراه في الدين هذي مسألة ثانية مسألة التشريع والقوانين مثلما موجود في الدول الأخرى الآن حتى في الدول الديمقراطية في الدول الديمقراطية حينما تكون هناك قوانين ليس بالضرورة أن جميع الناس موافقون على هذه القوانين أو حتى جميع أعضاء الحكومة موافقون على هذه القوانين القضية قضية بالأغلبية، بالأغلبية البرلمانية أو ربما توافق الأغلبية البرلمانية على القانون ولكن عامة الشعب لا يقبلون بذلك أو لا يرغبون بهذه القوانين مسألة القوانين ومسألة الأنظمة هذي قضية ثانية غير قضية التعامل الوجداني مع العقيدة والمبدأ والأفكار فهذا اشتباه كبير يحدث حين يكون هناك خلط بين قضية هناك دولة عندها قوانين عندها أنظمة معينة كأن تتعلق بقضية الحدود بقضية الديات بقضية التعزيرات وهذي أبواب فقهيه معروفة أو بقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأمثال هذه الأمور في تطبيق الأحكام الشرعية في الواقع الأرضي في المجتمع فقد تتخذ أساليب معينة أو تسن قوانين معينة وهي قوانين شرعية لكن الناس لا تقبل بذلك ويقولن لا إكراه في الدين هذي مسألة ثانية هذي دولة عندها قوانين وعندها مبادئ تعمل بها هذا موضوع آخر هذا يناقش من جهة أخرى من لحاظ آخر مثلاً هل أن الحكومة تطبق القوانين على نفسها على عوائلهم، المسؤول يطبق القانون على أولاده وأسرته وعشيرته حتى يطالب مثلاً بتطبيق القانون على بقية الرعية، هل أن الإسلام طبق بكل أحاكمه حتى مثلاً تطبق كل الأحكام يعني مثلاً هل أن الناس أعطي لهم الحقوق التي أعطاها الدين للناس حتى يطالبون بتنفيذ كل القوانين هذي قضايا أخرى تناقش في مسائل أخرى خارج عن هذه الآية، الآية تتحدث هنا عن قضية الهدايا والضلالة أن الهدى إنما يأتي من داخل قلب الإنسان أنت لا تستطيع أنا لا أستطيع أن أجبر ولدي الذي هو من لحمي ودمي على فكرة أنا أعتقد بها ما لم يكن هو يهش إليها يميل إليها لا أستطيع أن أجبر أي أحد قريب أو بعيد وأنت كذلك وهكذا كل الناس هذي قضية القلوب وقضية القناعات القلبية والوجدانية قضية لا يمكن أن تدخل تحت قانون الإكراه الآية تتحدث عن هذا المطلب.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ الدين ليس فيه إكراه الدين قضية نفسية قضية وجدانية ربما تكون عندي قناعات أقرب الناس ألي في عائلتي لا يمتلك هذه القناعة وأنت كذلك والبقية وعندنا أحاديث وعندنا وقائع قرآنية تتحدث عن أنبياء وعن عوائل أنبياء ما كانت تعيش نفس الحالة النفسية التي يعيشها ذلك النبي هذي

قضية طبيعية في الحياة لأن الدين قضية تنبع من داخل القلب البشري من داخل الوجدان الإنساني فالحديث في هذه الآية عن هذا المضمون لا عن قضايا وقوانين ومسائل سياسية.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ كيف تبين الرشد من الغي؟ الرشد واضح الغي هو الانحراف هو الضلال ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ تبين الرشد من الغي بما أقامه الرسل من البينات مر علينا في الآية التي تحدثنا عنها قبل قليل ﴿مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ من بعدهم يعني من بعد الرسل يعني أن الرسل جاءوا بالبينات وبينوا الأمور فتبين الرشد من الغي ولكن القوم اختلفوا الناس اختلفت ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ وأيضاً الآية تريد أن تقول إن الإنسان الذي يريد أن يبحث عن الرشد يستطيع أن يجد الرشد ولكن يحتاج إلى همة وعزيمة يحتاج إلى إخلاص في النية للوصول إلى الرشد إذا كان عند الإنسان همة وعزيمة ونية مخلصة لأن يصل إلى الرشد يصل الله سبحانه وتعالى يسهل له الوصول إلى الرشد ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُر بِالطَّاغُوتِ﴾ الطاغوت هو عنوان، عنوان لكل ما كان مضاداً للحق لكل ما يعبد من دون الله، الطاغوت عنوان لكل إمامٍ ينصب من دون الأئمة الذين نصبهم الله، الله سبحانه وتعالى نصب أئمة الطاغوت هو عنوان لكل خلفاء الجور هؤلاء هم الطغات هذا العنوان عنوان الطاغوت عنوان لأئمة الجور بالدرجة الأولى الذين نصبهم الناس تحت أي عنوان؟ بعنوان الشورى بعنوان الوصية بعنوان الوراثة بعنوان ولاية العهد سمي ما شئت من العناوين الأئمة الذين نصبهم الناس في ضد وفي مواجهة الأئمة الذين نصبهم الله هؤلاء هم الطاغوت.

﴿فَمَن يَكْفُر بِالطَّاغُوتِ﴾ يكفر بهؤلاء لأنه الآية مرت علينا قبل قليل ﴿فَمِنهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنهُم مَّن كَفَرَ﴾ وقال أمير المؤمنين وهو يشير إلى عائشة وطلحة والزبير قال: فنحن الذين أمنا وهم الذين كفروا قبل قليل مرت علينا رواية هذا الرجل الرواية التي رواها الأصبغ بن نُباته هذا الرجل الذي سأل الأمير فقال: يا أمير المؤمنين إن القوم كبروا وهللوا وصلوا مثلنا فلماذا نقاتلهم فبين له الأمير بعد أن ذكر له الآية التي تقدم ذكرها قال: فنحن الذين أمنا وهم الذين كفروا ﴿فَمَن يَكْفُر بِالطَّاغُوتِ﴾ يكفر بهذه الجهات ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ﴾ فمن يكفر البراءة أولاً حتى في المنهج الأخلاقي المنهج الأخلاقي علماء الأخلاق ماذا يقولون؟ يقولون تخليةٌ تحليةٌ ثم فنا مراتب مرتقيه هذه المراتب أو الأبواب أو الفصول التي تدرس في علم الأخلاق في علم السلوك يقولون: تخليةٌ تحليةٌ في البداية لابد أن تخلى القلوب من

النجاسات من الأرجاس بعد ذلك تحلى بالخصال الحميدة تخليةٌ تجليةٌ ثم تجلى في البداية نخليها ثم نجلوها ننظفها من آثار السيئات ثم تحلى مرادي أول شيء التخلية لابد للإنسان الذي يريد أن يصل إلى الله أن يبدأ بالتخلية والتخلية هي البراءة ﴿فَمَن يَكفُر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِن بِاللّهِ﴾ لأنه ماذا يريد؟ يريد أن يستمسك بالعروة الوثقى هل يستطيع أن يستمسك بالعروة ويده مستمسكة بشيءٍ آخر؟ لابد أن تكون يداه فارغتين حتى يستطيع أن يستمسك بالعروة الوثقى لابد أن تكون الأيدي فارعة لابد أن تكون هذه الأيدي تبايع عليّاً فقط لا تبايع غيره لأن اليد التي تبايع غير عليٍّ لا تستطيع أن تبايع علياً كما قال هذا الرجل لسيد الأوصياء يا أمير المؤمنين إني أحبك وأحب فلاناً وذكر البعض من أعداءه المعروفين قال: أما إنك لأعور إما أن تعمى وإما أن تبصر، كيف يمكن أن تجمع بين هذين الحبين، أما إنك لأعور إما أن تعمى وإما أن تبصر ﴿فَمَن يَكفُر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِن بِاللّهِ﴾ حينئذٍ يستطيع أن يستمسك بالعروة الوثقى وإلا إذا كانت يداه مشغولة بشيء آخر كيف يستطيع أن يستمسك بالعروة الوثقى وإذا ما كان يستمسك بالعروة الوثقى إذاً سيضل إذاً سيهوي، سيهوي في وادٍ سحيق سحيق ﴿فَمَن يَكفُر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِن بِاللّهِ﴾ .

الآية قالت ﴿تَّبَيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ﴾ يعني أنت إذا تريد أن تصل إلى سبيل النجاة هذا سبيل النجاة موجود هذه العروة الوثقى ولقد قالها صلى الله عليه وآله يا علي أنت العروة الوثقى، والغريب هذه الروايات موجودة في كتب القوم أكثر مما موجودة في كتبنا يا عليّ أنت العروة الوثقى ﴿تَّبَيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكفُر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِن بِاللّهِ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾ هذه العروة لن تنفصم ﴿لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾ يعني لن يتطرق إليها النقص هذه العروة عروة قوية الانفصام هنا عنوان للنقص للضعف هذه العروة عروة ثابتة هذه عروة إلهية العروة الإلهية لن تفصم هذا عليٌّ، فعليٌّ لن ينفصم هذا عليٌّ كما قال صلى الله عليه وآله لا تسبُ علياً فإنه ممسوسٌ بذات الله، ممسوس يعني ليس منفصلاً عن الله.

﴿لاَ إِكرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكفُر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِن بِاللّهِ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾ إذا أردت أن تستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها هذه عروة لا يتعرض إليها النقص لا يتعرض إليها الضعف هذه عروة لن تنفصم لن تنفصم ﴿فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ في كلمات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الرواية **عن ابن عباس قال: قال**

رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحب أن يستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فليستمسك بولاية أخي ووصي علي بن أبي طالب فإنه لا يهلكُ من أحبه وتولاه ولا ينجو من أبغضه وعاداه – ووالله يا أمير المؤمنين لا ندري هل نحسد أنفسنا أم نغبط أنفسنا على هذه النعمة.

روايةٌ أخرى، **عن حذيفة بن أسيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا حذيفة إن حجة الله عليكم بعدي عليٌّ بن أبي طالب.** ونحن نُشهدُ يا رسول الله نُشهدُ على ذلك بعقولنا وبقلوبنا وبوجداننا وبضمائرنا وبكل لحظةٍ من لحظات حياتنا وبكل دقةٍ من دقات قلوبنا وبكل دفقة من دفقات دمائنا وبكل عرقٍ يضرب في أبداننا وبكل طرفة تطرف بها عيوننا وبكل شهيقٍ وزفيرٍ وبكل نفسٍ يصعد وينزل من رئاتنا وإلى رئاتنا وبكل شُعيرةٍ في أبداننا وبكل خليةٍ وحُجيرةٍ تكونت منها أجسامنا ما مات منها وتساقط على طول الأمر وما بقي منها وبكل عضوٍ من أعضائنا بكل جارحةٍ من جوارحنا وبكل جانحةٍ من جوانحنا وبكل صلاةٍ من صلاتنا وبكل لحظة صيامٍ من صيامنا في يقضتنا وفي منامنا عند مأكلنا وشرابنا وطعامنا في أفراحنا وفي أحزاننا في حياتنا وعند مماتنا والله إنا نشهد على ذلك يا رسول الله وما التوفيق إلا منك يا أبا الزهراء – **يا حذيفة إن حجة الله عليكم بعدي عليٌّ بن أبي طالب، الكفر به كفرٌ بالله والشرك به شركٌ بالله والشك فيه شكٌ في الله والإلحاد فيه إلحادٌ في الله والإنكار له إنكارٌ لله** – هذا هو عليٌّنا – **الكفر به كفرٌ بالله والشرك به شركٌ بالله** – الشرك به أن نجعل له نظيراً فعليٌّ خير البشر كما قال صلى الله عليه وآله ومن أبى فقد كفر – **الكفر به كفرٌ بالله والشرك به شركٌ بالله والشك فيه شكٌ في الله** – ولا يأتينا جاهلٌ فيقول حينما تقولون وليس هو بقولنا هو قول رسول الله عليٌّ خير البشر فيأتي قائلٌ فيقول فأين رسول الله؟

رسول الله هو عليٌّ وعليٌّ هو رسول الله قالها أنا عليٌّ وعليٌّ أنا – **الكفر به كفرٌ بالله والشرك به شركٌ بالله والشك فيه شكٌ في الله والإلحاد فيه إلحادٌ في الله والإنكار له إنكارٌ لله والإيمانُ به** – بعليٍّ – **إيمانٌ بالله لأنه أخو رسول الله ووصيه وإمام أمته وهو حبل الله المتين وعروته الوثقى لا انفصام لها وسيهلك فيه اثنان ولا ذنب له** – لا ذنب لعليٍّ – **غالٍ ومقصر، يا حذيفة لا تفارقنا عليّاً فتفارقني ولا تخالفنا عليّاً فتخالفني، إن عليّاً مني وأنا منه من أسخطه فقد أسخطني ومن أرضاه فقد أرضاني** – وعن رسول الله صلى الله عليه وآله – **الأئمة من ولد الحسين من أطاعهم فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله هم العروة الوثقى وهم الوسيلةُ إلى الله تعالى** – هؤلاء هم عروتنا الوثقى فمن أراد أن يستمسك بالنجاة فليستمسك الأبواب مفتوحة.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ

لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ وليّهم هو يتولاهم ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وليّهم يعني يحبهم يعني يرعاهم يعني يشرف على أمورهم يعني هو المتصرف فيهم ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ هو الذي يرعاهم هو الذي يسددهم ﴿ يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ من ظلمات الجهل بمحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد إلى نور العلم بمحَمَّدٍ وآل محمَّد من ظلمات الابتعاد عن مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد إلى نور القرب من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد من ظلمات هجرة الإنسان للحقيقة والحقيقة هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد إلى نور الاقتراب من الوطن الحقيقي الوطن الحقيقي من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ نفس هذه المجموعات، المجموعات الموجودة في الآية السابقة ﴿ وَلَو شَاءَ اللَّهُ مَا اقتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعدِهِم ﴾ يعني من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات من بعد بيعة الغدير البينات الواضحة ﴿ وَلَكِنِ اختَلَفُوا فَمِنهُم مَّن آمَنَ وَمِنهُم مَّن كَفَرَ ﴾ ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ هؤلاء الذين أمنوا هذا وليّهم ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ كما قال سيد الأوصياء لهذا الرجل الذي سأله حينما كان واقفاً في يوم الجمل قال: القوم كبروا هللوا صلوا على ماذا نقاتلهم؟ قال نقاتلهم على هذه الآية ﴿ فَمِنهُم مَّن آمَنَ وَمِنهُم مَّن كَفَرَ ﴾ ونحن المؤمنون وهم الكافرون فالذين خرجوا مع عليٍّ خرجوا من ظلماتٍ كانوا يعيشونها في الأزمنة التي سبقت عليّاً إلى النور مع عليّ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ﴾ خرجوا من النور إلى الظلمات من أي نورٍ هل كانوا في نور من أي نور كما قال إمامنا صلوات الله وسلامه عليه وهل للكافر من نور إنما كانوا على شيءٍ من الإسلام هذا الشيء من الإسلام هو النور تركوه بعدائهم لعليٍّ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ الرواية واضحة وصريحة في تفسير العياشي رحمة الله عليه، الرواية عن الإمام الصادق بهذا الخصوص ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ يخرجهم من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل إمامٍ عادلٍ من الله قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ قال: قلت أليس الله عنى بها الكفار حين قال والذين كفروا – يعني الكفار الذين ما أسلموا أصلاً – قال:

فقال: أي نورٌ للكافر وهو كافر فأُخرج منه إلى الظلمات – لأن الآية تقول ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ السائل يسأل الإمام يقول هؤلاء الكفرة الذين ما أسلموا أصلاً؟ قال أي نورٍ للكافر حتى يخرج منه إلى الظلمات – وأي نورٌ للكافر وهو كافر فأُخرج منه إلى الظلمات إنما عنى الله بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام فلما أن تولوا كل إمامٍ جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم إياهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب لهم النار مع الكفار فقال ﴿أُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ . أعتقد الآيات واضحة المعاند معاند لكن هذه الآيات دلائلها واضحة ماذا يصنع الذي يريد أن يتدبر في هذه الآيات؟ سؤال ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ﴾ أيُّ نورٍ كان لهم؟! وأيُّ ظلماتٍ تحولوا لها ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ سؤال ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعدِهِم﴾ من بعد الأنبياء ﴿فَمِنهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنهُم مَّن كَفَرَ﴾ منهم الذين أمنوا في هذه الأمة ومنهم الذين كفروا سؤال ﴿فَمَن يَكفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِن بِاللَّهِ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَى لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ أي جهةٍ هذه التي هي العروة الوثقى لا انفصام لها؟ هذه أسئلة يجب على الإنسان أن يبحث عنها أن يجيب عليها وتستمر الآيات في سورة البقرة:

﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَن آتَاهُ اللَّهُ المُلكَ إِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمسِ مِنَ المَشرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهدِي القَومَ الظَّالِمِينَ﴾ ربما الكثير منكم يعرف هذه القصة قصة النمرود الطاغوت الذي كان في زمان خليل الله في زمان إبراهيم عليه السلام ﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبرَاهِيمَ﴾ بعد أن بدأ إبراهيم ينشر دعوة التوحيد استدعاه النمرود فدخل مع إبراهيم في محاججة ﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبرَاهِيمَ﴾ محاججة مناقشة جدال ﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَن آتَاهُ اللَّهُ المُلكَ﴾ تصور بأنه لَمَّا كان ملكاً وملكه هو الله الذي أتاه من الذي أتاه الملك تصور بأنه لَمَّا كان له هذا الملك هو في تصوره كان ملكاً عظيماً فكان يدعي الإلوهية لابد أن نعرف بأن الذين أدعوا الإلوهية من الطواغيت هم لا ينكرون آلهة أخرى موجودة في الكون هذي قضية يمكن أن نتلمسها أو نجدها في النصوص القرآنية أو في الروايات أو في كتب التأريخ وأنا لا أريد الخوض في كتب

التأريخ النمرود أدعى الإلوهية ومحاججة فيما بين إبراهيم والنمرود ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَن آتَاهُ اللّهُ المُلكَ إِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحيِي وَيُمِيتُ﴾ الحياة والموت بيد الله ﴿قَالَ أَنَا أُحيِي وَأُمِيتُ﴾ لاحظوا تعبير في الآية دقيق ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ لأنهم كانوا يقولون له من ربك يا إبراهيم ما ربك أدعوا لنا عند ربك يا إبراهيم قل لربك كذا فالمحاججة بين النمرود الذي هو ادعى الإلوهية وعنده أيضاً أرباب وكان عنده أيضاً عباده كان يذهب إلى المعبد ويعبد أصناماً النمرود في الوقت الذي هو ادعى الإلوهية.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَن آتَاهُ اللّهُ المُلكَ إِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحيِي وَيُمِيتُ﴾ ماذا قال النمرود؟ ﴿أَنَا أُحيِي وَأُمِيتُ﴾ ثم أمر الحرس أن يأتوا له باثنين من داخل السجن فأمر بقطع رأس أحدهما وأطلق سراح الآخر قال أنا أحيي وأميت طبعاً الجلاس في المجلس من أعوانه رأوا أن النمرود قد غلب إبراهيم في المحاججة، في الروايات عندنا الإمام الصادق عليه السلام قال له إذا أنت تحيي وتميت أحيي هذا الذي قتلته أنت تقول أن أحيي وأميت وجئت بهذين السجينين واحد أطلقت سراحه هذي قضية لا علاقة لها بالإلوهية أي حاكم من الحكام يستطيع أن يفعل هذا الأمر لأن السجن تحت سلطة الحاكم والسجناء تحت سلطته وعنده حراس وجنود أي حاكم يستطيع يعني أي واحد يستطيع أن يقوم بهذا الأمر فهو إلاه؟ فإبراهيم قال له إذا كنت تدعي بأنك تحيي وتميت فأحيي هذا الذي قتلته فجن جنونه هذا ماذا يفعل؟ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَن آتَاهُ اللّهُ المُلكَ إِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحيِي وَأُمِيتُ﴾ القسم الثاني من المحاججة ﴿قَالَ إِبرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأتِي بِالشَّمسِ مِنَ المَشرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ لا يستطيع كذلك لأن قضية إطلاق سراح السجين وقتل الآخر ربما تكون فيها شبه على الناس ربما يصدقها البعض لكن قضية الشمس ماذا يصنع بها هذا ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ سقط ما في يده ﴿وَاللّهُ لاَ يَهدِي القَومَ الظَّالِمِينَ﴾ الظالمون الله سبحانه وتعالى لن يهديهم الهدايا لأولئك الذين وحدوا الله عبدوا الله تمسكوا بالعروة الوثقى، هذا مثال هنا جاء به القرآن لطاغوت من الطواغيت وهو النمرود باعتبار أن الآيات السابقة ماذا تحدثت؟ تحدثت ﴿فَمَن يَكفُر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِن بِاللّهِ﴾ هذا النمرود جعل نفسه في مواجهة النبي جعل نفسه في مواجهة الله فهذا هو الطاغوت قصة أخرى من القصص القرآني وهي في سياق

قصة النمرود باعتبار أن النمرود ادعى بأنه يحي ويميت فأطلق سراح سجين وقتل آخر القرآن يقول لا الإحياء والإماتة هكذا كما في قصة عزير أو في قصة إيرميا يمر على قرية خاوية يميته الله وبعد مئة عام يرجعه هذا الإحياء والإماتة الإلهية لا كما تقول يا نمرود وهذه عبرة لنا عبرة لكل الأجيال التي جاءت بعد النمرود أنت يا نمرود تقول أنا أحيي وأميت تخرج رجل من السجن وتقتل الآخر الإحياء والإماتة هكذا هنا القرآن يأتينا بمثالين:

المثال الأول في قضية النبي إيرميا أو عزير كما في بعض الروايات أكثر روايات أهل البيت تقول هو النبي إيرميا ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ خاوية على عروشها: يعني أن سقوفها العروش هي السقوف أن سقوفها قد وقعت على الأرض وأن الجدران وقعت على السقوف خاوية يعني خربة ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ يعني سقوف البناء ساقطة على الأرض والجدران ساقطة على السقوف فهذا هو الخواء خاوية على عروشها يعني مهدمة بالكامل ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يعني كيف ستتم عملية الإحياء قال ﴿أَنَّى﴾ أنى هنا بمعنى كيف؟ ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ كيف يحيي الله سبحانه وتعالى هذه القرية بعد مظاهر الموت القطعية هذه. ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ﴾ ليرى الموت بنفسه ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قصة غريبة وعجيبة إنسان يموت مئة سنة يستيقظ وهو يتصور بأنه نام يوماً أو بعض يوم عدة ساعات ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ﴾ أنت لبث مئة عام مئة سنة ﴿فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّه: لم يتغير يعني في بعض الروايات كان يحمل معه شيء من تين وشيء من خبز وكان ركب على حماره وكان قد خرج إلى منطقة بعيدة عن مدينته وكان راكب على الحمار وإلا لو كان قريب لربما لا يحتاج إلى الحمار فكان راكب على الحمار وأخذ معه شيء من المئونة من الزاد شيء من تين وخبز لأن القصة تبدو أنها في بلاد الشام والتين من الفواكه المشهورة المنتشرة في بلاد الشام ﴿فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم

يتغير لم يتغير يعني الله سبحانه وتعالى أعاده كما هو ﴿وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ وهو ينظر إلى الحمار كيف كان ينظر أن أجزاء عظام الحمار بدأت تلتئم بعد مئة سنة، مئة سنة ماذا يبقى من عظام الحمار أجزاء عظام الحمار بدأت تلتئم ثم بدأت تتركب شيء فوق شيء فتكون الهيكل العظمي بعد ذلك الله سبحانه وتعالى كسا الهيكل العظمي للحمار اللحم الآيات تحدثنا هكذا ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ يعني أعدنا لك الطعام والشراب كما هو ﴿وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كيف يتحول ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ ننشزها يعني كيف نركبها البعض على البعض الآخر حتى تشكل الهيكل العظمي إنشاز العظام هو تركيبها البعض على البعض الآخر ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ كيف نركبها حتى تكون الهيكل العظمي ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ اتضحت له الصورة من خلال الأدلة والقرائن الواضحة ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

وهل في ذلك شك؟ ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ هناك قصة جميلة تنقل عن السيد الميرداماد رحمة الله عليه من أجلة علمائنا من علماء العصر الصفوي له صداقة وصحبة متينة مع الشيخ البهائي وهو أستاذ الفيلسوف المعروف صدر المتألهين رحمة الله عليهم جميعاً، الميرداماد كان من عادته في وقت واحد يألف في أكثر من كتاب في داخل غرفته وضع مكان هنا منضدة لكتاب ومنضدة هناك لكتاب آخر ويقسم وقته مرة يكتب في هذا الكتاب ومرة يكتب في ذلك الكتاب الخادمة التي كانت في البيت كانت تنظر إلى هذا السيد حينما يذهب إلى أحد الكتب يعني يتوضأ يتعطر ويلبس أحسن ثيابه ثم يتوجه إلى تلك المنضدة يكتب عليها فسألته قالت سيدنا هذا الكتاب ما هو السر فيه ما هو موضوعه أنت هكذا تتهيأ بخلاف بقية الكتب؟ قال: يا فلانة هذا الكتاب كتابٌ في التوحيد أثبت فيه وجود الله هذه الجارية على رسلها قالت تثبت وجود الله أفي الله شكٌ فاطر السماوات والأرض؟ هناك شك في الله حتى نحتاج إلى أدلة ثبت وجوده أفي الله شكٌ فاطر السماوات والأرض، يقولون السيد ترك الكتاب وما أكمل بعد ذلك الكلمة أثرت فيه كثيراً جمع أوراقه وجمع كتابه وأنشغل بقضية ثانية، نفس هذا اللحن نفس هذا السياق فلما تبين له لَمَّا رأى طعامه كيف هو كما هو ورأى الحمار كيف أن العظام تتركب وكيف أن الله يكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيءٍ قدير هذه هو الإحياء، النمرود قال أنا أحيي وأميت أي إحياءٍ يا نمرود هذا؟ هذا الإحياء وهذه هي الإماتة أماته الله مئة عام ثم بعثه من جديد وأراه كيف تتم عملية الإحياء كيف أن عظام حماره بدأ يتركب بعضها على البعض الآخر حتى تكون الهيكل العظمي ثم كساه

لحماً فعاد حماره كم كان في الروايات يقولون حينما مات إيرميا كان عمره خمسين سنة في اليوم الذي مات فيه ولد له ولد، لَمَّا رجع إلى الدنيا كان عمر إيرميا خمسين سنة رجع شابا فذهب إلى بيته فوجد أن ابنه عمر ابنه مئة سنة فكان عمر ابنه مئة سنة وهو عمره خمسون وهذه آيات الله سبحانه وتعالى وما حولنا من الآيات أعظم من هذا لكننا نستغرب هذه الآيات لأنها شيئاً مستغرباً بالنسبة لنا وإلا آيات الله المحيطة بنا أعظم من هذه الآية لكننا لأننا تعودنا عليها فنستغرب الشيء الذي لم نتعود عليه وإلا هذه الآيات المحيطة بنا أعظم من هذه الآية هذا النظام الدقيق هذه السماوات والأفلاك هذا النظام العظيم في العالم الأرضي هذا النظام الدقيق في أجسامنا هذا النظام الدقيق في تركيبة الدماغ والمخ والعلاقة بين الدماغ والعقل الذي هو جزء من أجزاء الروح هذا النظام المحيط بنا في كل خلية في كل ذرة في جزيئه في كل جانب من جوانب الحياة هذه آيات أعظم من هذه الآيات ولكن الغفلة هي التي هيمنت علينا الغفلة والاعتياد على الأمور والانشغال بالأمور التافهة الانشغال بتوافه الأمور يعمي البصائر.

﴿وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيفَ تُحيِي المَوتَى﴾ هذا مثال ثاني على إحياء الموتى هذا مثال قصة النبي إيرميا إحياء للإنسان والحيوان والأطعمة الله أعاد الإنسان وأعاد الحيوان وأعاد الأطعمة ﴿فَانظُر إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَم يَتَسَنَّه وَانظُر إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجعَلَكَ﴾ أنت ﴿آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ إحياء للإنسان للحمار الحيوان وللأطعمة، هذا مصداق آخر من مصاديق الإحياء ﴿وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيفَ تُحيِي المَوتَى قَالَ أَوَلَم تُؤمِن قَالَ بَلَى﴾ إبراهيم قطعاً سيد الموحدين سيد الأنبياء في عالم التوحيد لَمَّا أقول سيد الأنبياء من دون مُحَمَّد، محمَّد صلى الله عليه وآله له منزلة خاصة مُحَمَّد شيء والأنبياء شيء فما الأنبياء إلا رشحةٌ من رشحات مُحَمَّد ﴿وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيفَ تُحيِي المَوتَى قَالَ أَوَلَم تُؤمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطمَئِنَّ قَلبِي﴾ الاطمئنان هنا المراد يعني أن القلب يرى الرؤيا العملية في الواقع الخارجي وإلا قلب إبراهيم مطمئن حينما يقول ﴿وَلَكِن لِّيَطمَئِنَّ قَلبِي﴾ هل يعني أن إبراهيم لم يكن مطمئناً؟! الإيمان أعلى من الاطمئنان، الاطمئنان أقل من الإيمان الايمان مئة في المئة الاطمئنان قريب من الإيمان يعني إذا نريد نعطي درجات بالنسبة المئوية الإيمان هو مئة في المئة الاطمئنان أقل من مئة في المئة قد يكون من تسعين إلى تسعة وتسعين في المئة هذا هو الاطمئنان، الاطمئنان أقل من الإيمان أقل من العلم أقل من اليقين وإلا إبراهيم قلبه مفعم بالإيمان المراد من الاطمئنان هنا اطمئنان في الرؤيا الحسية في الرؤيا البصرية شيء عملي في الجانب العقائدي في الجانب النظري في جانب البصيرة وحتى في جانب الكشف إبراهيم كشف له الله عن ملكوت السماوات

والأرض رأى الحقائق في أفق الحقيقة في أفق الدين في أفق الفكر، إبراهيم بلغ أعلى درجات الإيمان.

﴿ وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيفَ تُحيِي المَوتَى قَالَ أَوَلَم تُؤمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطمَئِنَّ قَلبِي ﴾ إبراهيم هنا يبحث عن رؤيا حسية عملية في الواقع الخارجي ﴿ قَالَ فَخُذ أَربَعَةً مِّنَ الطَّيرِ فَصُرهُنَّ إِلَيكَ ثُمَّ اجعَل عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنهُنَّ جُزءًا ﴾ صُرهُنَّ إليك يعني اجمع هذه الطيور المختلفة واذبحها وقطعها إلى أجزاء صغيرة واخلطها جميعاً الآن نقرأ رواية، رواية جميلة جداً تكشف عن معنى هذه الآية ﴿ وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيفَ تُحيِي المَوتَى قَالَ أَوَلَم تُؤمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطمَئِنَّ قَلبِي قَالَ فَخُذ أَربَعَةً مِّنَ الطَّيرِ فَصُرهُنَّ إِلَيكَ ثُمَّ اجعَل عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنهُنَّ جُزءًا ﴾ .

الله أمره أن يقسم هذه الأجزاء على عشرة جبال فقسمها على عشرة جبال ﴿ ثُمَّ ادعُهُنَّ ﴾ ثم قل أيتها الطيور أقبلن إلي ﴿ يَأتِينَكَ سَعيًا وَاعلَم أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ رواية جميلة تحدثنا عن تفاصيل هذه الواقعة أهل البيت يحدثونا ومن أعلم من أهل البيت بقرآنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الرواية في تفسير العياشي يرويها أبو بصير عن إمامنا الصادق في قول إبراهيم ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيفَ تُحيِي المَوتَى ﴾ قال أبو عبد الله عليه السلام: **لَمَّا رأى إبراهيمُ ملكوت السماوات والأرض** – ملكوت يعني الحقيقة ما وراء هذا الظاهر فهل الذي وصل إلى هذه المرتبة يحتاج إلى اطمئنان؟!

وإنما القضية قضية في الاطمئنان الحسي في الرؤيا الحسية مثلما مثلاً أنا أأتيك بمثال يعني مثلاً أنت عند شخص مثلاً تصدق بي فأقول لك مثلاً أنه في هذا المظروف كذا من المبلغ من الدنانير هناك مظروف أو حقيبة أنت تصدق بي وما عندك شك في كلامي ورأيت المظروف لكن تريد أن تمسك الدنانير بيدك لأجل الاطمئنان الحسي هناك فارق يعني أنت مصدق بأن هذا المظروف فيه دنانير القضية طبعاً الأمثلة تقرب من وجه وتبعد من وجه لكن هذا مثال أحاول أن أقرب به المعنى بوجهٍ من الوجوه إمامنا الصادق يقول – **لَمَّا رأى إبراهيمُ ملكوت السماوات والأرض التفت فرأى رجلاً يزني** – يعني بعد أن وصل إلى هذه المرتبة وانكشفت له الحقائق وهو على الأرض التفت فرأى رجلاً يزني فدعا عليه فمات متى رأى رجلاً يزني لأن الحقائق انكشفت له – **لَمَّا رأى إبراهيمُ ملكوت السماوات والأرض** – يعني الآن كشفت له ظواهر الأمور لا توجد حواجز لا جدران لا حيطان لا تضاريس أرضية انكشفت له الأمور ألتفت إلى جهة من الجهات – **فرأى رجلاً يزني فدعا عليه فمات ثم رأى آخر أيضاً يزني في مكان آخر فدعا عليه فمات حتى رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا فأوحى الله إليه أن يا إبراهيم إن دعوتك مجابة فلا تدعو على**

عبادي – لأن أنت إذا تطلع على بقية الناس هذا يزني وهذا يلوط وهذا يسرق ستقضي عليهم جميعاً – **فأوحى الله إليه أن يا إبراهيم إن دعوتك مجابة** – هنا يتضح الفارق بيت رؤية مُحَمَّد للملكوت وبين رؤية إبراهيم وغيره من الأنبياء.

رؤية مُحَمَّد رؤيا إطلاقيه واسعة رؤيا إلهية فلن تجد في رؤية مُحَمَّد مثل هذه المعاني لأنها هي الرؤيا الأصل ولأن لها الولاية الاطلاقية في إبراهيم في غيره من الأنبياء لَمَّا تتكشف لهم الحقائق فإنهم يتصرفون بهذا النحو من التصرف لأن هذا هو الذي يناسب مقاماتهم – **فأوحى الله إليه أن يا إبراهيم إن دعوتك مجابة فلا تدعو على عبادي فإني لو شئت لم أخلقهم إني خلقتُ خلقي على ثلاثة أصناف عبداً يعبدني ولا يشرك بي شيئاً فأثيبه وعبداً يعبد غيري فلن يفوتني** – أين يروح – **وعبداً يعبد غيري فلن يفوتني وعبداً يعبد غيري فأخرج من صلبه من يعبدني** – تلاحظون التصرفات العلوية التصرفات الحسينية أن علياً ما قتل كل الذين كانوا في صفين كان ينظر في أصلابهم وإن الحسين عليه السلام ما قتل كل الذين كانوا في كربلاء كان ينظر في أصلابهم هذي هي الولاية الاطلاقية التي أقول عنها إبراهيم مجرد أن رأى زانياً دعا عليه فمات وثانياً وثلاثة ولو استمر لقضى على كثيرٍ من الناس هذي هي الرؤيا الاحاطية الرؤيا الاطلاقية – **وعبداً يعبد غيري** – تلاحظون التماسك بين رواياتنا بين قرآننا بين زياراتنا بين عقائدنا تماسك هناك لوحة واحدة – **وعبداً يعبد غيري فأخرج من صلبه من يعبدني ثم التفت** – إبراهيم – **فرأى جيفة على ساحل البحر** – رأى جثة، جثة ميتة جيفة متعفنة – **فرأى جيفة على ساحل البحر بعضها في الماء وبعضها في البر** – نصف هذه الجيفة على البر والنصف الثاني في الماء – **تجيء سباع البحر** – حيوانات بحرية – **فتأكل ما في الماء** – القسم الموجود في الماء – **ثم ترجع** – هذي الحيوانات البحرية – **فيشد بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً وتجيء سباع البر فتأكل منها** – من الجهة الموجودة على اليابسة بعد ذلك – **فيشد بعضها على بعض ويأكل بعضها بعضاً فعند ذلك تعجب مما رأى** – يعني جيفة موجودة نصف منها في الماء ونصف على اليابسة حيوانات مائية تأتي تأكل أسماك مثلاً أو غيرها تأكل من هذه الجيفة ثم تدخل إلى الماء فيأكل هذه الأسماك هذه الحيوانات البحرية المائية يأكل بعضها بعضاً هي أكلت من الجيفة ثم أكل بعضها بعضاً، حيوانات برية صغيرة كبيرة أين كانت تأكل من الطرف الموجود على اليابسة بعد ما تأكل أيضاً تتصارع فيما بينها فيفترس بعضها بعضاً – **فعند ذلك تعجب إبراهيم مما رأى وقال:** ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ يعني أراد أن يرى كيف هذه الأجزاء قضية يعني ليس قضية عدم اطمئنان في أصل العقيدة أراد أن يرى هذه الأجزاء هذي أجزاء الجيفة قسم راح لحيوانات اليابسة قسم راح لحيوانات الماء الحيوانات المائية الحيوانات فيما بينها أكل بعضها بعضاً فهو يقول أجزاء هذه الجيفة

كيف راح تجتمع أراد ان يرى شيئاً عملياً أمام عينيه ليس شكاً في عقيدة – **فعند ذلك تعجب مما رأى وقال** ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ **قال: كيف تخرج ما تناسخ** – يعني ما تناسخ ما تحول هذه الحيوانات البرية أكلت من هذه الجيفة فتحول إلى جزء من أجسامها ثم بعد ذلك بعضها أكل البعض فتحول أجزاء هذا الحيوان الذي أُكل إلى أجزاء ذلك الحيوان الذي أكل والأصل في جسمه أن كان متكون من أجزاء حيوانات أخرى أيضاً – **قال: كيف تخرج ما تناسخ** – يعني هذه الأجزاء التي انتشرت – **هذه أممٌ أكل بعضها بعضاً قال: أولم تؤمن، قال: بلا، ولكن ليطمئن قلبي، يعني حتى أرى هذا كما أراني الله الأشياء كلها** – أريد أن أرى كيف يكون هذا إذاً الله أراه ملكوت السماوات والأرض قال يا ربي أنت أريتني كل شيء أرني هذه القضية كيف تتحقق عملياً ليس من شك – **قال: كيف تخرج ما تناسخ هذه أممٌ أكل بعضها بعضاً، قال: أولم تؤمن، قال: بلا، ولكن ليطمئن قلبي، يعني حتى أرى هذا كما أراني الله الأشياء كلها، قال: فخذ أربعةً من الطير فصُرهنَّ إليك** – أخذ أربعة أنواع من الطيور.

هذه الطيور الأربعة في بعض الروايات أنه النعامة والطاووس والوزة والديك، المهم يعني عدة أنواع مختلفة من الطيور – **فخذ أربعةً من الطير فصُرهنَّ إليك تقطعهن إلى أجزاء وتخلطهن كما أخلطت هذه الجيفة في هذه السباع التي أكلت بعضها بعضاً** – أخلطهن خلط بحيث تكون ممازجة يعني ليس خلط بحيث تكون يعني مثل العجينة مثل عجينة الكباب كيف يعجن الكباب عجينة الكباب مثل عجينة الكباب يعني يعجن اللحم مع المواد الأخرى من البصل من الطحين من أي شيء، أشياء أخرى تضاف في عجينة الكباب، يعني خذ أربعاً من الطيور وأفرم هذه الطيور فرم وأخلط هذه اللحوم يعني مثلما إنسان يأتي بلحم غنم مفروم حلم دجاج مفروم لحم غزال مفروم لحم عدة حيوانات مفروم ثم يخلط هذه اللحوم المفرومة جميعاً قال له خذ أربع من هذه الطيور وأفرم هذه الطيور وخلط لحمها المفروم ثم قسمها إلى عشرة أقسام وضع كل قسم على رأس جبل على عشرة جبال تلاحظون كم هي المسافة بعيدة بين رؤوس الجبال حتى لو كان في سلسلة جبلية واحدة تكون مسافة بعيدة جداً – **فخذ أربعةً من الطير فصُرهنَّ إليك تقطعهن إلى أجزاء وتخلطهن كما أخلطت هذه الجيفة في هذه السباع** – باعتبار هذه الجيفة التي أكلت منها السباع هذه صارت في أجزاء أبدانها لا تتميز فهنا إبراهيم فرم هذه الطيور، فرم ومزج لحومها بحيث صارت قطعة واحدة عجينة واحدة – **ثم أجعل على كل جبلٍ منهن جزءاً ثم أدعهن يأتينك سعياً** – الرواية تقول – **وكانت الجبال عشرة فلما دعاهن أجبنه** – جاءت الطيور كل طير لوحده تناثرت وتتطايرت الأجزاء من كل مكان وتكونت الطيور يعني تتصورون الصورة عشرة جبال وعلى رأس كل جبل قطعة من لحم مفروم من لحوم هذه الطيور الأربعة فلما أمر إبراهيم هذه الطيور أن يقبلن إليه تتطايرت الأجزاء من كل مكان

وتكونت الطيور من جديد وهذه صورة لإحياء الموتى يا نمرود، نمرود قتل سجيناً وأطلق آخر فقال أنا أحيي وأميت القرآن يأتينا بهذه الأمثلة رداً على كلام هذا الجاهل، الإحياء هكذا يكون كما في قصة إيرميا أو كما في قصة إحياء الطيور لإبراهيم عليه السلام. وهذه آيات الكتاب وهذا قرآننا كما قال إمامنا السجاد هذا القرآن آياته خزائن كلما فتحنا خزينة أو خُزانة من هذه الخزائن وجدنا فيها العجائب والعجائب.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ هناك فائدة يمكن أن نستفيدها أيضاً من هذه الآيات قصة إيرميا مات مئة عام ورجع هذه رجعه هذه الرجعة التي نقول بها بل أن القضية أبعد من ذلك هذه الرجعة حتى في الحيوانات حمار إيرميا رجع وهذه الطيور التي فرم لحمها إبراهيم رجعت الرجعة موجودة حتى في الحيوانات لكن هؤلاء الذين ينكرونها هذا الإنكار هو عداء لعليٍّ وآل علي لأن علياً قال بهذا هؤلاء يعادون أهل البيت كل شيء يقوله أهل البيت ينكرونه وإلا بالله عليك هذا الحمار رجع هل الحمار أعلى رتبةً من أولياء الله؟! هذا الحمار رجع مات مئة عام ورجع وتينات وقطع من خبز وانظر إلى طعامك ﴿ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ هذه رجعه للتين والخبز ورجعه للحمار ورجعه لنبي من الأنبياء ورجعه لطيور نعامه وطاووس حتى النعامة رجعت لذلك أئمتنا قالوا، قالوا أعداءنا حمقى واقعاً حمقى لأنهم لا يضرون إلا أنفسهم.

الأحمق من هو؟ الأحمق كما يقول أمير المؤمنين صلوات الله عليه لا تصاحب الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك الأحمق بعض الأحيان يريد أن ينفع نفسه فيضر نفسه قال: إنما أعداءنا الحمقى، إمامنا الصادق، حمقى يتركون الطريق الواضح المستقيم البيّن الذي يعود عليهم بالطمأنينة وبالأمان بالطمأنينة القلبية وبالأمان القلبي وبالشعور بالطهارة في الانتماء إلى أهل البيت نحن نشعر بالطهارة لا من جهة أعمالنا، أعمالنا سيئة لكن نشعر بالطهارة في هذه الجهة في جهة الانتماء إلى الجهة الطاهرة نحن ننتمي إلى الجهة الطاهرة فنشعر بالطهر من هذا الجانب وإلا القضية إذا رجعت إلى أعمالنا وإلى نوايانا وإلى أخطائنا سوده مصخمة. رحمة الله على السيد رضا الهندي في القصيدة الكوثرية

سودتُ صحيفة أعمالي ووكلت الأمر إلى حيدر

فنحن حين نتحدثُ عن الطهر نتحدث عن الطهر الذي هو في أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الوقتُ طال بنا كثيراً أسألكم الدعاء جميعاً صياماً مقبولاً دعاءً مستجاباً لقاءنا يتجدد على محبة عليٍّ وعليٍّ وعليٍّ وعليٍّ وعليٍّ وعليٍّ حتى ينقطع النَفَس وفي أمان الله.

الحلقة الثامنة والعشرون

تفسير سورة البقرة من الآية ٢٦١ الى الآية ٢٧٤

السلام عليكم جميعاً أولياء عليٍّ وآل علي ورحمة الله وبركاته، عَظَّمَ الله أجوركم وأحسن الله عزاءكم صياماً مقبولاً ودعاءً مستجاباً لكم ولنا ولجميع محبي فاطمة وآل فاطمة صلوات الله عليها، هذه الحلقة الثامنة والعشرون من برنامج قرآننا وكلامنا متواصلٌ في سورة البقرة، آخر آية وقفنا عندها وبيّنا معناها، أعوذ بالله من الشيطان: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ذكرت ما جاء من كلامٍ عن أهل بيت العصمة في بيان معنى هذه الآية وبيّنت المطالب المهمة التي تتعلق بها فقط أقرأ على مسامعكم هذه الرواية لأجل تتمة المطلب وأشرعُ في آيةٍ جديدة.

هذا هو تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني رضوان الله تعالى عليه وهذه الرواية عن إمامنا الباقر – **عن معروف بن خربوذ قال سمعت أبا جعفرٍ عليه السلام يقول: إن الله لَمَّا أوحى إلى إبراهيم أن خذ أربعةً من الطير عمد إبراهيم فأخذ النعامة والطاووس والوزة والديك** – ألوان مختلفة من الطيور في الأحجام وفي الأشكال وفي الألوان – **عمد إبراهيم فأخذ النعامة والطاووس والوزة والديك فنتفَ ريشهن بعد الذبح ثم جمعهن في مهراسةٍ فهرسهن** – المهراسة شبيهة بالهاون يعني هاون كبير يعني العملية عملية فرم ودق يعني قَطّع لحوم هذه الطيور ثم وضعها في المهراسة وهُرست حيث اختلطت هذه اللحوم بعضها بالبعض الآخر فصارت عجينه واحدة مزيجاً واحداً – **ثم جمعهن في مهراسةٍ فهرسهن ثم فرّقَهنَّ على جبال الأردن** – لأنه كان في فلسطين – **وكانت يومئذٍ عشرة جبال فوضع على كل جبل منهن جزءاً** – يعني أماكن بعيدة متباعدة – **ثم دعاهنَّ بأسمائهن** – دعا الطيور يعني دعا النعامة ان أقبلي أيتها النعامة أن اقبل أيها الطاووس – **ثم دعاهنَّ بأسمائهن فأقبلنَ إليه سعياً** – يعني مسرعات – **فقال إبراهيم عند ذلك: أعلمُ أن الله على كل شيءٍ قدير** – فقط أردتُ أن أورد هذه الرواية لتتمة الكلام الذي مرَّ علينا في الحلقة الماضية، الآية التي بعدها: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ

﴿سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ هذه الآية تأتي في عِداد آيات الأمثال القرآنية هناك مجموعة من آيات الكتاب تسمى بآيات الأمثال وهي الآيات التي تضرب لنا أمثالاً: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ هناك مَثَل في هذه الآية، الآية تتحدث عن الإنفاق وجاءتنا بِمَثَل ما هو هذا المَثَل ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ حبة كحبة الحنطة لأن الحديث عن السنابل عن سنابل الحنطة ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَت سَبعَ سَنَابِلَ﴾ يعني هذه الحبة خرج منها سبع سنابل ﴿فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ﴾ سبعة في مئة يعني سبعمئة ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء﴾ الله يضاعف أكثر من ذلك ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ مرَّ علينا في الآيات السابقة في الآية الخامسة والأربعين بعد المئتين ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضعَافًا كَثِيرَةً﴾ الآية هنا تشير إلى نفس المعنى الذي مرَّ في تلكم الآية ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء﴾ هناك الأضعاف الكثيرة.

الأمثال في القرآن على نحوين هناك أمثال تتحدث عن وقائع تأريخية وقعت في حياة الناس أحداث وقعت والقرآن يأتي بها مثلاً وهناك أمثال الله سبحانه وتعالى يقربها لنا بنحوٍ من أنحاء التصوير وفي بعض الأحيان هذا التصوير ليس له من واقعية على أرض الواقع يعني مثلاً على أرض الواقع الحبة لا تخرج منها مثلاً سبع سنابل الحبة تخرج منها الشيء المتعارف الشيء الإعتيادي يخرج من الحبة في الشيء الإعتيادي سنبلة واحدة ربما في حالاتٍ غير طبيعية تخرج سنبلتان الحالة الإعتيادية الطبيعية أن الحبة تخرج منها سنبلة واحدة والسنبلة لا تحمل هذا العدد الكثير من الحب ﴿فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ﴾ السنبلة لا تحمل هذا العدد الكثير من الحب هذا الشيء الطبيعي لكن القرآن حين يأتينا بأمثلة هذه الأمثلة نحن نستطيع أن نتعقلها يعني نحن نستطيع أن نتصور في عالم التصور هناك سنبلة يمكن في عالم الخيال أن نتخيل أن هذه السنبلة يخرج منها أن هذه الحبة يخرج منها سبع سنابل وفي كل سنبلة مئة حبة وكأن القرآن يريد أن يقول لنا بأن القوانين والسنن الإلهية أنتم لا تستطيعون إدراكها على الوجه الأكمل لكن من خلال المفردات الموجودة في حياتنا اليومية يمكن أن نصنع أمثلة تقرب لنا المعنى العطاء الإلهي عطاء لا حدود له.

الآية قالت ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء﴾ ثم قالت ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الله واسع عطاءه واسع فيضهُ واسع هذه العقول لا تستطيع أن تحيط بسعة عطاء الله سبحانه وتعالى لكن القرآن أورد لنا مثلاً مفردات هذا المثل موجودة في الحياة العملية لكن الصورة الكاملة للمثل غير موجودة لا توجد في حياتنا العملية حبة

واحدة يخرج من هذه الحبة سبع سنابل وحتى لو خرجت منها سنبلة واحدة فلا يوجد في الحياة العملية هناك سنبلة فيها مئة حبة فهذا المثل هو تقريبي واستند في تكوينه في تكوين الصورة النهائية للمثل على مفردات موجودة في الواقع الخارجي للحياة العملية للإنسان.

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ ﴾ إذاً المثل هو هذا حبة صغيرة يخرج منها ينبت منها سبع سنابل وسنابل كبيرة في كل سنبلة مئة حبة النتيجة سبعمئة لكن هل أن الرقم يقف عند هذا الحد؟ قطعاً لا القرآن هنا استعمل الأرقام الكبيرة الأرقام النهائية في لغة العرب، رقم السبعة من الأرقام النهائية وكأنه رقم متكامل ورقم المئة أيضاً من الأرقام النهائية من الأرقام المتكاملة عند العرب فلذلك قال بأن الحبة أنبتت سبع سنابل وبأن في كل سنبلة مئة حبة القضية ليس متوقفة عند هذه الأرقام هذه الأرقام تقرب لنا المعاني ومع ذلك الآية قالت ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ وهذه المضاعفة لا نستطيع أن نتصورها لأن أعقب هذا الكلام ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ المضاعفة مردها إلى أين في الآية؟ إلى مشيئة الله، مشيئة الله لا حدود لها ثم بينت الآية أن المشيئة الإلهية وإن ما يصدر من هذا الفيض مردهُ إلى الواسع العليم ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ . ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الحديث إذاً عن الإنفاق في سبيل الله، سبيل الله بالمعنى العام هو كل ما يقع في طريق الطاعة في طريق التقرب إلى الله، سبيل هو طريق كل ما يقع في طريق القربات في طريق الطاعات هو هذا سبيل الله لكن المعنى الأعمق المعنى الأدق سبيل الله كما مرَّ علينا في حلقات سابقة في برامج سابقة سبيل الله عليٌّ وآل علي سبيل الله ولاية عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه والروايات تصرح بذلك هذا ليس استنتاجاً أو اشتقاقاً من معنى من المعاني الروايات تصرح بأن سبيل الله هو عليٌّ وآل علي صلوات الله عليهم.

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ الآية في أفق من افاقها تتحدث عن الإنفاق هذا الأفق الأول من أفاق الآية، الآية فيها أفاق كثيرة الأفق الأول الحديث عن الإنفاق الآية تحثنا على أن ننفق في سبيل الله الإنفاق في سبيل الله إما لإعانة المحتاجين وإما في المشاريع وفي الأبواب وفي الطرق وفي السبل التي يحيى فيها أمر أهل البيت هذا أوضح مصداق وأشرف مصداق للإنفاق في سبيل الله إحياءُ أمر أهل البيت، الوظيفة الأولى في حياتنا الإنفاق في سبيل الله الإنفاق في أشرف مراتبِهِ الإنفاق لإحياء أمر أهل البيت الإنفاق لإعلاء كلمة إمامة إمام زماننا الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه هذا أعلى درجات الإنفاق وأشرف درجات الإنفاق.

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ هذه المضاعفة ليست في عالم الآخرة فقط وإنما في عالم الدنيا هذه المضاعفة التي ينالها أولئك الذين ينفقون في سبيل الله ينفقون أموالهم ينالون المضاعفة في الآخرة في يوم الحساب هذه مضاعفة ينالونها قطعاً ومضاعفة في العالم الدنيوي المضاعفة قد تكون ماديةً وقد تكون شيئاً آخر قد يكون نفس العمل الذي أنفقوا فيه بإخلاص الله سبحانه وتعالى يبارك في ذلك العمل ويضاعفه، المضاعفة في العالم الدنيوي لها صور قد تكون المضاعفة في نفس أموالهم وقد تكون المضاعفة في حياتهم أن الله سبحانه وتعالى يضع البركة في حياتهم بالتوفيق أن يوفقهم لأعمال الخيرات المضاعفة في أعمال الخيرات المضاعفة في منعهم عن الزلات وعن الوقوع في الفتن وعن الفشل وعن الانتكاس، المضاعفة لها صور عديدة في العالم الدنيوي، في التوفيق للخير في المنعِ من الوقوع في الشر، في المضاعفة المادية ربما وفي نجاح العمل الذي أنفقت فيه هذه الأموال بإخلاص وفي سبيل الله هذا الكلام في الأفق الأول من افاق الآية هناك افق أعمق هذه الآية تتحدث عن قانون الإحسان ما المراد من قانون الإحسان؟

قانون الإحسان نحن مطالبون أن نُحسن في عملنا رحم الله امريء عمل عملاً فأتقنهُ، قانون الإتقان قانون الإحسان نحن مُطالبون نحن أتباعُ عليّ وآل علي مُطالبون أن نعمل بهذا القانون قانون الإتقان في كل شيء قانون الاتقان في العمل الدنيوي في أي عمل الخباز المهندس الطبيب المعلم الإعلامي السياسي كلنا مطالبون أن نتقن عملنا وإتقان العمل يحتاج إلى المعرفة يحتاج إلى التخطيط يحتاج إلى الدقة يحتاج إلى المتابعة يحتاج إلى التقييم يحتاج إلى المراجعات والدراسات النقدية أهذا سواء كان العمل على مستوى الأُمَّة أو حتى على المستوى الشخصي، نحن بحاجة إلى هذا القانون من أراد أن يدرس الحضارة الغربية من أراد أن يدرس القوة الغربية الموجودة في الوقت الحاضر في العالم الغربي بشكل عام إن كان في الولايات المتحدة الأمريكية في كندا في أوربا الغربية في استراليا في اليابان الدول التي تسمى بدول النظام الغربي الحضارة الغربية من أهم عوامل نجاح هذه الدول من أهم عوامل نجاح هذه الحضارة هو ألتزامها بقانون الاتقان وهذه القضية واضحة من أراد أن ينظر إلى هذه الدول إلى هذه الحضارات إلى هذه المجتمعات هناك قانون موجود وهو قانون الاتقان عندهم سلسلة من القوانين سلسلة من الإجراءات التي يضبط بها العمل، العمل السياسي العمل الاجتماعي أنا هنا لا أريد الحديث أو الخوض في هذه القضية لكن هذه الآية تتحدث عن هذه المسألة عن مسألة الإتقان حينما نتقن العمل تأتي المضاعفة لأن العمل المتقن عمل ناجح والعمل الناجح يؤتي ثماره.

في رواياتنا الشريفة رواية جميلة جداً، **عن عمر بن يزيد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إذا**

أحسن العبد المؤمن عمله ضاعف الله تعالى عملهُ لكل حسنةٍ سبعمئة وذلك قول الله ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء﴾ فأحسِنوا أعمالكم التي تعملونها لثواب الله، فقلتُ له: وما الإحسان؟ قال: فقال: إذا صليت فأحسن ركوعك وسجودك وإذا صُمت فتوقى كل ما فيه فساد صومك وإذا حججت فتوقى ما يحرم عليك في حجك وعمرتك، قال: وكلُّ عملٍ تعمله لله فليكن نقياً من الدنس – هذا القانون – **وكلُّ عملٍ تعمله لله فليكن نقياً من الدنس** – وهذا الكلام لا ينطبقُ على العبادة بما هي عبادة العبادة المرسومة في التشريع، هذا القانون ينطبق على العبادات على المعاملات وعلى كل عملٍ في هذه الحياة، قانون الإحسان، قانون الإتقان فلنسمه بقانون الإحسان أو بقانون الإتقان، قانون إتقان العمل رحم الله امريء عمل عملاً فأتقنهُ هذا القانون هو الذي يقود الإنسان على المستوى الديني أو على المستوى الدنيوي إلى النجاح.

الآية هنا تتحدث عن هذا القانون وعن هذا البُعد في أفقٍ من أفاقها ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ إنفاق الأموال في سبيل الله هو إتقانٌ للعمل ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَت سَبعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء﴾ هناك افاق أخرى في هذه الآية جملة الأفاق الأخرى في هذه الآية وبحسب روايات أهل البيت لا بحسب ذوقي الشخصي بحسب روايات أهل البيت الحبة التي جاءت مذكورة في هذه الآية هي فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها هكذا أخبرنا أئمتنا، الحبة هذه فاطمة الزهراء هذه الحبة هي التي أنبتت تلك الشجرة المباركة هناك شجرةٌ مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية هذه الشجرة المباركة، المباركة يعني التي تزيد وتزيد وتزيد وتزيد البركة في لغة العرب تعني الزيادة، هذه الحبة المباركة وإلا أيَّةُ حبةٍ تُنبت لنا سبع سنابل هذه الحبة المباركة هذه فاطمة صلوات الله وسلامه عليها تنبت لنا سبع سنابل الكلام هنا ليس عن العدد وإنما تنبت لنا الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تنبت لنا معاني الولاية ومعاني القرب ومعاني الشفاعة ومعاني الهدى هذه فاطمة بكل معناها ودلالالتها ونحن الآن في ليالي القدر وليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر ما معناها؟ ما مضمونها الحقيقي في كلمات أئمتنا ليلة القدر هي فاطمة هذه الحبة فاطمة وتلك الشجرة المباركة فاطمة وهذه ليلة القدر هذه ليالي القدر، ليلة القدر الكبرى وهي ليلة الثالث والعشرين إنها رمزٌ لفاطمة، فاطمة الحقيقة التي قال عنها القرآن ﴿خَيرٌ مِّن أَلفِ شَهرٍ﴾ الروايات بينت هذه المعاني ربما هناك من لا يتذوق هذا الكلام هذه قضية تعود إلى مزاج الإنسان وإلى ذوقهِ وحينما أتحدث عن المزاج ليس المزاج المستند إلى المطعومات وإلى المشروبات، تتحدث عن مزاج العقل وعن مزاج الروح وعن

مزاج البصيرة، هذه تحتاج إلى تذوق معين، كما يقول المتنبي:

ومن يك ذا فمٍ مرٍ مريضٍ يجد مُراً به الماء الزلالَ

حينما يكون الإنسان مريضاً سواء كان المرض في فمهِ أو في جهةٍ أخرى من بدنه فإنه حتى الماء الزلال سيتذوقه مراً.

ومن يك ذا فمٍ مرٍ مريضٍ يجد مُراً به الماء الزلالَ

هناك معاني لا يتذوقها كل أحد بحاجة إلى ذائقة معينة هذه الحبة التي تنبت لنا كل الخير هذه فاطمة، إذاً من أراد أن ينال كل الخير عليه أن يتجه صوب فاطمة من أراد ان يحصد هذه السنابل سنابل الخير هذه السنابل هي سنابل الطعام ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ أئمتنا قالوا: فلينظر إلى علمهِ هذا عمن يأخذه، إذا أردنا أن نبحث عن الطعام النقي عن الطعام الطاهر فلنبحث عن هذه السنابل هذه السنابل النقية الطاهرة هذه سنابل فاطمة، سنابل فاطمة يعني حسناً يعني حُسيناً يعني سجاداً باقراً صادقاً يعني مهدياً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إذاً إذا كُنا نبحثُ عن الطعام الطاهر عن الطعام النقي فلنتجه إلى تلكم الحبة تلكم الحبة التي تنبت لنا عجيب السنابل في كل سنبلةٍ مئة حبة، هناك الطعام النقي هناك الطهارة والنقاء على أعتاب فاطمة على أعتابها العاليات وأقول على أعتابها العاليات لأن الأعتاب تكون تحت الأقدام أما أعتاب فاطمة فهي فوق الرؤوس، على أعتابها العاليات.

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ القضية ما تقف عند هذا العدد هذه فاطمة والباب مفتوح ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية التي بعدها ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ آيات الإنفاق بنحوٍ عام وهذه الآيات بنحوٍ خاص آيات الإنفاق تتحدث في الأفق الأول عن الإنفاق في سبيل الله لإعانة المحتاجين وللإنفاق في المشاريع وفي الأبواب وفي السبل والمؤسسات التي تعود بالخير وبالفائدة وبالمنفعة على ابناء المجتمع وكما قلت قبل قليل وأعلاها ما يكون في سبيل إحياء أمر أهل البيت وهذا هو المعنى الحقيقي للإنفاق الوجه الأعمق للإنفاق وهذه الآيات في بُعدها الأعمق تتحدث عن الإنفاق في سبيل أهل البيت وهذا الكلام ليس افتراضاً من عندي الروايات الموجودة عندنا على سبيل المثال الروايات الموجودة عندنا هي تتحدث في هذه المضامين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ الرواية عن سلام بن المستنير – **عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: هذا**

الإنفاق لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد – الروايات هي التي تتحدث في هذا المضمون فهذا الإنفاق المذكور في هذه الآيات وفي غيرها في بُعدهِ في أفقهِ الأعمق لِمُحَمَّدٍ وآل محمَّد ما كان في هذا الجو وما كان لخدمة شيعتهم فهو لهم أيضاً الإنفاق لشيعة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد لسد حاجتهم أو لإقامة المشاريع والمؤسسات التي تعود بالنفع العميم عليهم هو إنفاقٌ في سبيل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى﴾ الآية تتحدث عن أخلاقية الإنقاق عن أخلاقية المنفق ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ إذا كانت في سبيل الله فهل يمكن أن يتبعها الإنسان بالمن والأذى؟ ﴿ثُمَّ لاَ يُتبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ﴾ أنفقوا في سبيل الله هم لا يُتبعون ما أنفقوا مَنَّاً ولا أذى المن هو أن الإنسان يبن لحظةٍ وأخرى يُذكر الطرف أو الجهة أو الشخص الذي قد أنفق عليه إنني قد أنفقت عليك كذا وكذا إنني قد أعطيتك كذا وكذا ﴿ثُمَّ لاَ يُتبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى﴾ الأذى هو كل ما يؤذي الإنسان هناك من الناس ربما ينفق يعطي مالاً لبعض الأشخاص ولكن بعد ذلك يؤذيه، يؤذيه بالكلام يسيء إليه بالتصرفات الآية تقول أيها المنفقون إذا أنفقتم هناك أخلاقية هناك أخلاق لهذا الإنفاق هناك أخلاق وضوابط لهذا الإنفاق ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى﴾ ليس في كل يوم عند كل صباح عند كل مساء أو عندما يراه أو يتحدث خلف ظهرهِ بين الناس أعطيت فلاناً كذا وأنفقت كذا وكذا هذا مَن وأذى هذا يتعارض مع أخلاقية الإنفاق في سبيل الله الذي ينفق في سبيل الله فإنه لا يجد قيمةً لِما ينفقهُ، الإنسان لو أراد أن ينفق دمهُ وجلدهُ ولحمهُ وعظمه وما عنده وحتى الذي ليس عنده إذا أراد أن ينفق أي شيء في سبيل الله فذلك شيءٌ لا يُعد بشيء فنحن وما في أيدينا مُلكٌ لله سبحانه وتعالى فحينما ننفق في طريق الله في سبيل الله كيف يتأتى لنا أن نُتبع ذلك بالمن والأذى حينما نُتبع ذلك بالمن والأذى فهذا يكشفُ عن أي شيءٍ؟ يكشف عن أننا قد رأينا بأننا قد فعلنا العجائب في إنفاقنا هذا ورأينا أن إنفاقنا كبيراً قد جئنا بعملٍ عظيم لذلك لا نبالي بِما نُلحقهُ بالآخرين الذي تم الإنفاق عليهم بالمن أو بالأذى ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى﴾ هؤلاء ماذا ينالون؟ ﴿لَّهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ﴾ ولا هم يحزنون لن يصيبهم الحزن وهذه المعاني قد تكون آثارها في الحياة الدنيوية وقد تكون آثارها في الحياة الأخروية وقد تكون في الحياتين.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى﴾ هؤلاء الذين يعطون ولا يجدون

لعطائهم أو لعملهم قيمة ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ هناك لهم أجر ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ ولا خوفٌ عليهم متى؟ عند الموت في قبورهم في مواقف الفزع الأكبر في يوم القيامة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ولا يصيبهم الحزن وقد تكون هذه الاثار أيضاً في الحياة الدنيوية وقد يكون هذا الإنفاق المصحوب بالأخلاق العالية في هذه النية الواضحة في سبيل الله تدفع البلاء عن الإنسان تدفع الكثير مما يواجههُ الإنسان في حياتهِ اليومية ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾ إنفاق نظيف طاهر بنية طاهرة وبأخلاق عالية ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ والآية تُشعر بأن هذا الإنفاق في سبيل محمَّدٍ وآل مُحَمَّد لذلك يستحقون هذه الآثار العظيمة ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ هذا الجزاء العظيم إنما هو في مقابل أي شيء؟ في مقابل الإنفاق في طريق مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

ثم هناك آية أخرى لا زلنا في جو الإنفاق ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ الله غنيٌ عن نفقاتنا الله غنيٌ عنا عن وجودنا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ نحن الفقراء نحن المحتاجون.

نحن نقرأ في مناجيات سيد الأوصياء في مناجيات إمامنا السجاد وفي مثل هذه الليالي مناجاة أمير المؤمنين في مسجد الكوفة – **مولاي يا مولاي أنت الغني وأنا الفقير وهل يرحم الفقير إلا الغني، مولاي يا مولاي أنت الحي وأنا الميت وهل يرحم الميت إلا الحي، مولاي يا مولاي أنت الدائم وأنا الزائل وهل يرحم الزائل إلا الدائم، مولاي يا مولاي أنت المالك وأنا المملوك وهل يرحم المملوك إلا المالك** – كل هذه المناجيات كل هذه العبائر كل هذه الأدعية كلها تصبُ في هذا السياق ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ الله غنيٌ عن كل شيءٍ نحن نملكهُ أو نحن لا نملكه الآية هنا كأنها ترسم لنا قانوناً ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ القول المعروف هو القول الحسن هو القول الطيب سواء كان هذا القول في مواجهة من جاء يسأل في مواجهة المحتاج أو بشكل عام إذا هناك من المفسرين من يُرجِّح بأن الآية تتحدث عن القول المعروف في مواجهة المحتاج في مواجهة المسؤول في مواجهة السائل حينما يأتي سائل فيسأل فإذا كان مواجهة السائل بالقول المعروف بالكلام الطيب حتى لو لم يُعطى هذا السائل فإن هذا القول المعروف هو خيرٌ من أن يُعطى صدقة يتبعها الأذى ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ والمغفرة تعني

الستر ولذلك يقال لغطاء الرأس الذي يلبسه الفرسان في الحروب المقاتلون يقال له المغفَر، المِغفَر أو المِغفَرَة، هو الغطاء الذي يلبسه المقاتل في الحرب لماذا يسمى بالمِغفَرَة؟ لأنه يغطي الرأس لأنه يستر الرأس، المغفرة هي الستر يعني مثلاً إذا جاء سائل يسأل وما استطعنا أن نعطيه شيئاً أن نستر عليه سؤالهُ ألا نقول بأن فلاناً محتاج وجاء يسألنا هذا العمل هو أفضل من أن نعطيه صدقة ونُتبعها بأذى ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ أن نستر عليه ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ هذا الكلام كلام وجيه الذي ذهب إليه المفسرون ولكن الآية ربما تدل على هذا المعنى وتدل على ما هو أوسع، القول المعروف بشكل عام، الخلق الحسن، الكلام الجميل، الكلام الطيب في مواجهة الناس في العلائق مع الناس في التعامل مع الناس الكلام المؤدب القول المعروف هو الكلام المؤدب الذي يحفظ مقامات الناس الذي يحفظ أو يحافظ على أسلوب الأدب والتأدب في المحاورات بين الناس هذا هو القول المعروف والمغفرة ايضاً المغفرة أن الإنسان يتجاوز أن يواجه الإساءة بالإحسان أن يتجاوز أن يستر على الآخرين لا أن تُكشف عيوب الناس القول المعروف هو القول الحسن والمغفرة أن الإنسان يستر على أخيه فلربما عند قريبك عند أخيك، أخيك في الإيمان في حب أهل البيت عنده من العيوب التي لو ظهرت تسيء إليه بين الناس الأولى بمثل هذه العيوب أن تُستر وإذا كنت مطلعاً عليها فلا تكشفها لأحد.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ الله غنيٍ عن قولنا المعروف وعن مغفرتنا وعن صدقاتنا وعن أي شيءٍ هو الغنيُ الحميد نحن الفقراء إليه فهذا قانون، قانون من القوانين ومن السنن القرآنية ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ الآيةُ التي بعدها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ المن والأذى يبطل الصدقات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا﴾ إبطال الصدقات ما يترتب عليها من الثواب ومن الأجر إن كان في العالم الدنيوي أو في العالم الأخروي هناك أجر يناله الإنسان في العالم الدنيوي في قضية التوفيق والخذلان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أنتم تؤمنون بالله الخطاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أنتم أيها المؤمنون ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ إذا تنفقون لا تتبعوا هذا الإنفاق بالمن والأذى فإنكم بذلك تبطلون هذه الصدقات وسيكون حالكم من الجهة العملية كحال أولئك الناس كما وصفت الآية ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ رئاء يعني رياءً حباً في السمعة والشهرة حباً في مديح الآخرين وإطرائهم

﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ﴾ هو مرائي ﴿وَلاَ يُؤمِنُ بِاللّهِ وَاليَومِ الآخِرِ﴾ ولو كان يؤمن بالله واليوم الأخر لما أنفق رياءً لأنفق ذلك في سبيل الله لكنه يلقلق بالإيمان يلقلق بالكلمات ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ﴾ طلباً للسمعة عند الناس.

﴿وَلاَ يُؤمِنُ بِاللّهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ﴾ هذا مثل أيضاً آخر ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفوَانٍ عَلَيهِ تُرَابٌ﴾ صفوان يعني صخرة كبيرة صخرة صلدة ملساء الصفوان هي الصخرة الكبيرة الصلدة الملساء ﴿كَمَثَلِ صَفوَانٍ عَلَيهِ تُرَابٌ﴾ صخرة صلدة ملساء عليها تراب قطعاً التراب لن يلتصق بقوةٍ بالصخرة الملساء يكون موجود فوق الصخرة ﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ وابل يعني زخة مطر شديدة مطر شديد ﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ صخرة ملساء صلدة في وسط الصحراء عليها غبار فنزل عليه المطرُ بزخٍّ شديد نزل عليها وابلاً قطعاً سيغسلها غسلاً تاماً ولن يبقى شيءٌ من ذلك التراب ﴿كَمَثَلِ صَفوَانٍ عَلَيهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلدًا﴾ هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وينفقون أموالهم رئاء الناس طلباً للسمعة وطلباً للجاه هؤلاء حالهم كحال هذه الصخرة التي علاها شيء من غبار فنزل عليه المطر وابلاً غزيراً شديداً قوياً فغسلها فلم يبقى هناك أي أثرٍ من غبار هؤلاء كذلك لا يبقى أي شيءٍ أيُ أثرٍ من عملهم لا ينالون شيئاً ﴿لاَّ يَقدِرُونَ عَلَى شَيءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ مما كسبوا: أي مما عملوا لأن العمل هو كسب حينما يعمل الإنسان خيراً يكسب الخير وحينما يعمل الإنسان شراً يكسبُ الشر وحينما يعمل لا شيء لا خيراً ولا شراً فإنه يكسب لا شيء لا خيراً ولا شراً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤمِنُ بِاللّهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفوَانٍ عَلَيهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلدًا لاَّ يَقدِرُونَ عَلَى شَيءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللّهُ لاَ يَهدِي القَومَ الكَافِرِينَ﴾ وَاللّهُ لاَ يَهدِي القَومَ الكَافِرِينَ: من هم؟ أولئك الذين أنفقوا أموالهم رئاء الناس وهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر هؤلاء الذين مثلهم ﴿كَمَثَلِ صَفوَانٍ عَلَيهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلدًا﴾ في روايات أهل البيت بشكل سريع في روايات أهل البيت الرواية في تفسير العياشي رضوان الله تعالى عليه – **عن أبي بصيرٍ عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه عن إمامنا الصادق قال: والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس فلانٌ وفلانٌ وفلان ومعاوية وأشياعهم** – وعندنا روايات عن أهل بيت العصمة أن هذه الآية هذه الآيات نزلت في عثمان بن عفان في كتب الحديث في كتب التفسير عن أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ورد هذا المعنى صريحاً واضحاً جلياً.

الآية التي بعدها ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ هذي مقايسة مع جهة ثانية ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ المثل السابق الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هذا مثل لمجوعة ثانية لمجموعة تنفق أموالها ابتغاء مرضات الله لتحصيل مرضات الله هؤلاء ينفقون بنية مخلصة لأي شيءٍ؟ كي ينالوا مرضات الباري سبحانه وتعالى ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ تثبيتاً من أنفسهم: يعني أنهم هناك أكثر من معنى في هذه الآية هناك قال تثبيتاً من أنفسهم هناك من قال من المفسرين أنهم يتثبتُّون حينما ينفقون فلا ينفقون أموالهم في أي مكان وإنما يتثبتون يبحثون عن الجهة التي ينالون من خلالها الوصول إلى هدفهم وهو الوصول إلى مرضات الله سبحانه وتعالى لا مجرد أسماء ومسميات مثلاً معروفة وشائعة بين الناس وإنما يبحثون عن الجهة التي من خلالها يصلون إلى مرضات الله يتثبتون هناك من المفسرين من فسر الآية بهذا المعنى وهناك آراء أخرى ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ تثبيت من أنفسهم يعني أنهم بعملهم هذا إنما هم يثبتون أقدامهم في طريق الحق العمل بهذه النية إنفاق الأموال بنية الوصول إلى مرضات الله هو هذا سيبعث على أي شيءٍ في نفوسهم؟ يبعث على تثبيت أقدامهم في طريق الله.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ طلباً للحصول على مرضات الله ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وهذا العمل هو في نفس الوقت يؤدي إلى تثبيت أقدامهم إلى تثبيت نفوسهم في ساحة الإيمان في دائرة الإيمان ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ما هو مثلهم؟ السابقون الذين مروا علينا وهم الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس كمثل صفوان عليه تراب فنزل عليه المطر بغزارة فغسل المطرُ ذلك التراب فبقي الصفوانُ صلداً لا ينالون شيئاً منه أما هؤلاء الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ الربوة: المكان المرتفع من الأرض والذي يكثر فيه الشجرُ والماء مكان مرتفع من الأرض يكثر فيه الشجر يكثرُ فيه الماء ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ الجنة: هي البساتين التي تكثر فيها الأشجار في لغة العرب يقال بستان البستان يعني فيه نخيل فيه أشجار لكن متفرقة الجنة هي نوع من البساتين تكون

الأشجار متقاربة وقد التفت أغصانها البعض بالبعض الآخر بحيث ما تحت الأشجار يكون قد غُطي لماذا يقال له جنين؟ جنين لأنه مستور في بطن الأم لماذا يقال جن؟ لأننا لا نراهم بأعيننا ستروا عن أعيننا الجنة يعني المكان المغطى هذه المادة مادة جيم نون نون جنة يعني غطى يعني ستر هذه المادة في اللغة هو هذا معناها فيقال لها جنة من كثرة الأشجار بحيث التفت الأشجار بعضها بالبعض الآخر فغطت الأرض فما وصل ضوء الشمس إلى الأرض أو غطت ما تحتها من أعشاب وحشائش وأزهار وورود وذلك يكون أجمل في وصف البساتين.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ مكان مرتفع ليس ارتفاعاً عالياً ولكن الارتفاع ارتفاع جميل مكان مرتفع مثل الهضاب الواسعة التي فيها شيء من ارتفاع مكان مرتفع وهو مكتظ بالأشجار وبوفرة المياه ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ أصابها وابل من المطر هناك نفس الشيء هناك أيضاً الوابل لكن ماذا أصاب؟ أصاب صخرة لا يتثبت عليها شيء تلك قلوب الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس هؤلاء الذين ينفقون ابتغاء مرضات الله قلوبهم كجنة بربوة فحينما يأتي وابل المطر فإنها تشربه وتنتفع منه ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ نزل عليه المطر وهي محتاجه لهذا المطر ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ﴾ اختلاف النوايا، النوايا مختلفة ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ طل: تأتي بمعنى الرذاذ من المطر يعني أن الربوة وهذه الجنة ستؤتي شيئاً من أُكلها لكن ليس كالوابل الذي جعل الجنة آتت أُكلها ضعفين الطل هو الرذاذ من المطر أو هو الندى الذي يقع على الأشجار في الليل يقال له طل، الطل إذاً هو القليلُ من الماء فكأن الآية هنا تريد أن تقول بأن هؤلاء الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله هم على مراتب في نواياهم فمنهم من تكون جنته تأُتي أُكلها ضعفين لأن الوابل المطري قد نزل عليها فشربته وهناك من كانت نيته في مستوى الطل وهو رذاذ المطر أو الندى الليلي الذي يقع على الأشجار في الليل.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ فرذاذ أو ندى ليلي ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ كل أعمالكم هي بمنظورٍ وبنظرٍ من الله سبحانه وتعالى ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ إن كانت هذه الأعمال بمستوى ذلك الوابل أو بمستوى ذلك الطل.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ

﴿ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحتَرَقَت كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ﴾ الآن جاءنا القرآن بمثال آخر غير ذلك المثال، المثال السابق صخرة ملساء عليها شيء من تراب نزل عليها وابلٌ مطري فغسلها كما قالت الآية ﴿لاَّ يَقدِرُونَ عَلَى شَيءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ الآية هنا تعطينا مثل آخر صورة أخرى لتقريب المعنى ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُم أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعنَابٍ﴾ جنة كما قلت قبل قليل يعني بستان قد اكتظ بالأشجار بحيث أن ضوء الشمس لا يصل إلى أرض ذلك البستان من كثرة الأشجار ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُم أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعنَابٍ﴾ قطعاً حينما يكون الحديث عن النخيل والأعناب لا يعني أن هذه الجنة أو هذا البستان ليس فيه إلا النخيل والأعناب وإنما المقصود أن أكثر ما فيه هو من النخيل والأعناب ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُم أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعنَابٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ليس فقط نخيل وأعناب لكن الغالب على هذه الجنة النخيل والأعناب ﴿الأَنهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ كل أنواع الفواكه كل أنواع المزروعات موجودة في هذه الجنة وهي جانبي الأنهر التي تجري تحتها تجري من خلالها.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُم أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعنَابٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ نخيل وأعناب وتين وتفاح وكل ما يخطر في البال ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُم أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعنَابٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الكِبَرُ﴾ وهنا الكبر يعجزه عن أن يواصل العمل في هذه الجنة يعجزه أن يرعى هذه الجنة هذا الكبر حينما يحل على الإنسان فيشل الإنسان والكبر الإنسان لا يتصوره حتى يبلغه لذلك في أوائل الشباب الشاب حينما يرى رجلاً كبير السن لا يتمكن من الحركة أو يتحرك بصعوبة يقول في نفسه لماذا لا يتحرك بسرعة لأنه لا يستشعر معنى الحالة معنى الكبر في السن إلى أن يصل إلى ذلك الحد من السن حينئذٍ يعرف معنى الكبر في السن.

﴿وَأَصَابَهُ الكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء﴾ ذرية يعني أولاد ضعفاء يعني صغار في السن لا يستطيعون أن ينهضوا بمسؤولية هذه الجنة هذا البستان الكبير بستان كبير مليء بالنخيل وبالعنب والكروم وبأشجار الفواكه وبالأزهار والرياحين وبكل ما لذ وطاب والأنهار تجري من تحت هذه الجنة تجري الأنهارُ في خلالها وهو قد أصابه الكبر وله ذريةٌ ضعفاء ﴿فَأَصَابَهَا إِعصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ إعصار يعني رياح شديدة مليئه بالتراب وبالغبار

﴿فَأَصَابَهَا إِعصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ في لغة العرب أصل هذه الكلمة إعصار كأن الريح حينما تكون قوية الزوابع والعواصف العواصف الهوائية العواصف الترابية حينما تكون شديدة تأتي ملتفةً التفافاً حول نفسها شبيه بالثوب حينما نغسله ونعصره حينما نعصر الثوب تكون الزوابع شبيه بالثوب المعصور قبل أن ينشر على الحبل هناك من اللغويين من يقول بأن أصل التسمية في الإعصار من هنا جاءت الثوب يغسل ثم يعصر وهو على هيئة عصره فكأن الزوبعة أو الإعصار الهوائي أو الترابي أو الناري كأنه شبيه بهذا الشكل ﴿فَأَصَابَهَا إِعصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحتَرَقَت﴾ الآن عندنا جنة كبيرة مالكها رجل كبير السن أولاده صغار فجاء إعصار فأحرقها فلا هو بالقادر أن ينقذ هذه الجنة ولا هو بالقادر على إعادتها مرة ثانية وفي رقبته أطفال صغار لابد أن يعيلهم وهؤلاء الأطفال الصغار لا يستطيعون أن ينفعونه بشيء هذا هو حال أولئك الذين ينفقون أموالهم في غير ذلك الطريق الذي أشارت إليه السابقة الآية السابقة ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم ابتِغَاء مَرضَاتِ اللّهِ﴾ الذين لا ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله هو هذا حالهم، حالهم الألم والخسارة وأنهم لا ينالون شيئاً ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُم أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعنَابٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحتَرَقَت كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ﴾ .

الله سبحانه وتعالى يبين لكم هذه الحقائق يبين لكم هذه الصور وهذه الأمثلة ﴿لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ﴾ إذا ما تفكرتم فيها فإنكم ستجدون أن هذه الحقائق المذكورة في هذه الآيات هي موجودة حولكم لكنكم لا تنتبهون إليها هذه الأمثلة موجودة على أرض الواقع الإنسان حينما يتعب في تحصيل الأموال ثم ينفقها في أي اتجاهٍ من الاتجاهات حتى لو أنفق الأموال على نفسه على طعامه وعلى شرابه بالنتيجة ما الذي سيحصل عليه ماذا يحصل؟ يحصل على شيءٍ من فائدةٍ دنيوية وينتهي كل شيء هذا إذا كان ينفق على نفسه لحاجاته فما بالك إذا أنفق هذه الأموال في جهاتٍ لا تعودُ بالنفع على الناس بل ربما تعودُ بالضرر على الناس وما بالك إذا أنفق هذه الأموال في جهاتٍ بعيدةٍ عن الله وما بالك إذا أنفق هذه الأموال في جهاتٍ تحارب أهل البيت ما الذي سيجني هذا الإنسان؟ في أحسن الأحوال أن يكون حاله كحال هذا الذي عنده جنة واحترقت هذا في أحسن الأحوال.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبتُم وَمِمَّا أَخرَجنَا لَكُم مِّنَ الأَرضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنهُ تُنفِقُونَ وَلَستُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغمِضُوا فِيهِ وَاعلَمُوا أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ الآية

تتحدث في أكثر من أفق الآية في الأفق الأول تتحدث عن مجموعة من صحابة النبي صلى الله عليه وآله كان عندهم أموال من أيام الجاهلية قبل الإسلام وهذه الأموال جمعوها من طرق غير شرعية جمعت كان هناك الكثير من الصحابة والكثير من العرب كانوا مثلاً يجمعون أموالهم من البغاء عندهم بغايا يشترون الجواري ثم يفرضون على الجواري أن يعملن في البغاء في العمل الجنسي التجاري ويجمعون الأموال من هذه الطرق هذا طريق من الطرق أو من طريق الربا وكان الربا متفشياً عند العرب لأن العرب ما موجود عندهم لا زراعة ولا صناعة وحتى التجارة فهي محدودة عند عوائل معينة العرب الوضع الاقتصادي كان عندهم في غاية من الضعف والناس في غاية من الفقر الأموال محصورة عند بعض العوائل ولذلك لهذا السبب كان منتشر فيما بينهم الغزو والسلب والنهب وقطع الطريق ولكثرة ما كان عندهم مع جاهليتهم كانوا يلتزمون بقانون الأشهر الحرم لأن القضية كانت متفشية جداً بحيث في بعض الأحيان لا يمكن أن تستقيم الحياة لذلك التزموا بقضية الأشهر الحرم وهي من جملة تشريعات الديانة الحنفية لكن هذا يدلنا على أن التزامهم مع جاهليتهم مع عدم اعتقادهم بأي دين التزموا بقضية الأشهر الحرم لأجل منافعهم من كثرة الغزو والسلب والنهب وقطع الطريق وسفك الدماء.

فكان مجموعة من الصحابة عندهم أموال من طرق غير سليمة غير سليمة حتى ربما في الذوق وفي العرف العربي آنذاك فكانوا وعندهم أموال طيبة فكانوا حينما يتصدقون يتصدقون من هذه الأموال التي منابعها وأصولها غير سليمة الآية هنا تنهاهم عن ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أنفقوا من الأموال أنتم هنا تتعاملون مع الله سبحانه وتعالى الله هو الذي طلب منا أن نقرضه ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فتقرضون الله من أموال أصولها غير طيبة خبيثة كيف تفعلون ذلك؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ مما أخرجان لكم من الأرض يعني من العمل لا من الربا لأن الربا إنما يأتي من أموال الناس ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ من عملكم في الأرض ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ تيمموا يعني لا تقتربوا من الخبيث من الأموال التي أصولها خبيثة لا تقتربوا منها ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ﴾ لستم بآخذيه لستم بمتعاملين مع الأموال غير النظيفة إلا أن غمروا فيه إلا أن تتغاضوا عن الحقيقة تغمضوا فيه هذا التعبير أن تغمضوا فيه كأنكم تغمضون أعينكم يعني تسدون آذانكم تغمضون أعينكم عن الحقيقة وإلا كيف تتعاملون مع هذه الأموال الخبيثة؟ هذه الأموال المحرمة الإنسان حينما يكون عنده مال محرم ويأتي ينفق من هذا المال ويأتي يتصرف في هذا المال لابد

ماذا؟ لابد أن يغلق مشاعره مداركه ويحاول أن ينسي نفسه بأن هذا المال محرم ثم يتصرف فيه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبتُم وَمِمَّا أَخرَجنَا لَكُم مِّنَ الأَرضِ﴾ من عملكم لا من الربا هذه الأموال التي تكسب من غير وجهٍ مشروع أو من الأموال المكتسبة من المقامرات وكان هناك من العرب من مهنته المقامرة يكسب امواله وكسب أموالاً كثيرة من المقامرات وكان عند العرب ألوان عديدة للتقامر والمقامرة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبتُم وَمِمَّا أَخرَجنَا لَكُم مِّنَ الأَرضِ﴾ من عملكم ﴿وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ﴾ لا تقتربوا منه تيمموا يعني لا تقتربوا ﴿وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ﴾ لا تتعاملوا مع الأموال الخبيثة ﴿وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنهُ تُنفِقُونَ وَلَستُم بِآخِذِيهِ﴾ أنتم لا تستطيعون أن تأخذوا هذه الأموال الخبيثة وتتعاملوا معها إلا أن تغمضوا ﴿إِلاَّ أَن تُغمِضُوا فِيهِ﴾ يعني إلا أن تتناسوا بأن هذه الأموال خبيثة كأنكم تغمضون أعينكم عنه.

﴿إِلاَّ أَن تُغمِضُوا فِيهِ وَاعلَمُوا أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أعلموا أن الله غنيٌّ عن نفقاتكم الطيبة وغير الطيبة فلماذا تنفقون وتقولون بأنكم تنفقون في سبيل الله من أموال هذه الأموال أصولها خبيثة؟! ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبتُم وَمِمَّا أَخرَجنَا لَكُم مِّنَ الأَرضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنهُ تُنفِقُونَ وَلَستُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغمِضُوا فِيهِ وَاعلَمُوا أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * الشَّيطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقرَ وَيَأمُرُكُم بِالفَحشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغفِرَةً مِّنهُ وَفَضلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية هنا جاءت تخبرنا بقانون بحقيقة موجودة في حياتنا ﴿الشَّيطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقرَ وَيَأمُرُكُم بِالفَحشَاء﴾ الفحشاء كل عملٍ باطل فحشاء يعني كل عمل بعيد عن الحق ألا يقال للشيء البعيد جداً هذا الشيء بعده فاحش؟! يعني بعده بعيد الفاحش هو البعيد والفحشاء يعني الأعمال المنكرة البعيدة عن المعروف يعني الأعمال الفاسدة البعيدة عن الصلاح يعني الأعمال الضالة البعيدة عن الهدى الفحشاء هي هذه وإن كان تستعمل في القرآن الكريم في كثيرٍ من الموارد الفحشاء الزنا وأن قلت قبل قليل بأنه كان من الموارد المالية لكثير من الناس في الجاهلية كانوا يعملون بالبغاء يؤسسون مراكز للبغاء ويجنون أموالاً وأرباحاً طائلة من هذا العمل فلربما أيضاً الآية تشير إلى هذه القضية ﴿الشَّيطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقرَ وَيَأمُرُكُم بِالفَحشَاء﴾ وإن كان الشيطان لا يأمر بالزنا فقط يأمر بكل شيء يأمر بالفحشاء.

﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ هذا قانون أن الحديث هنا في الآيات عن مسألة الإنفاق، الإنفاق في سبيل الله والإنفاق في جهات أخرى تختلف عن سبيل الله الإنفاق من الأموال الطيبة الإنفاق من الأموال الخبيثة في أجواء الإنفاق هنا يأتينا هذا القانون ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ الشيطان هو الذي ينهاكم عن أن تنفقوا بالشكل الذي يريده الله سبحانه وتعالى والشيطان هو الذي يدفعكم أن تنفقوا من الأموال الخبيثة لماذا؟ لأنه يعدكم الفقر يخيفكم الشيطان فيمنعكم من الإنفاق خوفاً أن تنتهي أموالكم فيصيبكم الفقر يقول لكم أنفقوا من الأموال الخبيثة واحتفظوا بالأموال الطيبة فإن الاحتفاظ بالأموال الطيبة يعود عليكم بالخير لأنكم إذا أنفقتم الأموال الطيبة لا يبقى عندكم شيء ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ يخيفكم يعدكم يعني يخيفكم يقول لكم بأنكم لو فعلتم كذا وكذا من الأعمال الصالحة فإن نهايتكم الفقر موعدكم الفقر ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ فحينما يضعف الإنسان أمام هذا التصور حينئذٍ تأتي المرحلة الثانية ويأمركم بالفحشاء ويأمركم بارتكاب المحرمات يأمركم بكسب المال من الحرام في البداية يقول لكم بأن ما عندكم من الأموال احتفظوا به لا تنفقونه فإنكم ستفتقرون عاقبت أمركم إلى الفقر انظروا إلى فلان الذي افتقر انظروا إلى أن الناس لا تستطيع العيش من دون الأموال انظروا وانظروا وانظروا فحينما يضعف الإنسان أمام هذا التصور تأتي المرحلة الثانية أن الشيطان يأمره بارتكاب الحرام لتحصيل الأموال ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ الله سبحانه وتعالى يعدكم المغفرة متى؟

إذا أنفقتم في سبيل الله إذا قدمتم أي عملٍ في سبيل الله ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً﴾ الله سبحانه وتعالى يعدكم الفضل يعدكم ماذا؟ يعدكم الزيادة الله سبحانه وتعالى يعدكم العاقبة الحسنة ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ هنا تتعاملون مع الواسع العليم تتعاملون مع الغني الحميد تتعاملون مع القادر المقتدر ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية هنا في هذا الأفق الذي شرحته وبينته تتحدث في جو الإنفاق لأن الآيات السابقة كلها في هذا الجو وحتى الآيات اللاحقة ستأتينا آيات أخرى تتحدث في هذا الجو في جو الإنفاق ولكن هناك أكثر من أفق في هذه الآية هناك الأفق الأهم والأوسع والذي يدخل فيه الإنفاق وغير الإنفاق.

مشكلتنا مع الشيطان هي الشيطان بواسطة أساليبه وأحابيله ونفثه ووسوسته وما عنده من أساليب التأثير على الإنسان دائماً يجعل الإنسان يعيش في أوهام هذي هي طريقة الشيطان، الشيطان دائماً يحاول أن

يبعد الإنسان عن الحقيقة أكثر شيء يؤذي الشيطان أن يكون الإنسان دائماً يعيش مع الحقيقة لأن الإنسان حينما يعيش مع الحقيقة يصعب على الشيطان أن يلعب به متى يلعب الشيطان بالإنسان؟ حينما يعيش الإنسان في أوهام حينما يصنع لها وهماً ويعيش في ذلك الوهم لذلك مراراً وتكراراً في البرامج الماضية كررت هذا القول وأكرره الآن وأكرره دائماً بأننا بحاجة إلى الوضوح كيف نعيشُ مع الحقيقة لا نستطيع أن نصل إلى الحقيقة ما لم يكن هناك وضوح في الرؤيا وضوح الرؤيا هو وضوح الفكر هو وضوح الأصول والقواعد التي نستندُ إليها في التفكير وفي موازنة الأمور وفي تقييم ما حولنا من الناس ومن غير الناس في تقييم الناس في تقييم الأفكار في تقييم الأساليب في تقييم النتائج في تقييم الأعمال وفي تقييم كل ما يتعلق بالحياة اليومية من دون الوضوح سيكون هناك ضبابية في الحياة ضبابية في التفكير وهنا يكمن الشيطان يكمن الشيطان في العالم الضبابي في عالم الوضوح يفر الشيطان لأنه لا يستطيع أن يتخفى إذا كانت القضية واضحة أين يتخفى الشيطان؟

الشيطانُ يتخفى حينما تكون الأجواء غائمة أما حينما يكون هناك وضوح لذا دائماً أقول بأن العلم والفكر الذي لا يعطينا وضوحاً لا نفع فيه وبأن العالم الذي لا تكون الأمور عنده واضحة ولا يعطي الآخرين وضوحاً لا نفع فيه العلم النافع العلم الذي يكسبنا الوضوح والعالم النافع العالم الذي يكون الوضوح أولاً عنده وإلا كيف يعطي الآخرين وضوح إذا لم يكن الوضوح حاصلاً عنده ففاقد الشيء لا يعطيه العالم النافع الذي يملك الوضوح ويكون قادراً على أن يهب الآخرين الوضوح الشيطان يخاف من الحقيقة والإنسان ينجو بالحقيقة لذلك الشيطان دائماً يهاجم الإنسان من أي جهة؟ من جهة الوهم يوهمه في طريق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفي طريق الانتظار انتظار إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه هذا الطريق المحفوف بالبلاء وبالمخاطر ليس في يومنا هذا وإنما منذ أن كان هذا الطريق، الطريق حينما يكون محفوفاً بالبلاء حينما يكون محفوفاً بالمخاطر يبدأ هنا الشيطان يشتغل على هذه الناحية لأن الطريق الذي يحتمل فيه البلاء تحتمل فيه المخاطر يفقد الإنسان وضوح الرؤيا من هذه الجهة لا من جهة الوضوح في نفس الطريق من جهة السؤال الذي يكون حرجاً متردداً ماذا سيصيبني في الأيام القادمة وهو الجهل بالمستقبل المحدود وإلا طريق أهل البيت طريق واضح مستقبله الأخير واضح لكن بما أن هذه الطريق من خصائصه الابتلاء فالابتلاء لا يكون واضحاً متى سيأتي متى تكون نهايته؟ هنا امتحان المؤمن هنا امتحان أهل الإيمان هنا يدخل الشيطان على الخط فيبدأ يوهم الإنسان بالمخاوف بالمشاكل ويوهمه بعدم وجود النتائج الحسية الملموسة هنا يكون هجوم الشيطان لأنه سيأتي من الجهة التي تكون غير واضحة بينما يمكن أن يقول بأن الطريق المخالف لأهل البيت الطريق الذي يبعد الناس عن أهل البيت طريق واضح مشخص في نتائجه المادية الآن في العالم الدنيوي الإنسان حينما يسير في طريق مخالف لأهل البيت النتائج

الحسية والمادية يستطيع أن يتلمسها بسرعة ويستطيع أن يرى النهايات المحسوسة في ضمن الأفق الدنيوي واضحة أمام عينيه فإذا كان مشغولاً بهذه الأمور بهذه القضايا حينئذٍ الشيطان يقوده بسهولة وبيسر في ذلك الاتجاه الشيطان من هنا يأتي الشيطان يوهم الإنسان بأنه لا مستقبل له فإن هذا الطريق طريق أهل البيت لا مستقبل له في الحياة السياسية مثلاً في الحياة الاقتصادية في الحياة الاجتماعية لأن الحكومات لأن السلطة والقوة والإمكانات المادية دائماً تكون في الطريق المناوئ لأهل البيت القوة العسكرية القوة الأمنية كل الإمكانات تقع في الجهة الثانية الجهة المناوئة لأهل البيت هذا على طول التأريخ وإلى يومنا هذا يبدأ الشيطان ينفذ سمومه من هذا الاتجاه فيوهم الإنسان يجعله يعيش في دوامة، دوامة الخوف من المستقبل أو دوامة الخوف من الأتي ربما خلال ساعة أو خلال ساعتين يدخله في دوامة الشك فيما سيجري علية وفيما تأول إليه العاقبة الدنيوية وليس العاقبة الأخروية الشيطان ينسي الإنسان مسألة العاقبة الأخروية لأن العاقبة الأخروية واضحة في طريق أهل البيت لا يستطيع الشيطان أن يخفيها إنما يبدأ الشيطان يشد الإنسان إلى العاقبة الدنيوية إلى الأمور الدنيوية إلى المناط الدنيوي إلى المحيط الدنيوي يشده مثلاً ماذا سيكون الأمر في سكنك هل ستملك بيتاً أو لا تملك بيتاً ماذا سيكون الأمر مثلاً في وظيفتك العملية ماذا سيكون في قضية المال ماذا سيكون في تزويج ابنك ماذا سيكون في تزويج بنتك ماذا وماذا ويبدأ يدق على هذه الأمور وهذا هو عمل الشيطان من هنا يتسرب الضعف إلى الإنسان الشيطان يبدأ يصنع صوراً وهمية للإنسان صورة وهمية بأنه سينال ما ينال لو ترك هذا الطريق ويصنع له صورا وهمية بأنه سيلقى ما يلقى لو بقي في هذا الطريق ولذلك هناك الكثير من الناس يبقى في حال تردد وهذه القضية موجودة على طول الخط فهو لا يدري أيكون هنا أم يكون هناك يبقى متردداً لأن صورة الوهم لنيل ما يريد موجودة في ذهنه وصورة الوهم لما سيلقاه في هذا الطريق موجودة في ذهنه وهنا يبدأ إبليس يطرق هنا الشيطان يطرق.

﴿الشَّيطَانُ يَعِدكُمُ الفَقرَ﴾ فإذا صدّقتم بوعده تأتي المرحلة الثانية ﴿وَيَأمُرُكُم بِالفَحشَاء﴾ إذا قبلتم بأن هذا الطريق عاقبته إلى أذية دنيوية كما قلت بأن إبليس لن يحدثكم عن العاقبة الأخروية فالعاقبة الأخروية واضحة في طريق أهل البيت وهو لا يقترب من الواضحات لأنه إذا أقترب من الواضحات أنكشف هو يبحث عن المدلهمات عن الأمور الضبابية عن الأمور الغائمة يبدأ يعمل هنا ويبدأ ينسج نسيجه بما يناسب ذلك الشخص ﴿الشَّيطَانُ يَعِدكُمُ الفَقرَ﴾ فإذا وقع الإنسان في ذلك النسيج في تلكم الشبكة في أحابيل الشيطان تأتي المرحلة الثانية يقول له بأنه أنت أعمل كذا وكذا حتى تستطيع أن تصل إلى ما تريد ﴿الشَّيطَانُ يَعِدكُمُ الفَقرَ وَيَأمُرُكُم بِالفَحشَاء وَاللّهُ﴾ في الجهة الثانية وهي جهة أهل البيت ﴿وَاللّهُ يَعِدكُم

﴿مَّغفِرَةً مّنهُ﴾ الهدايا التوبة حسن الختام العاقبة الحسنة النجاة من عذاب القبر النجاة في يوم القيامة الشفاعة المراتب العالية في الجنان ﴿وَاللّهُ يَعِدكُم مَّغفِرَةً مّنهُ﴾ هناك مغفرة ﴿وَاللّهُ يَعِدكُم مَّغفِرَةً مّنهُ وَفَضلاً﴾ هناك مغفرة تجاوز عن السيئات تجاوز عن الأخطاء ما دام الإنسان يسيرُ في نفس الطريق الذي يريده الله نحن لسنا معصومين نخطأ ونصيب ونبتعد قليلاً ونقترب ونشط يميناً ونشطُ شمالاً لكننا نبقى نحافظ على المسير في هذا الطريق فهناك المغفرة وبعد المغفرة يأتي الفضل والفضل هو الزيادة.

﴿الشَّيطَانُ يَعِدكُمُ الفَقرَ وَيَأمُرُكُم بِالفَحشَاء وَاللّهُ يَعِدكُم مَّغفِرَةً مّنهُ وَفَضلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الله عطاءه لا حدود له ﴿وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية التي بعدها استمراراً مع الآية السابقة ﴿يُؤتِي الحِكمَةَ مَن يَشَاء﴾ الله واسع في العطاء وعليم وحكمته علمه جلت قدرته وتعالى شأنه ﴿وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ واسعٌ في عطاءه ﴿عَلِيمٌ * يُؤتِي الحِكمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلبَابِ﴾ الحكمة لها معانٍ عديده ولا أريد الخوض فيها لنذهب إلى الحكمة الحقيقية الحكمة الحقيقية قال عنها أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين روايات كثيرة جداً عن الأئمة هذه واحدة على سبيل المثال يرويها الشيخ الكليني في الكافي – **عن أبي بصيرٍ عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى** ﴿وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا﴾ – ما هي هذه الحكمة؟ – **فقال: طاعة الله ومعرفة الإمام** – وطاعة الله لن نستطيع الوصول إليها إلا بمعرفة الإمام المعرفة إذاً كيف نطيع من دون أن نعرف، المعرفةُ أولاً: **ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعةُ للإمام بعد معرفته.** من أطاعكم أطاع الله طاعة الله هي طاعة الإمام ولكن الطاعة لا يمكن أن تتحقق إلا بعد المعرفة كلمة الإمام الباقر عليه السلام هي أيضاً في الكافي الشريف – **ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعة للإمام بعد معرفته** – الحكمةُ هي هذه.

عن أبي بصيرٍ عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا﴾ **الحكمةُ هي طاعة الله ومعرفة الإمام** – الحكمة إذاً هي معرفة الإمام وإنما هذا تفصيلٌ لمجمل قال – **طاعة الله ومعرفة الإمام** – الحكمةُ هي معرفة الإمام وقد ورد هذا المعنى أيضاً في رواياتٍ كثيرة عديدة عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن الحكمة هي ولايةُ عليٍّ أن الحكمة هي معرفةُ الإمام ومن لم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية.

﴿الشَّيطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقرَ وَيَأمُرُكُم بِالفَحشَاء﴾ يريد أن يبعدكم عن أهل البيت لماذا يأمركم بالفحشاء؟ يبعدكم عن أهل البيت ﴿وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغفِرَةً مِّنهُ وَفَضلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ﴾ واسعٌ في عطاءه ﴿عَلِيمٌ * يُؤتِي الحِكمَةَ مَن يَشَاء﴾ يؤتي معرفة الإمام من يشاء ﴿وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا﴾ أوتي خيراً كثيراً خيراً في الدنيا وخيراً في الآخرة الله يقول ﴿مَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا﴾ وهل هناك في نصوص أهل البيت في روايات أهل البيت هناك شيءٌ في كلماتهم أكثرُ خيراً من معرفة الإمام؟! لا يوجد شيء من أراد أن يراجع كلمات أهل البيت من أراد أن يراجع كل كلمات أهل البيت فإنه لن يجد في كلماتهم الشريفة صلوات الله عليهم أن شيئاً أكبر وأعظم في منفعة الإنسان من معرفة الإمام من معرفة أهل البيت وهذه الليالي ليالي القدر ومن أفضل أعمالها هي المعرفة طلب المعرفة فلنعرف أئمتنا ولنعرف مقاماتهم في مثل هذه الليالي الشريفة.

﴿يُؤتِي الحِكمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلبَابِ﴾ أصحاب العقول هم الذين يعتبرون من هذه المعاني هم الذين يعرفون هذه الحقائق يعرفون قيمتها ومعناه ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلبَابِ﴾ أرباب العقول أصحاب العقول الذين إذا ما أرادوا أن يتدبروا في عواقب أمورهم وفي عواقب هذه الدنيا هذه الدنيا التي عبر عنها القرآن بأنه لعبٌ ولهو الدنيا هي هكذا لعبٌ ولهو إنما كانت الدنيا لعباً ولهواً لأي شيءٍ؟ لأنها زائلة كل ما فيها زائل كل شيءٍ نحن نهتمُ لبنائه أو لإيجاده خيراً أو شر هو زائل لكن الخير له تأثيرات له آثار نأخذها معنا إلى عالم الآخرة وللشر أيضاً آثار وإلا أعمالنا وكل ما نقوم به وكل ما نسعى إليه ينتهي بنهاية الدنيا هناك آثار صحيح هذه الآثار هي من سنخ العمل لكن الدنيا بكل ما فيها لعبٌ ولهو، هناك رواية جميلة يتحدث فيها إمامنا صلوات الله وسلامه عليه عن أولي الألباب الرواية يرويها الشيخ الكليني رحمة الله عليه في الكافي مرويه عن الأئمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – **ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل** – حديث وما يذكر إلى أولوا الألباب – **ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل فنوم العاقل أفضلُ من سهر الجاهل** – إذا نام العاقل فنومه أفضل من سهر الجاهل حتى لو كان السهر في العبادة الحديث هنا عن سهر الجاهل في العبادة وإلا نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل إذا كان سهر في معصية أو إذا كان سهر في لا شيء – **فنوم العاقل أفضلُ من سهر الجاهل** – سهر الجاهل في العبادة – **وإقامة العاقل أفضلُ من شخوص الجاهل** – من شخوص الجاهل في العبادة من شخوصه في زيارة من شخوصه للحج للعمرة في الجهاد في أي عمل من شخوصه من سفرة يعني –

وإقامة العاقل في مكانه أفضلُ من شخوص الجاهل ولا بعث الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل ويكون عقلهُ أفضل من جميع عقول أمته وما يضمر النبيُ في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين وما أدى العبدُ فرائض الله حتى عقل عنه – في البداية يعقل ثم يؤدي الفرائض – **ولا بلغ جميعُ العابدين في فضل عباداتهم ما بلغ العاقل** – العاقل له مرتبة خاصة – **ولا بلغ جميعُ العابدين في فضل عباداتهم ما بلغ العاقل والعقلاءُ هم أولو الألباب قال الله تبارك وتعالى** ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ – أولى الألباب هؤلاء الذين يجدون أن الحكمة الحقيقية أن حكمة الحياة في الكون مع أهل البيت.

رواية جميلة ينقلها علي بن إبراهيم في معنى الخير الكثير ﴿وَمَن يُؤتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وعلي بن إبراهيم يروي عن إمامنا الصادق عليه السلام – **قال: الخيرُ الكثير** – ما هو؟ – **الخيرُ الكثير معرفةُ أمير المؤمنين والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.**

﴿وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ وتستمر الآيات ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَو نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ على نفس السياق، السياق السابق الآيات السابقة تحدثت عن الشيطان وهو يعدنا الفقر إذا ما بقينا نواصل الخطى في طريق عليٍّ وآل علي ثم جاءت الآية لتقول بأن الذي يملك الحكمة فإنه يملكُ خيراً كثيرا الذي يملك الحكمة ذلك الذي لا يعبأ بما يوهم الشيطان به الناس ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء﴾ الله سبحانه وتعالى يؤتي الحكمة من يشاء لابد من مقدمة المقدمة أنَّ الإنسان ينفق والإنفاق ليس فقط في الجانب المادي الإنفاق من الصحة الإنفاق من هذا الجسد الصيام هو نوع من أنواع الإنفاق في الصيام نحن ننفق شيئاً من قدرتنا الجسدية الإنفاق إنفاق من الصحة إنفاق من الشباب إنفاق من العمر إنفاق من هذا الجسم إنفاق من الرغبات إنفاق من الشهوات كيف ننفق من الشهوات؟ أن لا ننساق خلف الشهوات، كيف ننفق من الرغبات؟ أن نوظف الرغبات في خدمة أهل البيت الإنفاق من العلم الإنفاق من الخبرة الإنفاق من المال مطلق الإنفاق هذا الذي ينفق، ينفق العمر وعمرك رأس مالك فتعلم أين تنفقه تعلم أين تنفق رأس المال هذا وتعلم أين تحفظ رأس مالك في أي مكان ابحث عن البنك الذي يحفظ لك أموالك فلقد بحثت قبلك عن كل بنوك الدنيا قال نبينا صلى الله عليه وآله: العمرُ رأس مالك رأس مال الإنسان وقال: إن هذه الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر فيها آخرون فجمعتُ رأس مالي وجئت إلى هذا السوق وبحثتُ في كل بنوك الدنيا فاخترتُ بنك

الأطهار بنك عليٍّ آل عليٍّ عز الأبرار بحثت في كل بنوك الدنيا وبحثت عن كل بنوك الدنيا فاخترت بنكاً واحداً فاخترت بنك الأطهار بنك عليٍّ آل عليٍّ عز الأبرار وفتحت حساباً في هذا البنك في بنك عليٍّ أودعت فيه كل العمر وفتحت حساباً في هذا البنك أودعت فيه كل العمر وكتبتُ للبنك تخويلاً بالأرباح وبأصل المال كل العمر لهذا البنك كل العمر لعليٍّ آل عليٍّ عز الأبرار كل العمر لعليٍّ وعليٍّ وعليٍّ حتى ينقطع النفس.

الإنفاق إذاً بهذا المعنى فماذا يترتبُ على هذا؟ ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ الحكمة إنما تنشأ في أي مكان؟ تنشأ في الأرض الصالحة التي تنمو فيها الحكمة والحكمةُ معرفتهم ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ كما قال صادقهم: الخير الكثير معرفة أمير المؤمنين والأئمة ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أرباب العقول هم الذين يتذكرون هم الذين ينتفعون ونحن في هذه الأيام في أيام عليٍّ هذه أيام المعرفة الخير الكثير كما قال صادق العترة معرفة أمير المؤمنين والأئمة هذه أيام الخير الكثير هذه ليالي القدر وليلة خيرٌ من ألف شهر مقبلة هذه الليالي ليالي المعرفة هذه ليالي عليٍّ وآل علي فتقول الآية هنا ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَو نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ ولا تحلوا النذور إلا لعليٍّ وآل علي آية جميلة جاءت في نفس السياق ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ نفقة في كل أبعادها ليس فقط في النفقة المادية النفقة المادية نوع من أنواع الإنفاق، أمير المؤمنين وهو يحادثُ كميلاً فيقول له: **إن المال تنقصه النفقة والعلمُ يزكوا على الإنفاق.** هناك إنفاق من العلم إنفاق من الأخلاق إنفاق من الأدب إنفاق من الأخلاق الحسنة من بشاشة الوجه إنفاق وإنفاق وإنفاق.

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَو نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ والنذر واضح يعني ما نويتم أن تنفقوه بنحو النذر بنحو العهد بنحو اليمين ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَو نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ عاهدتم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ منهم هؤلاء الظالمون؟ هؤلاء الذين لا ينفقون نفقةً ولا ينذرون نذراً هي هذه الآية ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَو نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ يعني يعلمُ بنيتكم الصالحة ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الظالمون هم أولئك الذين لا ينفقون نفقة كهذه النفقة أو ينذرون نذراً، الظالمون هم الذين لا ينفقون ولا ينذرون وأحلى النفقات نفقة لإحياء أمر أهل البيت وأحلى النذور نذرٌ في طريق أهل البيت ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَو نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا

﴿لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ الظالمون الذين يخالفون هذا الطريق يخالفون هذا المسلك ثم تقول الآيات ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ الصدقات هنا ليس الزكوات لأن الزكوات تُأخذ علناً الحديث هنا عن صدقات منها ما هو سري ومنها ما هو علني بالنسبة للزكاة الواجبة في الدولة الإسلامية في الشرع الإسلامي الزكاة تدفع بشكل علني الزكوات الواجبة بل إن الدولة ترسل الجبات والسعات لجمعها فتأخذ بشكلٍ علني.

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ النفقات التي تنفقونها ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ نعمَّا هي يعني فأكرم وانعم بها سواء أنفقتم وأعطيتم بشكل علني فنعم ما فعلتم ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ فأكرم بها وأنعم بها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لكن السرية فيها أفضل أنتم أنفقوا بالنية الصحيحة أنفقوا في سبيل الله ابتغاء مرضات الله أنفقوا في طريق مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد سواء كان ذلك الإنفاق بشكل علني أو بشكل سري بشكل علني ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ ولكن إذا كان بشكلٍ سري فذلك أفضل ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ تبدوها تظهروها بشكل علني ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ فأكرم بها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ بالخفاء ﴿وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُم﴾ هذا التكفير للصدقات العلنية وللصدقات السرية أيضاً ولكنه أوفق أكثر في الصدقات السرية أنتم حينما تعطون الصدقات بنحو علني للفقراء أو لأي جهةٍ أو سبيلٍ يعودُ بالنفع على محمَّدٍ وآل مُحَمَّد وعلى منهجهم وعلى أشياعهم هذا الإنفاق إنما أنتم تسترون به نقصاً هناك نقص أنتم أنفقتم لستر هذا النقص في مقابل ذلك الله يكفر سيئاتكم يكفر يغطي مثلما تغطون النقص عند هذا المحتاج مثلما تغطون النقص في هذا المكان في ذلك الاتجاه تغطية هذا النقص ماذا يعقبكم؟ يعقبكم أن الله يغطي سيئاتكم يغطي نواقصكم.

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُم﴾ يكفر يغطي ﴿وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ والله خبير ولا تحتاج الآية هنا إلى شرح هذه القضية تشهد بها الفطرة ويشهد بها العقل ويشهدُ بها الإيمان قبل أن تشهد بها الألسنة ﴿وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ الآية هنا تتحدث عن مجموعة من المطالب وهذه المطالب مرتبطة بأجواء الآيات السابقة.

﴿لَّيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهدِي مَن يَشَاء﴾ ما علاقة الهدايا بالإنفاق لو لم يكن الإنفاق مرتبطاً بجهة الهدايا لذلك أنا قلت أن الإنفاق في الكتاب الكريم في هذه الآيات وفي غيرها مرتبط بالدرجة الأولى بأهل البيت مرتبط بالدرجة الأولى بإحياء أمر أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿لَّيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم﴾ الهدى ولايةُ عليٍّ الهدى ولاية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ﴿لَّيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم﴾ أنت لست مسؤولاً عن هداية الناس الخطاب للنبي وكذلك للأمة ﴿لَّيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهدِي مَن يَشَاء﴾ في ضمن القوانين والسنن التي يحكم الله بها العباد ﴿لَّيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهدِي مَن يَشَاء وَمَا تُنفِقُوا مِن خَيرٍ فَلأنفُسِكُم﴾ هذا الإنفاق مرتبط مع الهدايا، الهدايا مع محمَّدٍ وآل مُحَمَّد إذاً الإنفاق أيضاً مع محمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

﴿لَّيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهدِي مَن يَشَاء وَمَا تُنفِقُوا مِن خَيرٍ فَلأنفُسِكُم وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابتِغَاء وَجهِ اللَّهِ﴾ هذا أرقى مراتب الإنفاق مر علينا الإنفاق في سبيل الله مر علينا الإنفاق ابتغاء مرضات الله ومرت علينا ﴿مَا أَنفَقتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَو نَذَرتُم مِّن نَّذرٍ﴾ مرت علينا صور ومراتب عديدة للإنفاق لكن أرقى مراتب الإنفاق هو هذا ﴿إِلاَّ ابتِغَاء وَجهِ اللَّهِ﴾ ووجه الله واضح من هو – **أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء، أين السبب المتصلُ بين الأرض والسماء** – ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابتِغَاء وَجهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِن خَيرٍ يُوَفَّ إِلَيكُم﴾ يوف إليكم في الدنيا وفي الآخرة وفي الدنيا وفي الآخرة أيضاً يوف إليكم يعني يعاد إليكم كاملاً من دون نقص.

﴿لَّيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهدِي مَن يَشَاء وَمَا تُنفِقُوا مِن خَيرٍ فَلأنفُسِكُم وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابتِغَاء وَجهِ اللَّهِ﴾ هذا الإنفاق الصحيح إذا أردتم أن تنفقوا فأنفقوا ابتغاء وجه الله ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابتِغَاء وَجهِ اللَّهِ﴾ هذي قوانين القانون الأول ﴿لَّيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهدِي مَن يَشَاء﴾ القانون الثاني ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن خَيرٍ فَلأنفُسِكُم﴾ القانون الثالث ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابتِغَاء وَجهِ اللَّهِ﴾ القانون الرابع ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن خَيرٍ يُوَفَّ إِلَيكُم وَأَنتُم لاَ تُظلَمُونَ﴾ هذه الآية تتحدث عن أربعة قوانين مهمة في قضية الارتباط بين الإنفاق والهدايا وهذا أدل دليل على أن الإنفاق المراد منه بالدرجة الأولى الإنفاق في سبيل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد لأن الهدايا في

هذا السبيل، القانون الأول ﴿لَّيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهدِي مَن يَشَاء﴾ القانون الثاني ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن خَيرٍ فَلأنفُسِكُم﴾ القانون الثالث ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابتِغَاء وَجهِ اللّهِ﴾ وهو أعلى مراتب الإنفاق، القانون الرابع إذا كان الإنفاق لوجه الله ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن خَيرٍ يُوَفَّ إِلَيكُم وَأَنتُم لاَ تُظلَمُونَ﴾ الإنفاق لوجه الله سيأتي عليه الجزاء بالوفاء الكامل مثلما أنتم تفون لوجه الله فإن وجه الله سيفي لكم.

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن خَيرٍ يُوَفَّ إِلَيكُم وَأَنتُم لاَ تُظلَمُونَ * لِلفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَستَطِيعُونَ ضَرباً فِي الأَرضِ يَحسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعرِفُهُم بِسِيمَاهُم لاَ يَسأَلُونَ النَّاسَ إِلحَافاً وَمَا تُنفِقُوا مِن خَيرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ بقيت عندنا آيتان وأختم هذه الحلقة أحاول أن أتم الكلام في سورة البقرة في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى حتى تكمل عندنا السورة كاملة أتتمناها في شهر رمضان المبارك، شهر القرآن وربيع القرآن بقيت عندنا آيتان وبنحوٍ سريع ﴿لِلفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ أُحصروا يعني مُنعوا من الحصار ﴿لِلفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ الحديث هنا ليس عن صنفٍ معين من الفقراء هناك من المفسرين من جعل القضية محصورة في قضية الحجاج الذين يذهبون إلى الحج إلى العمرة فيحصرون في الطريق فكأن الإنفاق من موارده المهمة الإنفاق لأجل هؤلاء الذين أُحصروا في الطريق أُحصروا في الطريق بسبب عدو بسبب مرض أو أن نفقتهم قد انتهت في الطريق ﴿لِلفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ الآية لا تتحدث عن هذا المصداق فقط وإنما عن هذا وعن غيره ﴿لِلفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ يعني لأي مجموعة تعمل في سبيل الله في طريق الله إن كان ذاهبة إلى الحج فهذا هو في سبيل الله ذاهبة إلى العمرة هذا في سبيل الله ذاهبة إلى الجهاد هذا في سبيل الله ذاهبة إلى زيارة الأئمة هذا في سبيل الله ذاهبة إلى القيام بأي عملٍ آخر فيه خدمة لأهل البيت صلوات الله عليهم هذا في سبيل الله فلكل الفقراء الذين أُحصروا في سبيل الله يعني لكل المجموعات التي تعمل في سبيل الله وبسبب عملها في سبيل الله أصابتها الحاجة حوصرت أصابها الحصار، الحصار الاقتصادي فهي محتاجه للبذل وللإنفاق المادي.

﴿لِلفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَستَطِيعُونَ ضَرباً فِي الأَرضِ﴾ لا يستطيعون ضرباً، ضرباً انتقالاً حركةً لماذا؟ لأنهم مشغلون بعملهم في سبيل الله ﴿لاَ يَستَطِيعُونَ ضَرباً فِي الأَرضِ يَحسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغنِيَاء مِنَ

التَّعَفُّفِ﴾ الجاهل الذي لا يعرف حقيقتهم ﴿يَحسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ التعفف لأنهم يتعففون يتسترون على أنفسهم يتسترون على نقصهم وحاجتهم ﴿تَعرِفُهُم بِسِيمَاهُم﴾ من علائمهم ﴿تَعرِفُهُم بِسِيمَاهُم﴾ تعرفهم بالعلائم البادية والظاهرة عليهم من جهة تعففهم ومن جهة حاجتهم ﴿تَعرِفُهُم بِسِيمَاهُم لاَ يَسأَلُونَ النَّاسَ إِلحَافًا﴾ إلحافا يعني إلحاحاً الملحف هو المُلِح ﴿لاَ يَسأَلُونَ النَّاسَ إِلحَافًا﴾ يعني هؤلاء هم من أفضل الجهات التي الإنسان ينفق عليها.

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن خَيرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ما تنفقوا من أي نوعٍ من أنواع النفقة في هذه الطريق لهذه المجموعات فذلك هو من أفضل أنواع الإنفاق هؤلاء فقراء أُحصروا في سبيل الله هناك فقراء يجلسون في بيوتهم فقراء ربما أخيار ولكن غير محصورين في سبيل الله الحديث عن فقراء يعملون في سبيل الله وأُحصروا هناك حصار فرض عليهم هذا الحصار قد يكون بسبب جهات معينة فرضت عليهم أو قد تكون الظروف الزمانية والمكانية أو قد تكون الإمكانات المتوفرة لديهم أو قد تكون طبيعة العمل عوامل كثيرة قد تؤدي إلى أن يحاصروا محاصرة يعني حاجة اقتصادية حصار ﴿لِلفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ يعملون في سبيل الله وقد أُحصروا فرض عليهم حصار هذا الفرض من عدو من صديق بسبب العمل طبيعة البيئة طبيعة الأرض قل ما شئت الحديث هنا مفتوح على جميع الاحتمالات ﴿لِلفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ وبسبب التزامهم بهذا السبيل لا يستطيعون ضرباً في الأرض لربما لو تركوا هذا السبيل استطاعوا أن يضربوا في الأرض أن يتحركوا يكسبوا لكنهم لو تركوا هذا السبيل فإنهم بذلك سيتركون أهم عملٍ يعود بالنفع عليهم وعلى غيرهم.

﴿لِلفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَستَطِيعُونَ ضَرباً فِي الأَرضِ يَحسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ الجاهل الذي لا يعرف أحوالهم لما يرى عليهم من تصرفاتهم من أخلاقهم من كلامهم من مظهرهم الخارجي ﴿يَحسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعرِفُهُم بِسِيمَاهُم﴾ أصحاب البصائر يعرفونهم بسيماهم يعني من علائمهم ﴿تَعرِفُهُم بِسِيمَاهُم لاَ يَسأَلُونَ النَّاسَ إِلحَافًا﴾ هؤلاء لا يلحون ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن خَيرٍ﴾ في هذه الاتجاهات ﴿فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ آخر آية وأختم الحديث في هذه الحلقة ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ﴾ هذه آيةٌ خاصةٌ بعليٍّ صلوات الله عليه

﴿الَّذِينَ﴾ منهم هؤلاء ﴿يُنفِقُونَ أَموَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ﴾ ليلاً نهاراً ﴿سِرًّا وَعَلاَنِيَةً﴾ ينفقون بحسب موازين الله وكل هذه النفقات مقبولة عند الله من هو هذا الذي ينفقُ ليلاً نهاراً سراً علاناً على جميع الاتجاهات بحيث لا يبقى ولا احتمال يريده الله إلا وجاء به في الواقع العملي لحياته هذا عليٌّ من هنا مرأى عليٌّ يفوحُ طيبُ عليٍّ من هذه الآية ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ﴾ .

الرواية يرويها شيخنا المفيد في كتابه الاختصاص – **قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي ما عملت في ليلتك؟** – الأمير مقبل على رسول الله النبي يقول له – **يا علي ما عملت في ليلتك؟قال: ولما يا رسول الله؟ قال: نزلت فيك أربعُ معانٍ** – أربعة معانٍ يعني الإنفاق ليلاً، نهاراً، سراً، علانية، يعني نزلت فيك أربعُ معانٍ يريدها الله – **قال: نزلت فيك أربعة معانٍ، قال: بأبي أنت وأمي** – الأمير يقول لرسول الله – **قال: بأبي أنت وأمي كانت معي أربعةُ دراهم فتصدقتُ بدرهمٍ ليلاً وبدرهمٍ نهاراً وبدرهمٍ سراً وبدرهمٍ علانية، قال: فإن الله أنزل فيك** ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ﴾ – هذه الآية في عليٍّ وفي عليٍّ فقط، نعم نحن يمكن أن نتشبه بهذه المعاني لكن هذه الآية تتحدث عن إنفاقٍ مخصوص هذا الإنفاق صدر من قلبِ عليٍّ هذا لإنفاق بنيةٍ من قلب علي فمن منا يملك هذه النية؟! هذه الآية في عليٍّ ولا أطيل الحديث عندها.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ﴾ هذه الآية تتناسب مع الآيات السابقة ومرت علينا الآية الثانية والستون بعد المئتين ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذًى﴾ أنا قلت هذا الإنفاق في سبيل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد بدليل القسم الثاني من الآية ﴿لَّهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ﴾ وهذا يتعانق مع هذه الآية التي هي خاصة في أمير المؤمنين في نهايتها ﴿فَلَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ﴾ يعني أن تلك المجموعة إنما هي مع صاحب هذه الآية، الآية الثانية والستون بعد المئتين ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ في سبيل عليٍّ وآل علي ﴿ثُمَّ لاَ يُتبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم

﴿يَحزَنُونَ﴾ هذه المجموعة المنفقة في سبيل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد تكون مع عليّ لأن عليّاً جاء في آيته ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً﴾ جاء نفس النص السابق ﴿لَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ﴾ قلت إن ذلك الأجر الكبير لا يتناسب مع العمل نعم لأن ذلك الأجر الكبير هو مع عليٍّ حينما يكون مع عليٍّ فلا عجب العجب هنا العجب في هذه الآية إذا كانت منقطعة ومنفصلة عن الآية التي تلوتها الآن ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ﴾ أجرٌ عظيم لا نستطيع أن نتصوره وعجيبٌ وغريبٌ أن يكون هذا الأجر لأجل هذا الإنفاق لكن العجب والاستغراب ينتفيان حينما يكون هذا الأجر هو أجرُ عليٍّ وأولئك مع عليٍّ في ساحة عليٍّ ﴿فَلَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ﴾ .

صلوات الله عليك سيدي يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك تترادف وتزيد، السلام عليك يا سيد الأوصياء السلام عليك يا عين الله الناظرة ويده الباسطة وأذنه الواعية ونعمته السابغة ونقمته الدامغة السلام على وجه الله المضي واسمه الرضي السلام على الكوكب الدري السلام على أبي الحسن عليّ ورحمة الله وبركاته.

والسلام عليكم أنتم أحباب عليٍّ وآل عليّ أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة التاسعة والعشرون

تفسير سورة البقرة من الآية ٢٧٥ الى الآية ٢٨٦

السلام عليكم جميعاً أحباب عليٍّ وآل علي ورحمة الله وبركاته، عَظَّم الله أجوركم أحسن الله عزائكم، صياماً مقبولاً ودعاءً مُستجاباً وهذه الحلقة التاسعة والعشرون من برنامج قرآننا الكلام متواصلٌ في سورة البقرة واليوم بحول الله تعالى نحاول أن نكمل الكلام فيما بقي من آيات سورة البقرة وبتمام الحلقة التاسعة والعشرين يتم الكلامُ في سورة البقرة.

وقد قلت فيما مر من الحلقات الماضية من هذا البرنامج من أن سورة البقرة وكذلك سورة آل عمران هاتان السورتان تمثلان جناحين مهمين لمن أراد أن يستمر في التدبر في القرآن في دراسة تفسير القرآن في معرفة مفاهيم ومضامين الآيات القرآنية سورة البقرة وسورة آل عمران سورتان مهمتان جداً لمن أراد أن يستمر في فهم آيات الكتاب العزيز لأنهما تشتملان على أهم القواعد وأهم المطالب المهمة التي سيأتي بيانها وتفصيلها في بقية سور القرآن الكريم ولذلك ورد في رواياتنا بأن من قرأهما فإنهما يأتيان يوم القيامة وهما يظللانه وفي ذلك إشاراتٌ وكناياتٌ تشير إلى المعنى الذي أشرتُ إليه وذكرته قبل قليل.

نحن إن شاء الله في هذه الحلقة نتم الكلام في سورة البقرة فيكون البرنامج من أول حلقة إلى الحلقة التاسعة والعشرين قد تم الحديثُ في بيان معاني سورة الفاتحة وسورة البقرة وهذه الحلقة هي الحلقةُ الأخيرة من حلقات برنامج قرآننا في شهر رمضان المبارك إن شاء الله بعد شهر رمضان المبارك نعود إلى برنامج قرآننا حيث نستمر في بيان معاني آيات الكتاب الكريم وسيكون الشروع من سورة آل عمران إن شاء الله تعالى، فهذه إذاً آخر حلقة من حلقات برنامج قرآننا في شهر رمضان المبارك ونكون بذلك قد أتممنا الكلام والحديث في سورة البقرة، وكذلك بالنسبة لبرنامج الزيارة الجامعة الكبيرة يوم غد هي الحلقة الأخيرة من حلقات برنامج الزيارةُ الجامعة الكبيرة في شهر رمضان الأيام الباقية من أيام هذا الشهر الشريف سنعيد فيها بث حلقات برنامج يسألون والمودة تجيب إذ هناك الكثير من الطلبات الملحة على إعادة بث حلقات هذا البرنامج فالأيام المتبقية سيعاد فيها بثُ حلقات برنامج يسألون والمودة تجيب أما برنامجنا الذي يكون على الهواء مباشرةً بعد وقت أذان المغرب بتوقيت النجف الأشرف فهذا البرنامج مستمرٌ على رسله أعني برنامج

مجالس المودة في شهر رمضان، أشرعُ فيما بقي من آيات سورة البقرة، آخرُ آيةٍ كان الحديثُ فيها:

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ ﴾

الآيةُ هذه كما قلتُ في عليٍّ خاصة في سيد الأوصياء فهو الذي أنفق ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً وتم الحديثُ في هذه الآية نشرعُ في الآية التي بعدها، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم الآيةُ الخامسةُ والسبعون بعد المئتين:

﴿ الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُم قَالُوا إِنَّمَا البَيعُ مِثلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ البَيعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَن عَادَ فَأُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ هذه الآياتُ والتي قبلها والتي بعدها لا زلت في بيان الأحكام والتشريعات التي تنظمُ حياة الأسرة وحياة المجتمع الآية هذه تتحدثُ عن الربا وكذلك الآياتُ التي بعدها نحن الآن بصدد الحديث عن الربا ﴿ الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبَا ﴾ والربا واضحٌ معناه لديكم ﴿ الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبَا ﴾ الحديث عن المعاملات الربوية المعاملات الربوية التي ينال الإنسان من خلالها وبواسطتها أرباحاً من دون جهد فقط يقدم مالاً فيعاد إليه هذا المال مع زيادة من دون أي جهد.

﴿ الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المَسِّ ﴾ هؤلاء الذين يتعاملون بهذا النحو ماذا يقولون في نفس الآية ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُم قَالُوا إِنَّمَا البَيعُ مِثلُ الرِّبَا ﴾ مقصودهم إن الربا مثل البيع هو هذا مقصودهم لأن الكلام عن الربا ليس الكلام عن البيع ﴿ الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ ﴾ قطعاً هنا الحديث ﴿ الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبَا ﴾ إذا أرادنا أن ننظر إلى الألفاظ ليس المقصود أن الربا بنفسه يُأكل وإنما هذا التعبير تعبير مجازي وقد يكون تعبيراً كنائياً ﴿ الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبَا ﴾ مراد يأكلون الربا أنهم يتعاملون بالمعاملات الربوية ويجنون الأرباح ويجمعون الأرباح من طريق العمل الربوي وربما لا يحولونها إلى طعاماً فيأكلونها لكنهم يملكون هذه الأموال فلربما يوظفونها في تجاراتٍ أخرى المقصود يأكلون يعني يكسبون المال من الربا ويملكونه ويتصرفون فيه سواء كان هذا التصرف يؤدي إلى الأكل أو لا يؤدي إلى الأكل ﴿ الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبَا ﴾ الذين يجمعون الأموال يحصلون الأموال من طريق الربا يملكونها ثم يتصرفون فيها.

﴿ الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المَسِّ ﴾ التخبط ما هو؟ التخبط في لغة العرب وعدم الاستقامة في السير الإنسان حينما لا يسيرُ سيراً سليماً وإنما يشذُ إلى اليمين تارةً ويشذ إلى

اليسار تارةً أخرى ويتعثرُ في طريقه هذا التعثر وهذا الشذوذ والخروج عن الطريق وعدم الاهتداء الإنسان يسير بلا هدى متخبطاً هنا ضارباً هناك هو هذا التخبط الآية هنا تصف الذين يتعاملون بالربا ويكسبون من هذا الطريق تصفهم كأولئك الذين أصابهم الشيطان بمس، المس هو الجنون أصابهم الشيطان بمس أصابهم الشيطان بجنون وبهذا السبب فإنهم يتخبطون، المجنون يفقد عقله حينما يفقد الإنسان عقله يفقد حينئذٍ الموازين الصحيحة التي يمكن أن يزن تصرفاته بها الآية ماذا تريد أن تقول؟ الآية هنا تتحدث عن البعد الفكري لموضوع الربا، الربا فيه أكثر من بعد، الربا فيه بعدٌ فكري وفيه بعدٌ عملي وفيه بعدٌ أخلاقي والشريعة هنا حينما حرمت المعاملات الربوية حرمت المعاملات الربوية على هذا الأساس على أساس البعد الفكري وعلى أساس البعد العملي الواقعي الموجود في الحياة وعلى أساس البعد الأخلاقي وربما توجد مطالب وآثار أخرى ومعطيات أخرى تتعلق بهذا الموضوع.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ الآية لا تتحدث عن مسألةٍ حسية يعني الذين يأكلون الربا فإنهم مثلاً لا يسيرون بشكلٍ سليم لو أرادوا أن يسيروا على أقدامهم في الطرقات قطعاً الآية لا تتحدث عن هذا الموضوع ولا تريد الآية أن تتحدث بأن الذين يأكلون الربا يصيبهم الجنون هذا تعبير مجازي وربما قد يكون تعبيراً كنائياً ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ الصورة صورة إنسانٍ أصابه الشيطانُ بالمس بالجنون هنا بحث هل أن الشيطان يصيبُ الإنسانَ بمس يصيبُ الإنسان بالجنون نعم لكن لا يعني أن كل مجنون ما عنده من جنون هو جاء بمسٍ من الشيطان، الشيطان بحسب النصوص إن كان نصوص قرآنية أو نصوص وردت عن النبي والأئمة صلوات الله عليهم الشيطان والشيطان إنما هو صنفٌ من أصناف الجان، الجان أمةٌ كبيرة أعدادها أكثر من أعداد البشر وهي شعوب وقبائل وليس الحديث عن هذه الأمة لكن هناك أصناف من هذه الأمة أصناف من الجان في بعض الأحيان تتعامل مع البشر بشكلٍ جلي، بشكلٍ خفي، بأي نحوٍ من أنحاء التعامل فيكون لها القدرة في التأثير على إصابة الإنسان بنوعٍ من أنواع الجنون بدرجة من درجات الجنون ما يسمى بمس الشيطان والآية تتحدث عن هذا المعنى الآية لا تتحدث عن معنىً خيالي تتحدث عن معنىً واقعي لكن لا يعني أن كل حالة جنون مردها إلى هذا الأمر هناك حالات من حالات الجنون تدخل تحت هذا العنوان وأنا هنا لا أريد الحديث عن هذا المطلب إنما أشرتُ إليه لأجل توضيح دلالة الآية، الآية تتحدث عن إنسانٍ أصابه الشيطان بشيءٍ من المس بشيءٍ من الجنون فحينما يصابُ بشيءٍ من الجنون بنوعٍ من أنواع الجنون سيكون هذا الإنسان فاقداً لموازين التقييم لموازين التفكير فكأن الآية هكذا تريد أن تقول تريد أن تقول بأن المرابي

الذي يعمل بالربا الذي يبني حياته على المعاملات الربوية إنما يتخبطُ تخبطاً فكرياً التخبط الفكري أين يكون؟ الإنسان في الأصل المفروض أن يمشي على موازين الفطرة وعلى موازين المنطق الإنسان الله سبحانه وتعالى أوجد فيه موازين الفطرة وموازين المنطق موازين المنطق هي موازين التفكير السليم الله سبحانه وتعالى جعل الإنسان بهذه الحالة وخلقه هكذا ويريد منه أن يتصرف وفقاً لهذه الموازين وفقاً لموازين الفطرة ووفقاً لموازين المنطق السليم المعاملات الربوية معاملات خارجة عن المسار الصحيح للفكر الإنساني وذلك أولاً أن الإنسان هنا يسكبُ أموالاً من دون أن يقدم أي مجهود فهنا كسبٌ بالمجان هذا أولاً وثانياً استغلالٌ لحاجة الإنسان، الإنسان الذي يأتي فيتعامل بالربا هو مضطرٌ إلى ذلك هذا استغلالٌ لحاجة الإنسان وثالثاً فتح بابٍ من أبواب الفقر لأن هذا المحتاج الذي يتعامل بالربا سيسعى تمام جهده أن يتخلص مما وقع في عاتقه من ديون من التزامات مالية وما يترتب على ذلك أيضاً من فوائد وأرباح ومردودات ربوية هذه المنظومة هذه المنظومة الاقتصادية المنظومة التي تجعل جهات أطراف معينة تكسب الأموال وتكسب الأرباح من دون مجهود أليس في ذلك تعطيل لقدرات بشرية هذه المؤسسات أو هذه الجهات التي تكسب الأموال من دون أن تقدم مجهوداً بل ربما تشغل الأعداد الكثيرة من الناس فقط لإيصال الأموال إلى جهات إلى أفراد تصل الأموال إليهم من دون أي مجهود وتشغل أعداد كبيرة من الناس فقط لإيصال الأرباح إلى جهاتٍ لا تبذل أي مجهود أليس في ذلك تعطيل لجانبٍ كبير من إبداع الإنسان أنا قلت هذه في العمق الفكري هذي قضية ترتبط بالعمق الفكري ربما العمق الفكري في مجتمعٍ إنسانيٍ مثل المجتمع الذي نعيش فيه الآن حيث الربا هو الحاكم الأول في اقتصاد العالم قد لا يلتفتُ كثيراً إلى مثل هذه القضية إلى مثل قضية العمق الفكري في هذه المسألة أن النظر في البعد الاقتصادي هو في تحقيق الأرباح حيثما تحققت الأرباح فذلك يعني أن العمل ناجح لا إشكال عليه ولا يوجد هناك بحثٌ في الجانب الفكري أو في الجانب الأخلاقي هذه قضايا مطروحة يعني على الهامش أن لم تكن أصلاً غير مطروحة بالمرة.

لكن نحن والآية الآية تتحدث عن إنسانٍ أصابه الشيطان بمس فبدأ يتخبط فالآية تريد أن تقول بأن الذين يتعاملون بالربا هم في حالة تخبطٍ فكري في حالة تخبطٍ عقلي لا في الجانب المحسوس مراد الآية أن المنظومة الاقتصادية المبنية على هذه الأسس الربوية مبنية على أسس مخالفة للفكر الإنساني السليم الذي أوجده الله وأودعه الله في هذا الإنسان لأجل إعمار الأرض ولأجل بناء الإنسان هذا في الأفق النظري في الأفق العملي إذا أردنا أن ننظر إلى قضية الربا في الحياة الشخصية للناس فذلك يؤدي إلى الإضرار بالحياة الشخصية للأفراد وإذا أردنا أن ننظر إلى المجتمع الإنساني بشكل عام فأعتقد أن الأزمة الاقتصادية التي يعيشها العالم ولازالت آثارها فيما بيننا هي إحدى نتائج النظام الربوي العالمي لأننا لو أردنا أن نبحث في خلفيات هذه الأزمة السبب الأول هناك مجموعة من الأسباب وأنا لستُ محللاً اقتصادياً ولا أريد الحديث

عن هذه القضية وإنما جئت بها على سبيل المثال كل الدراسات التي كتبت عن هذا الموضوع عن قضية الأزمة الاقتصادية الضرر والسبب الضرر الكبير من أين أتى المشكلة من أين أتت؟ هناك مجموعة من الأسباب لكن من أهم هذه الأسباب هو البيع الربوي المتكرر للقروض هناك قروض ديون موجودة ديون فيما بين المؤسسات الاقتصادية الكبيرة في العالم الغربي خصوصاً في الولايات المتحدة هذه القروض بدأت تباع من مؤسسة إلى مؤسسة حتى بيعت بعض القروض إلى ثمانين مرة هي أساساً قروض ربوية وتباع بطريقة ربوية الموضوع واسع وفيه تفصيل كثير وأنا لا أريد أن أترك تفسير القرآن كي أدخل في بحثٍ اقتصادي لا علاقة لي به لكن القضية المشكلة هي هذه المشكلة بدأت من هنا من بيع القروض، القروض منها ما هو متعلق بقروض الموركج يعني القروض العقارية ما يتعلق بالقروض العقارية ومنها ما يتعلق بقروض الكردت كارتس يعني هذه الكارتات البنكية وقروض من أنحاء أخرى وهذه القروض أخذت تباع من مؤسسة إلى مؤسسة وكلما بيعت هذه القروض كلما تضاعف الربا حولها فكان بيعٌ للا شيء وكسبٌ من لا شيء هذا الذي أدى إلى الأزمة الاقتصادية العالمية، ومن أراد أن يبحث في هذه القضية يجد تفاصيل أخرى، لكن مرد جميع المشكلة إلى الربا.

القرآن هنا يشخص المشكلة في بعدها الفكري أن المنظومة الاقتصادية التي تكون مبنية على ضوء هذا التفكير وهو تحصيل أكبر قدر من الأرباح من دون بذل أي مجهود هذه القوانين هذه الأنظمة هذه المؤسسات الربحية التي تربح بالطريقة الربوية مبنية على فكرٍ القرآن يرفضه يعتبر هذا الفكر هو نوع من التخبط لأنه يخالف ذوق الفطرة يخالف ذوق المنطق السليم الذي أودعه الله في باطن الإنسان في أعماق الإنسان ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ﴾ لا يقومون يعني لا يتحركون لا يعملون ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ﴾ لا يتحركون لا يقومون بأي نشاطٍ من نشاطات الحياة ﴿إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ يعني أنهم يستندون إلى قواعد فكرية غير سليمة ثم الآية تبين ما هو المنطق الذي يعملون به ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ قالوا الربا بيع ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ فلماذا تقولون بأن الربا ليس صحيحاً هم هكذا يقولون، يقولون أن الربا والبيع شيءٌ واحد وقد أحل الله البيع فلماذا يحرم الربا؟ هم أوجدوا منطقاً خاصاً بهم القرآن يعتبر هذا المنطق منطق مخالف، مخالف في بعده الفكري للفكر الإنساني السليم مخالف في بعده العملي الواقعي وما ترتب على ذلك من أضرار ونحن نشهد ذلك في حياة المجتمع الإنساني اليوم وكذلك ما يترتب على هذا الأمر من بعدٍ أخلاقي هؤلاء الذين يتعاملون بهذه الطريقة شيئاً فشيئاً تسوء أخلاقهم تسوء أخلاقهم لا أقصد أنهم يتكلمون الكلام البذيء

مثلاً وإنما تختلف عندهم النظرة الإنسانية شيئاً فشيئاً تسلب منهم الرحمة شيئاً فشيئاً تسقط المقاسات الإنسانية تبقى المقاسات الربحية في حياتهم فهناك إذاً بعدٌ أخلاقي في القضية وبعدٌ عملي واقعي أضرار ملموسة ومحسوسة وهناك تخبط فكري الآية تتحدث عن هذه المضامين.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ القرآن ماذا يقول يخاطبهم ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ فمن جاه موعظة يعني من فكر في نفسه وفي مآله وفي حالة ووفقه الله لتوبة في روايات أهل البيت الموعظة هنا التوبة وقطعاً التوبة لا تأتي للإنسان إلا بتوفيقٍ من الله والتوفيق له أسباب ربما يسمع الإنسان موعظة ربما يرى أمامه شيئاً فيعتبر به ربما يفكرُ في حاله ومآله فيصل إلى باب التوبة ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ﴾ انتهى بسبب هذه التوبة ﴿فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ ما سلف له قطعاً لَمَّا تقول الآية فله ما سلف إذا لم يكن يشخص بأن هذه الأموال هي تعود ملكيتها إلى الشخص الفلاني يعني الآن المرابي حينما تكون عنده أموال والآن تاب كيف تكون توبة المرابي؟ المرابي إذا كان يعلم بأن هذا الجزء من أمواله تعود ملكيته إلى فلان وفلان يجب عليه أن يعيد هذه الأموال إلى أصحابها أما إذا اختلطت القضية وضاعت الأمور ولا يشخص المسائل والقضية مر عليها مثلاً زمنٌ طويل والمسائل غير واضحة فله ما سلف ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ ما مر ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الله سبحانه وتعالى هو الذي يتكفل به ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أمره إلى الله في الحياة الدنيوية وفي الحياة الأخروية لأنه الأموال المحرمة حتى لو في بعض الحالات يجوز للإنسان أن يتعامل معها مثل هذه الحالة فله ما سلف لعدم وجود التشخيص الدقيق في قضية ملكية هذه الأموال تبقى لها آثار تنعكس على النفس الإنسانية حتى وإن لم يترتب عليها الإثم الأخروي ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أمره إلى الله في الدنيا وفي الآخرة يعني أن الله سبحانه وتعالى لو وجد منه صدق النية ولو وجد منه حقيقة التوبة فإن الله سبحانه وتعالى يعصمه من الآثار السيئة لهذه الأموال.

﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ﴾ أما الذي أعتاد على هذه القضية تاب وعاد ندم فوجد بأنه لا يستطيع أن يحصل أموال كثيرة من دون مجهود إلا بالعودة إلى الربا ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ القرآن يقول ﴿ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ ﴾ تاب ﴿ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ الآية التي بعدها ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ يمحق المحق ما هو؟ المحق هو الإبطال الإزالة الإنهاء ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ يربي من التربية من الإنماء ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ قطعاً ليس الكلام هنا عن البعد المادي لربما هناك مؤسسات تعمل بالربا وأرباحها تزداد يوماً بعد يوم، المحق هنا في الجانب المعنوي في الآثار المعنوية في الآثار المترتبة الذي يأكل الحرام ربما يشبع ويجد الطعام طيباً لكن الآثار المعنوية المترتبة على أكل الحرام منها في عالم الدنيا لربما من أوضح الأمثلة عدم استجابة الدعاء عدم استشعار حلاوة الذكر عدم استشعار حلاوة الإيمان يسلب من الإنسان حلاوة الذكر يسلب من الإنسان حلاوة الإيمان يسلب من الإنسان الإقبال، الإقبال في العبادة في الطاعات دائماً يميل إلى الإدبار وإلى الكسل هناك آثار فضيعة للحرام الإنسان لا يراها ربما الإنسان يأكل الطعام فيشبع ويرتوي ويجد شرابه طيباً وطعامه طيباً وهو من الحرام القضية ليس في هذه الآثار، الآثار التي هي أبعد دائماً الفكر الديني والنصوص الدينية تتحدث عن شيءٍ وراء هذا الظاهر.

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ يربي الصدقات يضاعفها وربما أيضاً في بعض الحالات أن الله سبحانه وتعالى يمحق أموال المرابي فتأتيه خسارة لم تكن متوقعه فتقضي على كل ما جمع هذا يمكن أن يحدث أيضاً لكن الآية بالدرجة الأولى تتحدث عن البعد الأعمق الذي هو ما وراء الحس ﴿ وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ يربي الصدقات يعني ينمي الآثار المعنوية المترتبة على الصدقات هناك فارق بين من يمتص دماء الناس عن طريق الربا وبين من يضخ دماء جديد في حياة الناس وهو بدفع الصدقات بالإنفاق لإنعاش حياة الناس لإنعاش حياة الدين ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ كفَّار صيغة مبالغة يعني هذا المرابي كفَّار وأثيم الآية السابقة ماذا قالت ﴿ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ الآية هذه ماذا تقول ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ في كلمات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أقتطفَ نماذج وأمثلةً من هذه الكلمات، الرواية – **عن ابن أبي عمير عن هشام عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لَمَّا أُسري بي**

إلى السماء – في معراجه – **رأيتُ قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر أن يقوم من عِظم بطنه** – الذين يأكلون الربا كيف يتصور هذا في عالم المُثل في العالم المثالي في العالم الآخر هذا أكل الربا لأنه يأخذُ أضعافاً مضاعفة فكيف يتصور أن بطنه تكبر أضعافاً مضاعفة هذا تصوير في عالم المِثال – **لَمَّا أُسري بي إلى السماء رأيتُ قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر أن يقوم من عِظم بطنه فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس.**

الرواية، **عن سماعة بن مهران قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: سمعت الله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه** ﴿يَمحَقُ اللّهُ الرِّبَا وَيُربِي الصَّدَقَاتِ﴾ – سماعة يقول – **سمعت الله** – سمعتُ الله يعني من القرآن – **سمعت الله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه** ﴿يَمحَقُ اللّهُ الرِّبَا وَيُربِي الصَّدَقَاتِ﴾ **وقد أرى من يأكل الربا يربوا ماله** – يأكل الربا وماله يزداد – **قال إمامنا الصادق: فأيُ محقٍّ** – يعني أي إهلاكٍ أيُ إزالةٍ أي نقصٍ – **فأيُ محقٍّ أمحقُ من درهم الربا يمحقُ الدين وإن تاب ذهب ماله وافتقر** – هو هذا المحق – **فأي محقٍّ أمحقُ من درهم الربا يمحقُ الدين وإن تاب ذهب ماله وافتقر.**

الرواية، **عن إمامنا الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنه ليس شيءٌ إلا وقد وُكل به ملك** – ما من شيء في حياة الإنسان إلا وقد وكل الله به ملك – **إنه ليس شيءٌ إلا وقد وُكل به ملك غير الصدقة فإن الله يأخذها بيده ويربيها كما يربي أحدكم ولده حتى يلقاها** – يلقاها صاحبها – **يوم القيامة وهي مثلُ أُحد** – مثل جبل أُحد هذه الصدقة القليلة الله يربيها الإشارة إلى الآية ﴿يَمحَقُ اللّهُ الرِّبَا وَيُربِي الصَّدَقَاتِ﴾ .

الرواية، **عن ابن أبي عمير عن جميل** – جميل هذا هو جميل بن دُراج رضوان الله تعالى عليه – **عن أبي عبد الله عليه السلام قال: درهمُ ربا أعظم عند الله من سبعين زنيه بذات محرم في بيت الله** الحرام، **وقال: إن الربا سبعون جزءاً أيسره** – أيسر أنواع الربا – **أيسره مثل أن ينكح الرجل أمه في بيت الله الحرام** – والروايات كثيرة أنا فقط اقتطفتُ نماذج من كلمات النبي والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُم قَالُوا إِنَّمَا البَيعُ مِثلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ البَيعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَن عَادَ فَأُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ * يَمحَقُ اللّهُ الرِّبَا وَيُربِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ أثيم أي يتحمل الآثام والآثام

هي الآثار المترتبة على الأعمال السيئة والتي تنعكسُ على حياة الإنسان في الدنيا وتنعكسُ على موقف الإنسان في يوم القيامة حيث يترتب الجزاء والعقاب والعذاب على الآثام التي يأتي بها الإنسان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلَا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُم يَحزَنُونَ﴾ الحديث في هذه الآية عن المجموعة النقية التي تبتعد عن الحرام وعن الربا آخر آية في الحلقة الماضية تحدثت عن سيد الأوصياء وعن إنفاقه في الليل والنهار في السر والعلن وكأن الآية تريد أن تقول بأن القدوة هو هذا لا أولئك الذين يأكلون الربا فهناك الآية ضربت لنا المثل الأعلى وضربت لنا هنا في الذين يأكلون الربا المثل الأسفل الآن تأتي هذه الآية فتقول الذين يكونون بمنجاً من هذا الإثم ومن هذه النار ومن هذا الفساد من هم؟ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في روايات أهل البيت الآيات التي يأتي فيها هذا النص أمنوا وعملوا الصالحات تفسيرها في كلمات أهل البيت أمنوا بآياتنا بآيات الله في عليٍّ وآل علي ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ والصالحاتُ تأتي بمعنى مبرة الإخوان ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الصالحات هنا حينما تقول الروايات الصالحات مبرة الإخوان هذا مصداق من المصاديق المهمة وإلا فالصالحات عنوانٌ وسيع يندرج تحته معانٍ كثيرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ ينفقون ﴿لَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلَا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُم يَحزَنُونَ﴾ وهنا هذه الآية تتحدث عن أشياع عليٍّ نحن الآن إذا أردنا أن نعود إلى الآية التي تحدثت عن إنفاق عليٍّ في الليل والنهار والسر والعلن ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلَا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُم يَحزَنُونَ﴾ الآية هنا نفس التعابير موجودة فيها ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلَا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُم يَحزَنُونَ﴾ يعني هؤلاء أتباع ذلك القدوة أتباع ذلك المثل الأعلى الذي ينفقُ في الليل والنهار في السر والعلن وبنفس هذا التعبير مرت علينا أيضاً الآية الثانية والستون بعد المئتين وتحدثت في حينها عن هذه الآية وأنها في أتباع عليٍّ ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾ وقلنا هذا الإنفاق إنفاقٌ في سبيل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ﴿لَّهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلَا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُم يَحزَنُونَ﴾ هذه الآيات تتحدث عن عاقبةٍ واحدة كل هذه الآيات تقول ﴿لَّهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلَا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُم يَحزَنُونَ﴾ الآية التي بعدها

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لأنه كان من الصحابة ممن كان يعمل بالربا في الجاهلية وحتى حينما أسلم وهناك من الصحابة من كانت له ديون وأموال على أُناس من طريق التعامل الربوي فكانوا يريدون أن يسترجعوا هذه الأموال الآية تخاطب هؤلاء الذين كانوا يحاولون استرجاع الأموال الربوية التي قد اشتغلوا فيها وأقرضوها للناس في أيام الجاهلية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا﴾ أتركوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ ما بقي من الربا ما بقي من الأموال الربوية في ذمة الناس اتركوه ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الآية تقول لهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ باعتبار أنهم في صف المؤمنين في جو المؤمنين في مجتمع المؤمنين ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فدعوا هذا الربا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ .

وتذكر الكتب كتب السير تذكر إن خالد بن الوليد، الوليد والد خالد كان معروف تجارته من الربا كان مرابياً كبيراً فلما مات كانت له ديون وأموال ربوية عند قبيلة ثقيف وعند غيرها فخالد دخل في الإسلام فهو محسوب في جو المسلمين فأراد أن يسترجع هذه الأموال وكذلك غير خالد من ثقيف ومن غير ثقيف الآية في هذا الجو ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني في جو الإسلام ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يعني الآية هنا لا تثبت الإيمان تقول ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في الجو العام للإسلام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّم تَفْعَلُوا﴾ إن لم تفعلوا يعني إن لم تتركوا الربا ﴿فَإِن لَّم تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ مسألة الربا مسألة في غاية الأهمية لماذا هذه المسألة في غاية الأهمية؟ لأنها تتحدث في البعد الاقتصادي وحياة المجتمعات نشوء المجتمعات نماء المجتمعات التقدم والحضارة والتكنولوجيا والتخلف والصحة والمرض والبيئة والتعليم وكل شؤونات الحياة مردها إلى الاقتصاد فحينما يبنى الاقتصاد على أسس سليمة النتائج تكون سليمة قطعاً نحن نتحدث في الجانب النظري لأن المنظومة الفكرية الاقتصادية التي يتحدثُ عنها القرآن لا وجود لها في الواقع الخارجي هذي قضايا نظرية محضة الآن الشيء الحاكم في الحياة شيءٌ آخر لا علاقة له بالقرآن حتى في المجتمعات الإسلامية وحتى في الدول الإسلامية التي تحكم بقانون الإسلام لا تستطيع هذه الدول أن تنفذ قانون الإسلام هذه الدول مرتبطة بمنظومة اقتصادية عالمية تسقط هذه الدول لا تستطيع حتى لو كانت الحكومات الإسلامية راغبة في تطبيق قانون الاقتصاد الإسلامي لو استخرجنا

قانوناً ومنظومة اقتصادية إسلامية هي أصلاً غير موجودة على أرض الواقع نحن نملك نصوص متفرقة هنا وهناك لو كانت هناك منظومة اقتصادية متكاملة قد يقول البعض بأنه توجد هناك مثلاً بنوك إسلامية نعم هذه شبيها بالنظام الإسلامي لأن ما يجري في البنوك مجرد قضايا على الورق مجرد تغيير عناوين والآن لا نريد الخوض في هذه القضية صحيح قد يقال بأن الأحكام الشرعية مدارها مدار القوانين لكن هذا في بعد ظاهري محض الأحكام الشرعية له تأثير وعمق في الجانب الروحي والبعد المعنوي لحياة الناس وأنا لا أريد أن أنقاش هذه القضايا لكن بالنتيجة المجتمعات الإسلامية وحتى الحكومات الإسلامية والدول الإسلامية لا تستطيع أن تعمل بنظام الاقتصاد الإسلامي بسببٍ واضحٍ ورئيس أن المنظومة العالمية للاقتصاد في العالم لا علاقة لها بما نتحدثُ عنه من معانٍ أخلاقية أو مضامين فكرية معينة مردها إلى عقيدة التوحيد على أي حالٍ ﴿فَإِن لَّم تَفعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَربٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لربما هذا الموطن الوحيد الذي تصرح فيه الآيات القرآنية بأن الذي يرتكب هذا الجرم يرتكب هذه الخطيئة فإنه سيواجه بحربٍ من الله ورسوله لماذا؟

لأهمية الموضوع الاقتصادي في حياة الناس الاقتصاد هو الذي ينشأ الدول ويسقط الدول الاقتصاد هو الذي يجعل الدول تتقدم تنتصر ويجعل الدول كذلك تخذل وتخسر وتذهب إلى الحضيض بسبب الاقتصاد لذلك الآية هنا حينما تقول بأن المرابي يؤذن بحربٍ من الله ورسول لأجل قطع هذا الشر من جذمه للتأكيد على هذا الموضوع ﴿فَإِن لَّم تَفعَلُوا﴾ يعني إن لم تتركوا الربا والتعامل بالربا ﴿فَأْذَنُوا بِحَربٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبتُم فَلَكُم رُؤُوسُ أَموَالِكُم﴾ إذا تبتم ﴿فَلَكُم رُؤُوسُ أَموَالِكُم﴾ تأخذونها استرجعوا ديونكم وقروضكم ﴿لاَ تَظلِمُونَ وَلاَ تُظلَمُونَ﴾ لا تظلمون أحداً فتأخذون الزيادات والمضاعفات من الأرباح ولا تُظلمون أموالكم تعود إليكم.

﴿فَإِن لَّم تَفعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَربٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبتُم فَلَكُم رُؤُوسُ أَموَالِكُم لاَ تَظلِمُونَ وَلاَ تُظلَمُونَ * وَإِن كَانَ ذُو عُسرَةٍ﴾ وإذا كان الشخص الذي أقرضتموه الأموال حاله متعسر لا يستطيع أن يرجع إليكم أموالكم ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيسَرَةٍ﴾ فأمهلوه نظرة يعني أمهلوه انتظروه حتى يتيسر حاله فيعيد اليكم أموالكم من دون الفوائد والمضاعفات ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيرٌ لَّكُم﴾ وإذا تتصدقون وتسامحون هؤلاء الأشخاص الذين أقرضتموهم الأموال ولطالما جمعتم ما جمعتم من أرباح الربا فتصدقوا بهذه الأموال على هؤلاء المعسرين ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيرٌ لَّكُم إِن كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ .

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ إمهال ﴿إِلَى مَيسَرَةٍ﴾ حتى يتيسر حاله ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيرٌ لَّكُم إِن كُنتُم تَعلَمُونَ * وَاتَّقُوا يَومًا تُرجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ﴾ اتقوا ذلك اليوم فكروا في ذلك اليوم الآن أنتم أعفوا عن الناس حتى يعفوا الله عنكم ﴿وَاتَّقُوا يَومًا تُرجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ﴾ لا عندكم لا أموال ولا ربا ولا أرباح ولا فوائد ولا أي شيء آخر أنتم وأعمالكم تذكروا ذلك اليوم وقد ارتكبتم ما ارتكبتم من الأعمال والآثام تذكروا ذلك اليوم وأعفوا عن هؤلاء المُعسرين.

﴿وَاتَّقُوا يَومًا تُرجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفسٍ مَّا كَسَبَت﴾ الله يحاسب النفوس على هذا لأساس يوفيها جزاءها بحسب ما قدمت ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفسٍ مَّا كَسَبَت وَهُم لاَ يُظلَمُونَ﴾ لا يوجد هناك ظلم هذه الآيات من الآية الخامسة والسبعين بعد المئتين إلى الآية الحادية والثمانين بعد المئتين كل هذه الآيات هي في جو موضوعة الربا وهذا العدد وهذا الكلام الكثير والتأكيد بخصوص موضوع الربا لأهمية هذا الموضوع ولتأثيره في اقتصاد الناس والاقتصاد هو العصب الواقعي عصب الحياة في هذا الزمان وفي كل زمان بعد هذه الآية تأتينا أطول آيةٍ في كتاب الله سورة البقرة هي أطول سورة في الكتاب الكريم وفيها الآية الثانية والثمانون بعد المئتين هي أطول آية من آيات الكتاب الكريم الآية الأطول الآن هذه الآية في صفحة كاملة في المصحف الذي بين يدي هذه الآية قد أخذت صفحة كاملة من صفحات المُصحف هذه الآية الطويلة معروفة عند الكثيرين الآية التي تتحدث عن مسألة الكتابة كتابة العقود ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكتُبُوهُ﴾ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى: أجل مسمى يعني إلى أجل معين محدد ﴿فَاكتُبُوهُ﴾ اكتبوا هذا النوع من المعاملات دفعاً للمشاكل دفعاً للمشاكل التي قد تكون وتحدث فيما بين الأطراف المتداينة أو ربما يموت أحدهم أحد الأطراف وتنشأ المشاكل فيما بين الطرف الثاني والوراث فدفعاً لهذه المشاكل تكاتبوا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى أجل معين ﴿فَاكتُبُوهُ﴾ هذا أمر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكتُبُوهُ وَلْيَكتُب بَّينَكُم كَاتِبٌ بِالعَدلِ﴾ وأن تكون هناك جهة هي التي تكتب الكتاب في ضمن أسس هذا العقد يكتب ضمن قواعد ضمن قوانين ضمن أسس ﴿وَلْيَكتُب بَّينَكُم كَاتِبٌ بِالعَدلِ﴾ بالعدل يعني بالاستقامة بالصواب وفقاً لما يريده الله سبحانه وتعالى ﴿وَلْيَكتُب بَّينَكُم كَاتِبٌ

بِالعَدلِ وَلاَ يَأبَ كَاتِبٌ أَن يَكتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ ﴾ لا يأب لا يرفض يعني إذا جئتم إلى كاتبٍ تطلبون منه أن يكتب لكم عقداً أن يكتب لكم مكاتبة على هذا الدين أو على أي معاملة من المعاملات التجارية الآية تقول فإن هذا الكاتب لا يحق له أن يرفض أن يكتب العقود وفقاً للصيغ الشرعية التي يريدها الله سبحانه وتعالى ﴿ وَلاَ يَأبَ ﴾ ولا يرفض لا يحق له أن يرفض ﴿ وَلاَ يَأبَ كَاتِبٌ أَن يَكتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ ﴾ يعني لا يريد أن يكتب كتابة بحسب ما يريد هو أو بحسب قواعد وأعراف مخالفة لِما يريده الله ﴿ وَلاَ يَأبَ كَاتِبٌ أَن يَكتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ ﴾ يجب عليه أن يكتب العقود كما يريد الله أن تكتب ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكتُبُوهُ وَلْيَكتُب بَّينَكُم كَاتِبٌ بِالعَدلِ ﴾ بالعدل كما قلنا بالاستقامة بالرضا بالصواب ﴿ وَلاَ يَأبَ كَاتِبٌ أَن يَكتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكتُب وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيهِ الحَقُّ ﴾ فَلْيَكتُب: من هو الذي يكتب؟ ﴿ فَلْيَكتُب وَلْيُمْلِلِ الَّذِي ﴾ الذي عليه الحق إما أن يكتب وإما أن يملي على الكاتب إذا كان الذي عليه الحق يريد أن يكتب إقراراً الذي عليه الحق يعني الذي عليه الدَين الذي عليه مستلزمات والتزامات يجب أن يؤديها في دينٍ في قرضٍ في بيعٍ في شراءٍ في معاملة من المعاملات التجارية المختلفة.

﴿ فَلْيَكتُب وَلْيُمْلِلِ ﴾ يملل يعني ليملي ليصرح ليقر بلسانه حتى الكاتب يسمع التصريح والإقرار فيكتبه ثم يشهد الشهود على ذلك حتى تكون القضية قضية مصدقة ورسمية ﴿ وَلاَ يَأبَ كَاتِبٌ أَن يَكتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكتُب ﴾ فليكتب قد تكون للكاتب وقد تكون للذي عليه الحق والمعنى واحد ﴿ فَلْيَكتُب وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيهِ الحَقُّ ﴾ يملل يعني ليصرح ﴿ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ ﴾ ليتق الله رب فيما يصرح به فيما يقر به أن يكون صادقاً لا أن يكون ظالماً للطرف الآخر ﴿ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبخَس مِنهُ شَيئًا ﴾ لا يبخس يعني لا ينقص حقه، الإبخاس هو الإنقاص بخسه أنقصه أن لا يخونه في المعاملة أن لا ينقصه حقه أن لا يغبنه حقه ﴿ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيهِ الحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبخَس مِنهُ شَيئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيهِ الحَقُّ سَفِيهًا أَو ضَعِيفًا ﴾ الذي عليه الحق إما يعني الذي عليه القروض عليه الالتزامات الشرعية الالتزامات المالية ﴿ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيهِ الحَقُّ سَفِيهًا ﴾ سفيه يعني لا يمتلك القدرة العقلية الكاملة لا يحسن التصرف في أمواله وفي شؤونه ﴿ أَو ضَعِيفًا ﴾ ضعيفاً

يعني ليس بالغاً كأن يكون صغيراً ﴿فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيهِ الحَقُّ سَفِيهًا﴾ لا يحسن التصرف في أمواله ﴿أَو ضَعِيفاً﴾ صغيراً ﴿أَو لاَ يَستَطِيعُ أَن يُمِلّ﴾ لا يستطيع أن يمل إما لمرض مثلاً أو أنه كأن يكون أخرس مثلاً لا يستطيع الكلام أو لأسباب أخرى بالنتيجة لا يستطيع أن يمل أو لعجز هو عاجز عن التعبير عاجز عن الكلام يستطيع أن يتكلم لكن لا يملك القدرة على التصريح والتبيين بشكل واضح ﴿أَو لاَ يَستَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَليُملِل وَلِيُّهُ بِالعَدلِ﴾ لابد أن يكون له ولياً إذا كان مريض أن يكون هناك من ينوب عنه من يتولى أمره فإذا لم يكن يستطيع أن يُصرح أو أن يبين ما عليه لكاتب العقد فلابد أن يكون هناك من يتولى أمرهُ وهو يتابع مسألة العقد والمكاتبة.

﴿فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيهِ الحَقُّ سَفِيهًا أَو ضَعِيفاً أَو لاَ يَستَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَليُملِل وَلِيُّهُ بِالعَدلِ وَاستَشهِدُوا شَهِيدَينِ من رِّجَالِكُم﴾ شهود أيضاً واستشهدوا هذا أمر ﴿وَاستَشهِدُوا شَهِيدَينِ من رِّجَالِكُم﴾ حتى تكون العقود كاملة وصحيحة ﴿فَإِن لَّم يَكُونَا رَجُلَينِ﴾ إذا لم يكونا هناك قد توفر رجلان ﴿فَرَجُلٌ وَامرَأَتَانِ مِمَّن تَرضَونَ مِنَ الشُّهَدَاء﴾ من الشهداء يعني من الشهود ﴿أَن تَضِلَّ إِحدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحدَاهُمَا الأُخرَى﴾ لماذا امرأتان؟ الآية تبين تقول بحكم مشاغل المرأة في حياتها اليومية فلربما تنسى تضل يعني تنسى هكذا فُسِّرت في الروايات وهكذا ذكرها المفسرون ونفس الآية تبين ذلك ﴿أَن تَضِلَّ إِحدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ﴾ تُذَكِّر ماذا؟ تُذَكِّر الأخرى لأنها نسيت ﴿أَن تَضِلَّ إِحدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحدَاهُمَا الأُخرَى﴾ وهذه الآية فيها إشارة ودلالة على أن المعصوم النبي أو الإمام لا يمكن أن ينسى لأن القرآن عَدَّ النسيان من الضلال هنا والنبي والإمام لابد أن يكون منزهاً عن كل نوعٍ من أنواع الضلال وقطعاً هو النسيان درجة من درجات الضلال لأنهُ إذا نسي سيقود الأُمَّة إلى الضلال فالآية هنا عدت النسيان نحواً من أنحاء الضلال وهي فيها إشارة واضحة وصريحة إلى أن النبي وأن الإمام منزه عن النسيان.

﴿وَاستَشهِدُوا شَهِيدَينِ من رِّجَالِكُم فَإِن لَّم يَكُونَا رَجُلَينِ فَرَجُلٌ وَامرَأَتَانِ مِمَّن تَرضَونَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إِحدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحدَاهُمَا الأُخرَى وَلاَ يَأبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُوا﴾ ولا يرفض الشهداء إذا ما دُعوا، إذا ما دعوا كي يشهدوا على العقود فلا يرفضوا لأن هذه المسائل كلها يعضد بعضها البعض الآخر لأجل أن تكون المعاملات سليمة وحينما تكون المعاملات سليمة هذا سيؤدي إلى أن يكون الاقتصاد والعلاقات الاقتصادية

في المجتمع سليمة وحينما يكون الاقتصاد سليماً في حياة الناس هذا سيؤدي إلى رخاء الحياة إلى تطور الحياة إلى نمو الحياة ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ إذا ما دُعوا للشهادة ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾ لا تسأموا لا يصيبكم الملل لا يصيبكم الضجر لا يصيبكم شيء من النكوص النفسي أنتم أكتبوا العقود واستشهدوا على ذلك بالشهداء وحددوا الأجل سواء كان هذا الأجل قريب أو بعيد أكتبوا كل شيءٍ ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ لا يصيبكم السأم والملل ﴿أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا﴾ أن تكتبوا صغيراً أو كبيراً، صغيراً أو كبيراً أما المراد يعني أن هذه الديون وهذه العقود صغيرة قيمتها المالية صغيرة أو كبيرة أو المراد صغيراً أو كبيراً هو مدة الأجل.

﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ ذَلِكُم أَقسَطُ عِندَ اللّهِ: أعدل حينما تكتبون كل شيءٍ في العقد سواء كان المال قليلاً أو كثيراً الأجل قريباً أو بعيداً وتستشهدون بالشهداء إذا نظمتم الأمور بهذه الطريقة فإن ذلك أقسط عند الله أعدل وأفضل ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ وهو أقوم للشهادة وهو أفضل وأحسن ما يكون حينما يأتي الشهداء الشهود فيشهدون والتفاصيل كلها موجودة في العقود المكتوبة تكون القضايا واضحة وحينئذٍ القضاء يمكن أن يُصدر حكمهُ من دون أن يُظلم هذا الطرف أو ذاك الطرف ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ حتى لا تصيبكم الشكوك والريب لأن القضايا مكتوبة ومحددة بآجالها بأرقامها بشهودها ﴿وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ أقل شيء أنه لا يصيبكم الريب والشك والاحتمال والظن وإنما ستكون القضايا واضحة إذا كانت مكتوبة ومبينة ومفصلة في العقود ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ أما إذا كانت المعاملة واضحة وصريحة الثمن والمُثمن موجودان على أرض الواقع فأنا أدفع الثمن وأنت تعطيني المُثمن فالقضية لا تحتاج إلى مكاتبة لا جُناح علينا إذا لم نتكاتب في هذا الأمر وإن كان في زماننا هذا حتى هذه الأمور تحتاج إلى مكاتبة لأن الأعراف الاقتصادية تغيرت الثقافة الاقتصادية في المجتمع تغيرت ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ يعني الثمن حاضر والمثمن حاضر ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ بينكم بين أناس يعرف بعضهم البعض الآخر يعني الثمن حاضر المثمن حاضر والأفراد أحدهم يعرف الآخر والتجارة حاضرة ومستعجلة فلا جُناح عليكم

أن لا تكتبوها ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَينَكُم فَلَيسَ عَلَيكُم جُنَاحٌ أَلاَّ تَكتُبُوهَا وَأَشهِدُوا إِذَا تَبَايَعتُم﴾ إذا صارت عملية البيع أشهِدوا في عملية البيع حتى لا تترتب على ذلك مشاكل ولو ترتبت فهناك شهود وهناك عقود ﴿وَأَشهِدُوا إِذَا تَبَايَعتُم وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾ وهذا الكاتب الذي يكتب العقود مكتب العقود أو الشهود الذين يؤتى بهم ليشهدوا على العقود هؤلاء لا يجوز أن يُضاروا أن يصيبهم الضرر من أي طرف من الأطراف هؤلاء مجرد جهة تعينكم على أن تكون العقود صحيحة يعني لا يجوز أن يُضاروا أن يلحق بهم أي ضرر ﴿وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾ شهيد يعني شاهد ﴿وَإِن تَفعَلُوا﴾ وإذا فعلتم أمراً سبب المضرة بكاتب العقود أو بالشهود ﴿وَإِن تَفعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُم﴾ هذا عملٌ في غاية الخروجِ عن الطريق الصحيح، الفسوق هي المبالغة في الفسق، الفسوق يعني عمل خارج عن الجادة السليمة عن الجادة الصحيحة في غاية البُعد.

﴿وَإِن تَفعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُم وَاتَّقُوا اللّهَ﴾ اتقوا الله في كل جزءٍ من أجزاء حياتكم في كل جزءٍ من أجزاء هذه المعاملات ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾ وهذه التعليمات تعليمات من الله سبحانه وتعالى هذه قوانين التزموا بها، الله بكل شيءٍ عليم، الله سبحانه وتعالى حين ينظم لكم أمور حياتكم في هذا التشريع أو في غيرهِ هو ناظر إلى مسائل أبعد من الأمور التي تنظرون إليها، القضية ليس فقط في بُعد مالي في ربح وخسارة هناك مسائل أخلاقية وهناك مسائل تترتب على هذه القواعد وهذه القوانين مردها إلى البُعد المعنوي والبُعد الروحي للإنسان، والبعد المعنوي والبُعد الروحي للإنسان له مدخلية في قضية الضلال والهداية في قضية العاقبة الحسنة وقضية العاقبة السيئة وهذه الأمور مترابطة ومتراكبة، هذه أطول آية من آيات الكتاب الكريم بنحوٍ سريع أتلوها على مسامعكم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكتُبُوهُ وَلْيَكتُب بَّينَكُم كَاتِبٌ بِالعَدلِ وَلاَ يَأبَ كَاتِبٌ أَن يَكتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكتُب وَلْيُملِلِ الَّذِي عَلَيهِ الحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبخَس مِنهُ شَيئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيهِ الحَقُّ سَفِيهًا أَو ضَعِيفًا أَو لاَ يَستَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُملِلْ وَلِيُّهُ بِالعَدلِ وَاستَشهِدُوا شَهِيدَينِ من رِّجَالِكُم فَإِن لَّم يَكُونَا رَجُلَينِ فَرَجُلٌ وَامرَأَتَانِ مِمَّن تَرضَونَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إِحدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحدَاهُمَا الأُخرَى وَلاَ يَأبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُوا وَلاَ تَسأَمُوا أَن تَكتُبُوهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُم أَقسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدنَى أَلاَّ تَرتَابُوا إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً

﴿حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ هذه هي الآية الثانية والثمانون بعد المئتين، الآية التي بعدها هي في نفس سياق المكاتبات والعقود والمداينات والمبايعات ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ الكلام في الآية السابقة كان الحديث عن إنسان يعيش في بلدهِ مقيم في موطنهِ ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ إذا وجدتم كاتباً فاكتبوا، لكن كنتم على سفرٍ وما وجدتم كاتباً للعقود ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ كيف يأمن بعضكم إلى البعض الآخر للحفاظ على حقوقهِ لابد من وجود عملية رهن مراهنة رهن ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ رهان مقبوضة لابد أن تقبض لا أن يقال رهن يكتب على الورق كما يحدث في أيامنا هذه ﴿فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ لابد أن تقبض هذه الرهان.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ يعني هذه صيغة وطريقة لأجل أن يحافظ الناس على حقوقهم الاقتصادية ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ يعني إذا كنتم على سفر وكان الكاتب موجوداً فاكتبوا ولكنكم إذا ما وجدتم كاتباً ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ إما وصلتم إلى مكان معين أو ازدادت العلاقة والتعارف فيما بينكم بحيث اطمئننتم اطمئنن هذا البعض إلى ذلك البعض ﴿فَإِنْ أَمِنَ﴾ أَمِن يعني أصابه الأمان الاطمئنان ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ يعني ليرجع الرهان وليأخذ كل شخصٍ حقهُ ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ هذا الخطاب لمن؟ للشهود ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ لأن كتمان الشهادة فيه ضياع لحقوق الناس ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ في ذلك مضيعة لحقوق الناس.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ هناك نهيٌ شديد في الروايات عن كتمان الشهادة لأن ذلك يبطل حقوق الناس ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ آثمٌ قلبه هذا الإثم تترتب آثارهُ على قلب الإنسان في الحياة

الدنيوية وكذلك في الحياة الأخروية ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ الآية التي بعدها ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بعد بيان هذه الأحكام وبعد بيان هذه التفصيلات جاء القرآن ليقول ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الله هو الحاكم وهو المالك وهو القادر فحين يشرع هذه القوانين فإنما يشرع هذه القوانين في مملكتهِ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ الله سبحانه وتعالى سيحاسبكم على ما تُظهرون وعلى ما تخفون، الملكُ مُلكه، المال ماله، والخلق عياله والدار دارهُ والنظام نظامه.

﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ بعد المحاسبة ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية هنا تتحدث عن أن الله سبحانه وتعالى يحاسب العباد بما كتموا وبما أظهروا لأن الناس قد يُظهرون أشياء غير الأشياء المكتومة في بواطن نفوسهم وفي خلجات ضمائرهم، في روايات أهل البيت عندنا رواية تتعلق بهذه الآية الرواية في تفسير العياشي – **عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه في قولهِ تعالى** ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ – الإمام ماذا قال في جو هذه الآية، الآية تتحدث عن إبداء شيء وإخفاء شيء وعن محاسبة على كل ما يبدو وعلى كل ما يخفى ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ ماذا قال إمامنا الصادق؟ – **قال: حقيقٌ على الله أن لا يُدخل الجنة من كان في قلبهِ مثقال حبةٍ من خردل من حبهما** – من حب أعداء أهل البيت من حب أعداء الزهراء صلوات الله وسلامه عليها – **حقيقٌ على الله أن لا يُدخل الجنة من كان في قلبهِ مثقال حبةٍ من خردل من حبهما** – لأنهُ قد يكون مقداراً ضعيفاً قليلاً فيكون خفياً، الآية تقول ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ وأعتقد أن المصاديق على مثل هذا المعنى كثيرةٌ في زماننا وخصوصاً في أوساطنا نظرة سريعة إلى بعض الفضائيات تتجلى هذه الحقائق التي يشير إليها إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه.

﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ – **قال حقيقٌ على الله أن لا يُدخل الجنة من كان في قلبهِ مثقال حبةٍ من خردل من حبهما** – الآية التي بعد هذه الآية

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ وَالمُؤمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعنَا وَأَطَعنَا غُفرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ المَصِيرُ﴾ الحديث هنا عن أصول الإيمان لذلك هناك من العلماء من قال بأن هذه الآية تشتمل على أصول الدين ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ وَالمُؤمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ﴾ يعني الآية هنا تتحدث عن الأصول التي يؤمن بها الرسول ويؤمن بها المؤمنون من أتباعه.

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ وَالمُؤمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ التفريق هنا لا على أساس أن نعتقد بأنهم كلهم في مرتبة واحدة فإن الله سبحانه وتعالى قد فَضَّل الرسل ومرت علينا الآيات القرآنية التي تتحدث عن هذا المعنى وعن هذا المضمون الآية الثالثة والخمسون بعد المئتين ﴿تِلكَ الرُّسُلُ فَضَّلنَا بَعضَهُم عَلَى بَعضٍ﴾ فهنا الآية تقول ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ لا نفرق بين أحدٍ من رسله في مسألة تقديسهم في مسألة قبول أقوالهم في مسألة الاعتقاد بوحدة ديانتهم في مسألة الاعتقاد بأن هؤلاء الرسل بعضهم يكمل البعض الآخر وأن نعتقد بأن ما جاءوا به، جاءوا به من عند الله سبحانه وتعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ وَالمُؤمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا﴾ من الذين قالوا؟ في الآية الرسول والمؤمنون ﴿وَقَالُوا سَمِعنَا وَأَطَعنَا غُفرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ المَصِيرُ﴾ لأن الآية في أولها ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ وَالمُؤمِنُونَ كُلٌّ﴾ يعني الرسول والمؤمنون ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعنَا وَأَطَعنَا﴾ سمعنا وأطعنا لله وللرسل، سمعنا وأطعنا لِما جاء في الكتب لأن الآية تحدثت آمن بالله وملائكتهِ وكتبه ورسله، سمعنا وأطعنا أطعنا لله وأطعنا لكتاب الله وأطعنا لرسول الله ﴿وَقَالُوا سَمِعنَا وَأَطَعنَا غُفرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ المَصِيرُ﴾ نحن سمعنا وأطعنا ونطلب مغفرتك لأننا مقصرون حتى لو سمعنا وأطعنا فإن أعمالنا ناقصة تحفها النقيصة نحن لسنا بمعصومين ﴿غُفرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ المَصِيرُ﴾ المصير إليك هذه الآية كما قلت قبل قليل هناك من العلماء من قال بأن أصول الدين منحصرة في هذه الآية.

الآية بشكلٍ عام ربما يمكن أن يقال عنها هذا المعنى ما زال وصلنا للحديث عن أصول الدين نحن الآن المعروف عندنا أن أصول الدين خمسة، التوحيد النبوة الإمامة والعدل والمعاد هذه الأصول الخمسة هي استنتاج من العلماء استنتجت من خلال الآيات ومن خلال الروايات الأحاديث المعصومية وإلا نحن لا

نملك نصاً قرآنياً ولا نملك نصاً عن النبي وعن الأئمة يقول بأن أصول الدين هي هذه الخمسة نحن لا نملك نصاً في ذلك لا توجد آية في القرآن الكريم ولا يوجد حديث أيضاً مروي عن النبي وعن الأئمة يخبرنا بأن أصول الدين هي هذه الخمسة لا يعني أن هذه الأصول ليست صحيحة أنا أريد أن أوضح للمشاهد من أين جئنا بهذه الأصول الخمسة هذه الأصول الخمسة استقاها العلماء من آيات الكتاب الكريم ومن كلمات النبي والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين علماً أنه لا يوجد اتفاق كامل بين الجميع على أن أصول الدين محصورة في هذه الخمسة قطعاً هي هذه أصول الدين لكن قد يقع الاختلاف في القضايا الاصطلاحية يعني نحن لو أردنا أن ندقق النظر في أصول الدين حتى في هذه الأصول الخمسة فإن المعاد مردهُ إلى العدل والعدل مردهُ إلى التوحيد والإمامة مردها إلى النبوة والإمامة والنبوة هي الولاية النبوة ولاية والإمامة ولاية يعني لو أردنا أن نحمل المعنى فإن أصول الدين هي عبارة عن أصلين التوحيد والولاية.

التوحيد يشتمل على العدل والعدل يشتمل على المعاد المعاد هو من شؤون العدل والعدل هو أيضاً مردهُ إلى التوحيد لا نستطيع أن نتصور التوحيد من دون العدل والمعاد ينطوي تحت العدل فهذا الأصل الأول، الأصل الثاني وهو الولاية، الولاية في بُعديها النبوة والإمامة لذلك نحن دائماً نجد في روايات أهل البيت في كلمات أهل البيت التركيز على هذين العمودين عمود التوحيد وعمود الولاية دائماً أنه من أطاع الله أطاعكم من أطاعكم أطاع الله من أحب الله أحبكم ومن أحبكم أحب الله هناك دائماً عمودان واضحان التوحيد والولاية وهما أصول الدين الحقيقية أما هذا التقسيم التوحيد النبوة الإمامة العدل المعاد هذا تفريع لهذين الأصلين حينما نتصفح آيات الكتاب الكريم وحينما نحاول أن ندرس بدقة ما جاء عن النبي وعن الأئمة المعصومين نجد أن أصول الدين تندرج في هذين الأصلين في أصل التوحيد وفي أصل الولاية وكما يقال بأن القرآن ظاهرهُ توحيد وباطنه ولاية كل الذين يمتلكون الخبرة في معرفة حديث أهل البيت وفي معرفة روايات التفسير الذين يمتلكون الخبرة في تفسير القرآن وفقاً لمنهج أهل البيت ووفقاً لذوق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يعرفون هذه الحقيقة بأن القرآن ظاهرهُ توحيد وباطنه ولاية وهما أصلا الدين وهما أصلا العقيدة التوحيد ينضوي تحتهُ العدل وتحت العدل ينضوي المعاد والنبوة والإمامة ينضويان تحت عنوانٍ وسيع هو الولاية على أي حالٍ.

الآية هذه ذهب البعض من العلماء إلى أن هذه الآية تتحدث عن أصول الدين ومع ذلك المسألة فيها نقاش وفيها بحث ونحن نبين المعاني بشكل عام بشكل مجمل ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

آخر آية من آيات سورة البقرة ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ هذه قاعدة وقانون ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الله سبحانه وتعالى لا يكلف العباد، الوسع هو الطاقة الوسع الطاقة، الطاقة يعني المقدرة الله سبحانه وتعالى من لطفهِ لا يكلف العباد في تكاليفهِ الدينية في تكاليفهِ الشرعية وحتى في تكاليفهِ التكوينية، الله سبحانه وتعالى حينما يقدر لهذا المخلوق الدائرة التكوينية التي يتحرك فيها يمنحه القدرة على التحرك في تلك الدائرة التكوينية الله لا يكلف العباد لا يكلف المخلوقات شيئاً فوق طاقتها أصلاً التكاليف دون الطاقة، التكاليف التي كلفنا الله سبحانه وتعالى بها أصلاً هي دون الطاقة لم تصل إلى حد طاقتنا لكن هذه القاعدة هذه القاعدة قاعدةٌ تتحدث عن لطف الله تتحدث عن حكمة الله.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ لها ما كسبت ما نالتهُ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ما كسبتهُ جاء الفعل بهذه الصيغة ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ ما نالته ووصلت إليه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ما قال وعليها ما كسبت قال ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ يعني ما اكتسبت من السيئات لأن اكتساب السيئات يحتاج إلى إضرار بالنفس لذلك جاءت الكلمة أكثر في المباني إلا يقولون بأن الزيادة في المباني تدل على زيادة في المعاني يعني حينما تزداد الحروف التي تبنى منها الكلمة يزداد معنى الكلمة ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ التفريعات على هذا القانون ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ ما كسبتهُ في الخير فهو لها ﴿وَعَلَيْهَا﴾ يكون ضدها ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ما قال وعليها ما كسبت قال ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ يعني وكأنها بذلت جهداً أكثر في كسب السيئة المقصود هنا ليس الجهد المادي ربما يكون تحصيل الحسنة يحتاج إلى جهد أكثر من كسب السيئة لكن المقصود الآثار الإنسان حينما يرتكب السيئة فكأنه سعى لتحصيل الآثار السيئة الآثار المتعبة آثار السيئات أكثر تعباً في الدنيا وفي الآخرة لذلك الفعل جاء فيه زيادة في المباني.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾ لا تؤاخذنا لا تحاسبنا ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ لا تحاسبنا ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ طبعاً هذه الآية هذه الآية في أي سياق؟ في سياق الآية السابقة آمن الرسول والمؤمنون وكأنهم هم الذين يدعون بهذا الدعاء قطعاً هذا الدعاء هو دعاء المؤمنين وإلا النبي صلى الله عليه وآله منزهٌ عن الخطأ وهذه الآية أيضاً فيها إشارة إلى أن النبي منزهٌ عن

النسيان لأن النسيان والخطأ جاء أحدهما معطوفاً على الآخر ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ هذا لسان المؤمنين وليس لساناً للنبي النبي لا يخطيء فحينما يكون هذا الدعاء دعاء للمؤمنين وإنما نفهم ذلك من خلال القرينة الموجودة وأخطأنا فالنبي لا يخطئ إذاً كما أنه لا يخطيء هو كذلك لا ينسى لأن النسيان والخطيئة من صفات المؤمنين.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ إصراً يعني أثقالاً يعني أغلالاً يعني صعوبات أوزار، أوزار لا بمعنى السيئات أوزار بمعنى الأثقال ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ على الذين من قبلنا يعني على اليهود والنصارى على الأمم التي سبقتنا في سورة الأعراف الإشارة إلى هذا المعنى في سور الأعراف في الآية السابعة والخمسين بعد المئتين ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾ يعني الذين يتبعون النبي الأمي من اليهود والنصارى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ ويضع عنهم إصرهم يعني أن مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله جاء بدينٍ يضع عن اليهود والنصارى إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ الآن نحن نقرأ في آخر آية من سورة البقرة ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ يعني لا تكلفنا بنفس التكاليف التي كلفت بها مثلاً اليهود والنصارى سأورد رواية فيها تفصيل لهذا الكلام نحن والآية الآن ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ ما لا طاقة لنا به ما لا نستطيع أن نأتي به، ما هو يتجاوز حدود طاقتنا ما لا طاقة لنا به وهو تأكيد للمعنى السابق الآية بينت ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ بل كما قلت الله كلفنا بسبب رحمتِهِ ولطفه وجودهِ ما دون الطاقة ما كلفنا به من تكاليف شرعية هو دون الطاقة يعني بإمكاننا أن نُكَلَّف وأن نعمل بما هو أكثر من ذلك ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أنت مولانا يعني أنت راعينا أنت مدبر أمورنا وهذه الآية صريحة في أن كلمة مولى لا تعني فقط الناصر أو المُحِب كما يفسر المخالفون كلمة مولى في حديث الغدير ألا من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، كلمة مولى هنا

واضحة ﴿أَنتَ مَولاَنَا فَانصُرنَا عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ﴾ كيف يكون النصر من دون تدبير الحال مع الآيات السابقة ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفسًا إِلاَّ وُسعَهَا﴾ أليس هذا تدبير للأمر ﴿لَهَا مَا كَسَبَت وَعَلَيهَا مَا اكتَسَبَت﴾ أليس هذه إدارة ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذنَا إِن نَّسِينَا أَو أَخطَأنَا﴾ هذه رعاية لكل صغائر الأمور وكبائرها ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحمِل عَلَينَا إِصرًا كَمَا حَمَلتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعفُ عَنَّا وَاغفِر لَنَا وَارحَمنَآ أَنتَ مَولاَنَا﴾ يعني هذه الشئون التي مرت في الآية هي من شئون المولوية ﴿أَنتَ مَولاَنَا فَانصُرنَا عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ﴾ النُصرة هذا شأنٌ آخر في ضمن هذه الشؤون الكثيرة فكلمة المولى كما في هذه الآية تعطي هذا المعنى تعطي معنى النصرة والمحبة والإدراة والتدبير والحكمة والعفو والمغفرة كلها هذه تدخل في عنوان المولوية في عنوان المولى كما قال سيد المرسلين لسيد الأوصياء ألا من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه.

﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفسًا إِلاَّ وُسعَهَا لَهَا مَا كَسَبَت وَعَلَيهَا مَا اكتَسَبَت رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذنَا إِن نَّسِينَا أَو أَخطَأنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحمِل عَلَينَا إِصرًا كَمَا حَمَلتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعفُ عَنَّا وَاغفِر لَنَا وَارحَمنَآ أَنتَ مَولاَنَا فَانصُرنَا عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ﴾ في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أقتطف هاتين الروايتين الرواية الأولى أقتطف منها مقطعاً الرواية طويلة والمقطع الذي أريد أن أذكرهُ هو طويلٌ أيضاً لكن هذا المقطع يشرح لنا ما جاء في الآية ﴿وَلاَ تَحمِل عَلَينَا إِصرًا كَمَا حَمَلتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِنَا﴾ أنا أقرأ هذا المقطع لنرى فضيلة رسول الله صلى الله عليه وآله وكرم الباري سبحانه وتعالى وما منَّ به الباري سبحانه وتعالى على هذه الأُمَّة لفضل رسول الله صلى الله عليه وآله الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في معراجهِ والحديث طويل أخذ منه موطن الحاجة:

فقال النبي صلى الله عليه وآله: اللَّهُمَّ إذا أعطيتني ذلك فزدني – هذا الكلام متعلق بما سبق – **فقال الله تعالى له سل، قال: ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملتهُ على الذين من قبلنا، يعني بالإصر الشدائد التي كانت على من كان من قبلنا** – هذه الرواية منقولة عن إمامنا موسى بن جعفر عن آبائهِ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يعني بالإصر المذكور في الآية ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحمِل عَلَينَا إِصرًا﴾ يعني بالإصر الشدائد التي كانت على من كان من قبلنا فأجابهُ الله عزَّ وجلَّ إلى ذلك – **فقال تبارك اسمه قد رفعتُ عن أُمَّتِكَ الأصار** – الأصار جمع إصر – **الأصار التي كانت على الأمم السالفة كنت لا أقبل**

صلاتهم إلا في بقاعٍ من الأرض معلومة اخترتها لهم وإن بَعُدت – يعني وقت الصلاة لا يُصلون في أي مكان، أماكن معينة لابد أن يذهبوا إليها وقد تكون بعيدة في بعض الأحيان، اليهود كانوا مكلفين بذلك وحتى الأمم التي سبقت اليهود والنصارى كُلِّفوا بشيءٍ من ذلك – **قد رفعتُ عن أُمَّتِكَ الأصار التي كانت على الأمم السالفة كنت لا أقبل صلاتهم إلا في بقاعٍ من الأرض معلومة اخترتها لهم وإن بَعُدت وقد جعلت الأرض كلها لأُمَّتِكَ مسجداً وترابها طهوراً فهذه من الأصار التي كانت على الأمم السالفة فرفعتها عن أُمَّتِكَ كرامةً لك** – كرامةً للنبي – **وكانت الأمم السالفة إذا أصابهم أذىً من نجاسة قرضوه من أجسادهم** – إذا كان على أجسادهم يقرضون الموضع الذي يصاب بالنجاسة وإذا كان على ثيابهم أيضاً يقرضوه – **وكانت الأمم السالفة إذا أصابهم أذىً من نجاسة قرضوه من أجسادهم وقد جعلت الماء لأُمَّتِكَ طهوراً فهذه من الأصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أُمَّتِك وكانت الأمم السالفة تحمل قرابينها على أعناقها إلى بيت المقدس فمن قَبِلتُ ذلك منه أرسلت عليه ناراً فأكلتهُ فرجع مسروراً ومن لم أقبل ذلك منه رجع مثبوراً وقد جعلت قربان أُمَّتِكَ في بطون فقرائها ومساكينها** – يعني القرابين تذبح وتنحر فتطعم للفقراء والمساكين لا كهذا القانون قانون حرق القرابين – **وقد جعلت قربان أُمَّتِكَ في بطون فقرائها ومساكينها فمن قبلت ذلك منه أضعفت ذلك له أضعافاً مضاعفة ومن لم أقبل ذلك منه رفعت عنه عقوبات الدنيا وقد رفعت ذلك عن أُمَّتِك وهي من الأصار التي كانت على الأمم من قبلك وكانت الأمم السالفة صلاتها مفروضةٌ عليها في ظُلم الليل وأنصاف النهار** – يعني في منتصف الليل – **وهي من الشدائد التي كانت عليهم** – يعني ينامون ويستيقظون في منتصف الليل – **وهي من الشدائد التي كانت عليهم فرفعتها من أُمَّتِك وفرضت صلاتهم في أطراف الليل والنهار وفي أوقات نشاطهم لا في أوقات نومهم وكانت الأمم السالفة قد فرضت عليهم خمسين صلاة في خمسين وقتاً وهي من الأصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أُمَّتِك وجعلتها خمساً في خمسة أوقات وهي إحدى وخمسون ركعة وجعلت لهم أجر خمسين صلاة وكانت الأمم السالفة حسنتهم بحسنة وسيئتهم بسيئة وهي من الأصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أُمَّتِك وجعلت الحسنة بعشرة والسيئة بواحدة وكانت الأمم السالفة إذا نوى أحدهم حسنة ثم لم يعملها لم تُكتب له وإن عَمِلها كُتبت له حسنة وإن أُمَّتك إذا نوى أحدهم حسنة ثم لم يعملها كُتبت له حسنة وإن لم يعملها وإن عملها كُتبت له عشرة وهي من الأصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أُمَّتِك وكانت الأمم السالفة إذا همَّ أحدهم بسيئة ثم لم يعملها لم تُكتب عليه وإن عملها كُتبت عليه سيئة وإن أُمَّتَك إذا هَمَّ أحدهم بسيئة ثم لم يعملها كُتبت له حسنة وهذه من الأصار التي كانت عليهم فرفعت ذلك عن**

أُمَّتِك وكانت الأمم السابقة إذا أذنبوا كُتبت ذنوبهم على أبوابهم وجُعِلت توبتهم من الذنوب أن حرَّمتُ عليهم بعد التوبة أحَبَّ الطعام إليهم وقد رفعت ذلك عن أُمَّتِك وجعلت ذنوبهم فيما بيني وبينهم وجعلت عليهم ستوراً كثيفة وقَبِلتُ توبتهم بلا عقوبة ولا أعاقبهم بأن أُحَرِّمَ عليهم أحَبَّ الطعام إليهم وكانت الأمم السالفة يتوب أحدهم من الذنب الواحد مئة سنة أو ثمانين سنة أو خمسين سنة ثم لا أقبل توبتهم دون أن أعاقبهُ في الدنيا بعقوبة وهي من الأصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أُمَّتِك وإن الرجل من أُمَّتِك ليُذنب عشرين سنة أو ثلاثين سنة أو أربعين سنة أو مئة سنة ثم يتوب ويندم طرفة عين فأغفر له ذلك كله.

هذه الرواية هذا الحديث يبين معنى الإصر الذي جاء مذكوراً هنا في الآية ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ الإصر المذكور في هذه الآية هو الذي أشار إليه هذا الحديث الشريف المنقول والمروي عن إمامنا الكاظم صلوات الله وسلامه عليه.

بقيت عندنا رواية واحدة أختم بها الحديث هذه الرواية تتعلق بالآية التي مرت علينا ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ الرواية منقولة عن أبي سلمى راعي رسول الله صلى الله عليه وآله – **قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ليلة أسري بي إلى السماء قال لي الجليل جلَّ جلاله** ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾ **فقلتُ** ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ **فقال تعالى: صدقت يا مُحَمَّد من خلَّفت في أُمَّتِك؟ قلت: خيرها، قال الله تعالى: عليُّ بن أبي طالب؟ قلت نعم، قال: يا مُحَمَّد إني أطلعتُ على الأرض إطلاعةً فاخترتك منها فشققت لك اسماً من اسمائي فلا أذكر في موضع إلا ذُكِرت معي فأنا المحمود وأنت مُحَمَّد ثم اطلعت الثاني فاخترت منها عليّاً وشققت له اسماً من اسمائي فأنا الأعلى وهو عليّ، يا مُحَمَّد إني خلقتك وخلقت عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولدهِ من سنخ نوري** – من سنخ نوري يعني من حقيقة نوري من أصل نوري – **من سنخ نوري وعرضتُ ولايتكم على أهل السماوات والأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ومن جحدها كان عندي من الكافرين يا مُحَمَّد لو أن عبداً من عبادي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي** – الشن البالي الثوب الممزق، والشن البالي في أصلهِ في أصل معناه هي القربة الخلِقة، القربة حينما تتمزق وتتشقق فلا يُنتفع منها فتلقى على جانب هي هذه الشن البالي في أصلها وأيضاً يُقال للبُسُط التي تُفرش على الأرض وتكون عتيقة وممزقة يقال لها أيضاً شن بالي وللثوب الممزق أيضاً

– **لو أن عبداً من عبادي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي** – ينقطع يعني حتى ينقطع ظهرهُ يعني حتى يكون نصفين – **أو يصير كالشن البالي ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يُقر بولايتكم يا مُحَمَّد تُحب أن تراهم؟** – تحب أن تراهم: ترى الأئمة – **قلتُ نعم فقال لي: التفت عن يمين العرش فالتفتُ فإذا بعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومُحَمَّد بن علي وجعفر بن مُحَمَّد وموسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومُحَمَّد بن عليّ وعليّ بن مُحَمَّد والحسن بن عليّ والمهدي في ضحضاحٍ من نور قيام يُصلون وهو في وسطهم** – ضحضاح يعني في هالة نورية – **يُصلون وهو في وسطهم** – يعني المهدي – **كأنهُ كوكبٌ دُري، فقال يا مُحَمَّد** – الله يقول – **هؤلاء الحجَج وهو** – هذا الذي في ضحضاح النور – **وهو الثائرُ من عترتك** – هذا الذي في وسطهم – **وعزتي وجلالي إنه الحُجة الواجبة لأوليائي والمنتقم من أعدائي.**

بهذا يتم الكلام في سورة البقرة المباركة وكما قلت في أول الحلقة هذه آخر حلقةٍ من برنامج قرآننا في هذا الشهر الشريف إن شاء الله بعد شهر رمضان حين نعود إلى برامجنا نشرع في أول حلقة بعد شهر رمضان في بيان معاني سورة آل عمران أسألكم الدعاء جميعاً وأختم هذه الحلقة بالدعاء الشريف:

اللَّهُمَّ كُن لوليِّكَ الحُجَّةِ بن الحَسَن صَلَواتُكَ عليهِ وعلى آبائه في هذه السّاعة وفي كُلِّ ساعة وليّاً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تُسكنَهُ أرضَكَ طوعاً وتمتعهُ فيها طويلاً

بِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد.

في أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ

الفهرست

قـرآننـــا 1

يا زهـراء 3

الحلقة السادسة عشر: سورة البقرة من الآية ١١٨ الى الآية ١٢٦ 5

الحلقة السابعة عشر: سورة البقرة من الآية ١٢٧ الى الآية ١٣٨ 31

الحلقة الثامنة عشر: سورة البقرة من الآية ١٣٩ الى الآية ١٤٤ 54

الحلقة التاسعة عشر: سورة البقرة من الآية ١٤٥ الى الآية ١٥٧ 81

الحلقة العشرون: سورة البقرة من الآية ١٥٨ الى الآية ١٧١ 105

الحلقة الحادية والعشرون: سورة البقرة من الآية ١٧٢ الى الآية ١٨٢ 128

الحلقة الثانية والعشرون: سورة البقرة من الآية ١٨٣ الى الآية ١٩٣ 151

الحلقة الثالثة والعشرون: سورة البقرة من الآية ١٩٤ الى الآية ٢١١ 176

الحلقة الرابعة والعشرون: سورة البقرة من الآية ٢١٢ الى الآية ٢١٩ 202

الحلقة الخامسة والعشرون: سورة البقرة من الآية ٢٢٠ الى الآية ٢٣٤ 232

الحلقة السادسة والعشرون: سورة البقرة من الآية ٢٣٥ الى الآية ٢٥١ 259

الحلقة السابعة والعشرون: سورة البقرة من الآية ٢٥١ الى الآية ٢٦٠ 288

الحلقة الثامنة والعشرون: سورة البقرة من الآية ٢٦١ الى الآية ٢٧٤ 319

الحلقة التاسعة والعشرون: سورة البقرة من الآية ٢٧٥ الى الآية ٢٨٦ 348

الختام 374

الفهرست 375